وزارة التعليـم العالي والبحث العلمـي

جامعــة لونيسي علي –البليدة–

كليــة العلــوم الإنسانية والاجتماعيـة

قســم علــم الاجتماع وعلم السكان

الموضـوع:

دور الزوايا في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية لدى المريدين

الزاوية التيجانية بعين ماضي أنموذجاً

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في الأنثروبولوجيا

تخصـص: أنثروبولوجيا عامة

إعداد الطالب:

❁ **علال لجرب**

إشراف:

❁ **أ.د. رشيد شيخي.**

السنــة الجامعيـة: 2024/2023

وزارة التعليـم العالي والبحث العلمـي

جامعــة لونيسي علي –البليدة–

كليــة العلــوم الإنسانية والاجتماعيـة

قســم علــم الاجتماع وعلم السكان

الموضـوع:

دور الزوايا في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية لدى المريدين الزاوية التيجانية بعين ماضي أنموذجاً

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث في الأنثروبولوجيا

تخصص: أنثروبولوجيا عامة

إعداد الطالب:

❁علال لجرب

إشراف:

❁ أ.د. رشيد شيخي

السنــة الجامعيـة: 2024/2023

شكر وعرفان

اللهم لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا الحمد لله الذي يسر لنا طريق العلم ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل.

نتوجه بالشكر الجزيل

إلى المشرف الأستاذ الدكتور رشيد شيخي

والشكر إلى الأستاذ عبد القادر بلة ولكل أساتذة الكلية

وكل من ساعدنا في إنجاز هذا العمل

علال لجرب

إهداء

أهدي ثمرة جهدي وبالغ حمدي وشكري إلى

الذي خلقني وبرحمته هداني ومن الجهل

أنجاني إلى الله جل شأنه، إلى روح الوالد رحمه الله والزميل السوفي الحاج

إلى الوالدة أهدي هذا العمل إلى كل الإخوة والأخوات.

إلى زوجتي الكريمة وأبنائي

وتحية إلى صديقي المفدّى عبد القادر بلة وإلى زملائي في العمل

إلى أساتذة الكلية وكل القائمين بجامعة البليدة 2

إلى أستاذي الفاضل "رشيد شيخي"

علال لجرب.


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة:

يعتبر موضوع القيّم واحدا من المواضيع الأساسية التي تعالجها الأنثروبولوجيا على غرار العلوم الأخرى، لما تكتسيه من أهمية في تفسير واقع المجتمعات ودرجة تمسكها بالقيّم عامة، وتتطرق دراستنا حول دور الزوايا في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية لدى المريدين، كون أنَّ الزوايا حقل ديني فاعل في نقل وتجسيد مختلف الممارسات الدينية والاجتماعية، ولعّل الزاوية التيجانية من بين الزوايا التي ساهمت على مختلف مراحلها في تشّكيل منظومة قيّمية تجمع بين البعد الديني والاجتماعي لدى مريديها، وهذا ما دفعنا في اختيار موضوع دراستنا الذي أردنا من خلاله إبراز الدور الفاعل للزوايا في تعزيز هذه القيم وتأكيد استمراريتها، بالإضافة إلى عدم توفر دراسات تعنى بالقيم الدينية والاجتماعية في الحقل الطرقي من منظور الأنثروبولوجيا.

وتكتسي أهمية موضوعنا من خلال الحفر في الحقل الأنثروبولوجي، واستنطاق الحقل الديني الصوفي بما يحمله من رمزيات وممارسات دينية واجتماعية في منظومة القيم، كما أن الأهمية البالغة تتمحور في مدى تعزيز الزاوية التيجانية للقيم الدينية والاجتماعية لدى المريدين، من منطلق أنثروبولوجي بحت.

وركزت دراستنا هذه على الزاوية التيجانية بعين ماضي كونها مقر الخلافة العامة للطريقة التيجانية في العالم، والحاضنة الأم لكل مريدي الطريقة، حيث اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي من خلال التحري الدقيق في مدى تعزيز الزاوية التيجانية مختلف القيم الدينية والاجتماعية لدى المريدين، كما تم الاعتماد أيضا على المنهج التاريخي من خلال تتبع بعض المخطوطات التيجانية الموجودة بالزاوية، وأهم الأدوات المستعملة في دراستنا هذه الملاحظة بالمشاركة داخل الزاوية، وتقنية المقابلة من خلال إجراء مقابلات مقننة مع المريدين كعينة للدراسة.

وأهم ما توصلت إليه نتائج الدراسة أنَّ الطريقة التيجانية تساهم في تعزيز الولاء والانتماء لدى مريديها باعتبار أنَّ الشيخ المؤسس يحظى برمزية قدسية عظيمة في نفوس المريدين، كذلك يعتبر قدوة لمختلف المريدين وأنَّ التربية الروحية (التزكية) مبدأ أساسي في تمثل القيم للمريدين، كما أنَّ الزاوية التيجانية ساهمت في تعزيز القيم الدينية من خلال منظومتها الأساسية، وذلك بالمحافظة على تحقيق الإسلام بشروطه والايمان بأركانه، وتأكيد بر طاعة الوالدين والسعي لمرضات الله، كذلك ساهمت الزاوية التيجانية بنقل القيم الاجتماعية وتعزيزها لدى المريدين، من خلال التكافل الاجتماعي وإشاعة سبل المحبة والخير، والتضامن الاجتماعي بين المريدين، وبين عامة الناس، والحفاظ على الروابط الاجتماعي من خلال المناسبات الدينية والاجتماعية، وما تحمله من تمثلات قيمية اجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الزوايا، الطريقة التيجانية، القيم الدينية، القيم الاجتماعية، المريدين.

Study summary:

Values is considered one of the essential that is treated by anthropology rather than the other sciences, due to its importance in analysing reality of societies and how it relates to that values. Thus, our study shows the role of the Quranic schools (Zawia) in promoting the religious and social values to votaries, because they are effective religious field to transmit the different religious and social activities. The Tijanic Quranic School for instance, may be one of the schools that contribute to build a valuable regime combining between the religious and social dimension to their activists. That's why we have chosen this study analysis, to show the essential role that Quranic schools (zawia) played to promote the continuation of these values. In addition, no studies available related to values according to (Toroki) field from anthropological vision.

Our topic is important to go deep into the anthropological field, and discover the religious (Sofy) field with its religious and social activities in terms of values. Also, the essential role is to promote religious and social values by (zawia) as anthropological aspect.

Furthermore, our study focused on the Tijanic Quranic School in Ain Madhi, which is considered as Tijanic methodological succession local in the world, and the home school to all votaries. Thus we applied the descriptive analytic methodology through deep reading to what extent the Tijanic zawia promote the different religious and social values to its votaries. Also, we depended on the historical approach through following some Tijanic manuscripts over there. The most used tools in our study is the observation by practicing inside the Zawia, and the interaction technique by making directed interviews with votaries as a study case.

To sum up, we found out that Tijanic methodology contributes to promote Loyalty and allegiance to its votaries, taking into consideration that the founder Imam has a symbolic stature in votaries' souls. Also he is an inspiration to different votaries and the spiritual pedagogy (testimonial) is essential precept to acquire values to votaries. The Tijanic zawia contributes through promoting the religious values by spreading Islam with all its conditions and applying its pillars, also to get satisfaction of God and parents. Zawia also contributes in spreading love and good deeds, solidarity and giving charity between people , it gives the chance to votaries to celebrate the religious and social days with full of valuable atmosphere.

Keywords:

Zawia, Tijanic methodology, religious values, social values, votaries.

الفهارس

المحتويات	الصفحة
إهداء	/
شكر وتقدير	/
فهرس المحتويات	أ
مقدمة	ج
الفصل الأول: الإطار المنهجي للدراسة	
1. أسباب اختيار الموضوع	**05**
1.1 الأسباب الموضوعية.	**05**
1.2 الأسباب الذاتية.	**06**
2. أهداف الدراسة	**07**
3. أهمية الدراسة	**08**
4. الإشكالية	**10**
5. فرضيات الدراسة	**14**
6. تحديد المفاهيم إجرائيا.	**14**
6.1 الزوايا.	**14**
6.2 القيم الدينية.	**14**
6.3 القيم الاجتماعية.	**14**
6.4 المريدين.	**15**
6.5 الطريقة.	**15**
7. الدراسات السابقة	**15**
7.1 دراسة أوكتاف دوبون.	**15**
7.2 دراسة بوغديري كمال.	**16**
7.3 دراسة بن لباد الغالي.	**18**
7.4 دراسة هادي عبد العزيز.	**21**
7.5 دراسة يخلف الحاج.	**23**
7.6 دراسة طيب جاب الله.	**25**

7.7 دراسة عز الدين مشري.	**27**
7.8 دراسة عطية الشطة.	**30**
8. المقاربات النظرية.	**34**
8.1 التفاعلية الرمزية.	**35**
8.2 الاثنوميثودولوجية	**44**
8.3 التناقل الثقافي.	**52**
الفصل الثاني: الزوايا	
تمهيد	**60**
1. مفهوم الزوايا.	**61**
1.1 مفهوم الزاوية لغة.	**61**
1.2 مفهوم الزاوية اصطلاحا.	**62**
2. نشأة الزوايا.	**65**
3. نشأة التصوف وانتشاره في الجزائر	**71**
3.1 نشأة الزوايا بالمغرب العربي عامة والجزائر بالخصوص.	**73**
4. أنواع الزوايا في المجتمع الجزائري.	**76**
4.1 أنواع الزوايا من حيث الانتساب.	**76**
4.2 أنواع الزوايا من حيث الموقع.	**79**
4.3 أنواع الزوايا من حيث الدور الذي تقدمه.	**80**
5. وظائف الزوايا.	**81**
5.1 الوظيفة الدينية.	**81**
5.2 الوظيفة الاجتماعية.	**82**
5.3 الوظيفة التربوية والتعليمية	**83**
5.4 الوظيفة الجهادية.	**84**
6. النظام التعليمي في الزوايا.	**84**

7. الدور الديني للزوايا.	**88**
8. دور الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر.	**95**
8.1 دور الزوايا أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر.	**95**
8.2 دور الزوايا والحفاظ على الشخصية الوطنية.	**101**
8.3 دور الزوايا ومنهاجها في التعليم.	**104**
8.4 دور الزوايا بعد الاستقلال.	**108**
خلاصة الفصل	**110**
الفصل الثالث: القيّم الدينية والاجتماعية.	
تمهيد.	**112**
1. تطور مفهوم القيّم.	**113**
2. مفهوم القيّم.	**115**
2.1 القيم لغة.	**115**
2.2 القيم اصطلاحا.	**115**
3. القيّم من الناحية النفسية.	**119**
4. القيّم من الناحية الاجتماعية.	**120**
5. القيّم في مجال الأنثروبولوجيا.	**122**
5.1 الاتجاه الأول.	**123**
5.2 الاتجاه الثاني.	**124**
5.3 الاتجاه الثالث.	**124**
6. الطابع التربوي للقيّم الدينية والاجتماعية.	**125**
7. ماهية القيّم الدينية.	**126**
7.1 تعريف القيّم الدينية.	**127**

8. أهمية القيّم الدينية.	**129**
9. ماهية القيّم الاجتماعية.	**132**
10. أهمية القيّم الاجتماعية	**134**
11. الاتجاه الاجتماعي في تفسير القيّم	**135**
11.1 إميل دوركايم	**135**
11.2 ماكس فيبر	**137**
11.3 تالكوت بارسونز.	**138**
11.4 جورج هربت ميد	**139**
12. دور الأسرة في تشكيل القيّم الدينية والاجتماعية.	**140**
13. وظائف القيّم الدينية والاجتماعية.	**144**
14. مكونات وأساسيات القيّم الدينية والاجتماعية.	**146**
15. خصائص القيّم الدينية والاجتماعية.	**149**
16. تصنيف القيّم.	**151**
17. القيّم والتغير الاجتماعي.	**154**
خلاصة الفصل	**157**
الفصل الرابع: مونوغرافيا منطقة عين ماضي	
تمهيد	**159**
1. عين ماضي الامتداد الجغرافي والبعد التاريخي.	**160**
1.1 عين ماضي جغرافيا.	**160**
1.2 عين ماضي تاريخيا.	**161**
2. طبيعة العمران والتركيبة العمرانية لمنطقة عين ماضي.	**163**
2.1 القيمة الفنية العمرانية لقصور عين ماضي.	**163**
3. فضاءات النمط العمراني لمدينة عين ماضي.	**165**
3.1 المسجد.	**165**

3.2 البيوت.	**166**
3.3 شبكات الشوارع.	**170**
3.4 الأسوار الخارجية.	**174**
4. مدينة عين ماضي بعيون الرحالة.	**175**
4.1 الرحلة العياشية للبقاع المقدسة.	**176**
4.1.1 رحلة العياشي الحجية الصغرى.	**176**
4.2 رحلة اليوسي.	**177**
4.3 الرحلة الناصرية.	**178**
4.4 رحلة الهشتوكي الحجازية.	**179**
4.5 رحلة الحضيكي الحجازية.	**181**
4.6 رحلة أبي العباس السجلماني	**182**
4.7 الرحلة الناصرية الكبرى.	**183**
الطريقة التيجانية.	**184**
5.1 التعريف بالطريقة لغة.	**184**
5.2 الطريقة اصطلاحا.	**185**
5.3 نسبه.	**186**
5.4 مولده ونشأته.	**187**
5.5 صفاته وأخلاقه.	**189**
5.6 صفاته الخلقيّة.	**190**
5.7 حياة الشيخ أحمد التيجاني الصوفية.	**190**
ظهور الطريقة التيجانية.	**194**
6.1 منهجية الشيخ أحمد التيجاني في التربية.	**196**
6.2 طرق التربية الروحية عند الشيخ أحمد التيجاني.	**197**
6.3 تربية الشيخ بأذكار الطريقة.	**198**
6.4 التربية بأوراد الطريقة.	**199**
6.5 سلوك التربية بصلاة الفاتح.	**199**
6.6 آداب وشروط الذكر	**200**
6.7 شروط خاصة بالطريقة التيجانية	**200**

6.8 الأوراد اللازمة.	**201**
6.8.1 الورد المعلوم	**201**
6.8.2 الوظيفة.	**202**
6.8.3 هيللة الجمعة.	**203**
6.8.4 شروط الصحة.	**204**
6.8.5 شروط الكمال.	**204**
خلاصة الفصل.	**205**
الفصل الخامس: الإجراءات الميدانية للدراسة	
تمهيد	**224**
1. مجال الدراسة.	**225**
1.1 المجال المكاني.	**225**
1.2 المجال الزماني.	**226**
2. المناهج المستخدمة في الدراسة.	**227**
2.1 المنهج الوصفي التحليلي.	**228**
2.2 المنهج التاريخي.	**229**
3. أدوات الدراسة.	**230**
3.1 تقنية المقابلة.	**230**
3.2 تقنية الملاحظة.	**231**
4. العينة ومواصفاتها.	**233**
4.1 نوع العينة.	**233**
4.2 حجم العينة.	**235**
4.3 مواصفات العينة.	**235**
5. صعوبات الدراسة.	**242**
خلاصة الفصل.	**245**
الفصل السادس: عرض وتحليل نتائج الدراسة	
1. عرض وتحليل نتائج الحالة الأولى.	**247**
2. عرض وتحليل نتائج الحالة الثانية.	**260**
3. عرض وتحليل نتائج الحالة الثالثة.	**275**

4. عرض وتحليل نتائج الحالة الرابعة.	**290**
5. عرض وتحليل نتائج الحالة الخامسة.	**305**
6. عرض وتحليل نتائج الحالة السادسة.	**320**
7. عرض وتحليل نتائج الحالة السابعة.	**335**
8. عرض وتحليل نتائج الحالة الثامنة.	**350**
9. عرض وتحليل نتائج الحالة التاسعة.	**375**
10. عرض وتحليل نتائج الحالة العاشرة.	**390**
11. مناقشة الفرضية الأولى.	**391**
12. مناقشة الفرضية الثانية.	**394**
13. مناقشة الفرضية الثالثة.	**397**
14. النتائج العامة للدراسة.	**420**
الخاتمة	**425**
قائمة المراجع	**433**
قائمة الملاحق	**436**

فهرس الجداول

الرقم	عنوان الجدول	الصفحة
1	يوضح توزيع أفراد العينة حسب الجنس	235
2	يوضح توزيع أفراد العينة حسب السن	236
3	يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى العلمي	238
4	يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة الاجتماعية	239
5	يوضح توزيع أفراد العينة حسب مدة الالتحاق بالطريقة.	241

قائمة الأشكال

الرقم	عنون الشكل	الصفحة
01	الشكل يوضح المستويات الخمسة لعمليات اكتساب القيم في الأسرة	141
02	الشكل يوضح المستفيدون من برنامج القيم الدينية والاجتماعية	143
03	الشكل يوضح عملية تكوين وتشكيل القيم الدينية والاجتماعية في الأسرة	148
04	الشكل يوضح المكونات والعناصر الأساسية للقيم	149
05	الشكل يوضح توزيع أفراد العينة حسب الجنس	235
06	الشكل يوضح توزيع أفراد العينة حسب السن	236
07	الشكل يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي	237
08	الشكل يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية.	238
09	الشكل يوضح توزيع أفراد العينة حسب مدّة الالتحاق بالطريقة	239

مقدمـــة

مقدمة:

يعتبر الدين ذلك المفهوم اللصيق لمفهوم الإنسان منذ وجوده على وجه البسيطة حيث عرف الإنسان في مراحل تمدنه مفهوم الدين ووظيفته الأساسية في تفسير كل ما هو ميتافيزيقي وروحي فعمل الدين كمفسر لجميع الظواهر العصية على الفهم في مرحلة الطفولة الفكرية في تاريخ الإنسان، ومنذ ذلك الزمن عرف مفهوم الدين تطور يحاكي أهميته في حياة المجتمعات الإنسانية إلى أنْ ظهرت الديانات السماوية بما تحمله من معاني القدسية لاتصالها بمفهوم الوحي ورمز القداسة الأفقية الممثلة في أوامر الله، وكرامات أنبيائه ومرسليه، والإسلام واحد من هذه الرسالات المشبعة بالقيّم الروحانية والبحث الجاد والمستمر عن تلك الحقيقة الكامنة في الإحسان أو ما يعرف بجوهر التصوف فظهرت مدارس واتجاهات عميقة تحاول ترسيخ معنى الإحسان وفق نهج اجتهادي مخصص أو ما يصطلح عليه بمفهوم الطرق أو الطرقية.

فظهرت الرباطات والزوايا كأماكن للعبادات والعلم والتعلم وتجسيد لمفهوم الطريقة من خلال الحاضنة الاجتماعية، وأدواره التاريخية عبر مسارات المجتمعات المحلية وتطورها، وتعتبر بلاد المغرب العربي عموما أرض الزوايا والجزائر واحدة من هذه الدول التي عرفت انتشار للزوايا كمرجعية دينية واجتماعية لشتى الطرق الصوفية المنتشرة، والتي لعبت دورا محوريا في الحياة الاجتماعية والدينية من خلال نشاطاتها، والزاوية التيجانية واحدة من أكبر الزوايا في الجزائر والمغرب العربي والعالم قاطبة لما لها من قبول لدى المجتمعات المحلية والإفريقية خاصة، وهذا عبر مسارها التاريخي منذ تأسيسها حيث عرفت انتشارا لاذعا وقبولا واسعا بين فئات المجتمع، وقد ساهمت في نشر الإسلام في البلاد الافريقية وعملت على توطيد العلاقات الاجتماعية بين المجتمعات القبلية وساهمت بنشر تعاليم القرآن وخصصت رباطا أو زاوية بعين ماضي التي تعتبر

الحاضنة الأم والمقر الرئيسي للخلافة العامة للطريقة التيجانية، وعملت على أدوار مختلفة على الصعيد الاجتماعي والديني والثقافي والاقتصادي وحتى السياسي.

إنَّ الركائز الأساسية التي قامت عليها الطريقة التيجانية ولاقت اقبالا كبيرا وتوافقا اجتماعيا هو محافظتها على الجانب القيمي الديني والاجتماعي فالجانب الديني يتمظهر في سلوكها نهج الاحسان بنظرة خاصة تؤسس لمفهوم فقهها المتجذر في البساطة والحفاظ على الضروري من الدين تعزيزا لأهم مقصد وهو علم الأخلاق والتزكية فدأبت على شروط مخصوصة، كشرط أولي للانتماء، ورضا الوالدين والمحافظة على الصلوات الخمس جماعة الذي يعد غاية مقاصدها، وحفظ الأوراد الخاصة بها والوظيفة، والأمانة والصدق ومخافة الله وطلب العلم والتحلي بآدابه وشروطه وحسن الظن والتوكل على الله، أما القيم الاجتماعية فيمكن التطرق لها من خلال خصائصها السوسيوأنثروبولوجية كجماعة دينية أولية ممثلة في المريدين وعلاقات التعدي إلى عموم المجتمع فتركيزها على روح الجماعة، وضبط آليات التضامن والتعاون التي تحقق التكافل والمساندة الاجتماعية الذي بدوره يقوي الروابط الاجتماعية التي تتعدى قرابات الدم والنسب إلى قرابة الأخوة في الإسلام، ومركزية الشيخ المؤسس كأب روحي الذي جاء في مآثره أنّ أبناءه صنفين أبناء الصلب، وأبناء القلب فكل هذه الخصائص السوسيوأنثروبولوجية تعزز القيم الاجتماعية وتقيم الحجة الدينية في أصل من أصول الدين الحنيف، وهي الحفاظ على المجتمع والانسان فمجمل الطقوس والممارسات الدينية ذات الطابع العام والخاص التي تمارس في الحقل الطرقي التيجاني، ومن خلال الملاحظة المباشرة لهذا الحقل الديني المشبع بالرمزيات والطقوس التي يتداخل فيها الديني والاجتماعي يتبيّن لنا مأسسة نظام قيمي اجتماعي ساهم في الماضي في إرساء أسباب استمرار هذا الحقل الطرقي الديني والوظائف التي قام بها هذا المد الطرقي الكامنة منها والظاهرة، ومريدي

الطريقة التيجانية يمثلون ركنا هاما في نقل وتناقل القيم الدينية والاجتماعية من خلال أهدافها ورسالتها العامة، وهذا ما نسعى إليه من خلال هذه الدراسة التي تتناول الشق القيمي الديني والاجتماعي وسبل تعزيزها من الطريقة التيجانية من خلال أهم زواياها (زاوية عين ماضي)، وقد تناولنا في هذه الدارسة ستة فصول مقسمة كما يلي:

الفصل الأول: تناول فيه الباحث الإطار المنهجي للدراسة (أسباب اختيار الموضوع، وأهمية الدراسة وأهدافها، ثم الإشكالية وتساؤلاتها وفرضياتها، ومفاهيمها، ثم الدراسات السابقة والمقاربات النظرية المستخدمة في الدراسة).

الفصل الثاني: حيث تم التطرق إلى الزوايا وذلك من خلال تتبع مسارها التاريخي نشأة وتطورا ثم أهميتها ودورها في السياق الاجتماعي والديني على الخصوص لما له من علاقة بموضوع الدراسة).

الفصل الثالث: وتطرقنا في هذا الفصل إلى القيم وخصصنا القيم الاجتماعية والدينية من حيث التعاريف والأهمية والأهداف وتصنيفاتهما.

الفصل الرابع: تناولنا في هذا الفصل كنوع من النظرة الأنثروبولوجية إلى مونوغرافيا المنطقة تطرقنا فيه إلى التعريف المفصل لمنطقة عين ماضي من خلال تاريخها والتركيبة السكانية والعمرانية والجغرافية وتكلمنا عن الطريقة التيجانية ودعمنا ذلك بصور حصرية عن المنطقة.

الفصل الخامس: والذي يتناول الإجراءات المنهجية للدراسة من مجالها الزماني والمكاني إلى المنهج المستخدم في الدراسة ثم الأدوات البحثية المناسبة لجمع البيانات ثم العينة وانتقاؤها ومبررات اختيارها وحجمها ثم صعوبات الدراسة.

الفصل السادس: وتناولنا فيه عرض نتائج الدراسة من خلال تحليل المقابلات ثم تقييمها والوصول إلى نتائج الفرضيات والتأكد من صحتها ثم الاستنتاج العام كحوصلة عامة.

الفصل الأول:

الإطار التمهيدي للدراسة

1. أسباب اختيار الموضوع:

كما نعلم أنَّ لكل دراسة أسباب دافعة لإنجازها واتمامها علميا، فإنَّ موضوعنا هذا ظل في أخذٍ و رَدْ منذُ تبني موضوع القيّم واشكاليتها في الطريقة التيجانية، حيث تبلورت الفكرة حول دراسة البعد الديني والاجتماعي كقيمة أساسية ذات بعد رمزي للطريقة التيجانية ودورها في تعزيز تلك القيّم والممارسات الدينية والاجتماعية، والدافع انقسم إلى قسمين كما تجري العادة في كل بحث علمي، ولهذا يمكن طرح أسباب اختيار الموضوع كالآتي:

1.1 الأسباب الموضوعية:

1) إدراك الدور المتنامي للدين في جانبه القيّمي والاجتماعي إذْ يؤسس لما يصطلح عليه الأمن الروحي كأساس عميق للأمن المجتمعي، ودور الطرقية لما تحمله من قبول لدى أقطاب المجتمع ليسرِ تعاليمها وامتزاجها حضاريا، ونمطية المعاش لإنسان المنطقة.
2) النأي بالدين عن دائرة الاتهام، إذ كثيرا ما يوظف لتأجيج صراعات محلية وإقليمية، إما جهلا أو استغلالا والمنهج الطرقي جدير بتصحيح هذا المسار من خلال أبجديات المحبة وتعزيز القيّم الدينية والاجتماعية التي تؤصل للتعايش دون أن نغفل عن دورها في خلق ثقافة دينية تحترم خصوصية الموروث.
3) الرغبة في تعريف وإعادة بعث التراث الثقافي لمنطقة عين ماضي من منظور أنثروبولوجي يتعدى مفهوم الزاوية كبعد فيزيقي إلى ذلك البعد الديني والأخلاقي من خلال الفعل الطرقي في تعزيزها والحفاظ عليها، كحلقة في بناء الانسان.
4) تقديم إضافة للمكتبة الوطنية دراسة تعالج الطريقة التيجانية كطريقة أو نهج سلوكي عملي في تعزيز جملة القيّم الدينية والاجتماعية.

1.2 الأسباب الذاتية:

1) النزعة الشخصية نحو مفهوم التصوف وبخاصة في جانبه العملي (الطرقية)، وما يمارسه من دور لا يمكن إغفاله في الحفاظ على الرسالة المحمدية وتأصيل ثقافة دينية متجذرة في فردانية المريد وتأثيره البالغ وفق مكانته الاجتماعية في جماعته الأولية (الأسرة)، أو في الجماعة الاجتماعية أو ضمن الجماعة الدينية زمرة المريدين والأحباب، وما تخلقه هذه الرابطة الروحية، والنهج السلوكي الأخلاقي من روابط اجتماعية تتعدى الروابط الدموية والاجتماعية إلى تلك الروابط ذات السند القيّمي الأخلاقي والاجتماعي.

2) الرغبة في البحث الجاد لجانبٍ هام في ديننا الحنيف وأصل من أصوله الثلاث وهو الإسلام والإيمان والإحسان وفق المرجعية الطرقية التيجانية لما لها من تأثير بالغ في حاضنتها مقر الخلافة بعين ماضي محج المريدون من ربوع الوطن وأصقاع العالم.

3) تأثير المد الطرقي في الحاضنة الاجتماعية والانطباع الذي حرك القريحة البحثية لهكذا موضوع من خلال الملاحظات البسيطة للواقع المُعاش، وكيفية تناقل هذه القيّم أباً عن جد كتدين شعبي بسيط مشبع بقيّم عميقة دينية واجتماعية كالإيثار والحب والتضامن الآلي ومحبة الشيخ المؤسس، والتأسي بمناقبه والحث على طاعة الوالدين، إذ يعتبر كمؤشر للقبول في زمرة المريدين، وتوقير الكبير واحترام الصغير وإصلاح ذات البين، إنَّها في الأخير معرفة دينية ضمنية لا بُدَّ للمتبصر بعين الباحث أن يحفر في ثناياها وخاصة أنّها من أولوية التخصص في الأنثروبولوجيا.

2. أهداف الدراسة:

لكل دراسة علمية أهداف تسعى للوصول إليها لتحقيق أغراضها العلمية ولتعميم النتائج والاستفادة منها في البحث العلمي، وما دراستنا الموسومة بدور الزاوية في تعزيز القيم الدينية والاجتماعية إلا بحث حقلي في مجال الانثروبولوجيا والدين في جانبه الطرقي الممثل في الطريقة التيجانية إذ نسعى إلى الوصول لفهم آليات غرس القيّم الدينية والاجتماعية في الجماعة الدينية الطرقية وفق الآليات التربوية المنتهجة من قبل الطريقة التيجانية لدى مريديها حسب نسقية الطقوس والشعائر والعبادات، دون إغفال الجانب الاجتماعي العميق لهذه الجماعة ذات النسق الطرقي وكيفية تأسيسه لقيّم اجتماعية عامة وقيّم أخرى خاصة بالدائرة المصغرة المحصورة في جماعة المريدين.

ومن بين الأهداف المرجوة لهذه الدراسة ما يلي:

- الكشف والتمحيص من خلال البحث الحقلي ضمن أطر الطقس والتفاعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية ورابطة التكافل والتضامن وإصلاح ذات البين وإقامة الشعائر، وتكرار الأوراد والأذكار في أوقات مخصوصة وفق نظام ديني واجتماعي خاص، إذ يتداخل الديني والاجتماعي ضمن القيّم وتعزيزها طقوسيا وفق آلية التكرار زمانيًا ومكانيًا.
- إنَّ الطريقة كمسلك ومنهج يسهم إلى حدٍ كبير في غرس مجمل القيّم وبخاصة منها الدينية والاجتماعية وارتأينا وراء دراستنا هذه الوصول إلى كشف النقاب عن خصوصية الطريقة التيجانية الأنثروسوسيولوجية الذي يميزها عن غيرها من الطرق في تعزيز هذه القيّم، وإعادة قراءة القيّم قراءة أنثروبولوجية مستجدّة من خلال الملاحظة الحقلية، والمقابلة مع عينة من

المريدين والقائمين على الزاوية التيجانية متجاوزا للطرح التاريخي والسجال الديني لفهم أعمق ونتائج أكثر دقة وموضوعية.

3. أهمية الدراسة:

كل الدراسات الأكاديمية هي محاولات جادّة ومثمرة بغية التوصل إلى نتائج تجيب عن تساؤلات بحثية لمواضيع أصيلة في طرحها من حيث الحداثة الكلية لموضوع الدراسة أو لجانب من جوانبه، أو معالجته من زاوية مختلفة وخاصة في ظل ما يسمى بالدراسات العابرة للتخصصات.

إذا تعتبر الأنثروبولوجيا وعلى الرغم من حداثة تأطيرها كعلم مستقل بذاته ومحورية الانسان في طرحها المنمط بالتخصصات التي ماهي إلا جانب من جوانب هذا الكائن، وبخاصة في تلك الحاجة الفطرية للدين لهذا الكائن وفق المرتكز الأصيل لعلم الأناسة في مفهوم وحدة الإنسان، يبقى التصوف عامة والطرقية خاصة في الوطن العربي، وخصوصيته في الجزائر محل دراسة وتمحيص في جانبها القيّمي دينيا وأخلاقيا كعمق حضاري لإنسان المنطقة المغاربية في اتجاه معاكس للأنثروبولوجية الكولونيالية التي مارست جحود في إعطاء الطرقية محتواها الأصيل كمنهج ديني أخلاقي، واقتصارها على تلك الدراسات التاريخية والفلسفية في ظل الإستشراق منكرين على هذا الاتجاه الصوفي أصوله الإسلامية بوصفه نبتة غريبة في أرض الإسلام ناهيك عن البعد الروحي للإسلام في بلاد المغرب العربي المعروف تاريخياً في أبجديات الجغرافية الدينية بأرض الزوايا والطرقية، وإيمانا منَّا وعلى مسافة المحاذير الإبستيمولوجية ارتأينا إعادة البوصلة من خلال رد الاعتبار للدراسات الانثروبولوجية لهكذا موضوع وفق الخصوصية الأصيلة للتصوف المغاربي وللطرقية ممثلة في واحدة من أقطابها الطريقة التيجانية ودورها في تعزيز القيم الدينية والاجتماعية.

ولعل التوجه العام لموضوعنا ارتكز على أهمية الممارسات القيّمية وطرق انتقالها وكذا المحافظة عليها ومن أبرز ما يمكننا الخوض فيه جملة هذه القيّم المتعددة ذات البعد الديني والاجتماعي وكيفية تلقينها لدى مريديها، وتعزيزها من خلال منظومتها البنائية ونسق الممارسات الدينية في إطارها المنشود.

إنّ جوهر أهمية دراستنا المنمطة بدور الطريقة التيجانية في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية إنّما تتأتى من ثقل مفهوم القيّم عامة وشقها الديني والاجتماعي خاصة، إذْ يشغل مفهوم القيّم دائرة فاعلة في دراسات عابرة للتخصصات وما طرحنا هذا لفهم دور الطريقة التيجانية في تعزيز هذه القيّم الدينية والاجتماعية لتعمد الطرق الصوفية عامة، والتيجانية منها بوجه خاص على الحفاظ وتعزيز هاته القيّم من خلال فقه الطريقة، ومن خلال مريديها تعمل على غرسها وتعزيزها استمرارية وتناقلا من المريد إلى الدوائر الاجتماعية الأخرى، الأسرة، الأحباب، الجماعات الاجتماعية الأخرى.

إضافة إلى وضع لمسة بحثية في إطار الحقل الانثروبولوجي للحفر في تلك الرمزيات الطقوسية والتمثلات والتمظهرات الاخلاقية والاجتماعية والدينية ذات الصبغة القيّمية في معاش المريد اجتماعيا ودينيا، كثقافة مجتمعية تصدر عن وعي سابق لمفهوم الإحسان وتمثلات الطرقية كمنهج تربوي ديني واجتماعي يؤسس لتلقين هاته القيّم الدينية والاجتماعية وتعزيزها وفق نمطية التكرار والتلقين من خلال جملة الطقوس والممارسات الفردية والجماعية من ذكر وعبادات وإحياء شعائر الدين وفق المناسبات الدينية، والمحملة بالبعد الرمزي والمعنوي، إضافة إلى التأسي بأخلاق الشيخ المؤسس كرمزية دينية واجتماعية، تمتد تأثيرا فاعلا في الحقل الديني الطرقي للتيجانية في مكونها الاجتماعي الممثل في المريد، وما لهذه الجماعة الطرقية من خصائص سوسيوأنثروبولوجية

تحاكي خاصية الطريقة التيجانية في يسر تعاليمها مما أهلها للانتشار الواسع ليس في الجزائر فقط بل مختلف أقطار المعمورة، وما دراستنا هذه إلا إثبات للأهمية التي تكتسيها القيّم من خلال الممارسات المتعددة للطريقة التيجانية اجتماعيا ودينيا.

4. الاشكالية:

يعد الدين جوهريا في سيرورة الإنسان الوجودية إذ شكل في مراحل متزامنة ومطردة الأطر العقلية والمعرفية للإنسان العاقل كعمق أنثروبولوجي، لكينونته ومحيطه الأيكولوجي، حيث قدم إجابات مؤقتة لما عجز العقل البشري عن فهمه لتجاوزه حدود المحسوس، ويعد الدين موضوع نقاش وتجاذبات فكرية شغلت العقل الإنساني لما له من أهمية روحية تطهر النفس من الرذيلة، وكمرجع ثابت لأصول المجتمعات وتنظيمها والاحساس بوجود دين يضبط الحياة الاجتماعية للأفراد والجماعات، حيث مرت المعرفة الدينية بمراحل تعكس نموه العقلي والاجتماعي، بصفة خاصة لخصوصيته الفطرية في الحاجة إلى فهم الغموض الذي يكتنف الموضوعات الغيبية، حيث عرف الإنسان ما يصطلح عليه الدين الوضعي والفلسفات الأخلاقية الشرقية إلى فجر مهبط الديانات السماوية وبعثت الأنبياء والرسل كشرائع تنظم حياة الإنسان الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولكل رسول رسالة والقاسم المشترك عبادة الله والابتعاد عن ما ينافي الشرع، والدين ما هو إلا شريعة تطابق الفطرة الإنسانية وتتماشى مع طبيعة العقل البشري، تنمط سلوكياته الدينية في شكل طقوس وعبادات والتي وإن اختلفت من شريعة لأخرى فإنها تشترك في جوهر عميق عمق النفس البشرية، وعمق مفهوم الروح وقدسيتها لدى سائر الأديان.

والدين الاسلامي شريعة غراء موضوعها الأول التربية الروحية والتزكية في مسمى التصوف وهذا ما جاء على لسان خير البشر حيث ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (اخرجه الألباني في السلسلة الصحيحة)، ذلك البعد المشترك على هامش جميع الديانات، والاسلام كدين جاء لتلقين مكارم الأخلاق وسمو الروح.

عرف التصوف في فجر قرونه الأولى تحت مسمى الزهد أو التقشف أو الورع، حيث تطور هذا المفهوم مع تطور الحياة الاجتماعية والسياسية منذ القرن الثاني للهجرة، ومع انتشار الفتوحات الإسلامية في شمال إفريقيا عرف المغرب العربي الإسلام وعرف معه التصوف كمدرسة روحية تربوية وجهادية فيما يصطلح عليه بالزوايا والرباطات كأماكن للتعليم والجهاد، حيث وسم المغرب العربي بأرض الزوايا لانتشارها ودورها السياسي والاجتماعي والديني في حاضنتها الاجتماعية الجديدة للحفاظ على القيّم الدينية الأصيلة في الإسلام والقيّم الاجتماعية ذات الجذور العميقة في مجتمع المغرب العربي.

لقد شغل موضوع الزوايا والطرق الصوفية اهتمام الباحثين في الحقل السوسيوأنثروبولوجي لا سيما في الآونة الأخيرة وذلك لتحقيقه الأهداف المنشودة في تقصي حقائق الطرقية، ومحاولة فهم الطريقة كبعد تربوي روحي، وكمسلك ديني يتجاوز حدود المفهوم الفيزيقي للزاوية كبناء يضم جماعة دينية للذكر أو الرباط أو عابري السبيل إلى ذلك النهج التربوي المتمثل في مفهوم الطريقة ومرجعيتها الفكرية، وثقل الموروث الرمزي الممثل في شيخ الزاوية وسند أذكاره.

إذْ تعتبر الطريقة التيجانية في الجزائر ذات مكانة مرموقة في أدبيات المتصوفة وذلك نظرا لسلسلة سندها، ويسر تعاليمها وأذكارها المستمدة من الكتاب والسنة إذ يكنّى عليها الطريقة الأحمدية، وتعمد إلى التحلي بأخلاق النبي وأنَّ هذا الطريق يمر عبر المربي الممثل في مرجعيتها الأصيلة سيدي أحمد التيجاني وخلفاءه، وما يقدمونه من قيّم ومعايير دينية واجتماعية لمريدي الطريقة التيجانية.

إذْ تكتسي عين ماضي مكانة هامة ومقدسة ليس في الجزائر فقط بل في العالم قاطبة، لكونها مسقط رأس الشيخ المؤسس وديباجة وصيته لأبنائه من بعده، وخصوصيتها المتفردة عن سابقتها من الطرق الأخرى من أجل الدلالة على الله والرفع بالنفس لمستوى التزكية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرفق بالضعيف، وكلهم من نبراس هدي خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم.

وتتفرد الطريقة التيجانية بأورادها وأحزابها وأذكارها وأساليب تعاليمها ونقلها لمختلف القيّم الاجتماعية ممثلة في التضامن الاجتماعي من خلال الروابط والعلاقات الاجتماعية التي تتفاعل تبادليا بين المريدين أنفسهم وبين الدائرة الاجتماعية الأوسع (المجتمع)، ويتضح من خلال الممارسات الدينية المختلفة فالأعياد الدينية لها مدلول اجتماعي وديني، فالديني ينحصر في تعظيم شعائر الله عز وجل والاجتماعي يتجلى في التكافل الاجتماعي الذي يعكس البنيان الواحد وقد بينه رسولنا الكريم في الحديث الشريف فعن النعمان بن بشير –رضي الله عنهما– قال: قال رسول الله ﷺ : "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (صحيح مسلم)، كذلك الايثار وحب الآخر وهذا يتمثل في الانصياع الطوعي لتقديم المصلحة العامة عن المصلحة الخاصة، وإصلاح ذات البيّن الذي يظهر في حل

المشكلات وفك النزاعات الاجتماعية ليس بيّن المريدين فقط بل تشمل الحيّز الاجتماعي كالإصلاح بين القبائل المتنازعة وبين الخصوم وحتى المشاكل الأسرية. أما القيّم الدينية فتظهر خصوصا في التربية الخلقية وتعظيمها لأنّ الأخلاق مبنية على المعاملات الحسنة كالصدق والأمانة. كذلك الحث على الصلوات الخمس وتقديم العهد وإشاعة المحبة في المجال الأوسع ممثلا في الأحباب وفي الدائرة الأكثر تركيزا خاصة المريدين كجماعة تلتزم العهد لشيخ الطريقة وللجماعة.

إنّ الطريقة التيجانية طريقة صوفية في حقيقتها وجوهرها ومنهجها التربوي وذلك من صميم الإسلام تستهدف تزكية النفس وتطهيرها من رذالها الخلقية وتزويدها بالفضائل الإسلامية، هذا ما عمل عليه علماء الطريقة التيجانية على غرس القيّم والأخلاق والآداب الفاضلة في نفوس مريدي الطريقة التيجانية، ويتلقى مريدي الطريقة التيجانية جملة من القيّم الدينية والمعايير الاجتماعية وفق نظامها المشروط الذي يعد أمرا جوهرياً في عملية التربية الروحية، لذلك نجد المريد عاكفًا على الأوامر التي يتلقاها من الشيخ المربي الذي تجمعه به علاقة الأب بابنه، ولعل هذا ما فسّرَ قوَّة الرابطة الإثنيّة الدينية بين الشيخ والمريد، كذلك التقشف والزهد والابتعاد عن بهرج الحياة، إضافة إلى العلاقة بين المريد وأهله وبين المريد والجماعة الاجتماعية التي ينتمي إليها، فجملة هذه القيّم الدينية والاجتماعية التي يتناقلها المريدين ويستمدونها من الإرث المناقبي لشيخ الطريقة كبعد رمزي والجماعة الدينية ممثلة في حلقات الذكر وتناقل هذه القيّم إلى الجماعة الأولية ممثلة في الأسرة كمحاولة من الطريقة التيجانية لتعزيزها.

من خلال هذا المنطلق يمننا أن نطرح التساؤل التالي:

التساؤل العام:

1) هل للزاوية التيجانية دور في تعزيز القيم الدينية والاجتماعية لدى المريدين؟

ومنه تصاغ الأسئلة الفرعية التالية:

1) إلى أي مدى تساهم درجة التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية في ترسيخ قيم الولاء والانتماء لديهم؟
2) هل ساهمت الزاوية التيجانية بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين؟
3) هل للزاوية التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها؟

5. فرضيات الدراسة:

الفرضية العامة:

1) للزاوية التيجانية دور في تعزيز القيم الدينية والاجتماعية لدى المريدين.

الفرضيات الجزئية:

1) كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيّم الولاء والانتماء لديهم.

2) ساهمت الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيّم الدينية لدى المريدين.

3) للطريقة التيجانية دور في إرساء القيّم الاجتماعية لدى مريديها.

6. تحديد مفاهيم الدراسة إجرائيا:

تعدّ المفاهيم في الدراسات العلمية ذات أهمية بالغة لما تمثله من تراكم معرفي يشمل العديد من الاتجاهات والمدارس الفكرية حسب رؤية كل تخصص علمي، وما يجب علينا في تحديد المفاهيم تجاوز المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لوجودها في الفصول النظرية وتجنبا للتكرار ارتأى الباحث تحديد المفاهيم إجرائيا، وهذا من خلال:

6.1 الزوايا:

تعتبر الزاوية حسب دراستنا ذلك الحيّز الفيزيقي الديني الذي يكون له شيخ عارف عالم أخذ الطريقة عن أسلافه ومأذون له، ومقصدا لطلبة العلم وللزائرين وعابري السبيل بها مسجد لإقامة الصلوات، ومدارس قرآنية حسب المستويات وبها مكتبة، ومكان للإقامة.

6.2 القيّم الدينية:

إنّ القيّم الدينية حسب دراستنا هي تلك السلوكيات المعيارية التي تتجلى في ممارسات الأفراد وهي بمثابة موجه ديني وضابط اجتماعي تتمظهر في مختلف تمثلات المعاش اليومي للأفراد والجماعات، وهي تشمل الإخلاص لله وطاعة الوالدين، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة، والحفاظ على حقوق الناس، وهي بالمجمل تحقيق الإيمان بأركانه.

6.3 القيم الاجتماعية:

تعتبر القيّم الاجتماعية حسب دراستنا تلك المعايير الاجتماعية المحددة والضابطة للحياة الاجتماعية وفق متطلبات الدين؛ والعرف؛ والعادات؛ والتقاليد؛ ومتطلبات المعاش على العموم، وهي تتمظهر في التعاون والتساند الاجتماعيين؛ والتضامن؛ والتكافل، وهي تجسد صور المعاملات اليومية للأفراد والجماعات أثناء تفاعلاتهم في الحيّز الاجتماعي.

6.4 المريدين:

نقصد بالمريدين في دراستنا هم جموع مرتادي الزاوية من أتباع الطريقة التيجانية نسبة إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني وآخذي العهد عن شيخها المقدّم والملتزمين بفقه الطريقة وشروطها ويُلَقَّنُونَ الأوراد والأذكار الخاصة بالطريقة التيجانية مع التزام الجماعة.

6.5 الطريقة التيجانية:

نقصد بالطريقة التيجانية في دراستنا بأنّها نهج ديني صوفي طرقي تأسس على يدّ الشيخ أحمد التيجاني والتي نسبت إليه الطريقة، وهي في أساسها أوراد شفهية وأذكار وفق آداب وشروط مخصوصة وأوقات معلومة، وهي تلزم مريديها التفرد بها والتحلل من الطرق الأخرى ورضا الوالدين كشروط أولية للقبول في الطريقة.

7. الدراسات السابقة:

تطرقت عديد الدراسات في مختلف التخصصات إلى دراسة الدين ومن زوايا مختلفة إلا أنَّ الملاحظ هو الإسهاب في دراسة الطرقية في المغرب العربي دراسات تاريخية وبخاصة فيما يطلق عليه الأنثروبولوجيا الكولونيالية وندرة الدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية من جانبها الأنثروبولوجي في معالجة الطريقة كمنهج لتلقين وتعزيز القيّم الدينية والاجتماعية من منطلقات تأصيلية لدور الطرقية كمؤسسة دينية تقوم على سنام الدين الاحسان وتربية النفس وكذا انتشارها وفق معايير اجتماعية وأيكولوجية وتمازجها الاجتماعي الثقافي مع الحاضنة الاجتماعية ممثلة في المريدين والمحبين وامتدادهم الاجتماعي وعليه اعتمدنا على قدر من الدراسات السابقة ذات الصلة بمتغيرات الدراسة وهي كالآتي:

أولا: الدراسات الأجنبية:

7.1 الدراسة الأولى:

دراسة أوكتاف دوبون وغزافييه كوبولاني O.Dupont/ x. coppolani دراسة منشورة تحت عنوان "الطرق الدينية الإسلامية[1]"، تدخل الدراسة ضمن الأثنوجرافيا العسكرية في الجزائر المستعمرة ويحيل موضوعها الى نشأة التصوف ومدارسه والتطور الحاصل إذ تعرف بالطرق الصوفية ووظيفتها الدينية والاجتماعية والاقتصادية في البناء الاجتماعي منذ النشأة في الحقبة العثمانية إلى تاريخ الدراسة.

زمن الدراسة: 1897 وكانت طبيعة الدراسة إثنوجرافية واشكاليتها تعالج التصوف وأصوله ومدارسه وأهم الطرق الصوفية الإسلامية وسندها وتنظيمها البنيوي العام وأهم الطرق الصوفية وفروعها بالجزائر، والبحث عن الأدوار المناط بها على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والسياسي من الخلفية الإثنوجرافية العسكرية التي طبقت في الجزائر، واستعمل الباحث المنهج الوصفي التاريخي، وتمثلت عينة الدراسة على أكبر الطرق الصوفية وفروعها على كامل تراب الجزائر وهدفها تسليط الضوء والتنقيب عن نشأة وانتشار التصوف والمؤسسين للطرق الصوفية وأدوارها الاقتصادية والاجتماعي والسياسية لدورها البالغ الأثر في تماسك المجتمع الجزائري، بغية استعمالها وكسب ثقتها لتحقيق الأيديولوجية الاستعمارية وأحالت الدراسة إلى النتائج التالية:

[1]Octave. Depont& Xavier Coppolani, « **Les Confréries religieuse Musulmanes** » Publier sous le patronage de M. Jule combon gouverneur générale, de l'Algerie. 1897 Copie éléctronique.

- تعدد الطرق الصوفية بالجزائر ولكل طريقة فروع وأصل وتنسب لشيخ مؤسس وتؤصل للسلطة على مجتمع الأهالي كحاضنة اجتماعية ولغيره من المجتمعات التي تنتقل إليه، وانتشارها على عموم التراب الوطني، والذي يعزى للأدوار العميقة على الأطر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، داخل النسيج المجتمعي والخارجي، وهو ما جعلها محل اهتمام الإدارة الفرنسية الاستعمارية والعمل معها لأجل احتواء الثورات وإخضاع الأهالي.
- التصوف جزء أصيل من التراث الإسلامي عموما والجزائر على وجه الخصوص ممثلا في الطرق الصوفية التي تمثل مؤسسة اجتماعية متعددة الأدوار.

ثانيا: الدراسات المحلية (الجزائرية):

7.2 الدراسة الثانية:

دراسة بوغديري كمال: دراسة أكاديمية منشورة تحت عنوان "**الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجا**"[1] اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي والمنهج الاثنوجرافي لدراسة راهنية الظاهرة من حيث الخصائص والإشكال، كما اعتمد على الملاحظة والملاحظة بالمشاركة كأداة، وكذا المقابلة كما استعان بأدوات مساعدة في بحثه الميداني لجمع المادة الاثنوجرافية كالسجلات والوثائق، وأجهزة التسجيل، وتمثلت عينة الدراسة من مشايخ ومريدي الطريقة التيجانية بمنطقة بسكرة.

[1] بوغديري كمال، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجا (دراسة انثروبولوجية بمنطقة بسكرة)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور محمد لمين دباغين 2، سطيف، الجزائر، 2015.

وهدفت الدراسة إلى التعرف على أحد الظواهر الاجتماعية بالقطب الجزائري وبخاصة منطقة بسكرة، والتعرف على طبيعة الأشخاص المنتمين والمشكلين لها، ونمط حياتهم ومقارنتهم مع غيرهم.

محاولة وصف وكشف وفهم بعض جوانب ظاهرة الطرقية كجزء من ثقافة المجتمع الجزائري وفهم ديناميكية حياة التيجانية كجماعة دينية صوفية لما لها من خصوصية على مستوى المعتقد والفكر والممارسة ومدى تأثير ظاهرة التصوف على سلوكهم في شخص المريد، والبحث في نمطيته وفق أطر الفردانية والجماعة.

حيث توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- أنَّ التصوف في المجتمع الجزائري يأخذ شكلاً جماعياً وهو من صميم الطرقية وخصوصية البناء الاجتماعي في الطريقة التيجانية وفق نظام دقيق يتخذ شكلاً هرمياً يبدأ من الشيخ وينتهي عند المريد كما أن لها نظاما خاصا تحدد فيه الوظائف الفردية والجماعية الدينية والاجتماعية.
- تأثير رب الأسرة المريد في التعريف ببعض مبادئ التصوف السني لأفرادها بصورة اعتيادية كنمط سلوكي من أنماط التنشئة الاجتماعية من خلال انتشار الأدعية بين الاخوان في الطرقية في المعاش اليومي من خلال ملاحظة هذا الأخير.
- وجود آداب وقواعد محددة لمريدي الطريقة يجب الالتزام بها والحفاظ عليها لترقي في المقامات وأهمية الأخوة في الطريقة والتآلف الذي يتعدى الأدوار داخل الجماعة الدينية إلى مناحي الحياة فهي محبة ملموسة من خلال مد يد العون ومشاركة المناسبات الاجتماعية.

- وتوصل إلى أهمية الشعائر والطقوس لارتباطها الوثيق بالتجربة الدينية فشعائر الذكر تمثل إطارا فاعلا في تحويل الأفراد إلى أعضاء جماعة متصلة ومتلاحمة بفعل النشاط الجماعي المنتظم والمتكرر في حلقات الذكر.
- فاعلية الخبرة الوجدانية كقوة جذب وتوحيد في اتجاهين متكاملين وتأثير قوة الضبط الداخلي للمريد من خلال مراقبة النفس والالتزام بقواعد الطريقة ظاهرا وباطنا وهو ما يحقق الوظيفة الاجتماعية (الضبط الاجتماعي).
- جوهرية الاحتفالات في البناء الاجتماعي الثقافي للطريقة مثل احتفالية المولد النبوي حيث يتداخل الديني والاجتماعي. من خلال الانتماء والتفاعل وتعزيز الالتزام الديني.

7.3 الدراسة الثالثة:

دراسة الباحث بن لباد الغالي[1]، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية" (دراسة أنثروبولوجية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2009/2008.

إشكالية الدراسة: ينطلق الباحث من تصور فكري مفاده الدور الذي يؤثره التصوف على العلاقات الفردية، وبالتالي مدى انعكاس هذه التجربة على الحياة الاجتماعية؟

منهج الدراسة: اعتمد في دراسته على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج الملائم والمناسب لطبيعة الموضوع، كما أنّه يساعد في التفسير والتحليل بغية الوصول إلى نتائج دقيقة.

[1] بن لباد الغالي، "الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية" (دراسة أنثروبولوجية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2009/2008.

أدوات الدراسة: اعتمد الباحث على الملاحظة بالمشاركة باعتبارها الأداة الأكثر استخداما في الدراسات الأنثروبولوجية، وهو إحدى الإجراءات الحديثة المطبقة في علم الأنثروبولوجيا. واعتمد على المدونات التاريخية والدراسات الاثنوجرافية. وذلك قصد تحليل الحوادث التاريخية وتمحيص المؤلفات والروايات من خلال المماثلة بين الجانب الروحي والبنائي كما استعان الباحث بالدراسات الاثنوجرافية قصد التقرب أكثر من عينة البحث.

نتائج الدراسة:

من خلال النتائج التي خلصت إليها الدراسة ما يلي:

- مرّ التصوف بثلاث مراحل تاريخية، الأولى مرحلة النشأة وإثبات الوجود، حيث حاول فيها المتصوفة من خلال ممارستهم لعملية النصح والإرشاد إيجاد موقع لهم في الحياة الاجتماعية، ثم تليها مرحلة التصدي التي تميزت بالصراع والمواجهة وبالخصوص مع الفقهاء السنيين، ومرحلة الازدهار والانتشار حيث ظهرت المؤلفات الصوفية التي كان يمارس عليها الرقابة الشديدة والتي عانت كثيرا من ويلات الحرق والحجز.
- أنّ الزوايا تستقطب كثيرا من الراغبين في التعلم، وتسهر على تعليمهم أمور دينهم ودنياهم فهي مؤسسة تعليمية.
- أنّ الزوايا مؤسسة اجتماعية من خلال تناولنا للجانب التضامني الذي تقوم به هذه المؤسسة، ومن خلال ذاك التكافل بين أعضاء أفرادها وتوزيع الوظائف وسلم القيّم الذي يحترمه الجميع.

- أنّ الزوايا مؤسسة ثقافية: نظرا للمهام التعليمية والدور الفعّال الذي تقوم به المؤسسة في خلق الأجواء العلمية للطلبة والدروس التي تقيمها في مساجدها إضافة إلى الندوات العلمية والمطبوعات.
- أنّ الزوايا مؤسسة دينية، وهي الصفة الغالبة عليها ذكرا ولونا ولباسا.
- أنّ هذه المؤسسات حاولت تاريخيا أن تخفي فكرة العجز والتلاشي، بل ظلت تبحث عن الكثير من المريدين.
- لقد عملت مؤسسة الزاوية عبر فترة زمنية طويلة على تكريس ثقافة العجيب والخارق في التجمعات الشعبية كما وظفت لغة رمزية حتى تفتح عقول العامة في بعض الأحيان البسطاء.
- إنّ المنهج الصوفي يشترط على الشيخ الولي أن يكون عالما وتظهر في معالمه صفة العلم، إلا أنّنا لم نلمس صفة العلم ولكننا وجدناهم ساهرين على تعليم الناس حفظ القرآن وتعلم الخط وبعض الواجبات الأخرى.

7.4 الدراسة الرابعة:

دراسة الباحث: الهادي عبد العزيز[1]، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الخطاب الصوفي في الجزائر وبلاد المغرب خلال العهد العثماني (الطريقة التيجانية نموذجا)"، أطروحة دكتوراه، كلية

[1] الهادي عبد العزيز، "الخطاب الصوفي في الجزائر وبلاد المغرب خلال العهد العثماني (الطريقة التيجانية نموذجا)"، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة لجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017/2016.

العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة لجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017/2016.

تهدف هذه الدراسة تقديم مساهمة في إظهار جزء من التطور الديني والفكري للمجتمع المغاربي من خلال تتبع المجهودات التي بذلها رجال التصوف لإقرار مشربهم وتوطينه في المجتمع، وتمكين الأطر البحثية من تسليط الضوء على طبيعة الخطاب الصوفي التيجاني من منظور تاريخي، وتجاوز الأطر المعرفية السوسيولوجية والأنثروبولوجية باستنطاق الدراسات التاريخية ذات العلاقة بالتاريخ السياسي، ومنظومة الأحداث في حين أنّ تاريخ المجتمعات المغاربية والفكر الصوفي حقل فاعل في تصحيح الأخطاء السابقة، وتفسير العلاقة بين السلطة ورجالات الصوفية من خلال التجاذبات والتقاطعات بين الفاعلين في تشكيل التاريخ الديني والاجتماعي بعموم بلاد المغرب، وتقديم دراسة جادة تتجاوز المفهوم التاريخي المرتهن بالأحداث إلى محاولة الغور في الخصوصية الصوفية لما لها من أطر اجتماعية وفكرية وثقافية.

إشكالية الدراسة: ينطلق الباحث من تساؤل مفاده كيف أثر الخطاب الصوفي في العصر الحديث في عموم بلاد المغرب والجزائر في تأطير المجتمعات؟

منهج الدراسة: استعمل الباحث المنهج التاريخي التحليلي الذي يستند إلى قراءة الحقائق والأحداث بالدراسة والتحليل والتفسير من خلال قولبة الخطاب الصوفي في سياقه التاريخي.

نتائج الدراسة: وأهم ما توصلت إليه نتائج الدراسة كما يلي:

- تطور الفكر الصوفي وتمرسه في أوساط المجتمع وفي جميع مناحي الحياة نتيجة الظروف التاريخية والاجتماعية.

- دور المؤسسة الصوفية في إقرار الأمن المجتمعي مع استناد خطابها إلى تعزيز الأمن الروحي في مكانة الشيخ ولزوم إذعان الطاعة والولاء له.
- قوة الطرق الصوفية وعامل الجذب المجتمعي كان نتيجة التهديدات الصليبية وغياب السلطة المركزية.
- اهتمام السلطة المركزية للطرق الصوفية في بلاد المغرب على غرار الجزائر نتيجة لموازنة الأدوار بين ما هو سياسي وتأكيد الدور الاجتماعي المطلق للطرق الصوفية.
- توافق الطريقة التيجانية في المألوف من الطرق الأخرى إلا أنّ شيخها المؤسس خصّها بمبادئ غايتها توحيد الطرق الصوفية خلال سندها الممتد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وشرط التحلل من الطرق الأخرى.
- نشأة الطريقة التيجانية في خضم تضارب من الخطابات وتردي للأوضاع الاجتماعية وتضييق الخناق على المدّ الصوفي الطرقي إلاَّ أنّها مكّنت لنفسها مكانة مرموقة ضمن الطرق الصوفية الأخرى.

7.5 الدراسة الخامسة:

دراسة الباحث: يخلف الحاج[1]، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الأسس الأنثروبولوجية للزاوية الجازولية بولهاصية (دراسة ميدانية أنثروبولوجية)"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم

[1] يخلف الحاج، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الأسس الأنثروبولوجية للزاوية الجازولية بولهاصية (دراسة ميدانية أنثروبولوجية)"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة وهران 2، الجزائر، 2018/2017.

الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة وهران 2، الجزائر، 2018/2017.

تهدف الدراسة إلى فهم ديناميكية ظاهرة التدين السني ومختلف أشكال العلاقات التي تقيمها الزاوية داخليا مع مجمل الفاعلين المنتمين للزاوية والطريقة وعلاقاتها الخارجية مع استعمال منهج التأويلية الرمزية (كليورد غيرتس) بواسطة وضع شبكة دلالية لنظام التدين للطريقة الجازولية كنموذج عوض الاكتفاء بتفكيك بنى وذكر ووظائف هذه المؤسسة ووضع قالب جديد للدراسات الدينية في الجزائر بوصفها شبكة دلالية.

إشكالية الدراسة: ما هي الأسس الأنثروبولوجية للطريقة الجازولية؟ وما هي الدلالات الرمزية للفعل الطرقي الديني بين ما هو اجتماعي وديني وثقافي؟

منهج الدراسة: اعتمد الباحث على المقاربة الأنثروبولوجية وعلى المنهج التأويلي الرمزي لكونه أكثر ملائمة لمواضيع تدرس الدين كظاهرة ثقافية واجتماعية لخاصيتها التي تتميز بالصعوبة والتعقيد على المستوى النظري والميداني، ومن خصائص هذا المنهج ومميزاته إعطاء مجال واسع من الحرية للباحث في عمليات الاستنباط والاستنتاج مما يضفي على موضوع الدراسة نوع من الثراء المعرفي العلمي، وتحيل هذه الدراسة في اعتمادها على المنهج الكيفي وولوجها إلى الميدان الحقلي كوسيلة للإحاطة بجوانب الموضوع من خلال رصد معطيات المحيط الثقافي والاجتماعي مع تقصي الجزئيات والرجوع إلى مجمل المواقف والأماكن والمناقشات والأشخاص فالاتصال الدائم المستمر بالحقل الأنثروبولوجي في الميدان يكشف أسرار وحقائق غير متوقعة.

أدوات الدراسة: اعتمد الباحث على المصادر الشفوية التي تحتفظ بالتقاليد وطقوس وخطابات وحوارات حيث تبقى الروايات والأساطير والحكايات بمختلف طبوعها وأشكالها المتشابكة والمتناقلة شفهياً من جيل لآخر بمثابة مصدر مهم للباحث في ظل غياب مصادر مكتوبة وموثقة، كما اعتمد الباحث على المقابلة وهي تقنية تواصلية واستعمل المقابلات الموجهة والنصف موجهة حسب درجة تقدم البحث زمانا ومكانا.

عينة الدراسة: شملت كل من شيوخ الزاوية والمقدم والمريدين وأحباب الزاوية وبعض الزوار الذين تصادف الباحث معهم أثناء إجراء البحث.

نتائج الدراسة: وتمثلت نتائج الدراسة في النقاط التالية:

- محورية الشيخ التي تؤطر مجرى الأحداث الدينية والدنيوية في الزاوية وبالآليات الرمزية الممثلة في الكرامة التي تحتوي جغرافية المكان.
- الجانب الممارساتي في الزاوية محل الدراسة يمثل رأسمال رمزي الذي يجمع في ثناياه التفاعلات العلائقية فيتفاعل الديني بالاجتماعي والديني بالثقافي.
- الزاوية مؤسسة اجتماعية معقدة وعدم الإلمام الجيّد للموضوع مردُه طبيعة المؤسسة ذات الدينامية والحراك المستمر.
- خطاب الزاوية هو الأداة الفاعلة، وهو عملية لإعادة تشكيل وتركيب النسق الدلالي والرمزي للنهج الصوفي.

7.6 الدراسة السادسة:

دراسة الباحث: الطيب جاب الله[1]، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الدور الاجتماعي والتربوي للزوايا في المجتمع الريفي الجزائري"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الريفي، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014/2013.

تهدف الدراسة إلى إظهار الدور الاجتماعي والتربوي لزاوية الهامل وكيفية المحافظة على كيانها واستمراريتها وإظهار الاختلاف الدائر حول موضوع الزاوية من خلال توضيح دورها ومحاولة تقديم دراسة اجتماعية تربوية تتخطى الدراسات التي تركز على الجوانب الأثرية والتاريخية وكذا إعادة الرؤية والوجهة العلمية للزوايا إذا ما افترضنا جدلا أن الألفية الثالثة هي ألفية الزوايا شرط وجود مشيخة ضالعة ورِعَة بعيدة عن الجشع والطمع.

إشكالية الدراسة: كيف حافظت زاوية الهامل على دورها الاجتماعي والتربوي في المجتمع الريفي في ظل التغيرات التي مسته؟

منهج الدراسة: اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، والغاية منه هو جمع معلومات دقيقة عن جماعة أو مجتمع أو ظاهرة وصياغة مجموعة من التعميمات والنتائج التي بإمكانها أن تكون أساساً نظرياً مع إمكانية تسطير جملة من التوصيات التي تساهم في إرساء منظومة اجتماعية.

[1] الطيب جاب الله، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الدور الاجتماعي والتربوي للزوايا في المجتمع الريفي الجزائري"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الريفي، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014/2013.

أدوات الدراسة: اعتمد الباحث على تقنية الملاحظة المدعومة بتقنية المقابلة وذلك لتحقيق نتائج موضوعية.

عينة الدراسة: الطلبة الداخليين، ومجموعة المريدين، والمنتمين للطريقة.

نتائج الدراسة: وتوصلت نتائج الدراسة إلى النقاط التالية:

- التصوف تجربة دينية متأصلة في الانسان منهجه ضامن لاستمراريته وامداده الجغرافي.
- على اختلاف مشارب الزوايا فمشربها واحد قائم على تعاليم الدين والسنة النبوية.
- الزوايا مؤسسات تعليمية واجتماعية في نفس الوقت وتعتبر معلم ثقافي وحضاري له ماضٍ مشرف في الجزائر.
- الدور الاجتماعي والتربوي لزاوية الهامل ساهم بوضوح في استمراريتها لمدة قرن ونصف من الزمن والذي أسست من أجله.
- دور شيخ الزاوية في فصل الخلافات والنزاعات بين الناس هذا إضافة لدورها الاجتماعي من خلال التكفل باليتامى والأرامل وإيواء الضيوف الزائرين، ومساعدة الفقراء، كما تهتم بمشاغل أتباعها وغيرهم.
- تسهم في صياغة رؤية اجتماعية للجماعة وتتدخل في تشكيل شخصية الفرد بمعنى أداة تنشئة اجتماعية.
- إعادة تشكيل العلاقات الاجتماعية وفق المناسبات والزيارات ويساعد في انبعاث الزاوية من جديد.

- الدور الروحي في إبعاد مشاعر الإحباط والفشل من خلال حلقات الذكر وتلقين الأوراد التي تقام بها.

7.7 الدراسة السابعة:

دراسة الباحث: عز الدين مشري[1]، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الممارسة الدينية والرابطة الاجتماعية الطقوس والرهانات"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع العام، جامعة وهران 2، الجزائر، 2019/2018.

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة فهم العوامل التي جعلت الإسلام التقليدي يهيمن على أغلب مساجد وهران (أئمة المساجد) والفضاءات الدينية الأخرى، كون الأئمة ممثلو المؤسسات الدينية ومحاولة فهم هذا الفضاء الديني وأهم العلاقات الدينية التي ينتجها، كما تهدف أيضا إلى فهم التحولات الدينية في المجتمع الجزائري وأثره في التدين الشعبي، والإشارة إلى المرجعيات الدينية والهويات المحلية والحفاظ عليها في ظل التحولات العالمية ورمزية الخطاب الديني في مواجهة الأزمات الاجتماعية.

إشكالية الدراسة: إلى أي مدى تؤدي الممارسات الدينية ووسائلها الدعوية في تقوية الروابط الاجتماعية بين أتباعهم واحتلال الفضاء الديني؟

[1] عز الدين مشري، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الممارسة الدينية والرابطة الاجتماعية الطقوس والرهانات"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع العام، جامعة وهران 2، الجزائر، 2019/2018.

منهج الدراسة: اعتمد الباحث على منهج الدراسة الأحادية (المونوغرافي) ويعد هذا المنهج مهم في التحليل الشامل للمجتمع البشري أو حدث اجتماعي خاص وهو منهج مختص في البحث الميداني، والصيغة الأحادية المبنية على خطة استقرائية التي تعمد إلى المراقبة المباشرة الممتدة إلى الوقائع، وقد نسب هذا النمط من الدراسات إلى تعزيز مذهب المماثلة الوظيفية الذي يفترض تحليلات كلية.

أدوات الدراسة: اعتمد الباحث على الملاحظة بالمشاركة واعتمد على دراسة الحالة.

عينة الدراسة: وشملت عينة الدراسة بعض أئمة المساجد ومصلى الزاوية البوعبدلية وبعض مريديها.

نتائج الدراسة: وتمثلت نتائج الدراسة فيما يلي:

- تحدد الشعائر والطقوس أساس الانتماء للجماعة الدينية وتشير إلى مستوى الروابط الدينية والاجتماعية وهو ما يشير إلى مبدأ الصراع بين الإسلام التقليدي والسلفي.
- تعتبر الصراعات الدينية محل اختلاف لا خلاف وأدت إلى أتباع الإسلام الطرقي التقليدي إلى التعمق في فهم النص والبراهين.
- أصبحت الخصوصية الثقافية والدينية تقوم على أسس الممارسات الدينية والروابط الاجتماعية مع توظيف الرمز الديني كجاذبية لاستقطاب مختلف أفراد المجتمع.
- تعد مساجد الزوايا من أكبر الحقول التي استطاعت في استثار الرأسمال الرمزي من ممارساتها الدينية ومنهجها الدعوي متجاوزة البعد الزماني والمكاني دون تغيير الوضعيات أو بالأحرى الواقع المعاش.

- توظيف الروح الصوفية الكامنة في مشايخ الطريقة بمزاولة ذكرهم والاستئثار بمجالسهم ومآثرهم.
- ميل كفة الصراع إلى الاتجاه التقليدي واكتساحه الفضاء الديني الشعبوي والرسمي كونه يضم طبقة عالمة ممثلة في شيوخ حقيقيون لهم صيتهم، عكس الاتجاهات الأخرى التي تستند إلى مرجعيات افتراضية من وراء الشاشات وأروقة الاعلام.
- طرق تحصيل العلم في النهج الطرقي الصوفي تقتضي المقابلة والمجالسة للمشايخ وانتظام آداب عامة رمزية لكل زاوية، فالرمزية في هذه الحالة تصبح ذات معنى يحاكي الواقع الأول في خصائصه الثقافية والدينية وهو ما يحث عليه مشايخ الطرق من خلال أزمة وقت الفراغ واستغلاله.
- تعتبر الصراعات الدينية مولدة ومنتجة لرمزيات ومناهج وطرق دعوية تتنافس لكسب الرهان وتشمل مختلف العلوم والوسائل وخصائص أتباعها.
- تقمص الاتجاهات الدينية لمناهج جديدة لإثبات حضورهم في الفضاء الديني كاللباس لإظهار الهوية الدينية، وهو رهان من أجل تعويد أفراد المجتمع على نمط ديني خاص.

7.8 الدراسة الثامنة:

دراسة الباحث: عطية الشطة[1]، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "البعد التربوي والروحي للزوايا زاوية سيدي بولرباح كنموذج للزوايا العلمية للطريقة الرحمانية"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية

[1] عطية الشطة، البعد التربوي والروحي للزوايا زاوية سيدي بولرباح كنموذج للزوايا العلمية للطريقة الرحمانية"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الديني، جامعة الجزائر، 2008/2007.

العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الديني، جامعة الجزائر، 2008/2007.

تهدف الدراسة إلى الوقوف على الدور المحوري على الزوايا كمؤسسات اجتماعية ذات طابع ديني وأثرها في العلاقات الاجتماعية بين المريدين وباقي الزوار (الاخوان) لا سيما أعراش المنطقة، كما تهدف إلى تحديد مكانة الزوايا الاجتماعية والعلمية وكذا الدور الذي تمارسه في الجانب الأخلاقي، إضافة إلى دورها في تقوية الدور الاجتماعي والثقافي ولا سيما دورها في اصلاح ذات البين وفك النزاعات والخصومات.

إشكالية الدراسة: ما هو الدور التربوي والروحي لزاوية سيدي بولرباح في بلورة وصياغة الحياة الاجتماعية للأفراد وتنشئتهم بالمنطقة وما هي الظروف الاجتماعية التي أدت إلى ظهورها؟

منهج الدراسة: اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره يعمد إلى وصف ظاهرة اجتماعية كما هي عليه في الواقع وصفا دقيقا ويعبر عنها كمًّا وكيفًا بتجميعه للشواهد من الظروف الميدانية السائدة، بغرض الوصول إلى استنتاجات تساهم في فهم الواقع ومن ثم تعميمها.

أدوات الدراسة: اعتمد الباحث على الملاحظة لمعاينة سلوك أفراد العينة مباشرة والوقوف على تفاعلاتهم في محيطهم حيث اعتمد على الملاحظة البسيطة والمنظمة، كما اعتمد الباحث أيضا على تقنية المقابلة وذلك لصعوبة التعامل مع الاستمارة لتدني المستوى التعليمي للمجتمع المدروس، وهي العينة الأكثر قرباً للدراسة.

عينة الدراسة: تمثلت عينة الدراسة في كآفة المنتسبين لزاوية سيدي بولرباح من شيوخ ومقدمين وطلبة العلم والاخوان والمريدين، وبلغ عدد العينة إجمالا 220 مفردة بحث.

نتائج الدراسة: وتمثلت نتائج الدراسة كما يلي:

- تعتبر زاوية الشيخ سيدي بولرباح استمرار لسلالة الأشراف بالمنطقة سواء من نسل الشيخ أو عرش أولاد عثمان الذي تنتمي إليه الزاوية الأمر الذي أضفى نوع من القداسة المتوارثة لدى المريدين والاخوان.
- تفشي ظاهرة العناية بالقرآن لدى المريدين وبخاصة عرش أولاد عثمان.
- مكانة الزاوية ومقدميها في قلوب الاخوان والمريدين لما لهم من ورع وأمانة.
- الدور الاجتماعي للشيوخ في إصلاح واقع الناس الأمر الذي مكن لهم المكانة الاجتماعية والروحية.
- دور الزاوية في تقديم دروس الوعظ والإرشاد دوريا في المناسبات والزيارات التي يقوم بها الاخوان فهي تمثل الحياة الدينية في الصغيرة والكبيرة.
- دور الزاوية في تحفيظ القرآن كمهمة محورية منذ تأسيسها لأكثر من قرنين، إضافة إلى تعليم علوم شرعية أخرى وفق المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية لأجل إعداد ناشئة ذات كفاءة تضطلع بالمسؤوليات الدينية والاجتماعية، إضافة إلى محورية الخلق والأثر والحلم والوقار.
- توارث السير من أبناء الشيخ المؤسس كآلية للحفاظ على الموروث الثقافي والاجتماعي للمنطقة.
- شيوع روح التكافل والتضامن في المناسبات الدينية المختلفة والتي تدل على وثوق الروابط الاجتماعية.

التعقيب على الدراسات السابقة وصلتها بموضوع الدراسة:

بناءً على ما توصلت إليه نتائج الدراسات السابقة والتي تناولت متغيرات دراستنا حول القيّم الدينية والاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى الزوايا والطرقية، ومما أثرى بحثنا هذا من خلال الطرح العلمي هو ذلك الجانب الميداني ونتائجه، وكذا تقريب المفاهيم وخاصة مفهوم القيم الدينية والاجتماعية نظرا لطبيعتها، حيث أفادتنا هذه الدراسات من خلال التقنيات والأدوات البحثية المستعملة مما ساعدتنا ووفرت عناء البحث الشاق، كما لا نغفل أن موضوعنا هذا يتقارب مع تلك الدراسات بمتغير واحد فقط والمتمثل في:

أوجه التشابه:

- التدرج التاريخي في تطور الزوايا عموما في الجزائر وبلاد المغرب.
- التركيز على المرجعية الصوفية كأساس فكري تربوي للطرقية.
- طبيعة الموضوع التي تتناسب إلى حد كبير سواء من الزوايا أو الطريقة التيجانية أو الأبعاد الدينية والاجتماعية كقيّم اجتماعية ودينية مضمنة في النهج التربوي الطرقي.
- استشفاف العمق الفكري للطرقية كنهج ديني اجتماعي.
- دور الزوايا في إرساء السلم المجتمعي وتحقيق نوع من التوازن بين الديني والاجتماعي، وقابليتها في المجتمع.
- طبيعة الموضوع خاصة من الرؤية الأنثروبولوجية وتأثير الفعل الطرقي من خلال مؤسسة الزاوية وأدوارها الاجتماعية والدينية، وفهم ديناميكيات الزوايا والتشابك بين ما هو ديني واجتماعي.

- دراسة الطريقة التيجانية والنظر في أبعادها الاجتماعية والتربوية.
- التقنية المستعملة والمتمثلة في المقابلة المقننة التي تساعد على الإلمام بموضوع البحث والاحاطة به من مختلف الزوايا.
- الملاحظة بالمشاركة كأداة فاعلة في الحقل الأنثروبولوجي لأجل فهم التمثلات الدينية والاجتماعية المتضمنة في اللغة الرمزية وفك ما وراء الطقوس والممارسات الدينية والاجتماعية.
- عينة الدراسة المنحصرة في المريدين وهم الذين يشكلون الانتماء الحقيقي للطريقة التيجانية وهم اللبنة الأساسية في بنائها وسيرورتها.
- المنهج المستخدم المنهج الوصفي التحليلي الذي يتجلى في طبيعة موضوع دراستنا، وكذلك المنهج التاريخي من خلال الاستقراء في تاريخ الزوايا عموما.

أوجه الاختلاف:

- الاعتماد على الطرح الأنثروبولوجي في دراسة القيّم الدينية والاجتماعية خصوصا لا القيّم بوجه عام.
- تحديد العينة في المريدين للنظر في كيفية المحافظة على القيّم الدينية والاجتماعية.
- بلورة الموضوع في كيفية انتقال القيّم بين المريدين وبين المجتمع المحلي وكيف ساهمت الطريقة في نشرها والمحافظة عليها.
- إنّ طبيعة موضوعنا يعتبر دخيلا على الأنثروبولوجيا لأن تلك الدراسات أغلبها تاريخي، ديني، وكذا الطرح السوسيولوجي الذي لا ننكر بأنّه أفادنا بالنتائج المتوصل اليها.
- الاعتماد على الموروث الشعبي المادي واللامادي واستنطاقه أنثروبولوجيا.

8. المقاربة النظرية:

إنّ أهم خطوة من مراحل البحث العلمي لعلها تكمن في طبيعة الإسقاط أو الاقتراب النظري الذي يفسر عملية البحث العلمي المنوط بموضوع الدراسة، وهنا يجب علينا كباحثين اتخاذ المعايير العلمية في عملية الانتقاء التي لها صلة مباشرة بموضوعات ونتائج الدراسة، فعلى سبيل المثال لا الحصر أغلب الدراسات الأنثروبولوجية تتخذ الرمزية التفاعلية أساسا لها وتفسر بها موضوعاتها لاقترابها بموضوعها وعلاقتها بمنهجها وأسلوبها المستعمل.

فالزوايا ودورها في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية لدى المريدين هو موضوع حديث متجاذب الأطراف يدرس فاعلية القيّم وانتشارها وكذا تفسير عملية تعزيز البعد الديني من مشايخ الزاوية، لهذا فالتفاعلية الرمزية هي الأقرب في معالجة الموضوعات التي تتعلق بالبعد الديني المشبع بالرمز والطقوس والممارسات الفعلية. ولا نغفل المقاربة الاثنوميثودولوجية أو كما تعرف بنظرية (منهجية الجماعة) التي تعد مقاربة ركيزة بمفاهيمها وأسسها، كذلك تم الاعتماد على نظرية أو مقاربة التناقل الثقافي الذي بدوره يعمل على تأسيس القيم والمحافظة عليها بواسطة الانتقال الثقافي أي من جيل لآخر.

1.7 التفاعلية الرمزية:

هي إحدى المنظورات السوسيولوجية المعاصرة والأساسية ويقوم هذا المنظور على أسس فلسفية ونفسية، فقد تأثر هذا المنظور بالفلسفة البرجماتية (Pragmatique philosophie)[1] وتهتم

[1] محمد عاطف غيث وآخرون، مجالات علم الاجتماع المعاصر (أسس نظرية ودراسات واقعية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1982، ص 71.

التفاعلية الرمزية بتحليل الأنساق الاجتماعية الصغرى، فهي تدرس الأفراد في المجتمع ومفهومهم عن المعاني والمواقف والأدوار وأنماط التفاعل[1]، وذلك عكس المنظورات التي تهتم بتحليل الأنساق أو الوحدات الاجتماعية الكبرى مثل المنظور الوظيفي ومنظور الصراع، وتستعمل كلمة الرمزية للدلالة على الجوانب الأكثر اختلافا في الحياة الاجتماعية ويقصد بذلك نشاط الاستبدال الذي يقدم فرضية تعويضية[2]. عندما يجعل الغموض عمدا بين الواقع والخيالي[3]، وممارسات وطقوس تجعلنا نتصرف كما لو أنّ الوضع المقصود اثارته واقعياً.

وهي في اتجاه معاكس للنظريات البنائية في ترسيخها للعلاقة بين الذات والمجتمع من خلال تأثير المجتمع على الذات والنظرية التفاعلية تعمد في عملها من الذات إلى خارجها والتفاعلية الرمزية تأكد على أهمية المعاني الاتصالية من لغة وإيماءات وإشارات وقد تطورت التفاعلية بشكل رئيسي في جامعة شيكاغو خلال الفترة ما بين الحربين العالميين ويعد عالم النفس الاجتماعي "جورج ميد" أكثر أنصار التفاعلية تأثيرا.

وتمتد جذور نظرية التفاعل الرمزي في الدراسات الكلاسيكية لعلم الاجتماع وعلم والنفس والفلسفة ومن أبرز الدراسات في هذا المجال دراسات دوركايم وجورج ميد وفرويد وغيرهم وهؤلاء ربطوا دور الرموز في تحويل النزاع بين الطبيعة والغرائز الفردية وبين الثقافة والميول الجماعية وهي بهذا الدور تعمل على خلق التوافق الاجتماعي النفسي للفرد وتعمق التطبيع

[1] ارفنج زايتلن، ت: إبراهيم عثمان ومحمد عودة، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع دراسة نقدية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1992، ص 156.

[2] أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1981، ص 456.

[3] نفس المرجع، ص 458.

الاجتماعي في الانسان المتوحش حتى لوكان هذا التوافق مخادعا وكاذبا أو أنّ الجماعة والفرد على حد سواء يشعر بأنَّ الرمز خيالي أو مثالي لا وجود له في الواقع كما في الحفلات الطقوسية للشعوب البدائية أو حتى الشعوب المتحضرة في القرن الواحد والعشرين[1].

1) رواد التفاعلية الرمزية:

هناك ثلاث رواد للتفاعلية الرمزية إذْ قدّم كل واحد إضافة مميزة وفي مجال معين ساهمت في تنمية الاتجاه التفاعلي الرمزي.

جورج هربرت ميد: من أشهر علماء الاجتماع الأمريكان تأثر بالعالم "وليام جيمس" "وزيمل" "وجون ديوي" وأثر في أفكار كل من "هربرت بلومر" "وفيكتور" تبرز من أهم الكتب التي ألفها كتاب العقل والذات والمجتمع (Mind, Self and society) إضافة على كتابه أبحاث علمية في مادتي علم النفس والفلسفة[2]، ومن خلال دراسته للذات في المجتمع وأصوله الاجتماعية كما يسميه الفرد والآخرون ساهم في إرساء المبادئ والأفكار الأساسية للنظرية التفاعلية الرمزية.

هربرت بلومر: تلميذ "جورج ميد" إذْ تأثر بأفكاره التفاعلية الرمزية إلا أنّه اختلف معه في إضافات طورت النظرية في مجالات شتى إذ يعتبر أول من أطلق تعبير التفاعلية الرمزية على النظرية التي أسسها وحلل أركانها وفسرها "جورج هربرت ميد"، كما أغنى المنهجية العلمية التي تعتمدها التفاعلية الرمزية في جمع المعلومات وتصنيفها وتحليلها، وطبيعة النظرية على فهم وتحليل

---

[1] بودون و ف بوديكو، ت: سليم حداد، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1986، ص 341.

[2] كمال عبد الحميد الزيات وطلعت إبراهيم لطفي، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999، ص 126.

الظواهر الاجتماعية المعقدة كالثقافة والطبيعة والبناء إذا اختزل هذه الظواهر الاجتماعية إلى عمليات أولية تقع بين الأفراد ويمكن تفسيرها بالتفاعلية الرمزية[1]، أمّا الإضافة الأخرى التي قدمها "بلومر" للتفاعلية الرمزية فهي أنّ "بلومر" لم يحدد عملية التفاعل ويحصرها بالأفراد بل ذهب إلى أبعد من ذلك إذ قال بأنّ التفاعل لا يكون بين الأفراد فقط بل يكون بين الأفراد والمؤسسات والمنظمات والمجتمعات المحلية والطبقات والظواهر المجتمعية[2]، وقد وردت مجمل ما قدمه "بلومر" من إضافات للنظرية التفاعلية الرمزية في كتابه الموسوم تحت عنوان التفاعلية الرمزية المنظار والطرقية.

إرفنج جوفمان: إنّ المبادئ التي تعتمد عليها نظرية "جوفمان" هي نوع من التأليف المسرحي وأنّ منظوره يشابه منظور الأداء المسرحي وبهذا فإنّ أعماله تقع نوعا ما بين التفاعلية الرمزية والتقاليد علم الاجتماعي الفينومينولوجي ويهتم بأساليب التحكم بالانطباعات أي بالمشكلة المسرحية التي تتعلق بتقديم الإنسان لنفسه وأفعاله للآخرين إنّه يهتم بالأداء أو المواجهة أو بالتأثير المتبادل بين الأشخاص عند المواجهة[3]

على الرغم مما سبق فإنّ اتجاه التفاعل الرمزي تطور على أيدي علماء اجتماع محدثين ومعاصرين من أهمهم "جورج هربرت ميد" (George H. mead 1862- 1931) "وهربرت بلومر H. Blumer" "وارفنج جوفمان Erving Goffman" لقد ظهر في أعمال هؤلاء العلماء موضوعات علمية وضعت أساسا لتراث متميز في علم الاجتماع يختلف عن تراث الوضعية

[1] مرجع سابق، ص 127.

[2] علي الحوات، النظرية الاجتماعية اتجاهات أساسية، شركة ألجا ELGA للطباعة والنشر العلمي، مرجع سابق، ص 130.

[3] مرجع سابق، ص 133.

بصوره المتعددة ويقترب من تراث الفينومينولوجيا بل أنّه يشترك معه في كثير من قضاياه وتنحصر هذه الموضوعات أساسا في فكرة الذات الفاعلة والرموز Symbols كوعاء يجمع المعاني التي يضفيها الفاعلون على أفعالهم وتصرفاتهم ويسهل عملية التفاعل واستنادا إلى خلفيات الاتجاه التفاعل الرمزي أو ما يعرف في بعض الأحيان بالرمزية الاجتماعية للرموز مصادر تستمد منها معانيها ودلالاتها ومن أهمها:[1]

المصادر التجريبية:

وهي التي تشتق منها الرموز الحسية وذلك مثل الرموز والصور التي يضفيها الإنسان على أشكال السحاب أو الأشجار أو الحيوانات والفلاح أكثر الناس قرباً من هذا المجال بحكم اتصاله المستمر بالطبيعة والتجربة الفيزيقية نراه يضفي معاني على شكل السحاب ويعطيها رموزا في حياته اليومية خاصة المرتبطة بالمطر وبداية الحرث والزرع كما تنشأ علاقات رمزية بينه أي الفلاح وبين حيوانات تأخذ طابع التشاؤم أو التفاؤل كأن يتفاءل من حيوان معين ويتشاءم من شكل حيوان آخر.

المصادر الغيبية:

وهي القوى أو العوالم التي لا يستطيع الانسان أن يدركها حسيا ولكنه يخترع رموزا للتعامل معها والتقرب منها، وتفادي غضبها وثورتها، إنّ الدراسات الأنثروبولوجية البدائية تقدم

[1] علي الحوات، النظرية الاجتماعية اتجاهات أساسية، شركة ألجا للطباعة والنشر العلمي، فاليتا – مالطا، 1998، ص 179– 180.

الأدلة والأمثلة الكثيرة للعلاقة بين الإنسان وقوى الغيب، فالإنسان البدائي لا يفسر عالم الغيب تفسيرا حرفيا وإنّما يفسره رمزيا وهو يعتبر أنّها الطريقة الوحيدة لإعطاء معنى مقبول بعالم الغيب.

المصادر الصورية:

وهي عبارة عن صور الأماكن والشخصيات القصص والمسرحيات فمعظم هذه الصور هي رموز لمعاني وأفعال وحياة اجتماعية وقعت فعلا أو لم تقع ولكن هذه الرموز ضرورية لخلق نسق اجتماعي من الحركة والفعل المنظم وحتى القصص والمسرحيات التي تعرض دراما اجتماعية معينة، إنّما تعتمد كثيرا على الرموز والرمزية لتنقل المعنى المراد نقله الى الجمهور سواء كان هذا المعنى سلبيا أو إيجابيا واطراء أو نقدا وتجريحا.

المصادر الاجتماعية:

وهي المخزون الاجتماعي المادي أو المعنوي الذي يشكل رموزا يستعين بها الفرد أو المجتمع ليتم تبادل الأدوار والوظائف فهي وسيلة الفرد ليعبر بها عن حاجاته ورغباته الفردية وهي أيضا وسيلة الجماعة لتعبر بها عن نفسها ورغباتها وتطلعاتها الاجتماعية غير الفردية وهنا كل شيء في المجمع قابل ليكون مصدرا للترميز ولكن بعض علماء الاجتماع يعتقدون إنّ الظروف الاجتماعية القابلة للترميز هي ظروف الطقوسية فقط مثل الزواج والولادة والأضحية حيث تشكل مثل هذه المناسبات تتابعا للحركات تستدعي وتولد بعضها البعض وفقا لمخطط الزامي يعين لكل مشارك دورا أو رتبة.

2) أسس ومرتكزات المقاربة التفاعلية الرمزية:

أهمية الرموز والمعاني في التفاعلية الرمزية: يتمحور حول البناء الفكري للتفاعلية الرمزية من مفهومين أساسيين هما الرموز Symbols والمعاني Meanings في ضوء صورة معينة للمجتمع وتحيل إلى معنى الرمز على أنه القدرة التي تمتلكها الكائنات الإنسانية للتعبير عن الأفكار في التعاملات البينية وما يحيل إلى تميز الانسان كتجمع بشري يجافي المجتمعات الأخرى (المخلوقات الحشرية)، إنها تقوم على التفاعل الآلي الغريزي (التلقائي) في حين نجد المجتمعات البشرية تستخدم الرمز للإحالة والتعبير عن شيء له دلالة اجتماعية.

وتهتم التفاعلية الرمزية بالطريقة التي يختارها المشاركون في عملية التفاعل الاجتماعي لمعاني ويتفقون عليها ويشير مفهوم الرموز إلى الأشياء التي ترمز إلى شيء آخر أو أن يكون لها معاني أعمق من الجانب السطحي للرمز ويتم تحديد معنى الرموز عن طريق الاتفاق بين أعضاء الجماعة.

وتعد اللغة Languge من أهم مجموعة الرموز اللازمة للتفاعل الاجتماعي وتعد عملية الاتصال communication من خلال اللغة أحد أشكال التفاعلية الرمزية ويعد استخدام الرموز ثورة في قدرة الإنسان على التواصل مع غيره من أفراد المجتمع وسيلة لزيادة المقدرة على نقل المشاعر والميول والاتجاهات بين أعضاء المجتمع[1]

[1] كمال عبد الحميد الزيات وطلعت إبراهيم لطفي، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مرجع سابق، ص 120.

كما يهتم نظور التفاعلية الرمزية بالمعاني Meaning التي يعطيها الناس لسلوكهم وسلوك الآخرين في المجتمع إذ أن الكائنات البشرية فريدة من حيث أفعالها لها معان تتجاوز حدود الفعل المحسوس.

ينظر أنصار التفاعلية الرمزية إلى أفراد المجتمع على اعتبار أنّهم مخلوقات تحاول بناء الحقيقة ومعرفة معاني الأشياء أو الموضوعات أو الأحداث التي يواجهها الناس في حياتهم اليومية بالمعاني من وجهة نظر التفاعلية الرمزية ليست أشياء موروثة وكامنة في ذات الأشياء ولكنها تعبر عن إحساس أولي للشعور الإنساني نحو الأشياء، وهذا الشعور هو الذي يعبر عن المعاني التي ترمز إليها الأشياء[1].

يرى التفاعليون أنّ الناس هم اللذين يضفون الحقائق الاجتماعية لتفسير ما يحدث في العالم الذي يعيشون فيه، يرى الفيلسوف الاجتماعي "ألفرد شوتز A. Schutz" أنَّ الناس يستمدون الحقائق من خبرة الحياة اليومية التي يعيشونها عن طريق النشاط العقلي وذلك على اعتبار أنّ هذه الحقائق تعد من منبع العقل البشري[2]

تمت الاستفادة من التفاعلية الرمزية في موضوع دراستنا كدراسة حقلية للدين أنثروبولوجياً خاصة في مجال الطرقية (الطريقة التيجانية) كمسلك تربوي له بناءاته الوظيفية والاجتماعية، ويحتوي جماعة دينية لها خصائصها ورموزها ومعانيها، ذات الدلالات الإيحائية المعنوية وخاصة في جانبها الروحي الذي يتعدى حدود المحسوس، لما لها من مرامي التجربة الروحية (التزكية)، لها دلالاتها العرفانية التي تتطلب الغور في لغة تتعدى المنطوق من خلال مصطلحات الصوفية

[1] مرجع سابق، ص 121.
[2] مرجع سابق، ص 124.

إلى ذلك البعد الرمزي والتمثلات الايحائية من خلال لغة الجسد والطقوس التي تشمل شعائر، وتتعداها إلى ذلك التكرار لترسيخ الفعل الديني وإعادة إنتاجه التاريخي، ضمن دائرة الوعي الجمعي، وشخصية الشيخ المؤسس ورمزية الأشياء والمناسبات الدينية والاجتماعية، وحمولاتها المعنوية والرمزية وفق فقه ما يسمى بالطريقة التيجانية، كالاحتفال بالمولد النبوي الشريف الذي لا يعدوا كونه احتفالا دينيا كشعيرة أساسية بقدر ما يعزز ذلك الوعي الجمعي ذو الدلالة الاجتماعية لدى المريدين وغيرهم من مرتدي الزاوية التيجانية، وذلك وفق رزنامة زمنية معينة ذات أبعاد رمزية، واحتفالات عاشوراء وما توحي به من أحداث فاعلة في التراث الإسلامي، والتي تشهد طقوس احتفالية خاصة يتقاطع فيها الاجتماعي والديني، مثل تكريم معلم القرآن تجسيدا لبركة القارئ والمقروء، حيث يكرم أولا بأول من طلبته وأهلهم مع ترديد بعض المخصوصات من آيات القرآن وأخذ هبات من ساكنة المنطقة، والتي تعزز روح الأشياء كما جاء به الأنثروبولوجي الفرنسي "مارسيل موس" كبعد أنثروبولوجي يحمل قيمة رمزية سواء في الأعطية (الهبة)، وكذا ما يتخللها من شعائر وممارسات تعكس قيّم اجتماعية ودينية وفق تعزيز قيّم التضامن وقيّم الجماعة وقيمة الولاء والانتماء، وتكريس قدسية النص الديني ممثلا في فقه الزاوية متأصلا بدلالات القرآن، ولا يمكن فهمها والغور في كنهها إلا من خلال الإحاطة بهذه الرموز والتمثلات ذات البعد الديني والاجتماعي، ممثلة في أداة أساسية ضمن الحقل الأنثروبولوجي (الملاحظة بالمشاركة)، إضافة إلى ما تحتويه الطريقة التيجانية من ثقل في أدبيات الموروث الشعبي وخاصة منه الشفهي المشبع بثقل الرمزيات والتي تظهر في المعاش اليومي للمريد وارتباطه بالجماعة الأولية (الأسرة) والجماعات الاجتماعية، دون إغفال الرابط الاجتماعي العميق الذي يؤسس للعلاقات الاجتماعية

التي تتعدى الرابطة الدموية والقرابية، إلى ذلك الرابط الأصيل ذو البعد الديني والاجتماعي، مقتصرا على دائرة الجماعة الطرقية عبر ترسيخه وفق فقه الطريقة وما تحتويه من طقوس العبور.

كما تجدر الإشارة في فقه الزاوية واعتمادها الذكر كعبادة وفق طقوس تسترعي مواقيت فلكية ومكانية وشخصية كطهارة البدن والمكان، وشروط الذكر والتي تؤسس لرمزيات اجتماعية ودينية من خلال حلقات الذكر، وتخصيص أيام معينة وفترات زمنية محددة مثل أذكار يوم الجمعة لما لها من رمزية كعيد للمسلمين وأنّ فيها ساعة مخصوصة لاستجابة الدعاء كما ورد في الأثر، وتعقيبا على طقس المرور الممثل في أخذ العهد وكيفياته وشروطه والتي من أهمها رضا الوالدين والموافقة المبدئية وهو ما يرمز إلى قيمة دينية اجتماعية، ترسخ لمفهوم بر الوالدين، كل هذه التمثلات من خلال الرمز المحمل في جملة الطقوس والشعائر الجماعية والفردية حين يتقاطع الاجتماعي والديني تحمل في ثناياها قيما اجتماعية ودينية بل الأكثر من ذلك أنها تعمد إلى تعزيزها وترسيخها من خلال عودة المقدس ضمن أطر الزمان والمكان كآلية لتعزيز هذه القيم، إضافة إلى الموروث المادي لمنطقة عين ماضي وما تحويه كعمران مهم في بيت مسقط رأس الشيخ المؤسس ومقر الخلافة والزاوية والمسجد والعتيق، وكذا بعض المخطوطات الأصلية للشيخ المؤسس وما تحويه من بنيوية لغوية ذات دلالات حجاجية تؤكد أن مرجعيات الشيخ المؤسس هي مرجعيات إسلامية أصيلة علما وعملا (قولا وفعلا)، من خلال حثه على رأس الحكمة مخافة الله ووصيته لأتباعه بأن لا يأمنوا مكر الله، ومراعاته حدود الله في وصيته ما وافق قولي وفعلي الشرع فخذوه وما خالفه فانتهوا عنه، فكل هذا الثقل الرمزي الزماني والمكاني واللغة المحكية (التراث الشفهي والمادي) ورمزيات العمران تساعدنا النظرية التفاعلية الرمزية توظيفا في الحقل الأنثروبولوجي في فهم موضوعنا واحاطته تفسيرا وتعليلا.

2.7 النظرية الاثنوميثودولوجية (منهجية الجماعة):

يتصف هذا الاتجاه مثل غيره من الاتجاهات الظاهراتية بموقفه النقلي والرافض للاتجاه الوضعي في علم الاجتماع وقد ظهر هذا المصطلح (الاثنوميثودولوجي) في عام 1967 حيث نشر العالم الأمريكي "هارولد جارفنكل" كتابه بعنوان دراسات في الاثنوميثودولوجي حيث صاغ جارفنكل مصطلح الاثنوميثودولوجي متأثرا بالفلسفة الظاهراتية فلسفة الظواهر ومن ثمّ فقد نهض هذا المنظور الاثنوميثودولوجي على أسس فلسفية وعلى مستوى من التنظير يوصف بأنّه ما وراء الطبيعة[1].

ترجع الجذور الفكرية للمنظور الاثنوميثودولوجي إلى كل من التفاعلية الرمزية أو الفلسفة الظاهراتية (الفينومينولوجي) وعلى الرغم من تعثر هذا المنظور بآراء هاتين المدرستين من مدارس الفكر الاجتماعي إلا أنّ هذا المنظور قد اتخذ له وجهة نظر مختلفة عن الواقع أو العالم الاجتماعي مما أدى إلى ظهوره على اعتبار أحد البدائل النظرية المعاصرة والمطروحة في علم الاجتماع الغربي ويذهب "والاس" إلى أنّه يمكن اعتبار هذا الأخير بمثابة أحد الاتجاهات المعاصرة للتفاعلية الرمزية وعلى الرغم من كون هذا الاتجاه استمد جذوره من التفاعلية الرمزية والاثنوميثودولوجية إلا أنّه منظور يرتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاهات النقدية التي شهدها علم الاجتماع في ستينيات القرن العشرين على حد رؤية آلفن جولدرن، حيث ظهر كبديل نظري يتخذ موقفا نقديا للنظريات الاجتماعية النقدية وبالأخص الوضعية منها والرجوع إلى الفلسفة الظاهراتية أو فلسفة الظواهر.

[1] احمد مجدي حجازي، علم الاجتماع الأزمة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1977، ص 245.

ومن داخل هذا الإطار المتأثر بالتفاعلية الرمزية والفينومينولوجية والاتجاهات النقدية صاغ عالم الاجتماع الامريكي "هارولد جارفنكل" مفهومه على المنظور الاثنوميثودولوجي واستطاع تكوين مدرسة فكرية لتبني هذا المنظور الجديد في جامعة كاليفورنيا حيث كان يزاول مهنة التدريس في مدينة لوس أنجلوس ثم انتشر هذا المنظور حديثا في باقي و.م. الأمريكية وكندا وبريطانيا وغيرها من الدول[1].

يتكون مصطلح الاثنوميثودولوجي من مقطعين **Ethno methodology** فالأول من الكلمة اليونانية والتي نعني بها الشعب أو الناس أو السلالة أو القبيلة، أما الثاني فيشير إلى المنهج أو الطريقة أو المسلك والأسلوب الذي يستخدمه الناس في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية مما يحيل إلى أنّ الطرح الاثنوميثودولوجي يركن أساسا إلى تحديث مناهج بحثية ويوجهنا إلى البحث عن هذه المناهج واستخداماتها في الدراسات الاثنوميثودولوجية، وقد قام "جارفنكل" بتعريف مصطلح الاثنوميثودولوجي على أنّه: "يعني استقصاء الخصائص العقلية لمجموعة تغيرات والأفعال العلمية التي تتم أثناء الحياة اليومية وبتعبير آخر يشير هذا المصطلح إلى دراسة المعاني التي يعطيها الناس لكلماتهم وأنماط سلوكهم، وحدد أيضا "جارنفكل" المقصود بالاثنوميثودولوجيا بقوله: إنّ الدراسات الاثنوميثودولوجية تحلل أنشطة الحياة اليومية تحليلا يكشف عن المعنى الكامن خلف هذه الأنشطة وتحاول أنّ تسجل هذه الأنشطة وتجعلها مرئية ومنطقية وصالحة لكل الأغراض

[1] كمال عبد الحميد الزيات وطلعت إبراهيم لطفي، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، مرجع سابق، ص 143 – 145.

العلمية"[1]، بمعنى أنّها تهدف إلى الكشف عن تلك الطرق التوافقية بين أعضاء الجماعة الواحدة وخلال الفعل الاجتماعي في المعاش اليومي في خلق روابط الألفة بين الأحداث والوقائع.

وينظر من خلال هذا الاتجاه على أنّ مفهوم الاثنوميثودولوجي متشابك المفاهيم الأساسية مثل مفهوم الفعل المنعكس والبيئة المرتبطة بالمعنى، حيث يشير المفهوم الأول إلى أنّ جل أنماط التفاعل بين أعضاء المجتمع هادفة إلى الحفاظ على رؤية نمطية معينة للحقيقة الاجتماعية وهي سابقة في تشكيلها من طرف الجماعة الاجتماعية توافقا مع المواقف المحددة سلفا. "ونجد أن كثيرا من أنماط التفاعل بين أعضاء المجتمع تعتبر أفعالا منعكسة فالكلمات والإشارات والايماءات التي نستخدمها أثناء عملية التفاعل تهدف إلى المحافظة على رؤية معينة للحقيقة الاجتماعية وتستخدم في تشكيل وتفسير وإعطاء المعاني للعالم الاجتماعي"[2]، أما مفهوم البيئة المرتبطة بالمعنى فيشير إلى أنّ التفاعل المتبادل بين أعضاء المجتمع يتضمن معاني تدركها عقولهم مباشرة وهي معاني تفوق دلالاتها ومغزاها ما قد تدل عليه إشارة أو كلمة أو عبارة في حديث متبادل بينهم ومن ثم فإن الإشارات أو الكلمات أو العبارات التي ترسل أو تستقبل أثناء عملية التفاعل بين أعضاء المجتمع يكون لها عدّة معان ترتبط بموقف معين أو بيئة أو ظروف معينة[3]، ومن خلال هذا الطرح الذي يعالج مفهومي البيئة المرتبطة بالمعنى والفعل المنعكس، حاول "جارفنكل" في هذا الاتجاه الكشف عن كيفية قيام أعضاء المجتمع باستخدام الإشارات والعبارات والكلمات في تشكيل العالم الاجتماعي المعاش، كما أنّهم تجاوزا في إطار اهتمامهم التعرف عن حقيقة مجتمعية ومحتويات هذا العالم الاجتماعي إلى المنهج والطرق التي يمثلها أعضاء الجماعة الاجتماعية في تشكيلهم

[1] مرجع سابق، ص 145.
[2] مرجع سابق، ص 150.
[3] مرجع سابق، ص 151.

لرؤية معينة للحقيقة الاجتماعية وتغييرها أو المحافظة عليها، وعليه فهو يهتم بالكشف عن الطرق وأساليب الناس والجماعة في التعبير عن أنشطتهم ونقلها للآخرين، والكشف عن ميكانيزمات المستخدمة من طرف الجماعة وأعضائها في تشكيل وتحليل واضفاء معاني لعالمهم الاجتماعي.

على الرغم من أنّ المنظور الاثنوميثودولوجي أحد الاتجاهات المعاصرة في التفاعلية الرمزية إلا أنّ هذا المنظور يعتبر منظورا مختلفا تماما عن غيره من النظريات الأخرى التي تشكل اتجاه التفاعلي، إذ يهتم هذا المنظور بتحليل الطرق التي يتحدث بها أعضاء المجتمع بعضهم إلى بعض في الحياة اليومية بحيث يظهر هؤلاء الأعضاء على أنهم كائنات عقلية توجه سلوكياتهم مناهج عقلية رشيدة[1]. وعلى سبيل المثال لا الحصر يهتم هذا الاتجاه بالطرق التي يتبعها أعضاء المجتمع في الحكم على أفرادها بالانحراف السلوكي أو العكس، حيث يعتبر أنصار هذا المنظور أن النظام الاجتماعي العام تتم المحافظة عليه من طرف الجماعة الاجتماعية وفق انشغالها على آليات وطرق متعددة ومنهجية تشعرهم بالحقيقة الاجتماعية الخارجية (النظام الاجتماعي العام)، أي ذلك التوافق على مجموع الطرق بين أعضاء الجماعة وغيرهم من الجماعات الأخرى، وهو الذي يشكل معنى للواقع الاجتماعي العام، وعليه لا بُدّ من دراسة الطرق والإجراءات المعقدة التي يستخدمها أعضاء المجتمع في تشكيل الواقع الاجتماعي بطريقة شعورية أو لا شعورية.

ويرى أصحاب هذا المنظور أنّه يجب إثارة تساؤلات حول الأبنية الاجتماعية فكثيرا من القواعد والمعايير الاجتماعية ليست معروفة بشكل واضح لأعضاء المجتمع، ومع ذلك فهي تستخدم كأشياء مسلم بها ومن ثمّ لا بُدّ من إثارة بعض التساؤلات التي تكشف عن الطرق والإجراءات

[1] احمد مجدي حجازي، علم الاجتماع الأزمة، مرجع سابق، ص 83.

التي يستخدمها أعضاء المجتمع لجعل أفعالهم وأهدافهم وخبراتهم الخاصة قابلة للتفسير والفهم من قبل أعضاء الآخرين في المجتمع[1]. ويهدف المنظور الاثنوميثودولوجي إلى وصف كيفية قيام أعضاء المجتمع أثناء تفاعلهم في الحياة اليومية لصياغة المفاهيم حول المواقف المختلفة وكيفية قيامهم بتشكيل الحقيقة الاجتماعية، ويرى أصحاب هذا المنظور أنّ تشكيل الحقيقة الاجتماعية تعد عملية مستمرة من التفسير، ومنه يضيف هذا الاتجاه على الاتجاهات النظرية الأساسية في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا واهتمامهم بدراسة التغير الاجتماعي على مستوى الوحدات الاجتماعية صغيرة النطاق[2].

ونستخلص مما سبق أنّ المنظور الاثنوميثودولوجي يحاجج في تأكيده على حالة التغير الدائم للواقع الاجتماعي الذي يمكن دراسته على مستوى الوحدات الاجتماعية الصغرى دون الاعتماد على الوحدات الاجتماعية الكبرى، كما أنّ هذا المنظور يؤسس لمفهوم تغيير الذات الفردانية دون تغيير النظام الاجتماعي القائم.

يتضح أنّ مفهوم الاثنوميثودولوجي يشير إلى المناهج الشعبية أو الطرق التي تستخدمها الجماعة في صياغة وتشكيل الحقيقة الاجتماعية في الحياة اليومية، لذلك يرى الباحث ضرورة توضيح المناهج المستخدمة في الدراسات الاثنوميثودولوجية، في هذا الصدد نرى أنّ جارفنكل ومؤيديه من الباحثين قد قاموا بإجراء بعض الدراسات الإمبريقية التي ستكشف عن المناهج المستخدمة التي يمكن أنّ يستعين بها الباحث الاثنوميثودولوجي لكي ينفذ إلى مواقف الحياة اليومية ويعرف أفكار وقواعد سلوك المبحوث، "وقد انتقد أنصار هذا الاتجاه طرق وأدوات البحث المستخدمة حاليا في

[1] مرجع سابق، ص 85.

[2] مرجع سابق، ص 135.

علم الاجتماع مثل المسح الاجتماعي، والمقابلات، كما رفضوا استخدام صحيفة الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات الكمية التي تتطلبها الدراسات الاثنوميثودولوجية"[1]، وذلك على أساس أنّ هذه الأساليب الكمية تكرس للقطيعة والانفصال بين الموضوع والبحث، وتتضمن معرفة سابقة بالواقع، يفرضها الباحث على أداته البحثية أي أنّها لا تكرس القطيعة الابستيمولوجية التي تتضمن الموضوعية.

كما أنّ هذا المنظور يختلف عن النظريات التقليدية في علم الاجتماع من حيث أنّه لا يهدف أساسا إلى تغيير السلوك البشري، والتعرف على حقيقة اجتماعية معينة بل يهتم أساسا بالكشف عن المنهج والطرق التي يستخدمها الناس في تشكيل الواقع الاجتماعي والمحافظة عليه مما يشير إلى أنّ هذا المنظور الاثنوميثودولوجي قد ساهم في تطور مناهج البحث أكثر مما ساهم في تطور نظرية علم الاجتماع المعاصرة[2]، وعليه يعمد هذا الاتجاه في عملية التعرف على أفكار وسلوك المبحوثين دون زج الباحث نفسه في ذات المبحوث، كما يجب استخدام الملاحظة بالمشاركة التي تستعملها التفاعلية الرمزية كتقنية أساسية لها، وبالتالي هذا المنظور الاثنوميثودولوجي يعتمد على الأسلوب الكيفي.

1) مجال استخدام هذه المقاربة النظرية في موضوع الدراسة:

إنّ أهمية الاستفادة من المنظور الاثنوميثودولوجي في دراستنا المنمطة بعنوان الطريقة التيجانية ودوروها في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية، يحيل إلى مرتكزات نظرية مهمة تؤشر لتلك التقاطعات داخل الإرث النظري وخاصة منه الحداثي، إذ يعتبر هذا الاتجاه تعبيرا عن ما

[1] مرجع سابق، 169.

[2] أحمد مجدي حجازي، علم الاجتماع الأزمة، دار قباء للنشر والتوزيع، مرجع سابق، ص 249.

وراء النظرية وهو ما يحفز قريحة الباحث الانثروبولوجي في مجال الدين وبخاصة التصوف، والطرقية ذلك المسلك التربوي الروحي المحمل بالرمزيات الزمكانية والدلالات اللغوية والإشارات ومحاولته إعطاء تفسير للواقع الاجتماعي، إذ يتقاطع البعد الديني والاجتماعي في مفهوم الطرقية كمسلك تعبدي أخلاقي وكمؤسسة اجتماعية، إذ يعمد المنهج الاثنوميثودولوجي إلى تحليل تلك الأنشطة اليومية وجعلها مرئية ومنطقية وصالحة للأغراض العلمية متجاوزا الطرح الكلاسيكي والنظري وبخاصة في تناوله للطرقية سواء من طرف المستشرقين، والدراسات المحلية التي كانت جلها دراسات تاريخية، لا تعمد بالغور في كنه الظاهرة الطرقية التي تسترعي دراسات أنثروبولوجية عميقة مع اعتماد هذا المنهج الاثنوميثودولوجي الذي يعتمد الملاحظة بالمشاركة، وهو ما يتقارب مع أهم أدوات البحث الأنثروبولوجي الإمبريقي لفهم الحقل الانثروبولوجي الطرقي من خلال المفهوم الاثنوميثودولوجي للبيئة المرتبطة بالمعنى.

كما أنّ الافادة من هذا المنظور تظهر من خلال تجاوزه هوية الحقيقة الاجتماعية إلى تكييف ذلك الاتجاه المستخدم من طرف أعضاء الجماعة الاجتماعية في تشكيل تلك الرؤية الخاصة بهم للحقيقة الاجتماعية والمحافظة عليها وتفسيرها، وهو ما يدلل على مفهومنا في ديباجة رسالتنا من خلال تعزيز هذه القيّم، إذ هي موجودة في النظام القيمي ومسلم بها في فقه الطريقة التيجانية، ولكن لا بد من البحث الأنثروبولوجي الحقلي المعمق لفهم كيفية الحفاظ على هذه القيّم الدينية والاجتماعية، وتفسيرها وفق فقه الطريقة كمسلك تربوي وأخلاقي، وتمظهرات هذا التعزيز وفق نمطية الإشارات والرموز المحملة بثنايا الطقوس الدينية والمقدس وفق أطر الزمان والمكان وكذا وفق تمثلات المعاش اليومي للجماعة الاجتماعية، ممثلة في المريد والقائم على شؤون الطريقة في المجال التربوي والديني والاجتماعي وكذا تمظهرات المقدس زمانا ومكانا وبخاصة وأنّ موضوع

دراستنا في منطقة عين ماضي مسقط رأس الشيخ المؤسس ومقر الخلافة العامة للطريقة التيجانية، ونقطة تفاعلاتها الثقافوية ومحج المريدين والمحبين.

وكما اعتمدنا سلفا على التفاعلية الرمزية فقد تساعدنا هذه المقاربة النظرية الاثنميثودولوجية كامتداد له وفق إضافة مهمة تخدم إلى حد ما الحقل الأننثروبولوجي، وبخاصة في مجال الدراسات الدينية الطرقية ببعدها القيمي والاجتماعي كمخرج وطرح يساعدنا على تجاوز ذلك الإشكال القائم حول صعوبة قياس هاته القيّم وصعوبات البحث في الحقل الديني، إذ يختلف هذا المنهج بتميزه في تجاوزه إلى تحليل الطرق المستخدمة من طرف الجماعة لفهم بعضهم البعض بطريقة عقلانية من أجل توجيه السلوك بمناهج علمية تؤسس لذلك النظام القيمي الديني والاجتماعي، الذي قد لا يدركه إلا الحقل الأنثروبولوجي مدعما بالمنظور الاثنوميثودولوجي، وهو ما نحاول البحث عنه في نهج الطريقة التيجانية وكيف تؤطر لهذا السلم القيمي، وتعمد إلى تعزيزه داخل الجماعة الدينية بطريقة شعورية وغير شعورية، وهو ما يشير إليه المنهج الاثنوميثودولوجي بمفهوم الطرق والإجراءات المعقدة من طرف الجماعة الاجتماعية لتشكل هذا الواقع.

كما تجدر الإشارة إلى اعتمادنا هذه المقاربة النظرية لإثارته تساؤلات حول الأبنية الاجتماعية كون كثير القواعد والمعايير غير معروفة لكن مسلم بها وهو ما يسترعي الحفر الأنثروبولوجي المعمق من خلال أدواتها المنهجية كالملاحظة بنوعيها، والمقابلة لأجل تعميم الفهوم الأنثروبولوجية لهذه القيّم أين يتداخل الديني والاجتماعي، وفي بعض الأحيان الثقافي وإذا سلمنا جدلا أنّ الثقافة كل مركب يحتوي الدين والأخلاق، وإذا سلمنا أن الطرقية هي مسلك حياة دينية واجتماعية وأنّ المريد الذي يتوخى الترقية، لابد له من تدرجات وفق نمطية ذاتية وجماعية وغالبا ما يبدأ المنهج التربوي من الذات إلى خارجها وهو ما يتوافق مع مفهوم التغير المستمر تحت

مسمى المجاهدة الصوفية والرقي الروحي المحكوم بدائرة الجماعة الدينية ممثلة في المريدين والجماعة الاجتماعية ممثلة في المجتمع، وهو ما يتوافق مع مكمن النقد الموجه للاتجاه الاثنوميثودولوجي كونه تغيير ذاتي غير ثوري وراديكالي ولربما هو نفس النقد الذي وصمت به الطرقية إبان المرحلة الكولونيالية بموقفها السلبي من الاستعمار.

3.7 نظرية التناقل الثقافي:

يمثل التراث الثقافي ذاكرة الشعوب، ويميز فيه بين نوعين: التراث المادي، والتراث غير المادي؛ تدخل في الأخير المعارف والمهارات، والممارسات والخبرات وأشكال التعبير، فضلا عن القيّم المتعددة المنتشرة في البيئة الثقافية المتصلة بها. تتناقله الأجيال وتعيد إنتاجه استجابة لبيئتها، وفي تفاعل مع الطبيعة ومع حمولتها التاريخية؛ ويزود هذا التراث إحساس هذه الأجيال بهويتها واستمراريتها، ويغذي فيها احترام التنوع الثقافي والإبداع البشري، كان، ولا يزال موضوع القيّم عامة إحدى الموضوعات الحقلية الأساسية في الدراسات الأنثروبولوجية وكذا السوسيولوجية عبر العالم، وفي الجزائر، إلا أنّ تناوله عبر بوابة الدين ومن رؤية عصرية لما مارسته الزوايا في الجزائر من دور في تعزيز مختلف أشكال القيّم الأصيلة.

حاولت هذه المساهمة مقاربة موضوع التناقل الثقافي، وتتبع واستقراء الانتقال القيمي عبر النسق الديني داخل الزاوية التيجانية. واعتمدنا منهجا سوسيو–انثروبولوجيا، لتحليل مقاربة التناقل/النقل الثقافي، ورصد حضوره في الممارسات اليومية للمريدين.

من هذا المنطلق سلّمنا يقينا بضرورة الاقتراب النظري لمقاربة التناقل الثقافي في موضوعنا المعنون بدور الزوايا في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية لدى المريدين، كون الطرقية تحتوي ذلك التدين الشعبي الذي تنصهر فيه العادات والتقاليد والموروث الشفهي للإنتاج الثقافي.

تشمل الثقافة كل ما صنعه الإنسان في بيئته خلال تاريخه الطويل، وهي تعبير أصلي عن الخصوصية التاريخية لكل مجموعة بشرية؛ وتعكس نظرتها إلى الكون وأسلوب حياتها. وتتجلى الثقافة في كل ما يرثه ويتناقله الفرد عن محيطه الاجتماعي بعدة وسائل، منها التنشئة والتعلم الاجتماعيين، والتناقل أو المثاقفة بين الأجيال داخل نفس المجتمع؛ إلى جانب ما يتناقله أو يتبادله مع ثقافات أخرى. ظلت الثقافة مُذكية لمجادلات حامية، إذ يفضي استعمالها مباشرة إلى المستوى الرمزي وإلى ما يتصل بالمعنى، أي ما يكون الاتفاق عليه أشد عسراً مما عداه[1]. تتعدد أنواع التبادل والتناقل الفكري والمعرفي فيما بين الثقافات، فمنها المُثاقفة Transculturation التي تركز على التفاعل الطوعي والإرادي بين مجموعتين اجتماعيتين مختلفتين، وتقوم على الاحترام والتسامح والاعتراف بخصوصية الآخر واختلافه. والمثاقفة علاقة أفقية متساوية لا قسر فيها، وتستمد قوتها من التفاعل الثقافي العالمي، ولنظرية التناقل الثقافي مفاهيم أساسية ومن ضمنها:

المثاقفة:

ظهرت كلمة المثقافة منذ عام 1880 م على يد "ج. بول" (j w powel) والحرف اللاتيني السابق a في كلمة acculturation هي مشتقة من اللاتينية ad التي تدل على حركة تدل على

[1] حسن الساعاتي سامية، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983، ط2، ص 89.

الاقتراب من الشيء الموصوف[1]، ومع ذلك كان لابد من انتظار الثلاثينيات من القرن العشرين لنشهد نهوض تفكير منهجي حول ظواهر تلاقي الثقافات وقاد هذا التفكير الأنثروبولوجيون الأمريكيون ووضعوا تعريفا لفهم هذا المصطلح، حيث لم يعد من الممكن قبول أي استخدام غير دقيق له وفي هذا السياق نجد أنّ ذكر عملية التثاقف في الأنثروبولوجيا الثقافية يقود بالضرورة إلى تحديد نمط الثقافة المعني وكيفية نشوئها والعوامل التي قامت عليها، ومفهومها كما جاء على لسان الأمريكيون أنّها: "هي مجموع الظواهر الناتجة عن احتكاك مستمر ومباشر بين مجموعات أفراد تنتمي إلى ثقافات مختلفة تؤدي إلى تغييرات في الأنماط الثقافية الأولية للجماعة أو الجماعات"[2]

إلى جانب المثاقفة، يتحدث الأنثروبولوجيون عن التثاقفAcculturation الذي يدل على التداخل الحاصل بين مختلف الثقافات تأثيراً وتأثراً، ويحمل التثاقف شحنة سلبية، إذ يتأسس على شرط المركزية الثقافية لقطب معين، وينبني على الهيمنة ويرتبط بالصراع. والتثاقف علاقة عمودية بين المهيمنين والمهيمَن عليهم، تتم وفق شرطي القهر والاستلاب.[3]

والقاسم المشترك بين **المثاقفة والتثاقف** هو النقل أو التناقل الثقافي، وهو ظاهرة تغطي جميع الحقول ويمتد من أصغر خلية وهي العائلة، إلى خلية أكبر وأعقد وهي المجتمع، وبين الأخير ونظرائه من المجتمعات الأخرى. وتتفاعل فيه مجموعة من مواضيع التراث اللامادي القديم

[1] غورفيتش جورج، تر: خليل أحمد خليل، الأطر الاجتماعية للمعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 54.

[2] مرجع سابق، ص 60.

[3] حسن الساعاتي سامية، مرجع سابق، ص 35.

والحديث، وبذلك تكون عملية التناقل غير مرتبطة بالفرد فقط، ولكنها عملية خفية لحركة شيء أو فكرة أو مهارة من شخص نحو آخر أو آخرين، تهم المجتمعات وتعاقب الأجيال.

ومن بين المفاهيم المستعملة في هذه النظرية مفهوم الانتشار الثقافي والموروث الثقافي فالأول يرى "رالف لينتون" بأنه: "انتشار عنصر ثقافي من جماعة أو مجتمع إلى جماعة أو إلى مجتمع آخر"، وهو عملية اجتماعية أكثر منه فردية، وللانتشار الثقافي فضل مزدوج على تقدم البشرية، فقد ساعد على نمو البشرية ككل، وفي الوقت نفسه أغنى محتوى الثقافات الفردية، ودفع المجتمعات التي حملتها إلى الأمام في طريقها نحو الرقي والازدهار.

أما **التراث الثقافي** يقصد به كل ما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى آخر، وهو يشمل كل الفنون الشعبية، من شعر وغناء وموسيقى ومعتقدات شعبية وقصص وحكايات وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس، وعادات الزواج والمناسبات المختلفة وما تتضمنه من طرق موروثة في الأداء والأشكال ومن ألوان الرقص والألعاب والمهارات.[36]

والتراث الثقافي يعكس ما توصلت إليه حضارات الدول. فأي حضارة لا تكون حضارة عريقة ولها جذورٍ تاريخية إلا بمقدار ما تحمله من شواهد على رقيها الإنساني، ولكون الإنسان عبر

[36] Ann Marie Sullivan, Cultural Heritage & New Media: A Future for the Past, 15 J. MARSHALL REV. INTELL. PROP. L. 604 (2016) https://repository.jmls.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1392&context=ripl نسخة محفوظة على موقع 18-12-2022 على واي باك مشين.

مسيرته التاريخية يحاول أن يرقي بنفسه، فارتقاءه هذا ينعكس على ما يخلفه من سلوكيات تتأصل في حياة الناس، كما يُعد هذا النوع من التراث مكون أساسي من مكونات الذاكرة الجمعية.

حيث تمت الاستفادة من نظرية التناقل الثقافي من خلال تتنوع أشكال ومجالات التناقل الثقافي بتنوع الوسائل المعتمدة فيها، منها التناقل المباشر، حيث يكون المانح والمتلقي جنبا إلى جنب وذوي تفكير منفتح؛ ويحضر بقوة في القيّم الدينية والاجتماعية التي يساهم المريدون بشكل وازن في تناقلها. بينما يتم التناقل غير المباشر باعتماد وسائط مختلفة، من البسيطة التقليدية إلى الوسائل المستحدثة التي عززتها الثورة التكنولوجية المعاصرة بالتقنيات التواصلية الرقمية، بالتزامن أو بالتتابع، وعن بعد، التي أصبحت تفرض ثقافة معولمة، تمارس تأثيرها على الثقافات المحلية وخصوصياتها.

ويمكن حصر مجالات التناقل الثقافي من خلال الاسقاط النظري في:

- عالم الأفكار والتصورات، الذي تتم فيه الاستفادة من نتاج العقل البشري، ليساهم بذلك في تطوير الإرث الحضاري الإنساني والاستفادة من تراكماته.
- مجال التواصل اللغوي، الذي يتم إغناؤه بالمصطلحات والمفاهيم، باعتماد الترجمة وتوليد كلمات جديدة.
- مجال الإبداع في الفنون والمهارات والخبرات لكل مجتمع إنساني.
- القيّم والعادات والتقاليد، حيث تقتبس مجتمعات من غيرها بعض الرموز والأشكال.

وتنطوي أيضا مجالات الاستفادة من المقاربة الثقافوية في موضوع دراستنا الذي يعالج إشكالية القيّم وتعزيزها وفق النهج الطرقي الأمر الذي يؤسس لتشابك معرفي بين حقل

الأنثروبولوجيا في شقه الديني والاجتماعي، وموضوع القيّم كأساس لبناء حقلي اجتماعي، حيث تتمظهر الثقافة في شكل ديني واجتماعي، اذا سلمنا جدلا أنّها ذلك الكل الذي يحتوي الدين والاخلاق والعادات والتقاليد، والذي يحاكي الطرح الأنثروبولوجي لمفهوم الثقافة بدلالة الموروث، والإضافة المهمة التي قدمتها الأنثروبولوجيا للثقافة باقتصارها على الإنسان متجاوزة الطرح السوسيولوجي لكون الإنسان كائن اجتماعي وهو ما يحيلنا إلى البحث العميق في الرموز، العادات، التقاليد، والإرث المادي والشفهي، هذا وما يتماهى مع دراستنا للقيم وتعزيزها في مؤسسة الطرقية وطريقة نظرتها للإنسان كذات اجتماعية فاعلة وتمثلاتها للسمو والصفاء والترقي الروحي وبذلك هي نظرة خاصة بها للإنسان والكون وهي ما تشاطره مع الثقافة كدلالة انثروبولوجية من عقل الناس للأشياء لا كيف ينظرون إليها وهو ما يحمل في طياته تصورات وفهوم خاصة تغرسها الطريقة لدى مريديها، وتعزز من خلال التثقاف ضمن الجماعة الاجتماعية الأولية.

كما يشير أن مفهوم الثقافة ببعدها الإمبريقي هي ذلك الكل الذي يحتوي الدين والأخلاق وإذا تجاوزنا طرحنا هذا تاريخيا، تعتبر حياة التصوف في بدايتها حياة زهد ذات طابع فردي، كنوع من المقاومة الثقافية لما آل إليه نمط ثقافة المعاش بعد اندثار أسس الإسلام الأولى ممثلة في مؤسسة الخلافة، ومع انتقال هذه الطفرة الثقافية من الفرد إلى الجماعات كممارسة دينية اجتماعية وتحولها من الجانب الفكري التأملي الفلسفي إلى ذلك الطابع العملي ذو البعد الديني الطرقي وتمظهراته في الزوايا والطرق وخاصة في الطريقة التيجانية.

كما يمكن الإشارة إلى أنّه وإن كانت غاية الطرق الصوفية واحدة وهي سلوك مبدأ والوصل والكمال والتربية والروحية إلا أنّ تعددها وفق نمطية الزمان والمكان، وامتداد بعضها من بعض كما هو حال الطريقة التيجانية يؤكد دور الفعل الثقافي والتثاقف بينما هو فكري واجتماعي، وما

تحويه البيئة الاجتماعية من بعد ومثالنا في ذلك الشيخ المؤسس للطريقة التيجانية سيدي أحمد التيجاني في حله وترحاله وما لاقاه من شيوخ والأخذ عنهم فحوى التصوف ومشارب الفكر الديني المتعددة في الفقه والحديث، وخاصة مبدأ الإحسان (التصوف)، حيث أسس طريقته الخاصة وأشار إلى أبنائه في وصيته أنه لا يليق بهم إلا الصحراء ويقصد بذلك مسقط رأسه عين ماضي، وهذا إذا سلمنا جدلا بدوائر الاحتكاك الثقافي المركزية والهامشية في مفهوم التصوف عامة في أصوله بين الفارسية والمسيحية الغنوصية وأصالته الإسلامية التي تجافي مقولة المستشرقين الرحالة كون التصوف نبتة غريبة في صحراء الإسلام، وهو ما يؤشر للبعد الثقافي وعملية الانتقال الثقافي. دون إغفال خصوصية المدد الطرقي ومفهوم شرف النسب لمشايخ هاته الطرق كامتداد لتلك التمثلات القدسية لآل البيت وهو ما تنطوي عليه مرجعيات الزاوية التيجانية في نسب مؤسسيها لآل البيت وأخذه سند أذكاره عن النبي دون واسطة، وهو ما يؤسس للهالة القدسية للشيخ والطريقة وحجية العهد والالتزام به من طرف المريد دينيا واجتماعيا وهو ما يعزز هذه القيّم ويعمل على تناقلها من جيل لآخر.

الفصل الثاني:

الزوايا

تمهيد:

تعتبر الزوايا ذات أهمية بما كان في التراث الإسلامي إذ تمثل امتداد بين الشرق الإسلامي والغرب الإسلامي وإن اختلفت التسميات بين مفهوم الزاوية والخانقاه والتكية، إلا أن دورها ووظيفتها الأساسية تكمن في البعد الديني والاجتماعي والثقافي، والمغرب العربي عرف انتشاراً واسع للزوايا حتى سمي بأرض الزوايا، والجزائر كجزء من المغرب الإسلامي عرفت وجود العديد من الزوايا منذ فجر الإسلام في إفريقيا حيث لعبت هذه الأخيرة أدوارا دينية تعليمية وجهادية وأخرى اجتماعية، وملاذ العابرين وابن السبيل، وكسلطة مرجعية في توحيد القبائل ومقارعة الغزاة كرباطات للجهاد.

وعليه ارتأينا في هذا الفصل التطرق إلى مفهوم الزوايا ووظائفها وأنواعها باختلاف غاياتها ومرجعياتها، كما تم النظر في زوايا الجزائر ومدى انتشارها وتأثيرها الديني والاجتماعي كذلك تم التطرق إلى دور الزاوية في الحقبة الاستعمارية.

1. مفهوم الزوايا:

قبل أن نشرع في تعريف الزوايا لابد أن نشير إلى أنّه هناك العديد من التعريفات حوله كما هو الشأن لأي مفهوم، لذلك فإنّه الزاما لتكملة البناء المعرفي للمفهوم أن نتطرق لجملة التعاريف ووجهات النظر.

1.1 مفهوم الزوايا لغة:

الزاوية لغة مصدرها زوى بفتح الزاي والواو، وزوى الشيء يزويه زيا وزويا فانزوى: معناه نحاه فتنحى، وزواه أي قبضه، وزويت الشيء جمعته وقبضته، وفي الحديث الشريف يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إنَّ الله تعالى زوى ليَّ الأرض فأريت مشارقها ومغاربها"، وفي حديث آخر: "اللهم ازوِ لنا الأرض وهون علينا السفر" وزويت لي الأرض أي جمعت، وانزوى القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانوا وتضامنوا، والزاوية مفرد الزوايا[1].

كما يرجع أصل كلمة زاوية إلى الانزواء والانعزال، الذي له أصل في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أما بالنسبة للقرآن فمن الأمثلة نذكر: "وأَعتزِلُكُم وما تَدعونَ مِنْ دُونِ الله وأَدعو ربِي عسى أَلا أَكُونَ بِدُعاءِ ربِي شَقِيًّا فَلَما اعتزَلَهم وما يعبدونَ مِنْ دُونِ الله وهبنا لَه إِسحاقَ ويعقُوب وكُلًا جعلْنا نَبِيًّا" (سورة مريم، الآية 48-49).

ومنهم من يرى أنَّ لفظ الزاوية في الأصل مشتق من الانزواء، يقصد به العكوف على العبادة أو على تلقي العلم بعيد عن دنيا الناس ومشاغلهم اليومية.

[1] جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج 8، د.س، ص 333.

والزاوية في القاموس ترِد تحت مادة انزوى، أي انعزل واعتزل الناس وركن إلى زاوية من الزوايا، وتفرد بنفسه هذه الحالة أو الصفة أطلقت على الإنسان الذي اعتزل الناس وركن في مكان قصد التعبد، وأداء وظائف أخرى، فنسب إليه الانزواء، وإذا نظرنا في التصوف فإننا نجد فيه الانعزال والانزواء، وتعتبر "محطة للعابر والمقيم، فالأول واضحا من خلال الوظائف التي تقوم يتخذها مسكنا مؤقتا أو مبيتا ثم يتابع مسيرته، والثاني لطلب العلم والذكر[2]

1.2 مفهوم الزوايا اصطلاحا:

قبل الشروع في تعريف الزاوية نتطرق إلى أهم ما جاء في مسمياتها وذلك راجع لاختلاف الرقع الجغرافية، وقد ساد مصطلح الزاوية في بلاد المغرب الإسلامي، في حين كانت تعرف في المشرق بالخانقاه على عهد المماليك، ثم انتشر مصطلح التكية خلال العهد العثماني، وبالرغم من اختلاف هذه التسميات إلا أن مقصدها واحد، فقط عرفت بثلاث لغات مختلفة، الزاوية مأخوذ من العربية، والخانقاه من الفارسية، والتكية من اللغة التركية[3]

هذا التسلسل التاريخي في مسميات الأماكن المخصصة للانعزال والاعتكاف ساهم في تطوير مفهوم الزاوية من فعل الانعزال إلى المكان أو الطريقة المخصصة للزوايا لذلك ذكر الشيخ السنوسي:

[2] المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا – الزاوية الناصرية – محمد بن عبد السلام بن عبد الله، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2003، ص3.

[3] محمد حمزة إسماعيل الحداد، العمارة الإسلامية في أوروبا العثمانية، ص.229

"إن كلمة الزوايا دال على معناها، وهي من زوى يزوي، بالتالي فالزاوية جامعة، لكونها تجمع العباد على حب الله ورسوله، وكانت العرب تقول تزاو القوم أي تضامنوا"[4].

بالرغم من اختلاف التسميات للزوايا إلا أن دورها يبقى واحد من حيث تعليم القرآن وأصول العبادة والفقه، ومؤسسة تواصلية بين الأفراد ومحطة عبور لابن السبيل واستقبال الزوار والضيوف، ويتجلى دورها لطبيعة نشاطها المزدوج بين الديني والاجتماعي.

وتعرف الزاوية على أنها: عبارة عن بناية ذات طابع ديني، يقيم فيها المتصوفة للاعتكاف، والتفرغ إلى العبادة، وتعليم المريدين لمختلف العلوم الشرعية النقلية والعقلية، وتحفيظ القرآن الكريم للناشئة، وإيواء وإطعام الفقراء وابن السبيل.

كما أنها مؤسسة اجتماعية وتربوية ودينية وحتى عسكرية وهي أصغر من دولة وأكبر من حزب نقلاً عما قاله الأستاذ رشيد بوسعادة باحث في علم الاجتماع، يعني مراكز تحفيظ القرآن، وتعليم أصول الدين الإسلامي، والعلم الشرعي ونشر الأخلاق والفضائل الإسلامية[5]

وهي بذلك حصون العقيدة والإيمان، وتعتبر كذلك ركن البناء، أطلقت على المصلى أو المسجد الصغير عند المسلمين في المشرق العربي، على أنه ظل مصطلح الزاوية في المغرب

[4] طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والمجتمع الجزائري، مجلة المعارف، العدد 14، جامعة البويرة، الجزائر، أكتوبر 2013، ص 20.

[5] عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 14

الإسلامي أكثر شمولا من ذلك، إذا هو يطلق على بناء أو الأبنية ذات الطابع الديني، وهي تشبه المدرسة في تخطيطها أو أجزائها ووظيفتها التعليمية.[1]

تعتبر الزاوية مؤسسة تواصل بين الأفراد والجماعات، فهي المتنفس الثقافي والأمني والديني للأفراد والجماعات، وهي تلعب هذا الدور نظرا لطبيعتها المزدوجة ثقافية عالمية فقهية سنية وثقافة شعبية رمزية[2] فالزوايا مؤسسة شاملة فهي مسجد للعبادة ومدرسة للتعليم وملجأ للهاربين ومأوى الغرباء، وقسم محمد علي دبوز الزوايا لقسمين: الزوايا الكبرى وتقوم بأنواع التعليم الثلاثة والزوايا الصغرى تكتفي بالتعليم الابتدائي والثانوي[3].

أما "دوماس" عرفها في كتابه منطقة القبائل 1847، على أنّها: مدرسة دينية، ودار مجانية للضيافة، والزاوية تحتوي عادة على مصلى وغرفة اقتصرت على تلاوة القرآن ومدرسة لتحفيظ القرآن، وتلقين علوم الدين وقواعد اللغة العربية، كما تضم غرف ومواقد لإيواء الطلبة وضيوف الزاوية والحجاج المسافرين ويكون الولي غالبا مؤسس الزاوية[4].

وأشار ابن مرزوق الخطيب والظاهر "أنّ الزوايا عندنا في المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين واطعام المحتاج من القاصدين"[5]

---

[1] عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، نفس المرجع، ص 14.

[2] رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة نموذجا، دار المحابر للنشر، قسنطينة، الجزائر، د.ط، ص 19.

[3] عبد الكريم بن الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وتع. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987 م، ص 140- 142.

[4] الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط 2، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965 ج 3، ص 250.

1. [5] براهيم بلبالي، وقف زاوية تينلان بمنطقة توات رؤية فقهية وقانونية انطلاقا من الوقفية المنشئة له، مجلة دراسات، جامعة بشار، المجلد 7، العدد الأول، 2018، ص 184.

أما "محمد صبحي" يرى بأنها عبارة عن مكان معد للعبادة، وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم[1].

وتعرف كذلك على أنّها: مبنى يضم قبة وضريح الولي، أو شيخ الطريقة ومسجدا وقبور لأبناء وأحفاد الولي، وأحيانا يضم مكتبة وملجأ للغرباء، بعض الزوايا أصلها رابطات هناك زوايا اشتهرت بالتعليم، وأخرى بالعبادة واستقبال الزوار والفقراء[2]

إذن من خلال التعاريف السابقة يمكن القول بأن الزوايا عبارة عن مجمعات من البيوت والمنازل مختلفة الأشكال والأحجام، تشتمل على بيوت للصلاة كمساجد، وغرف لتحفيظ القرآن الكريم، وتعليم العلوم الإسلامية، وأخرى بمثابة سكن للطبة وطهي الطعام، وتخزين المواد الغذائية والعلف، وإيواء الحيوانات التي تشتغل في أعمال الزاوية، تتميز الزاوية في بنائها بالبساطة، وتختلف في شكلها المعماري والهندسي عن المسجد والمدرسة، فالزوية قليلة النوافذ تتكون من المسجد يكون في الغالب دون مئذنة ومدرسة قرآنية وبنايات أخرى خاصة بها، وشكل الزاوية يوحي بالتقشف والهدوء أكثر مما يوحي بالثراء.

2. نشأة الزوايا:

ترجع الجذور الأولى للزوايا إلى ظهور التصوف في الإسلام والمرابطة على الثغور في سبيل الله، فأما بالنسبة للتصوف فالكلمة لها عدة معاني اختلف بشأن مصدرها، حيث يرى البعض أنّها

[1] الزاوية الولائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، محمد حجي، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، 1988، ص81

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 9، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 9.

مشتقة من الصفاء الذي يعني صفاء السريرة ونقاوتها، أو من الصفة، في حين يرجع البعض الآخر اشتقاقها من الصوف، نسبة إلى إقبال المتصوفة على الملابس الصوفية[1]

وقد كان ظهوره منذ القرون الأولى للإسلام، وكان في بدايته هذه ملتزما بتعاليم الدين الإسلامي، لكن مع القرن الثاني للهجرة الثامن ميلادي بدأت تتسرب إليه تقاليد ديانات أخرى. وصارت فيه مذاهب وطرق عدة.

ومع هذا التطور الذي حصل في مفهوم التصوف، برزت بنايات خاصة بالمتصوفة عرفت بالخانقاه، وكان ظهورها في حوالي سنة 400هـ/1000م بإيران، ثم انتشرت بعد ذلك بصورة واسعة على يد السلاجقة الذين وقفوا في وجه المد الشيعي بالعراق والشام، وشيدوا العديد من الخانقاوات ليقيم فيها المتصوفة وينشرون المذاهب السنية بين أوساط الناس وفي نفس الوقت شجع الفاطميون الناس على التصوف، وكان لهم مكان مخصص بالقرافة بالقاهرة، ولما قضى صلاح الدين الأيوبي على ملك هذه الدولة عمل هو الآخر على محو التشيع من مصر والشام، فأنشأ الخانقاوات وأوقف عليها أموالا وعقارات، واتبعه بعد ذلك خلفاؤه من بني أيوب، ومن بعدهم المماليك[2]

أما في المغرب الإسلامي فإنَّ أول ما ظهر هو الرباط، والرباط كلمة جاء ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: "يا أَيُّها اللذين آَمنوا اصبِروا وصابِروا ورابِطُوا واتقُوا الله لَعلهكُم تُفْلِحونَ" (سورة آل عمران، الآية رقم 200) ، وفي الحديث النبوي الشريف نجدها في أحاديث كثيرة منها: رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما عليها،

[1] الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6 – 7 الهجريين 12 و13 الميلاديين، دار الهدى، عين مليلة، 2004، ص 38

[2] حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار الإسلامية، ج 2، ص 710.

والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها، وفي حديث آخر قال فيه صلى الله عليه وسلم: "لرباط يوم في سبيل الله محتسبا من غير شهر رمضان أعظم أجرا من عبادة مائة سنة صيامها وقيامها ورباط يوم في سبيل الله من وراء عورة المسلمين محتسبا من شهر رمضان أفضل عند الله وأعظم أجرا من عبادة ألفي سنة صيامها وقيامها فإن رده الله إلى أهله سالما لم يكتب عليه شيء ألف سنة وتكتب له الحسنات ويجرى له أجر الرباط يوم القيامة"[1]

وقد أطلق هذا المصطلح على الحصون التي تبنى على الحدود، أو ما يعرف بالثغور التي تفصل بين البلاد الإسلامية وبلاد العدو، وقد كان ظهور هذه الأربطة خلال القرن الثاني للهجرة أي الثامن ميلادي على سواحل إفريقية، وكانت عبارة عن بناية ذات حصانة ومنعة، تعلوها أبراج للمراقبة، وتقطنه حاميات من الجند المتطوعين، وعادة ما يصطحب هؤلاء الجنود أسرهم معهم، ويزاولون أعمالهم اليومية بصورة طبيعية لكسب أوقاتهم وأرزاقهم، دون الطمع في أجر أو هبة من الأمراء والحكام، ودون أن يلهيهم ذلك عن الاستعداد للحرب كلما دعوا إليها[2]

لقد كانت هذه الأربطة ذات وظيفة عسكرية لتحمي ثغور المسلمين، وصد الأعداء عنها، ووظيفة روحية، حيث كان يلتقي فيها أناس زهدوا مما في الدنيا وقدموا أنفسهم فداء للإسلام والمسلمين دون طمع أو قهر، بل رغبة صادقة وإخلاص تام، واستجابة لدعوة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكانت تتوزع أوقاتهم في هذه الأربطة على عدة أشغال، كالحراسة والتدرب والتمرن على القتال، وفي العمل لكسب الرزق، والعبادة والتقرب إلى الله.

[1] محمد التلمساني ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا ابي الحسن، ص 411.
[2] محمد نجيب خالف، الأربطة، العدد 06، 2007، ص 90

ومع تغير المعطيات السياسية واستقرار أحوال المغرب والسواحل على الخصوص من الهجمات الصليبية، تحول الرباط بداية من القرن 5هـ/ 11م إلى رابطة، وقد عرفت هذه الأخيرة فضلا عن أسرار الوظيفة الحربية التي كان يقوم بها الرباط بروز الوظيفة الروحية أكثر مما مضى، حيث أصبحت الرابطات تستهوي المتصوفة والزهاد، وقد وجدوا فيها مبتغاهم.

ولعل أولى الرابطات التي عرفها المغرب الأوسط الجزائر، رابطة عبد السلام التونسي في تلمسان خلال أواخر القرن 5هـ/ 11م، ورابطة ابن الزيات ببجاية، وقد كانت وظيفة هذه الرابطات التفرغ للعبادة والالتقاء بالطلبة، وتلقينهم علوم التصوف وأمور الدين عامة[1]

وفي نفس الفترة كانت البوادر الأولى لظهور مصطلح الزاوية، الذي كان مرادفا للرابطة، ويعد "الغبريني" أول من تحدث عن الزوايا في المغرب الأوسط خلال أواخر القرن هـ/ م، وذكر البعض منها، مثل: زاوية أبي زكريا يحيى الزواوي المتوفي هـ/ م، وزاوية أبي حجلة عبد الواحد في تلمسان، غير أن الزاوية الأولى وعلى حسب ما يذكره الغبريني أيضا كانت عبارة عن بناء صغير ملحق بمسجد كان يخلوا فيه الشيخ بنفسه، في حين يؤدي صلواته الخمس، ويعقد مجالس العلم في المسجد، وفي خلوته تلك يتفرغ للعبادة وذكر الله، بينما يقوم أهله وأقاربه بخدمته[2]

وكان أول الزوايا في المغرب حوالي القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي، بينما في الجزائر كان تاريخ أول ظهور حقيقي لها يعود الى القرن التاسع هجري الخامس عشر ميلادي، منها الزاوية الثعالبية في مدينة الجزائر والزاوية الملارية، في قسنطينة والزاوية السنوسية بتلمسان وغيرها،

[1] ابو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف وأخبار ابي العباس السبتي، ص110.
[2] يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، مرجع سبق ذكره، ص 223.

وكثر هذا النوع من الزوايا ابتداء من القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، بعد تغير الأوضاع الثقافية في البلاد بمجيء الأتراك العثمانيين، وبسط سلطتهم على البلاد[1]

يذكر العلامة الجزائري "الشيخ المهدي البوعبدلي" رحمه الله، في مقال كتبه في الموضوع أن الملك الموحدي يعقوب المنصور الذي عرف بعلمه ودينه، كذلك التي أسسها الملك المريني أبو عنان خارج مدينة سلا، التي عرفت بزاوية مثالة وفي عنوان الغبريني نجد لفظة الزاوية في ترجمته العلامة أبي الفضل قاسم بن محمد القرشي القبطي المتوفى سنة 221 هـ، ما يؤكد وجودها في ذلك التاريخ في بجاية ، وما أنَّ حل القرن الثامن عشر، حتى عرفت الزوايا انتشارا أوسع من ذي قبل، وتقوم بمهمة نشر التعليم الإسلامي، كما لقيت الزوايا الدعم والمساعدة من قبل الملوك الذين أمدوها بكل ما تحتاجه، كما تحدث الجزائري المعروف "بابن مرزوق التلمساني" الذي عاصر الدولة المرينية، في كتابه "المسند صحيح الحسن في محاسن مولانا أبي الحسن" في الفصل الثاني والأربعين عن الزوايا العلمية التي بناها السلطان أبو الحسن[2].

نشأة الزوايا في الجزائر تحت ظروف بيئية واجتماعية ودينية معينة اختلف فيها العديد من المؤلفين، وفي هذا الصدد يذكر "يحي بوعزيز" أن مؤسسي الزوايا هم رجال دين متصوفون زاهدون بدأت حركاتهم تظهر بالمشرق الاسلامي منذ القرن الثالث هجري، وهنا انتقل الزهد إلى المغرب.

[1] عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 18.

[2] عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2007 م، ص 342.

أبرز ما تميزت به الجزائر ظهور عقيدة المرابطين وانتشار الزوايا وافتتاح عهد التصوف وهذه الظاهرة لاقت توسع كبير في القرون الثلاثة اللاحقة للعهد العثماني وأدت المبالغة في الإيمان بعقيدة المرابطين والتصديق بشيخ الزاوية والأضرحة لغلق باب الاجتهاد[1].

نجد الزوايا أخذت مسميات غير هذا المسمى منها دار الضيف، ودار الكرامة ... وغيرهما، وكلها مسميات نابعة أساسا من فحوى نشاط هذه الزاوية وهو المساعدة وضيافة الغريب والمحتاج، كما نجد أن تواجد الزوايا بالجزائر كان يعرف انتعاشا خلال بعض العهود كالعهد المريني والعثماني كما سبق الذكر مما كان يعطي فرصة للزاوية لإعادة تفعيل عملها وتنظيمها، وقد لحق هذه الزوايا في عهد الاستدمار الفرنسي 1830م كغيرها من المنشآت إذ كانت الزوايا طيلة هذه الفترة حصنا للثقافة الإسلامية ومنهلا للغة "الخراب والتهديم العربية ... ومعقلا للمجاهدين برغم من مضايقات المستدمر الذي استولى على أموال الأوقاف وقطع كل موارد الرزق عنها"[2]. لنراها اليوم منتشرة في كل أطراف الجزائر خاصة غربا وجنوبا وكل واحدة منها تنشط انطلاقا من الطابع المحلي المتواجدة فيه، وانطلاقا مما تتبناه من طريقة في التعبد فلزاوية "**والتقرب** من الله، مع أنها لا زالت تعتمد في تمويلها على المساعدات الخارجية في الريف أرض مرموقة يحرثها المسلمون ويعتنون بها ويستعمل إنتاج هذه الأرض في صيانة وتغطية أجور المدرسين ومعيشة التلاميذ، كما أن الزاوية الريفية عادة ما يقدم إليها مسلمو الناحية جزء معينا من إنتاجهم الفلاحي سنويا فالزاوية بالنسبة إلى سكان الناحية على غاية كبيرة من الأهم"[3]، وتعتمد الزاوية في التمويل أيضا على التبرعات، خاصة في المناسبات

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ص 110.

[2] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن الكريم بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، ب ط، ص 28

[3] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500– 1830، ج 1، دار البصائر، الجزائر، د ط، ص 288.

كالأفراح مثلا بالإضافة إلى ما يأتي به الزائر من هبة أو عطية أو صدقة للزاوية وشيخها، كما تحظى أحيانا بمساعدات من الدولة لترميمها أو توسيعها.

3. نشأة التصوف وانتشاره في الجزائر:

بدأ التصوف في الجزائر تصوفا نظرياً، ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري واتجه إلى الناحية العملية وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية، وقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل ببجاية والمناطق المحيطة بها، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن فلقد انطلق منها رجالات التصوف الكبار من أمثال أبو زكريا الزواوي وأبو زكريا السطيفي ويحيى العيدلي والشيخ أبي مدين الذي انتقل فيما بعد إلى تلمسان وتوفي 595هـ، 1197م، ومنها انتقل التصوف إلى بقية المناطق الأخرى فلقد كان الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي أحد أوائل وأوتاد الطريقة الصوفية في الجزائر، وقد عرفت طريقة "المدينية" شهرة واسعة وأتباعا كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي وازدادت شهرته على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش 665هـ ثم تطورت وأحياها من بعده شيخ الطائفة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش "أبو الحسن الشاذلي" نسبة إلى قرية شاذلية بتونس وتوفي بأرض الحجاز سنة 655هـ، وكان لتعاليم الشاذلي تأثير مهم في الجزائر بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن الثامن تتصل بطريقة أو بأخرى بالطريقة الشاذلية[1]، وقد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف

[1] مختار الطاهر فيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفكر القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة الطبعة الأولى، 1976، ص 35.

السنونسي وأحمد زروق وغيرهم من الشيوخ[1]، وبذلك أخذ التصوف يدخل من شرق ومن غرب الجزائر وترجع عوامل وأسباب انتشار التصوف وطرقه بالجزائر إلى عدة أسباب منها ما هو فكري وما هو سياسي وما هو اجتماعي ونلخص هذه الأسباب والعوامل فيما يلي:

أ. عوامل فكرية:

وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف وطرقه بكامل المغرب الإسلامي، أثروا بسلوكهم وبعملهم وبمؤلفاتهم على المجتمع الجزائري وتوارثه أبا عن جد فلقد ولد لنا رجال متصوفين بارزين في الجزائر وفي المغرب وولد احترام العامة والخاصة لهم، فنجد من بينهم أحمد بن يوسف الراشدي بعين مليانة عام 937 هـ / 1520 م ومحمد أفغول وعبد الرحمان الثعالبي، ومحمد التواتي البجائي، وشعيب السنونسي والشيخ أبو مدين ويضاف إلى كل ما سبق تأثير كثير من علمائنا بالتصوف المشرقي الذي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة[2].

ب. عوامل سياسية:

ومن بينها سقوط الأندلس وبذلك هجرة كثيرة من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية واحتكاكهم بالمتصوفين هناك ونشر أفكارهم في الوسط الجزائر، الأمر الثاني هو سقوط الدولة

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من ق 10 إلى ق 14 هـ الجزء الثاني، الشركة، الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص 198.

[2] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر، 1989، ص 31

الموحدية والتي كانت تمثل دولة قوية في وجه مواجهة الغزو الإسباني ولأسباب عدة منها الداخلية وأسباب خارجية تدهورت وضعفت.

ج. عوامل اجتماعية:

انتشار الترف والبذخ عند عدة فئات من المجتمع وهذا نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم، وقد حارب الصوفية هذا الانحراف مما انعكس على انتشار طرقه. ظهرت الزوايا في المغرب العربي منذ القرن السادس الهجري و13م حيث حلت تدريجيا محل الرباط ثم تطورت مهامها وتوسعت على يد المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية وجمعت بين العبادة والتعليم والتوجيه والإصلاح والجهاد في وقت واحد.

3.1 نشأة الزوايا بالمغرب العربي عامة والجزائر بالخصوص:

يرجع الفضل في نشأة الزوايا بالخصوص إلى حكمة شيوخها الذين أخذوا في حسبانهم البعد المكاني وهذا لتغطية المناطق المفتقرة إلى العلم والإرشاد، ففي السابق لم تعرف الزاوية كما هي عليه ففي البادئ ظهرت في المشرق العربي على شكل بيوت كانت ملحقة بالمساجد وكان يتردد عليها العباد والزهاد للإنزواء والخلوة فيها ثم تطورت وظهرت على شكل أبنية على أطراف المدن كمصليات صغيرة بدون محراب لإقامة الصلوات. أما في المغرب العربي فقد عرفت الزاوية تطورا بداية من القرن 13 ميلادي حيث أنشئت الزوايا هدف تنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها وعملت على تمسك شعوب المنطقة بدينها مما ساعد على صديها للغزاة على مر العصور فبدوءا بالبرتغاليين ثم الإسبان، ومن بعدهم الفرنسيين والإيطاليين، وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبئة أتباعها ومريديها ضد الغزاة الأجنبية.

أما في زمن الحرب فكانت تلك الزوايا الهدف منها القيام بأداء رسالتها الدينية الحضارية التعليمية والتربوية كانت مؤسسة من طرف مشايخ كاملين، ورجال متصوفين، وعلماء بالله عارفين قصدهم وجهه عز وجل لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا[1]، لقد انتشرت الزوايا بالمغرب العربي بعد القرن 13 ميلادي انتشارا واسعا فهي في المدن والقرى والأرياف، على قمم الجبال وفي أعماق الصحراء وعلى السواحل في الرباطات والمنارات حيث التجأ إليها وأقامها أناس نذروا أنفسهم لعبادة الله كانوا فيها حريصين على أمور المسلمين واتبعوا الحديث الشريف للرسول (ص) "عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله".

أما في الجزائر فلقد عرفت عددا هاما من الزوايا أدت دورها على أكما وجه وأحسن صورة وانتشرت انتشارا واضحا، سواء في الأرياف أو في المدن، وعمت كل جهات الوطن تقريبا خاصة الجهة الغربية والوسط، كما انتشرت في منطقة القبائل انتشارا كبيرا خصوصا بعد الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية لقد سجلت الزوايا القرآنية صفحة تاريخية مهمة في الجزائر وتاريخها السياسي والثقافي والديني يبث هذا على الدور العظيم الذي قدمته الزوايا في نشر الوعي الديني والثقافي في المجتمع الجزائري منذ نشأتها، فالجزائر لم تعرف الزوايا إلا بعد القرن الخامس الهجري، ومع مرور الزمن تطور أمر الزاوية وزادت أهميتها وخاصة خلال القرن العاشر الهجري بعد سقوط الأندلس وامتداد الأطماع الأوربية إلى السواحل الجزائرية.

إن أقدم زاوية تأسست في الجزائر هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن (06هـ- 13م) ثم انتشرت الزوايا عبر أنحاء البلاد خاصة خلال القرنين (08هـ 15م والقرن 09هـ

[1] تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1981، ص 89.

16م)، وكان لسقوط الأندلس والاحتلال الإسباني والفراغ الإداري واستيعاب السكان لتقبل أي حركة روحية إسلامية لكل ذلك أثر بالغ في انتشار الزوايا[1]، وفي القرن الثامن الهجري 08هـ 14م انتشرت الزوايا في المغرب وأنشأتها كتاتيب لتحفيظ القرآن وتعليم الدين ومبادئ العلوم، الأمر الذي أدى بملوك بني مرين إلى أن يطوروا الكتاتيب إلى مدارس وكليات ليساهموا في الحركة العلمية بجانب جامعة القيروان بفاس وغيرها من مدارس الزوايا في داخلها وخارجها.

لقد عرفت الزاوية في المغرب العربي بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القرآن والعلم، وبقية الزوار الذين يقصدوها للاستفتاء والإصلاح بين المتخاصمين، فلقد كانت مسجدا ومدرسة ومعهد للتعليم القرآني والديني ومأوى للطلبة يشيعون في تلك الزاوية بدون مقابل، وهي الطهر والتقوى والإصلاح، وهي زوايا الحماية الخلقية والحصانة الإيمانية، هي زوايا النصر، القوة والخير المستمر[2].

لقد كانت الزاوية تسمى بدار الضيوف، وقيل أيضا أنا عرفت بعد القرن الخامس (05هـ) وسميت في بادئ الأمر بدار الكرامة كالتي بناها الملك يعقوب المنصور الموجدي في مراكش[3]، بالإضافة إلى هذا فالزوايا كانت عبارة عن مكان يجد فيه المسلمين (المريدون) الفكرة الدينية التي من خصائصها الجهاد الدائم ضد الكفار (الفرنسيين) ونذكر من بينهم السنوسية في ليبيا ضد الإيطاليين، المهدية في السودان ضد الإنجليز، والتيجانية ضد الفرنسيين، والإنجليز في إفريقيا

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ج 4، مرجع سابق، ص 230

[2] نفس المرجع، ص 465

[3] الطاهر بوناني، التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، طبعة 2000، ص 123.

السوداء، وفي الجزائر حيث كانت القادرية تحت قيادة الأمير عبد القادر، والرحمانية تحت قيادة الشيخ الحداد وأولاد سيدي الشيخ في الجنوب الوهراني وغيرها[1].

إن الزوايا في الأرياف يعود تأسيسها إلى أتباع المرابطين ولقد أدت الزاوية في الريف دورا أكثر إيجابية منها في المدينة فكانت رباطات ونقاط أساسية ضد الأعداء فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية، وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد.

4. أنواع الزوايا في المجتمع الجزائري:

لمعرفة أنواع الزوايا اتبع الباحثون والكتاب عدة مؤشرات وذلك حسب الانتساب الذي تنتمي إليه هذه الزوايا وكذلك المكان أو الموقع الذي تقع فيه وكذلك حسب الأدوار والوظائف التي تقوم بها وهي كما يلي:

4.1 أنواع الزوايا من حيث الانتساب:

وتنقسم الزوايا من حيث الانتساب إلى:

أ. زوايا المرابطين:

فهي للطلبة ونشر العلم واستقبال الغرباء والبؤساء والمحرومين الذين يبحثون عن ملجأ أو هي مكان للزوار الذين يأتون لتقديم التبرعات والصدقات، كما أن زوايا هذا النوع ليس لها طريقة صوفية

[1] عبد القادر الشطي، السلفية الوفية، مذهب أهل الحق الصوفية، دار هومة، الجزائر، 2002، ص 310.

تتبعها ومريدين تابعين، فالمرابطون فيها يعملون دون مقابل على الرغم من فقرهم واحتياجاتهم[1]، فهي ملكية جماعية، فمواردها محبسة عن طلبات العلم فالمرابطون أحفاد المؤسس الأول للزاوية لا حق لهم أن يأخذوا شيئا من الأموال من زاوية جدهم والزكاة والصدقات والتبرعات والنذر والهبات سواء كانت نقود أو حيوانات هي للزاوية وحق لطلبة العلم والفقراء الذين يقصدون الزاوية، كما أن زوايا المرابطين ليس لها طريقة صوفية ولا مريدون كزوايا المشايخ.

ب. زوايا الطرق الصوفية:

وهي قد تكون زاوية الطريقة الأم أو فرع تابع لها وهي ملكية خاصة ونظامها يشبه النظام الملكي الوراثي، حيث يكون الشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر في كل شيء والطريقة لها مريدون وأتباع هم الذين يقومون بتموين الزاوية، أما في حالة وفاة الشيخ فالخلافة تكون عن طريق الوصاية التي يتركها الشيخ أو تختاره عائلة الشيخ وفق شروط خاصة.

ج. الزوايا المنسوبة:

وهي زوايا منسوبة إلى شخص ميت تقدسه العامة وتحيي ذكراه وهو مدفون بالزاوية وتنتسب إليه وفي هذه الحالة تأتي العامة إلى هذه الزاوية زائرة وطالبة للبركة لا للعلم والإحسان أي زيارة الأضرحة[2].

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، ص 272.

[2] مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة عن المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ع 02، ديسمبر، 2002، ص125.

د. زوايا الطلبة:

وهذا النموذج الوحيد من زوايا نجده في زاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي التي تقع في عرش إيلولة دائرة عزازقة ولاية تيزي وزو، وأسست عام 1635م، إن هذه الزاوية تختلف عما سبقها فطلبتها يتمتعون بالاستقلال التام في تسيير شؤون مؤسستهم فلا يتدخل أحد فيها، والطلبة وحدهم هم المسؤولون عن الزاوية وتدبير شؤونها داخليا وخارجيا، علميا واقتصاديا والزاوية بهذا الشكل تكون بعيدة عن أي نوع من الضغوطات أو التدخلات، فهي تسير من طرف طلبتها ولا تخضع لشيخ أو مرابط بل وحتى للشيخ الذي يعلم فيها، فالشيء الوحيد الذي يخضع له الجميع ويمتثلون له ولا يخالفونه إنما هو القانون أي قانون الزاوية أو ما يمكن أن يطلق عليه باسم اللائحة الداخلية للزاوية[1]

هـ. زوايا المشايخ:

وهذا النوع من الزوايا يعتبر ملكية خاصة لشيخ ويتصرف فيها كما يشاء وبعضهم يعيش هو وعائلته من موارد الزاوية ونظامها يشبه النظام الملكي الوراث، وصاحب هذه الزاوية يكون عادة صاحب طريقة، ويعرف عندنا بشيخ الطريقة الذي يعطي الأوراد أي الميثاق، وهذا الشيخ له أتباع ومريدون ويسمون الإخوان، والزاوية تقوم على أكتاف هؤلاء المريدون والمحسنين الذين هم يمولون الزاوية ويجمعون لها الزكاة والصدقات والتبرعات من الشعب، ويقدمونها للشيخ والشيخ هو المشرف والمسؤول المباشر على زاويته، وهو صاحب الحل والعقد، فلا حق لأي إنسان أن يتدخل في شؤون الزاوية من قريب أو من بعيد، فالأموال التي تدخل إلى الزاوية تذهب إلى الشيخ مباشرة يتصرف فيها بمعرفته فلا أحد يحاسبه عليها أو يراقبه، وهو الذي ينفق على الزاوية ويوفر للطلبة كل حاجاتهم

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، مرجع سابق، ص 268.

اللازمة، كما يدفع أجر الشيخ (أي المعلم)، وهو صاحب الزاوية هو الذي يعين المعلم أو يعزله حين يشاء وكذلك يعين المواد التي تدرس للطلبة[1]. وكل شيء يخضع للتقليد الزاوية فإذا مات الشيخ استخلف بأحد أفراد عائلته أخاه أو ابنه، إما عن طريق الوصاية أو تختاره العائلة وترشحه لمنصب الطريقة ويخلف الشيخ الراحل، وذلك حسب تقاليد الأسرة وعلى سبيل المثال نجد من زوايا المشايخ في الجزائر زاوية علي بن عمر بطولقة، زاوية الهامل القاسمية ببوسعادة وزاوية الحملاوي بقسنطينة وزاوية الشيخ بالكبير بأدرار.

4.2 أنواع الزوايا من حيث الموقع:

هناك من العلماء من يفرق بين نوعين من الزوايا وهي زوايا الأرياف وزوايا المدن وه كالآتي:

أ. زوايا الأرياف:

تكون مبنية حول قبر المرابط غير معروف كثيرا، ويوجد القبر في مكان تقطنه إحدى القبائل وفي هذا المكان أحفاد المرابط، وهذا المجتمع يطلق عليه زاوية وتكون لهذه الزاوية أوقاف كبيرة من أراضي وبساتين تطعم منها الفقراء والضيوف وحق الزاوية هو العشر (العشور) ومن العادة أن القائم على الزاوية هو حفيد المرابط ومن احتمى بها فهو أمن ومن مهامها التعليم ولا يقوم المرابطون ولا أحفادهم بالأعمال اليدوية لأنهم مختصون في التعليم وتربية الأطفال.

ب. زوايا المدن:

[1] أبو القاسم سعد الله تاريخ الجزائر الثقافي (1830 1954)، (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع)، مرجع سبق ذكره ص 26.

فالزاوية عبارة عن بناية كبيرة لإيواء المشردين والطلبة والعلماء الغرباء، وتتوفر فيها الإضاءة والماء وقد تصبح الزاوية مدرسة عليا إذ تخصص لها ويلحقها مدرس شهير لتدريس العلوم العالية وتحمل الزاوية اسم مؤسسها أو الحي الموجودة فيه. وأحيانا اسم مرابط التابعة له[1]

4.3 الزوايا من حيث الدور الذي تقدمه:

أ. زوايا العلم:

وهي من الزوايا التي أسست لممارسة النشاط التعليمي مثل الاعتناء بتحفيظ القرآن وتعليم الطلبة ما يلزمهم من العلوم اللغوية والشرعية والتاريخية والفلسفية ونشر القيم والفضائل الإسلامية، ومن هنا فالتعليم في هذه الزوايا وإن كان بسيطا مقصورا على الدين والأخلاق واللغة العربية فإن له أهمية كبيرة في تكوين شخصية الفرد المسلم، فالتربية هي أرضية التعليم والسلوك القويم لأهل طرق التربية، والتعليم لذلك حرص شيوخ هذا النوع من الزوايا كل الحرص على التعليم بسلوكهم أكثر من التعليم بأقوالهم كما عملت أيضا على إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية المختلف، وكانت أيضا بمثابة مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم، الفنون وذلك بفضل اهتمام شيوخها وأتباعها بالنسخ والنقل والتأليف والجمع ونشر الدين الإسلامي في الأماكن التي يصلون إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية[2].

ب. زوايا السحر:

[1] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1998، ص 30.

[2] صلاح مؤيد العقبي، المرجع السابق، ص 312.

وتتمثل في بعض الزوايا التي أدت الدور السلبي الذي يبدو جليا في تلك الأعمال التي تجري في معظمها من الرقص وما يتبعه من التصفيق وضرب الدفوف واللعب بالنار والبدع التي أحدثتها ومازالت تحدثها في الدين، وهذا الجانب هو الجانب المعيب فيها هذا النوع من الزوايا هو الذي جلب إلى الزوايا الصالحة الأذى والتجني عليها فأصبح في ذهن الكثير من عموم الشعب أن لفظة زاوية تعني مزيجا من الرهبانية، ومن فلكلور مكن الأجهزة والشخصيات ومن سحر وشعوذة لا طائل من ورائها سوى شد الإنسان إلى الوراء[1]، ومن الأمور السلبية أيضا احترام الخلافات والخصومات بين بعض شيوخ هذه الزوايا وفي الزاوية نفسها حول بعض القضايا الهامشية وفي بعض الأحيان في أغراض شخصية حول النفوذ والمكانة الاجتماعية وامتداد هذا الخلاف إلى الأتباع والمريدين، بالإضافة إلى استسلام وتواطؤ بعض شيوخ الزوايا.

5. وظائف الزوايا:

إنَّ الزاوية كأي مؤسسة في المجتمع قيامها في الأساس ناتج لتغطية حاجات اجتماعية معينة هذه الحاجات التي تتبلور في شكل وظائف ترى الزاوية أن عليها تأديتها اتجاه المجتمع عموما والأفراد المقبلين إليها خصوصا هذه الوظائف التي تتمثل فيما يلي:

5.1 الوظيفة الدينية:

تعد الوظيفة الدينية في الزوايا من الوظائف المحورية لها فقد "بلورة الزوايا حياة دينية جماعية منظمة بإحكام وشكلا من التقوى المنهجية الرامية إلى الخلاص المستقبلي ... فلطالما كانت الزوايا أماكن سامية للروحانيات الإسلامية وقد ساهمت في إشاعة إحساس ديني قوي من باب الحرص

[1] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، مرجع سابق، ص 106.

الدائم على السمو الأخلاقي في الأوساط الإسلامية"[1]، فالتعبد الجماعي في الزوايا وفق منهجية دينية معينة يعد صور من الصور الاجتماعية التي يخلقها الدين، ودور الدين في تحقيق الالتفاف والتماسك الديني الاجتماعي.

5.2 الوظيفة الاجتماعية:

من المشهور عن الزوايا تبنيها للجانب الاجتماعي بأساليب مختلفة "فقد اضطلعت الزوايا الجزائرية مثلا بدور اجتماعي لا يستهان به ... فقد كان بعض المرابطين بمثابة بركة بالنسبة لقبيلتهم أو دوارهم في فترة كانت فيها الساكنة الإسلامية للأرياف غير مسيرة كما ينبغي، وعرضة لتعسف الأقوياء اللذين سعت الزوايا إلى تلقينهم مبادئ الأخلاق الاجتماعية الضرورية القائمة على احترام الكبير وإكرام الغريب، وحب المساواة وغيره"[2]، وبهذا نجد الزاوية تساهم في خلق الكمون الاجتماعي واستقرار الناحية ببثها قيم تكرس ذلك الاستقرار وتلغي تجبر الأقوياء، ونسب الجميع للزاوية فتصبح سلطتهم موحدة، كما تسعى الزوايا أيضا إلى حفظ المجتمع من العديد من الآفات الاجتماعية الحاصلة نتيجة الفقر والعوز وذلك باحتضان هؤلاء المتشردين واللذين لا مأوى لهم ومساعدتهم بما يحتاجونه وما لطاقة الزاوية تقديمه لهم، وكذا المساهمة أحيانا في ممارسات اجتماعية أخرى كالزواج الجماعي لمن لا يستطيعون نتيجة فاقتهم، كما قد يحقق الفرد المنتمي للزاوية نوع من المكانة الاجتماعية نابعة من نظرة التقديس التي يعطيها المجتمع للمنتمي للزاوية خاصة في مجال الأوساط الشعبوية لأنه بمنظورهم عارف بالعلم الشرعي، وبالتالي كلامه بتعبيرهم موزون ويستحق الاستجابة له خاصة إن كان من

[1] علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ترجمة محمد يحيان، دار الحكمة، ج 6، ط 9، الجزائر، 1999، ص 26

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 321.

مشايخ الزاوية ذاتهم، كما يكون له الأولوية لزواج بناتهم لامتلاكه سمعة المنتمي أو المتخرج من الزاوية فهو تقي وعارف لأمور دينه من منظورهم، "كما قد دأبت الزوايا أيضا على التصدي لكل ما من شأنه أن يصدع وحدة الجماعة ولذلك تراها سباقة إلى القيام بعملية الصلح وفض الخصومات والنزاعات الحادثة بين الأفراد أو الفئات الاجتماعية ... فيذهب شيخ الزاوية ومن يرافقه من ذوي الجاه المقبولين لدى المتخاصمين لمحاولة الصلح، وعادة عمليات الصلح تتوج بنتائج إيجابية تضمن استمرار وحدة المجتمع واستقراره بفضل ما يتمتع به شيوخ الزوايا من احترام وتبجيل لدى المواطنين"[1]، فالوظائف الاجتماعية للزوايا متعددة وهامة في ذات الوقت، وقد تخال أحيانا أنّه لا يمكن لأي مؤسسة القيام بها بأكثر فاعلية من الزاوية ذاتها، وهذا راجع لمكانتها والاعتقادات التقديسية أحيانا التي تحوم حولها.

5.3 الوظيفة التربوية والتعليمية:

فالزاوية مؤسسة تربوية تعليمية بلا منازع سواء في هيكلتها التي تضم قاعات خاصة بالتدريس، أو في مواردها البشرية التي تضم طلاب وشيوخ للتدريس أو حتى في برامجها التي تركز على حفظ الكتاب والسنة وعلوم الشريعة عموما، وتعد التربية الدينية والتوجه القرآني من أولى اهتمامات الزوايا في العملية التربوية، وذلك بغرض عدل السلوك... وتحقيق استقرار نفوس المراهقين وتهذيبهم بالقيم القرآنية الأمر الذي سينعكس على تصرفهم اليومي... كما أنّه في المجال التعليمي أيضا نجد أن التربية المدنية أخذت قسطا وافرا من التكوين في الزوايا فالطالب يسير على نظام داخل الزاوية مضبوط جدا بجملة من القوانين كاحترام الوقت والمواعيد، وأداء الفرائض، وسنحاول تقديم الخدمات

[1] بن زيطة أحميدة، شيخ الطريق ومتى يكون له أثر في المجتمع، الملتقى الأول بعنوان الزوايا بين تأكيد الأصالة ومطالب المعاصرة ولاية أدرار، ماي 2000.

داخل الزاوية وغرس قيم العمل التطوعي وغيرها التفصيل أكثر في الجانب التعليمي للزوايا في العنصر اللاحق.

5.4 الوظيفة الجهادية:

إن استقلال الجزائر مدين للزوايا في هذا الصوب، فكثيرا ما فقد كان للزوايا وظائف أساسية في هذا المجال أي "كانت تتبنى ثورات ضد المستدمر مجال الجهاد منها أنّها أصبحت ملجأ للفقراء والمضطهدين ... كما كانت تقوم بتعبئتهم وتحفيزهم إيديولوجيا الأمر الذي جعل منها باعثة للصبر والأمل، ومحركاً للعديد من التمردات والثورات، وهي بذلك حافظت على التراث والثقافة العربية الإسلامية بالتحول إلى مراكز ثقافية ومعاهد علمية".[1]، وقد انتهت هذه الوظيفة بأخذ الجزائر لاستقلالها وأصبح التركيز على الوظائف الأخرى السابقة الذكر أعلاه.

6. النظام التعليمي في الزوايا:

تعتبر الزاوية كمؤسسة تربوية دينية لها مدخلاتها من المورد البشري (الطلاب) الذين يمرون بمسار تعليمي خاص بها، والذي يختلف في كثير من الجزئيات عن التعليم فالعملية التعليمية في الزوايا قائمة على تعليم القرآن الكريم بحفظه واستظهاره النظامي عن ظهر قلب، ويقوم الطالب بحفظه بطريقة عكسية من البقرة إلى سورة الناس، ويستظهر الطالب لوحته على معلمه يوميا، ويخضع لامتحانات متعددة وتطبيقات مختلفة، أهمها تكرار السورة والحزب في نهاية الأسبوع، هذه الوظيفة التي عملت على نشر وتثبيت حفظ القرآن.

[1] . محمد مكحلي، مرجع سبق ذكره، ص 277.

بالإضافة إلى هذا يتم تدريس السنة بتدارس الأحاديث النبوية، كما يخصص جزء من برنامج دراسة الطالب لسرد وشرح صحيح الإمام البخاري، والموطأ للإمام مالك، وأخذ دراسات فقهية باستظهار بعض المتون كمتن ابن عاشر وسهل المسالك وتحفة الحكام ... وغيرها؛ أما عن علم التوحيد فيقوم الطالب بحفظ المتون المتعلقة بذلك كمتن السنوسية والأكيد أنّه إضافة لكل هذا لابد للطالب من أن يأخذ دروس في قواعد اللغة العربية بتعليم النحو والصرف ليسهل على الطالب فهم القرآن الكريم[1] باعتبار الزوايا المؤسسة التعليمية الوحيدة التي تقوم بتدريس الطلبة من المرحلة الابتدائية غالبا حتى المرحلة العالية فقد كان يتم تقسيمهم إلى مجموعات وكل مجموعة بها ثلاث فئات:

المجموعة الأولى: تضم فئة المبتدئين من ختم سورة البقرة، وفئة المتوسطين من ختم البقرة وشرع في الإعادة، وفئة المنتهين من ختم القرآن كله، وبقي له الرواية والتجويد.

المجموعة الثانية: فتضم كل من فئة الأجرومية ومتن ابن عاشر، وفئة القطر والرسالة وفئة الألفية، نجد من ذلك أن الزوايا تعتمد في **المواد التدريسية** على مادة حفظ القرآن ومادة اللغة العربية، ومادة الدراسات الفقهية وكذا علم التوحيد، أما في **الوسائل التعليمية** فهي تعتمد على الوسائل البسيطة كاللوح مثلا، أما **الأساليب التدريسية** فهي تختلف باختلاف المادة كأسلوب النقاش أو الاسترجاع عند حفظ القرآن وغيرها مما يلائم خصوصية المادة المدرسة.

ومن ذلك فالزوايا ببعدها التعليمي تحقق نقاط مهمة منها:

- احتضان التلاميذ الملفوظين من المنظومة التربوية.
- المحافظة على التراث العلمي وذلك بصيانة المكتبات وما تتضمن من مخطوطات ثمينة.

[1] بن زيطة أحميدة، مرجع سبق ذكره.

- تزويد المعاهد الدينية التابعة لوزارة الشؤون الدينية بالطلبة.
- نشر الثقافة العربية الإسلامية وذلك من خلال تركيز التدريس على المجال الديني واللغة العربية.

كما أننا نجد أن هناك من لا يرى في طريقة التعليم في الزوايا أي جدوى فالتعليم فيها الزاوية لا يزال على الأسلوب القديم من الابتداء بحفظ القرآن الكريم ثم المتون والانتقال بعد ذلك إلى دراسة الفقه والنحو والصرف إلى آخره على طريقة لا تؤهل الطالب للبحث والاستنتاج والتصرف فيما يتعلم، بل نجده يتلقى كل شيء بالتسليم أعني ما لا ينبغي التسليم فيه لمصادمته للعلم الصحيح[1]

وهذا ربما ما نؤيده بدورنا لأن التعليم المبني على فلسفة الحفظ لذات الحفظ والتسليم المطلق لكل ما يقرأ ويقال ويسمع فيه نوع من السلبية الظاهرة، الأمر الذي قد يوجِد الطلاب في حالة من الخنوع و اللافاعلية الأمر الذي لا يتقبل في عصر دينامكي متسارع لا يجد فيه الطالب المسلِّم الخانع مكاناً، خاصة عند الحديث عن التسليم بالأمور الذي يشك فيها العقل المنطقي لدى الإنسان كفكرة الكرامة مثلا المبالغ فيها وممارسات تقديس الولي المبالغ فيها أيضا وغيرها من الممارسات الأخرى الأمر الذي يساهم في إخراج منتوج تربوي مشبع بالسلبية.

كما يظهر تأخر التعليم جليا في الزوايا عندما نقارنه مثلا بالتعليم في المدارس النظامية الحديثة ففي الزوايا نجد التعليم قاصرا على كتاب أو كتابين من كتب الفقه يحفظهما طلابها حفظا بمتنها وشرحها وحواشيها وفائدة ذلك أنك إذا سألت أحدهم في مسألة من المسائل أجابك بتلاوة نصها بالحرف متنا وشرحا وحاشية من دون فهم لحقيقة المسألة أصلا ... فالهدف يجب أن يكون هو

[1] تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد ابن باديس، منشورات ANEP، الجزائر، 2001، ص 381.

تكوين ملكة الفهم والاستنتاج والنقد والتعليل والاستدلال في الطالب حتى يكون لشخصيته تكوينا فكريا مستقلا ولا يتلقى كل شيء فيما يلقى إليه بالقبول والتسليم بدون إعمال فكره وعقله[1]، فالتعليم في الزوايا له خصوصيته واختلافاته عن المدارس النظامية ولكن جودة التعليم والانفتاح مطلوب من كليهما فلا تعارض بين الدين وتحديث منطق الزوايا سواء في الوسائل أو الفكر أو حتى المراجع. أما منهاج الدراسة في الزوايا خلال العهد العثماني فلا يختلف عن بقية المؤسسات التعليمية الأخرى، فكلها كانت تدرس القرآن الكريم، الحديث، النحو، اللغة، الفقه، التوحيد، الفلك، الحساب... حيث يتعلم الطفل في المرحلة الأولى، حفظ القرآن، وتعلم الحروف الهجائية، عن طريق الكتابة في الألواح المصلصلة والقلم القصبي، اعتمادا على المداد المستخرج من صوف الضأن بعد حرقه، وبعدما يتلقى الطالب تعليمة الابتدائي يمكنه أن يبقى لإكمال تعليمه العالي ما بين 03 إلى 6 سنوات، حسب رغبة الطالب في البقاء لنيل المزيد من المعارف التي تقدم بالزوايا التي بها معاهد عليا، أو يتوجه للمساجد الكبرى، حيث كان يقدر عدد الطلبة في التعليم الثانوي والعالي ما بين 600 إلى 800 طالب من كل بايلك[2]، ففي مرحلة التعليم الثانوي والعالي كان التعليم يرتكز على الشرح والإملاء، فكل مدرس له "مسمع" يقرأ له نصا أو جزءا من الكتاب المراد دراسته، ثم يقوم بشرحه في جلسة واحدة أو عدة جلسات يختم ذلك بإملاء ملخصات على الطلبة الذين يقومون بتسجيلها، خاصة إذا كان واسع العلم، وبهذا يكونوا قد أسهموا في حركة التأليف المنتشرة آنذاك[3]، فأثناء الدرس كان الطلبة يجتمعون في حلقة حول شيخهم، الذي يقوم بالشرح والإملاء وطرح بعض الأسئلة على الطلبة، كما يتلقى هو

[1] نفس المرجع، ص 382.

[2] محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح وتقديم محمد بن عبد الكريم، ط 2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1981 م، ص 58.

[3] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي...، ج 6، ص345.

بعض الأسئلة من الطلبة بعد انتهاء الدرس، فالتعليم في هذه المرحلة يقوم على الحفظ واستظهار المتون نظما وشعرا، إضافة إلى تدريب الطلاب على الفهم والبحث والمناقشة، وهي طريقة تعليمية أرصاها "أبو عبد الله الشريف التلمساني" في القرن 14 م، ليتوارثها العلماء بعده جيلا بعد جيل لهذا نجد الجزائريين يعيبون على طلبة فاس اعتمادهم على الحفظ والنقل وعزوفهم عن إعمال العقل وتدريبه[1]، وهذا التعليم العالي يسمح للطلبة المتخرجين من هذه المؤسسات بفتح مدارس وتعليم الأطفال الصغار أو تدريس القرآن بالمساجد أو العمل كخوجات أو مؤدب، وهذا بعد حصولهم على إجازة من الأستاذ تثبت إكمالهم لدراستهم، وهذا القدر من العلم والمعرفة التي يحصل عليها الطلبة تمكن بعضهم من مواصلة مهمة نشر الدين والعلم في قراهم، ومناطق سكناهم، مثل زاوية سيدي علي بن يحي التي تخرج منها العديد من الطلبة والعلماء الذين قاموا بدورهم بنشر التعليم استكمالاً لرسالة الزاوية[2].

7. الدور الديني للزوايا:

عملت الزوايا في العهد العثماني على أن تأخذ على عاتقها تعليم الناس ونشر الوعي الديني بينهم، وسد حاجة السكان في تعليم أبنائهم في ظل غياب السلطة، التي لم تهتم بالتعليم والتوجيه خاصة في الريف، لأن سياستها مع الأهالي كانت سلبية ارتكزت على جباية الضرائب فقط، فحسب "الفيلالي" فإدارتها كانت إدارة استهلاك لا إدارة إنتاج"، لهذا عمل القائمون على الزوايا خاصة المرابطين، على ملء الفراغ السياسي والثقافي في المجتمع الذي عاش في عزلة عن الحكومة التركية، بالرغم من ثقل كاهل سكان الأرياف بالهدايا والعطايا المقدمة للمرابطين إلا أنهم كانوا بمثابة البديل

[1] العيد مسعود، "حركة التعليم في الجزائر خلال العهد العثماني"، **سرتا**، العدد 18، 1980 م، ص 66.

[2] Daumas(E), Moeurs et Coutumes de l'Algérie, Intrd. Abd-delkader djeghloul, Ed. ENEP, Alger, 2006, p 209.

لهم عن العثمانيين في التعليم والتوجيه، لقد كانت هذه الزوايا مقصدا للعديد من الطلبة، فزاوية سيدي التواتي ببجاية كان يدرس بها نحو 211 طالب، وهي تعد مركزا لتخريج القضاة والعلماء لكامل البلاد، في حين زاوية جماعة السحاريج، ببلاد القبائل والتي لازالت قائمة إلى يومنا هذا، كان يدرس بها 500 طالب وتقوم بالإنفاق عليهم كلهم، وزاوية نقاوس فهي تنفق على 200 طالب[1]، أما زاوية سيدي منصور فقد كان يقصدها من 100 إلى 150 طالب، في حين زاوية سيدي عبد الرحمن اليلولي، والتي تميزت بمستوى تعليمي عالي كان يدرس بها 125 طالبا ويد رس بها 25 مدرسا، أما زاوية أسرة المجاجي أبهلولبتنس كان يقيم بها نحو 811 طالب ويدرسون مختلف العلوم الدينية من فقه وحديث تفسير وعلوم اللغة[2].

والملاحظ أيضا أن الزوايا المشهورة خاصة ذات التعليم العالي، والتي كانت تستقبل الطلبة لاستكمال دراستهم العليا، كان يقصدها الطلبة حتى من تونس، طرابلس، مصر، المغرب مقابل 8 بوجو ونصف، طول فترة مكوثهم بها.[3] فزاوية سيدي محمد بن أبهلول المجاجي بتنس، كانت تستقطب الطلبة الراغبين في المزيد من المعارف حتى من خارج مجالها الجغرافي، مثل سعيد قدورة الذي ارتحل من مدينة الجزائر للدراسة بها، وكما أنها كانت مقصدا للطلبة من مصر وتونس، وهو ما جعل "رين" يشبهها بجامعات أوربا في العصور الوسطى[4]، فهذه الزوايا كانت الإطار العام للحياة الثقافية بالريف،

---

[1] Dr SHAW, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2ème ed. Bouslama, Tunis, 0222, p350 et 393.

[2] عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2007 م، ص 342

[3] Daumas, Moeurs et Coutumes, pp 207,208.

[4] Rinn Louis, Marabouts et Khouans, 2tude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Alger, 1884, p18.

حيث فتحت أبواب العلم والمعرفة للطلبة وأنفقت عليهم بسخاء، وهذا بعد تحول زوايا المرابطين الجهادية الأربطة إلى مراكز للتعليم، فكانت المباني جاهزة، ولم تتطلب حركة التعليم إلا جلب الطلبة إليها فقط، وأن تقدم لهما في العلوم الدينية واللغوية وتحفيظ القرآن والحساب، تعليم لذلك كان التعليم الابتدائي خاصة منتشر في كل دوار أو قرية، وفي هذه الزوايا كان الطالب يستفيد من المبيت طول فترة دراسته،[1] فمثلاً مدينة الجزائر كان بها 06 زوايا، منها 05 مخصصة لإقامة الطلبة الوافدون وواحدة للطلبة المقيمين بالمدينة، أما بقسنطينة فقد وفرت زواياها 16 المبيت للطلبة الذين كان من سكان الأقاليم البعيدة[2]، فبفضل مؤسسة الزوايا، سواء بالريف أو المدينة انتشرت المعارف والثقافة الدينية، مما حدَّ من انتشار الأمية، كما ساهمت في تخريج عدد من الكتاب والفقهاء الذين تولوا الخطط الدينية والعلمية كما أن أغلب علماء الجزائر في العهد العثماني تخرجوا من الزوايا مثل سعيد قدورة، أبوراس الناصري، الأمير عبد القادر، محمد بن علي السنوسي....[3]

فالزوايا وخاصة زوايا المرابطين ومنذ القرن 16م حتى القرن 18م، كانت أداة لتعميق الشعور الإسلامي في المناطق الجبلية، التي ظلت بعيدة عن تأثير الفقهاء وفتاويهم، فقد كانت الملجأ المعنوي والروحي والمؤطر الأساسي للسكان، وعامل لنشر المعارف وغرس تعاليم الدين وتعميق الحس الديني في المجتمع الريفي، أين عمل مرابطوها على إدخال القبائل إلى الإسلام وتعليمهم مكارم الأخلاق.[4]، أما زوايا الطرق الصوفية كالقادرية والرحمانية، فقد أعطت أهمية كبيرة لنشر التعليم، فهذه الأخيرة ربطت بين التربية الروحية والتعليمية، لهذا نجد كل شيوخها من العلماء، فهي تدرس العلوم الشرعية

---

[1] Saidouni, Op. Cit, p 317.

[2] سعد الله، محاضرات...، ص 164.

[3] العيد مسعود، المرجع السابق، ص 63.

[4] Gsel S. Marçais. G et G. Yver, Histoire d'Algérie, Bovin, Paris, 1927, p 175.

إضافة إلى تعاليم الطريقة، وقد تخرج على يد مؤسسها محمد بن عبد الرحمن الكثير من العلماء، فزوايا هذه الطرق، وإضافة إلى التعليم عملت على تزويد المريدين أو الإخوان بالشعائر الدينية والأوراد التي تمكنهم من الإرتقاء إلى السعادة في الدنيا والآخرة، وكغيرها من زوايا المرابطين عملت على ربط المعارف بالتربية الروحية، حيث يكسب الطالب الصبر وقهر الغرائز والترفع عن الماديات، واحترام الناس والتضحية في سبيل الجماعة[1]، وتهذيب سلوكهم وتربيتهم على احترام الوقت والمواعيد وأداء الفرائض، وتقديم الخدمات داخل الزاوية خارج أوقات الدراسة.

إن بعض الطرق الصوفية المرتبطة بالأوساط التجارية كانت القوة الدافعة للتطور الثقافي داخل حلقات: " وحسب كوثراني وأن وجود شبكات من الطرق الصوفية عبر المراكز التجارية في العالم الإسلامي سهل من التبادل الفكري في المساجد وخارجها وتطوره، وتحفيظ القرآن ونشر الإسلام وترسيخه بين مختلف الطبقات الاجتماعية، وحتى في المناطق النائية، بين الجماعات البربرية، وتقريب عناصرها مشكلة وحدة متكاملة، وبالإضافة إلى هذا كانت زوايا هذه الطرق مخازن للكتب والمخططات في مختلف العلوم، وهذا راجع إلى اهتمام شيوخها وطلابها بالتعلم، والنسخ والنقل للكتب والجمع والشراء، رغم أن الكثير منها ضاع أو سرب إلى أوربا بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر"[2].

إضافة إلى الدور الداخلي الذي لعبته هذه الطرق فإنّنا نجد أنّها كانت عامل مهم في نشر الإسلام، حيث ظهر شيوخها كدعاة وحاملي الإسلام والدعوة المحمدية في قلب الغابات الاستوائية، لإفريقيا

[1] مريوش وآخرون، الحياة الثقافية في الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 م، الجزائر، 2007 م، ص 173.

[2] كوثراني وجيه، السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام، ط 6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1988 م، ص 38.

جنوب الصحراء تمبكتو، السودان الشرقي والغربي، السينغال، النيجر، الغابون[1]، خاصة الطريقة التيجانية التي عملت على نشر الإسلام في هذه المناطق النائية التي لم ينلها الإسلام في العهود السابقة، انطلاقاً من القوافل التجارية، أما الطريقة القادرية فقد وصلت هي الأخرى حتى غرب إفريقيا السوداء، عن طريق القوافل التجارية الصحراوية، المنطلقة من مدن الشمال الإفريقي، والتي كانت تضم دعاة ووعاظ وعلماء متصوفة عملوا على نشر الإسلام ومحاربة الوثنية[2]، وبهذا فالزوايا وإضافة إلى بقية المؤسسات التعليمية الأخرى من مساجد ومدارس وكتاتيب، ومن خلال نشرها للمعارف والثقافة الدينية ساهمت في الحدّ من ظاهرة الأمية، وهو ما جعل الفرنسيين يجمعون عند احتلالهم للجزائر على انتشار التعليم بها خاصة التعليم الابتدائي.

في الأخير ما يمكن أن نشير إليه هو أنّه ورغم الدور الإيجابي الذي لعبته الزوايا، من تحفيظ للقرآن وتعليم اللغة العربية ونشر الإسلام في المناطق النائية، وعمل القائمين عليها بدور الشرطة والقاضي بالمجتمع وإنهاء الخلافات بين أفراد المجتمع، ومحاربتها السلطة المستبدة داخليا وخارجيا، ومساعدتها للناس أيام الأزمات، إلا أنّ اعتمادها على المناهج التقليدية في التعليم خلّف جموداً فكريا وركودا ذهنيا، وانتشارا كبيرا للدروشة والخرافات بين أتباعها وبين الناس ذوي الأفق الفكري الضيق مما أعجزهم عن فهم التطور والإصلاح القائم في بلدان المشرق الإسلامي، ذلك أنّهم كانوا يرجعون كل الأمراض إلى الجن، وعليه يجب إيجاد الدواء عن طريق التعويذات، كما أنّ المنافسة بين العالم والمرابط أو بين الجامع والزاوية أجبرت علماء المساجد والمدارس على أنّه عندما كانت شمس المعرفة في أوروبا تطل من وراء السحاب، كانت تبسيط آرائهم وطرقهم في التعليم، لذلك لا نستغرب المعرفة

[1] مريوش وآخرون، المرجع السابق، ص 169.

[2] بوعزيز، موضوعات وقضايا، مرجع سابق، ص 447.

في الجزائر تفر غاربة وسط ضباب كثيف فالاعتقاد المبالغ فيه في الشيخ وانتشار الزوايا والأضرحة، أدت إلى تبسيط المعرفة وغلق باب الاجتهاد، هذا أدى إلى الاكتفاء بالحد الأدنى من التعليم بطريقة تقليدية جافة وضيقة، فبدل أن يلتف الناس حول العلماء المتنورين في المدارس والمساجد أصبحوا يلتفون في الزاوية حول الشيخ أو المقدم الذي تغلب على فكر غالبيتهم الخرافة، وعلى أحوالهم التصوف البدعي، وهو ما كان سببا في تدهور مستوى التعليم، وأصبحت أغلب الزاويا بذلك تتنافس في كسب الأتباع، فمسألة النفوذ والزعامة وكسب الأتباع كانت إحدى نقاط الخلاف بين أهل الزوايا من صوفية ومرابطين، وهو ما دفع "الفكون" للقول عنهم: "كانوا يبعثون أصحابهم في البلاد فيدعون الناس لإتباعهم...وصاروا يتغايرون تغاير الضرائر ويشتمون بعضهم بعضا، وترى كل فريق مبغض للفريق الآخر، فلا تجد منهم موادا لصاحبه ولا محبا لجانبه، يتضاربون ويتشاتمون، كل عصابة وأتباع منها ما حدث بين محمد الحاج الصحراوي ... مع العصابة الأخرى، أما الرؤساء فيكفر بعضهم بعضا ويلعن يعضهم بعضا وقاسم بن أم هاني من شتم وقدح في ورع بعضهما، واتخاذ كل منهم فريقا[1]، وعلى الرغم من أن مؤسسي الطرق يعلنون إتباعهم لكتاب الله، إلاّ أنهم لا يتوانون في نشر تعاليم خاصة بهم كثيرا ما انحرفت عن الدين، حتى وصل ببعضهم إلى استغلال العامة واتخاذ التصوف وسيلة للرشوة والفساد، أو وسيلة لإقامة الحضرة ونشر البدعة[2]، والكسب والاسترزاق من خلال ممارسات وطقوس الطريقة، فمثلا الشيخ بوعكاز بقسنطينة كان يقول لزائريه أتى بلا شيء يمشي بلا شيء وهذا عكس ما كانت عليه الطرق الرئيسية الأم، فهذه الطرق التي تفرعت جل رجالها

[1] عبد الكريم بن الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وتع. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987 م، ص 148.

[2] سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ص 485.

أميون ينحدرون من أوساط شعبية نادرا ما اهتم أعضاؤها بالعلم، خاصة في وقت كان هذا الأخير لا يسمن ولا يغني من جوع، لذلك اعتمدوا على السحر والشعوذة والخرافة لاستدراج الناس[1]، خاصة الطرق الكبرى منها ذات النفوذ الواسع، التي عملت على نسج شبكات حقيقية عن طريق الإخوان، لنشر طقوسها والترويج لمعارفها، حيث ترسلهم للمناطق البعيدة من أجل كسب الأتباع لهذا فإن انحرف التصوف عن علوم الدين، وانحصاره في الأذكار والأوراد والاعتقاد في المرابط، وتقديس الأولياء حد العبادة، وجعل تكريم أضرحة المرابطين ذو أبعاد لا متناهية في الأوساط الاجتماعية، حيث غدت القبور التي تضم رفاة مؤسسي الزوايا مزارا، كما أصبحت إطارا للعمل الديني والفكري، وهذا كله يرجع إلى انعدام الوعي الاجتماعي والفكري أو نقصه لدى العامة، مما فسح المجال للزوايا والقائمين على الأضرحة في خداع الناس بكرامات مصطنعة تتبع الأولياء لأضرحتهم كما كانت تنسب لهم في حياتهم عن حق أو باطل،[2] بفضل البركة التي يملكونها، مثال ذلك أن للولي القدرة على معرفة الغيب وعلى الإشفاء من الأمراض، وعلى النفع والضر، ومنح الحماية للأشخاص في حياته ومماته فهؤلاء المرابطون أو الصوفية هم من شهر بالمقامات والقبور والاعتقادات حتى في الطبيعة كالأشجار وتقديم الوعائد والقرابين وبيع الشموع المباركة، واستعمال السحر والطلاسم والتمائم، وكل هذا من الانحرافات التي حاربها الرسول صلى الله عليه وسلم[3]، لهذا انغمسوا في التصوف البدعي الخرافي، واكتفت زواياهم بالتقليد وحصر المريد في علوم الطريقة، وما يقدمه الشيخ من أوراد، عقب كل صلاة أو في الخلوات حتى لقبوا "بالطرقيين"، لأن كل طريقة اتخذت لنفسها أورادا وطقوسا خاصة

[1] عمار هلال، الطرق الصوفية، مرجع سابق، ص 97-98.

[2] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ط 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1985م ج 3، ص 545-546.

[3] إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ط 1، دار الرشاد الحديثة، مرجع سابق، ص 548.

فرضتها على أتباعها، كالحضرة عند العلوية وحلقة البندير والسكاكين عند العيساوية والعمارية إن انحراف بعض الزوايا عن المسار الصحيح والنهج القويم، الذي أسست لأجله أثّرت سلبيا على المجتمع وساهمت في تخلفه، رغم ما قدمته له من أعمال جليلة في جميع المجالات، وهذا بسبب طموح مؤسسيها وأحفادهم من أجل الزعامة، وحب الذات وتسخير المريدين والأتباع لخدمة الشيخ حتى صاروا عبيدا عندهم، حيث يجد الطلبة أنفسهم مجبرين على خدمة الزاوية وإن خالف طالب ذلك عرض نفسه للعقاب ويعد مروقا عن الدين ويحرم من البركة، وهذا ما جعل الطالب في بعض الزوايا يفني عمره في حفظ القرآن الكريم دون تدبره، ولا يسمح له بحضور دروس الفقه حتى يصير عمره أكثر من 30 سنة، وأحيانا يصل حتى الكهولة ويعود إلى بلده، وهذا كله يعود في الغالب إلى سوء تصرف الخلف الأبناء والأحفاد وابتعادهم عن الهدف الأساسي الذي أسست لأجله الزاوية، فعوض أن يعملوا على نشر الدين والعلم حسب تطورات العصر، نجدهم تشبثوا بالتقليد ونشروا البدع وممارسات لا تمت للدين بصلة، حتى يسيطروا على الأذهان، وليحافظوا على امتيازاتهم ومكانتهم، وهذا كله يعود إلى ضعف الوازع الديني والرصيد العلمي لديهم، وهو ما أثر سلبا على التعليم في الجزائر.

8. دور الزوايا والطرق الصوفية في الجزائر:

1.8 دور الزوايا أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر:

كانت الزوايا إحدى أهم النقاط التي انشغل بها الاستعمار الفرنسي نتيجة الدور الوطني الذي كانت هذه المؤسسات تلعبه قبل وخلال الثورة التحريرية فعلاوة على كونها تلقن تعاليم الدين الإسلامي فإن أئمتها آنذاك كانوا حلقة مهمة في ثورتهم ضد المستعمر وذلك بإعداد الطلبة لخدمة القضية

الوطنية حيث التحق العديد من طلبة الزوايا بصفوف الثوار وأمام هذا الدور الكبير للزوايا لم يتردد الاستعمار في تدمير أغلبيتها وغلق عدد آخر منها وتحويل عدد أخر إلى ثكنات عسكرية تابعة للجيش الفرنسي كما ذاق لمشايخ الزوايا أقسى أنواع التعذيب ووصل الأمر إلى إعدام بعضهم ورغم ذلك لم يستطع الحد من نشاطها مما جعل الأبواب مغلقة في وجهه والطرق مسدودة أمامه ولم يجد منفذ يتسرب منه إلى داخل الأمة المعتصمة بالقرآن، والمتمسكة بالإسلام وفكره مرة أخرى كعادته في ضرب زاوية القرآن والثقافة الإسلامية وعمل على طمسها وتشويه سمعتها، ثم القضاء عليها بطرق الحيل والدس والمكر والخداع فاستولى أولا على أموال الأوقاف والأحباس وقطع عنها كل موارد الرزق وجميع المساعدات ضنا منه أنه هذه الطريقة سيقضي عليها، ومن جهة أخرى استعمل أساليب الترغيب لكسب ودها والتحكم فيها فأصدر مرسوم في 12 يونيو 1906م يقضي بصرف منحة تشجيعية شهرية قدرها 300 فرنك قديم لكل شيخ زاوية أو كتاب يأمر طلابه بتخصيص ساعتين لتعليم اللغة الفرنسية، ورغم الظروف الصعبة لم يتقدم أي شخص للاستفادة، وبالتالي ولد المرسوم ميت بلا شك ولأنه أدرك مدى خطورة هذه المؤسسات ومدى أهميتها في حالة استغلالها أمرت السلطات الفرنسية بجمع كل المعلومات عن المدارس القرآنية التي تثبت مذاهب دينية ومواقف سياسية وعن المشايخ الذين يتولون التدريس فيها ومعرفة أصولهم ومواردهم ومدى نفوذهم وعلاقتهم بمشايخهم وانتشارهم الجغرافي، ورغم ذلك فإن معظم الثورات والانتفاضات الشعبية كانت تنطلق من هذه الزوايا في ذلك الوقت، فعمد بطريقة أخرى إلى تشويه وتزييف الحقائق وأراد أن يشجع ذوي النفوس الخبيثة والضمائر الميتة والعقول المريضة على إنشاء أوكار الفساد في القرى والمدن يسمونها زوايا البندير والزرادي، زوايا المناكر والضلالة لتسهر على بث الصراعات والانشقاقات[1]، لقد كان أهم ما قامت به

[1] رابح تركي، مرجع سابق، ص 244.

الزوايا هو المحافظة على القرآن الكريم وتحفيظه وحفظه في صدور أبناء المسلمين كتابة ورسما وتلاوة وتجويدا، حتى لا تمتد إليه يد التحريف والتغيير ويتلى في الصباح والمساء في المساجد والبيوت فردا وجماعة.

كما لعبت الزوايا أثناء الاستعمار الفرنسي دورا بارزا فقد كانت المصدر الرئيسي الذي مون الثورة بالمجاهدين فبعض الزوايا التحق جل أعضائها بالجهاد بحيث كانت مركزا استراتيجيا، فالزوايا على اختلاف طرقها من الرحمانية إلى التيجانية إلى القادرية كلها كانت تصب في وعاء واحد وهو الحفاظ على مقومات الأمة الجزائرية عكس ما كان يعتبره بعض المؤرخين وعلى رأسهم لويس رين الذي كان يرى أن حركة الإخوان بأنها حرب دينية مبنية على التعصب الديني والعرقي وكان يقصد بذلك حركة الإخوان الرحمانيين آنذاك ونشاطهم بكثرة وامتداد ثورتهم إلى كل المناطق تقريبا والقبائل الشمالية من الجزائر العاصمة إلى القل وجيجل وباتنة، وحصار مراكز الفرنسيين وقلاعهم في بجاية ودلس وتيزي وزو في 1865م الأمر الذي أصبح يمثل خطرا كبيرا على فرنسا 22 حين أدركت أن ما يقوم به الإخوان الرحمانيين الذين استطاعوا خلال مدة زمنية قصيرة تكوين جيش يمثل أكثر من 120ألف مجاهد ينتمون إلى 250 قبيلة تتألف من 600 ألف نسمة، ليس الشعوذة أو التعصب الديني أو العرقي وإعلان شيوخ الزوايا وأتباعهم للجهاد وإقدامهم المعركة لا يمثل حدثا دينيا فقط، وإنما يتجاوز ذلك إلى غرض سياسي يستهدف خدمة مصالح الشعب المادية والمعنوية.

لقد كان وراء هذه الثورات شبكة تابعة للزوايا التي ينتشر أتباعها وخلاياها في أصقاع البلاد مما أملى على السلطات الفرنسية آنذاك ضرورة دراسة هذه الخلايا من الزوايا ولفهم هذا الواقع قام العديد من الباحثين بدراسة واقع الشعب الجزائري لمعرفة أسباب ودوافع هاته المقاومات وهذا التحدي،

وأول دراسة قام بها في الميدان هو دونوفو حيث ألف كتابه بعنوان (الإخوان الطرق الدينية عند مسلمين الجزائر عام 1845م، وقد أظهر عدة نتائج توضح خطر هاته المراكز الدينية والطرق الصوفية، لقد لقيت الزوايا دراسة مستفيضة من المستعمر قصد محاربتها ومحو آثارها في كل الجوانب الفكرية والسياسية والجهادية، ومحاولة القضاء على دورها الاجتماعي والتربوي واحتوائها إلا أن هذه السياسة لم تنجح بشكل عام وعرف المجتمع الجزائري أن مصيره مرتبط بمصير هاته الزوايا فهي ذات قداسة روحية بالنسبة له وأن نجاحه لا يتم إلا إذا أولى هذه المؤسسات مكانتها اللائقة ومكنها من أداء دورها بأكمل وجه لأنها الصخرة التي تنكسر عليها دسائس ومناكر المستعمر، ولما فهم شيوخ الزوايا نوايا المستعمر ومكائده قاموا بمواجهتها بعدة أشكال ومن أهمها لم شملهم وارتباطهم ببعضهم البعض عن طريق إنشاء هيئات وجمعيات لرص صفوفهم ونبذ الفرقة بينهم ومنها جمعية علماء السنة والتي تأسست في 13 سبتمبر 1932م بحضور ألف شخص[1]، من مختلف الطرق الرحمانية والقادرية والتيجانية والعلاوية والشاذلية، وقد أعطيت الرئاسة إلى الشيخ المولود الحافظ الأزهري وحاول هذا الأخير لاحتواء الخلاف القائم آنذاك بين شيوخ الزوايا وجمعية العلماء المسلمين حول وجهة النظر في طريقة عمل الدعوى، بالإضافة إلى ذلك تم تأسيس جامعة الزوايا لشمال إفريقيا والذي انعقد في 15 مارس 1948م بالعاصمة الجزائرية، وقد حضره أكثر من 120 رئيس زاوية[2] من الجزائر وبعض دول الجوار المغرب وتونس وكذلك الجمعية الصوفية التي تأسست سنة 1945م بغليزان، وكان العقيد عميروش عضو فيها وهناك الكثير والكثير من الجمعيات وكان الهدف الرئيسي كما ذكرنا سابقا لم الشمل ومحاولة القضاء على انشقاقات داخل المجتمع الجزائري وإعادة الاعتبار

[1] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن، مرجع سابق، ص 103.

[2] محمد نسيب، نفس المرجع، ص 119.

لزوايا كمؤسسات اجتماعية تربوية داخل المجتمع الجزائري، وهذا ما لم يتقبله المستعمر الذي جند كل الوسائل المملوكة لديه وخصوصا بعض الباحثين الذين أرادوا أن يحاربوا هذه المؤسسات بالقلم إضافة للوسائل السابقة الذكر ومنهم الباحثان أوكتان وديبون اللذين صرحا في كتابهما "**الزوايا الدينية الإسلامية في الجزائر**" أن المشكل الذي يشكل لنا خطورة وأيضا هو لمصلحة الشعب والتي يجب أن نسيطر عليها ونجعلها تحت تصرفنا وتقضي عليها هي الزوايا الديني، والطرق الممكنة للقضاء عليها هي محاربة الزوايا الدينية مباشرة أو اضطهاد رئيسا أو يجب إتباع طرق سلمية لكسب ثقتهم وبالتالي جلبهم إلى صفنا، ولقد وضح الكاتب الطرق التي رآها جيدة للسيطرة على الزوايا نلخصها فيما يلي: علينا أن نعطيهم أحيانا السلطة لكن يجب معاملتهم بحذر دائما وباهتمام قصد كسبهم كأصدقاء ولتحقيق هذا نطبق عليهم الوصية التالية: الموافقة على اختيار المقدمين لشيوخهم في الزوايا التي تخضع للانتخاب وللبركة المتوارثة تأثير الشهادات الممنوحة من طرف الشيوخ لمقدميهم وهذا يكون لنا ممثلين لحكومتنا، ويجب أن نسرع في الواقع بتحقيق رغبة الجماهير في الصلاة وكل الممارسات الدينية[1] بالإضافة إلي ما سبق فقد صادرت الإدارة الفرنسية كل أملاك الأوقاف والحبوس التي تمون الزوايا كالأراضي الزراعية والمتاجر وغيرها ومنعت تدريس أبواب الجهاد في الفقه الإسلامي وتاريخ الجزائر الوطني وجغرافيتها[2]، فعلى الرغم بما فعله الاحتلال الفرنسي لزوايا والانحرافات التي عرفتها بعض الزوايا في ميدان العقيدة كانتشار الشعوذة والخرافات والبدع إلا أنها استطاعت أن تواصل نشاطها الثقافي والديني كسد منيعا أمام الاحتلال الفرنسي[3]، وباعتراف من الفرنسيين أنفسهم فقد

[1] محمد علي دبوز، مرجع سابق، ص 36.

[2] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن، دار الفكر، 1988، ص 21 –22.

[3] مجلة الأصالة: الحقيقة عن دور زاوية صدوق والإخوان الرحمانيين في ثورة 1871، عدد خاص، 1973، ص 166.

اكتشفوا أن وجود الزاوية كمركز أساسي يأوي المقاومة ولا سيما المقاومة الثقافية لأن المقاومة المسلحة ذات طبيعة سياسية ثم إنها مؤقتة، أما المقاومة النفسية فدائمة بل هي حرب نفسية حقيقية ابتكرتها الزوايا وهكذا رفضت الزوايا كل ما هو أجنبي وحافظت على العادات والتقاليد الجزائرية بحيث يقول محمد نسيب في هذا الشأن: "**أنَّ طالب الزاوية كان يتمسك بدينه، ويتعلق بشخصيته ويعتز بثقافته العربية الإسلامية في الوقت الذي كان الناس فيها يتهافتون فيه على اللغة الفرنسية لغة الخبز المغموس في دماء الضحايا المذبوحين**"

إن ما قامت به الزوايا من أدوار اجتماعية وتربوية في أيام الاستعمار القاسية ولياليه الحالكة وما قامت به من أعمال البر والإحسان والتربية والتعليم مما أغلق الأبواب في وجه المبشرين الذين يترصدون الفرص للوصول إلى أغراضهم باسم التعليم والتطبيب والإحسان، ولكن الزوايا أنقذت الفقراء والمحتاجين والأميين من أبناء المسلمين من اللجوء إلى مراكز المبشرين وأطعمت الجائعين وأوت العجزة وعلمت الأميين وجعلت التعليم مجانا لكل الناس للصغار والكبار للفقراء والأغنياء لا فرق بين ذا وذاك ونمت روح المحبة والتعاون بين أبناء الأمة[1]، وقد لعب الشعب الجزائري دورا كبيرا في تمويل الزوايا وإكرام رجالها والاتفاق على مشاريعها الدينية والثقافية والاجتماعية كأسلوب من أساليب المقاومة للاستعمار الفرنسي للجزائر، أما عن دور الزوايا أثناء الثورة التحريرية: فما نتج عن الثورات المناهضة للاستعمار الفرنسي ابتداء من ثورة الأمير عبد القادر بن الشيخ محي الدين شيخ زاوية القيطنة بمعسكر وانتفاضة 1850 م بزعامة الشيخ بوبغلة وثورة الشيخ بوعمامة عام 1881م، وما سبقه من الثورات الشعبية كلها مهد الطريق لانطلاق ثورة التحرير في الفاتح نوفمبر 1954 م[2]، ونتيجة لذلك

[1] صلاح مؤيد العقبي الطرق الصوفية في الجزائر تاريخها ونشاطها بيروت، 2002، ص 597.
[2] مرجع سابق، ص 605.

توقفت الزوايا نوعا ما عن أداء رسالتها التعليمية بسبب انخراط العلماء والطلبة والتحاق العديد منهم في صفوف الثورة المسلحة والتوجه للمعركة الفاصلة للقضاء على المستعمر لنيل الاستقلال. فكان لزوايا رجالا فجروا الثورة المباركة وكان منهم قادة وجنود ومنهم الشهيد مصطفى بن بولعيد كان ابن زاوية وغيره.

لقد كانت الزوايا بمثابة مراكز إسناد للثورة التحريرية تمدها بالرجال والسلاح والمال وأنقذت الزوايا الفقراء والمحتاجين من أبناء الأمة ومنعتهم للارتماء في أحضان المبشرين الذين أرادوا استغلال وضعهم الاجتماعي المزري وقامت بإطعامهم، وعلمت الأميين وجعلت التعليم مجانا لكل الناس للصغار والكبار، للفقراء والأغنياء لا فرق بين ذا وذاك ونمت روح المحبة والتعاون بين أبناء الأمة وحافظت على القرآن الكريم واللغة العربية والتربية الإسلامية، وحصنت النفس على التمسك بالدين الحنيف[1].

2.8 دور الزوايا والحفاظ على الشخصية الوطنية:

تعتبر الزوايا أثناء فترة الاستعمار الفرنسي هي المؤسسات الواحدة أو الغالبة التي كانت تتولى التعليم، فلقد استطاعت هذه المدارس الشعبية والمعاهد الإسلامية البسيطة المتواضعة أن تحافظ على ثقافتنا العربية الإسلامية، فقد استطاعت بأسلوبها البسيط والسهل من خلال الدور الذي قامت به أن تقوم بتنمية الشعور بالوحدة لدى الجزائريين وتوحيد وسيلة الاتصال بينهم ولأن التعليم كان باللغة العربية ومنهجه القوي في روحه الغني في محتواه السليم في جوهره أن ينجح لأنه لم يفقد فاعليته ولم تبرد حرارته، وإذا كان تعليم الزوايا والمساجد والكتاتيب القرآنية والمدارس الحرة تعليما

[1] Louis rinne, Marabout et Khouan, a dolphe jourdan, libraire editeur, paris, 1889, p290.

بسيطا متواضعا لا يتماشى مع روح العصر في أسلوبه ومناهجه فإنه حافظ على روح الأمة وصان شخصيتها وحمى عقيدتها ورفع معنوياتها بذلك جعلها تعتصم بدينها وتعتز بقيمها وعاداتها وتقاليدها وتتعلق بلغتها، وإنَّ كانت محاربة ومحرومة من جميع الوسائل ومعزولة عن كل ميدان من ميادين الحياء رغم ذلك لا تقبل البديل مهما كان البديل لأنها ترى نفسها سعيدة بدينها فخورة بانتمائها الثقافي والقومي والوطني وتحب كل ما هو إسلامي وتمقت كل ما هو أجنبي دخيل[1]، ولكن كانت تلك المؤسسات بمثابة حصون وقلاع للدراسة والدفاع ودفعت عن القيم والأخلاق الإسلامية وحافظت لاسيما في وطننا الغالي الحبيب الوطن الجزائر على مقومات الهوية الوطنية وصانت عناصر الشخصية العربية الإسلامية[2]، فرغم ما قام به حاول الاستعمار الفرنسي أن يقضي على الشخصية الوطنية بكل أساليبه القذرة.

لقد قام شيوخ الزوايا بلم صفوفهم لمواجهة هذا الاستعمار الهمجي وذلك بإنشاء جمعيات وهذا لتوحيد وسيلة الاتصال بينهم، فقد أنشأ جمعية جامعة مشايخ الطرق الصوفية سنة 1938م والتي كان هدفها نشر العلم ومعرفة وترسيخ القيم والأخلاق الإسلامية واللغة العربية لقد أحرق الجنرال دوف دومال وجنوده مكتبة الأمير عبد القادر الذي كان يتتبع أثر الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود من المكتب التي عانى الأمير الكثير في جمعها.

وكما نعلم أن الأمير عبد القادر ابن زاوية ولم تكتف السلطات الاستعمارية عند هذا الحد ومحو الشخصية الوطنية فقد بقيت معتمدة على التقتيل والتعذيب والتجهيل ومصادرة أموال الزوايا

[1] يحي بوعزيز، أوضاع المؤسسات الدينية في الجزائر خلال القرنين 20 و19

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث، ص 174.

وإفقار الأهالي وحرق الأرض، سن القوانين الجائرة في حق الجزائريين[1]. فقد اقتصرت الفترة الأولى من 1830م إلى 1880م على العمليات الحربية التي نظمها الجيش الفرنسي ضد الشعب الجزائري، ومقاوماته تحت قيادة الأمير عبد القادر في العشرية الأولى والثانية ولم تفكر السلطة الفرنسية إلا في تأسيس سياسة عنونتها تارة "بسياسة الاندماج" و "المكاتب العربية" والتجسس وتارة بسياسة "المملكة العربية" ثم سياسة اندماجية أخرى ثم قانون خاص بأهل البلاد أي "قانون الإندجينا" التعسفي 1881م، وفي هذا النطاق قررت لتغالط الناس أنها لا ترى مانعا في تدريس اللغة العربية في المدارس الابتدائية المسماة "العربية الفرنسية" وفي المدارس الحكومية الثلاث على مستوى التعليم الثانوي فلم يعمل كما كان متوقعا هذا القرار الذي اتخذته السلطة الفرنسية وقت "المملكة العربية" في عهد نابليون الثالث 1803م 1873 وبقي فعلا عبارة عن حبر على ورق ثم أتى عهد "الجمهورية الفرنسية الثالثة" التي كانت هي من جهتها تعلن إدماج أبنائها في النظم التعليمية والتربوية والسياسية المخصصة لأبنائها الفرنسيين باسم الإدماج السياسي والاستعمار المسلط على الشعب الجزائري[2] قصد محو كل مقاومته الشخصية وطمس معالم المجتمع الجزائري العربي المسلم، فلهذا نرى أن نظرة من يتهمون المؤسسات الدينية بالجمود والانغلاق كانت سطحية وتفكيرهم كان قاصرا فلو تعمقوا وحللوا لعرفوا الحقيقة فنحن لا نسميه رفضا ورد الفعل، فلولا هذا الانغلاق لما احتفظت الجزائر بإسلامها وعروبتها قرنا و32 سنة من الاحتلال الفرنسي البغيض، إذ لا نسمي هذا انغلاقا بل نسميه رفضا وتحديا واحتضانا للعقيدة الإسلامية وما تحمل هذه العقيدة من قيم وأخلاق وإرادة وأمل وتحد.

[1] نسيب محمد، زوايا العلم والقرآن، مرجع سابق، ص 24.

[2] مجلة عصور، العدد 33، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 128.

إن هؤلاء الرافضين من علماء الأمة وعقلائها وضعوا حد لأطماع الغزاة فتجارب التاريخ تقر بأصالة الدين في جميع حركات التاريخ الكبرى أنّه لم يكن قط لعامل من عوامل الحركات الإنسانية أثر أقوى وأعظم من عوامل الدين وكل ما عداه من العوامل المؤثرة في حركات الأمم إنما تتفاوت فيه القوة بمقدار ما بينه وبين العقيدة الدينية[1]، بعد الاستقلال فقد انحصر دور الزوايا في تعليم القرآن الكريم لطلبة المدارس الرسمية في أوقات خاصة والقيام بدور التثقيف الشعبي إلى أن أوكل أمرها إلى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية فاستعادت بريقها وغدت موردا مهما لتزويد المعاهد الدينية التي تعتمد عليها الوزارة في إعداد الأئمة والمعلمين لتدريس وتحفيظ القرآن.

3.8 دور الزوايا ومناهجها في التعليم:

لقد حاول الاستعمار الفرنسي أن يمنع اللغة العربية لأنّها وعاء الدين ووسيلة لفهم الإسلام وحاول أن يعوضها بلغة المستعمر لتحويل أبناء الشعب الجزائري إلى فرنسيين وتمسيحهم وتغريبهم تمهيدا لإدماجهم، لكن التعليم الديني وعلى رأسه الزوايا كغيرها من المؤسسات الشعبية كالمساجد والكتاتيب القرآنية وقفت له بالمرصاد، لقد كانت الزوايا في الجزائر في معظمها يمثل مراكز إشعاع ديني يقوم على أساس تعليم القرآن وتحفيظه هذا الدور التعليمي الإيجابي الذي كانت تقوم به الزاوية كان يشكل في الوقت نفسه خطرا بالنسبة للجهات الفرنسية التي كانت تنظر إلى شيوخ الزوايا ومدرسيها بأنّهم متزمتين ومتعصبين، حيث كانوا يغرسون في أذهان الطلبة والتلاميذ فكرة مقاومة العدو ومحاربته في الوقت الذي كانت فيه السلطات الفرنسية تحاول إخضاع الزوايا لها[2]

[1] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن، مرجع سابق، ص 24.

[2] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن، مرجع سابق، ص 46.

إن تعليم الزوايا على العموم حورب وحوصر بالمدرسة الفرنسية منذ الاحتلال حاول الفرنسيون جر الجزائريين إلى إدخال أبنائهم في مدارس فرنسية في المدن أولا وفي المرحلة الثانية أنشأوا ثلاث مدارس إقليمية لتمتص التلاميذ الذين كانوا من قبل يتوجهون إلى الزوايا الريفية وإلى المرابطين للتعلم أو يقصدون المعاهد الإسلامية خارج الجزائر، أما خلال المرحلة الثالثة فإن الفرنسيين قد أنشأوا المدرسة الابتدائية الفرنسية بجوار الزوايا وضيقوا على هذه الزوايا مجال النشاط وفتحوا مع قادتها باب التدجين والتوظيف وهكذا حوربت الزوايا على عدة جهات[1]، لذلك يظهر أنه من الصعب أن يجحد الجهود الذي قامت به هذه الزوايا في سبيل تحفيظ القرآن الكريم ونشر الثقافة العربية الإسلامية في ظروف كان يهيمن عليها الاستبداد إضافة إلى معارضة المعمرين الذين صرحوا بها في عدة مناسبات "فلولا هذه المراكز لأصبح الأطفال الجزائريين كلهم معرضين للجهل والأمية" هذا ما أعلنت عنه اللجنة المكلفة سنة1891 من طرف المجلس الوطني الفرنسي بتحقيق حول التعليم في بلادنا، فقالت بأن هذا التعليم كان في زوايا مسيرة من طرف أهل البلاد يعلم فيها تحفيظ وتفسير القرآن وقواعد اللغة العربية ولم تجد مؤسسات أخرى لتعليم أبنائهم[2]

إن أهم أعمال الزوايا في أوقات السلم هو التربية والتعليم إلى جانب القيام ببعض الأعمال الخيرية كإطعام المساكين وإيواء ابن السبيل، والذي يهمنا حاليا هي البرامج والطرق المطبقة في التعليم والتدريس المتبعة في هاته الزوايا ليس للزوايا في مرحلة الدراسة مناهج منظمة من ناحية الكتب والامتحانات وتوزيع الطلاب على سنوات الدراسة حسب أعمارهم ومستواهم العلمي[3]، والتفتيش والنظم

[1] عبد القادر الشطي، السلفية الوطنية، مرجع سابق، ص 310.

[2] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث، ص 17.

[3] Y vonne Turin : Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, école médecine religon,1830/ 1870, année 1978, p 28.

التعليمية وإنما كان التعليم يسير فيها بطريقة تقليدية بحيث كان الطلبة يتابعون الدراسة لعدد من السنين قد تقصر أو تطول يدرسون كتاب أو كتابين في الفقه المالكي وغالبا ما يكون شرح الدردير، وسيدي خليل (بأجزائه الأربعة) يكررونها عدة مرات في عدد من السنوات إضافة إلى كتاب أو كتابين في البلاغة بعد حفظ القرآن الكريم كله حفظا جيدا[1]

وبما أن منهاج الإسلام في الأخلاق هو كتاب الله الذي يحفظ ويتلى وتبذل الجهود وإن كانت محدودة لفهم آياته وخاصة ما ينطق منها بالعقيدة والدين والأخلاق، فإن الزوايا أخذت هذا المنهج كأرضية يقوم عليها التعليم، وإن كان هذا التعليم يقتصر على الدين واللغة العربية والتربية الروحية والخلقية فإنه القاعدة التي ترسى عليها حياة الفرد والمجتمع في هذه الزوايا[2]

إن حالة الزوايا في التعليم هي حالة معاهد التعليم العربي، فإننا نجد أن التعليم فيها لم يزل على الأسلوب القديم من الابتداء بحفظ القرآن الكريم وشتى المتون والانتقال بعد ذلك إلى دراسة الفقه والنحو والصرف إلى آخره لذلك فإن مناهج هذا النوع من التعليم بقيت على حالها منذ قرون دون أن يدخل عليها تغيير يذكر ويستثنى من ذلك التعليم الذي كان يقوم به بعض الزوايا وهي قليلة مثل زاوية الشيخ علي بن عمر بطولقة وزاوية سيدي عبد الرحمان اليلولي بمنطقة جرجرة وزاوية الهامل بالقرب من مدينة بوسعادة فقد كانت هاته الزوايا على الشكل من التنظيم في برامجها الدراسية[3].

[1] مجلة عصور، السنة الأولى 1423، ديسمبر 2002، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر العدد الثاني، ص 103.

[2] محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن في الجزائر، ص 47.

[3] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 267.

أما طرق التدريس: إن أهم الطرق التعليمية أو التدريس السائدة في الزوايا تعتمد على طريقة الحفظ والتلقين أو طريقة المادة التي تعتمد على الإلقاء والإملاء من جانب المعلمين والاستماع والحفظ من جانب المتعلمين وهي الطريقة التي يكون فيها موقف المتعلمين سلبيا في معظم الأحيان[1]. فالمعلم هو الذي يعد الدرس وهو الذي يشرح وهو الذي يحلل ما يحتاج إليه من التحليل والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم بالقبول والتسليم في معظم الأحيان والطلبة يجلسون في حلقات داخل الجامع (مسجد الزاوية)، (مسجد الطلبة) حول الشيخ كما كان العمل جاريا به في الأزهر الشريف وقبل تحويله إلى جامعة حديثة فكانت يستمعون الدرس المقرر عليهم ولازالت نفس الطريقة في التدريس متبعة في الزاوية وبنفس الكيفية التي كانت عليها في الماضي وعلى كل طالب يصل إلى درجة معينة من العلم يجازى ويتولى تدريس وتعليم من هم أقل منه مستوى[2]، كما أن مشايخ الزوايا هم الذين يتولون النظر فيما ينبغي اقتناءه من الكتب وتكليف الطلبة بمطالعة الكتب غير المتداولة وكتب التاريخ والجغرافيا والمقامات وسير الملوك وما شابه ذلك من الكتب القديمة النادرة التي بها تنفتح أبصارهم على المعارف الجديدة، يجد الطلبة رغبة تامة وقوية لقراءة هذه الكتب والبحث عنها.

أما بالنسبة لبرامج التعليم القرآني في الزوايا والمدارس القرآنية بالرجوع إلى القرار الوزاري المؤرخ[3] 1999تحت رقم 232 الذي ينص على: /10/ في 01

حفظ القرآن الكريم 22 ساعة في الأسبوع.

---

[1] مجلة عصور، العدد الثاني، ص 104.

[2] الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية، الجزائر، 1994، ص 13.

[3] مطبوعة صادر من مديرية إدارة الوسائل المديرية الفرعية للهياكل الأساسية والإنجازات (وزارة الشؤون الدينية) 99/10/01 تحت رقم 232.

التربية الإسلامية 02 ساعة في الأسبوع.

المبادئ الأساسية في العادات 02 ساعة في الأسبوع.

الترتيل والتجويد 02 ساعة في الأسبوع.

أناشيد وطنية ودينية 01 ساعة في الأسبوع.

خط 01 ساعة في الأسبوع.

مجموع ساعات الدراسة 30 ساعة أسبوعيا 46

ومن خلال كل ما سبق ذكره فإن الزوايا ساهمت بقسط وفير من مجهوداتها العلمية والعملية وكفاءاتها المختلفة في دفع عجلة التعليم والتربية إلى الأمام بتعزيز مبادئ الدين الإسلامي وترسيخ قواعد اللغة العربية وما ينبثق منها من علوم مختلفة وذلك منذ أن وجدت الزوايا في الجزائر من عهودها الأولى في بداية القرن الرابع عشر الميلادي إلى العهد العثماني إلى عهد الاحتلال الفرنسي وحتى بعد الثورة التحريرية والاستقلال.

4.8 دور الزوايا بعد الاستقلال:

استمرت في متابعة طريقتها في التعليم القرآني وتحفيظ وتعليم المواد الشرعية للطلاب الذين لا يذهبون إلى المدارس الرسمية في أوقات خاصة ثم اهتمت وزارة الشؤون الدينية بأمرها فأصبحت تزود المعاهد بالأئمة والوعاظ والإشراف على المساجد، وقد استعادت الزوايا حاليا نشاطها فبالإضافة إلى دورها التربوي يبقى دورها الاجتماعي قائما إلى اليوم، حيث تعتبر أماكن لتحل قضايا ونزاعات مستعصية

بين المواطنين والعائلات بعضها استعصى حتى على المحاكم ليجد خلاله في الزاوية التي تبقى تحتفظ بقدسيتها بالإضافة إلى ذلك قامت هذه الزوايا بتأسيس جمعيات خاصة بها تسعى للحفاظ على الموروث الثقافي والطابع الخيري، وقد بدأ يسطع نجمها في الجزائر في المدة الأخيرة فهي التي كانت منذ نشأتها عبر العصور قائدة التوجه الديني وورشة للوطنية الحقة بأنوار القرآن الكريم والسنة الشريفة.

خاتمة الفصل:

بعد النظر في الزوايا نرى أنّها لعبت دورا بارزا في الحفاظ على الشخصية الوطنية ومقومات الهوية والحفاظ على النزعة الدينية والاجتماعية، كما لعبت دورا مركزيا كسلطة موازية عبر حقب التاريخ الجزائري، حيث عمدت إلى توحيد القبائل تحت راية الجهاد ولعبت دورا مركزيا في رص الجبهة الاجتماعية من خلال دورها البارز في آليات التضامن الاجتماعي وفك النزاعات بين القبائل والخصوم ودرئ أسباب الفتن ولا نغفل دورها التعليمي والارشادي والذي يعد الأساس الأول في وجود الزاوية وترسيخ اللغة العربية كمرجعية للهوية الإسلامية العربية، وأيضا تعاليم القرآن ومختلف علومه كالفقه والحديث والسيرة ...الخ.

من خلال هذا تم إنجاز هذا الفصل وتم التطرق إلى الزاوية كبعد فيزيقي ومعنوي وبعد ديني يتلخص في تعاليم الدين الإسلامي، وبعد اجتماعي يهدف الى لم شمل القبائل المتفرقة وفك النزاعات وإثارة التضامن الاجتماعي سواء في زوايا المدن أو زوايا الأرياف تحت راية المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

الفصل الثالث:

القيّم الدينية والاجتماعية

تمهيد:

تنبع القيّم من نسيج الخبرة الإنسانية، فالأشياء لا ترتبط بالقيّم لسر كامن فيها ولذلك فإنّها جزء لا يتجزأ من كيانها لذلك يشمل موضوع القيّم عدّة مجالات، قيم دينية وأخلاقية وجمالية واجتماعية ونفسية وبيئية وغيرها ...الخ، وكل مجال يتميز عن غيره في أنّه يكسب الفرد سلوكيات تمكنه من التعايش مع المجتمع ضمن المعايير والمبادئ والضوابط الأخلاقية والاجتماعية.

وتعد القيّم الدينية والاجتماعية خاصة من بين المرتكزات الأساسية الضابطة لمعايير المجتمعات الانسانية، فهي تربط بين الدين كشرع وعقيدة راسخة وبين الأعراف الاجتماعية المتواترة، والغاية منها اكتساب مبادئ من أجل التعايش والتوافق بين أفراد المجتمع.

ويشتق الإطار النظري لهذه الدراسة من التراث والأدبيات ذات العلاقة بموضوع الدراسة فيتناول هذا الفصل مفهوم القيّم عامة والقيّم الدينية والاجتماعية خاصة في المجال السوسيوأنثروبولوجي.

1. تطور مفهوم القيّم:

على الرغم من أهمية موضوع **القيّم Values** في مجال الدراسات النفسية والسلوك البشري بصفة عامة، فقد ظل لفترة طويلة خاضعا للتأملات الفلسفية بعيدا عن الدراسة العلمية الواقعية، فالفحوص الأمبريقية للقيّم ظلت وكأنّها جزر أو مناطق منعزلة عن علم النفس وارتبطت (بمجالات وتخصصات عديدة كالفلسفة والدين والاقتصاد وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا)[8].

ربّما كان من العوامل المسئولة عن إهمال هذا الموضوع من جانب العلماء في ميدان الدراسات النفسية أنّ الفلسفات العقلية قد جعلت منه ركيزة من الركائز الأساسية التي يقوم عليها البناء العقلي والفكري المجرد لتأملاتها وأفكارها فأحاطته بجو من الغيبية نفرت منه رجال العلم، ثم بدأ الاهتمام بدراسة القيّم في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي، ينحو إلى المزيد من الالتزام بالمنهج العلمي[8]، ولعل الفضل في ذلك يرجع إلى اثنين من علماء النفس هما "ثرستون" "Thurstone"وما قدمه من تصور لمعالجة القيم في إطار المنهج العلمي مستندا في ذلك إلى مبادئ السيكو فيزيقيا المعاصرة، و "شبرانجر" Spranger أحد المفكرين الألمان الذي نشر خلال هذه الفترة نظريته في أنماط الشخصية والتي انتهى منها إلى أنّ الناس يتوزعون بين ستة أنماط خاصية، استمر الاهتمام بدراسة القيّم يتزايد تدريجيا داخل مجالات علم النفس وبالتحديد في مجال علم النفس الاجتماعي- لعدد من الأسباب: أهمها أنّ النظرية الكفء في تفسير السلوك الإنساني والتنبؤ به يجب أن تتضمن موضوع القيّم، ولكنه وعلى الرغم من الأهمية الكبرى للقيّم فقد تركز اهتمام الدارسين في المجال على النظرية والقياس في مجال

[8] محمد فتحي عكاشة، محمد شفيق زكي، المدخل إلى علم النفس الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية، 1997، ص12

[8] كامل محمد عويضة: دراسة علمية بين علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1996، ص18.

الاتجاهات Attitude، ويؤيد ذلك ما كشف عنه "ميلتون روكيش" (M. Rokeach) في مسح أجراه لمجلة الملخصات السيكولوجية"Psychological Abstracts" في الفترة من سنة 1961 إلى سنة 1965 وانتهى منه إلى أنّه هناك خمس أو ست دراسات للاتجاه مقابل دراسة واحدة للقيّم[8].

والقيّم ترتبط بحياتنا ارتباطا وثيقا فما هي إلا تعبيرا لتقدير الأشياء ولا تنعزل عن الحياة بل تعلوا عليها وتسمو على الواقع لتكتسب الموضوعية والعمومية، وعمومية القيّم عند "دوركايم" أنّها توجد في الواقع كأشياء وأنّها مشتركة بين مجموعة من الناس والجماعات، ويجد فيها الناس اشباعا لرغباتهم التي يبحثون عنها بين موضوعات مختلفة في مواقف متباينة وكل وحدة في المجتمع وكل جماعة لها قيمها الخاصة المنظمة لسلوك أعضائها[8].

كما يرى علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا أنّ القيّم واحدة من المواضيع الأساسية التي غابت لسنوات عن محل اهتمام الدارسين لعدم ضبط المفهوم ولتهوه ضمن المجال الفلسفي والنفسي، ولعل موضوع القيّم جدير تماما بالمواضيع السوسيوأنثروبولوجي، كونها حقل علمي يتأسس على قوة الرابط الاجتماعي كون الجماعة من تمارسه وتتناقله فيما بينها، وكما هو معروف أنّ المجتمع محور اهتمام السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا، لذلك فالتطور الذي شهده مفهوم القيّم عامة كان بفضل تبني الأنثروبولوجيا للقيّم، والدراسات الإمبريقية للباحثين خير دليل على ذلك.

وأرجع ذلك إلى الإيمان العميق لدى الكثير من الباحثين بأن اتجاهات الفرد أكثر أهمية في تحديد سلوكه الاجتماعي من القيم كما تصور بعضهم الآخر بأنّ الاتجاهات أكثر قابلية للتغيير من القيّم، هذا

---

[8] أحمد حسين اللقاني، علي أحمد الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1998، ص 15.

[8] بلقاسم بن روان، وسائل الاعلام والمجتمع، دراسة في الابعاد الاجتماعية والمؤسساتية، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007، ص81.

بالإضافة إلى التقدم الملحوظ في أساليب قياس الاتجاهات بالمقارنة بأساليب قياس القيّم والتي مازالت ولحد الآن موضع خلاف بين الباحثين.

2. مفهوم القيم:

2.1 لغة: مفردها قيمة من الفعل قوّم وقام، نقول قام المتاع بكذا، أي تعدلت قيمته به، وأيضا جاء في المعجم الوسيط أن قيمة الشيء هي قدره، وقيمة المتاع هي ثمنه، ويقال ما لفلان قيمة أي ماله ثبات ودوام على الأمر[8].

هذا من الناحية اللغوية، أما من النواحي الأخرى فمفهوم القيّم شغل العديد من المفكرين نظرا لتجذره ووجوده في ميادين مختلفة، لذلك ظهر الاختلاف في وجهات النظر وهذا راجع إلى المشارب والمذاهب الفكرية المتعددة التي ينتمي اليها العلماء وهذا ما سنعرضه فيما يأتي:

2.2 اصطلاحا:

يعرف روكيتش ميلتون القيم: أنّها تصورات من شأنها أن تفضي إلى سلوك تفضيلي، كما أنّها تعتبر بمثابة معايير للاختيار من بين البدائل السلوكية المتاحة للفرد في موقف ما.[8]

ومن ثم فإنّ احتضان الفرد لقيّم معينة يعني توقع ممارسته لأنشطة سلوكية تتسق مع تلك القيّم، فالقيّم محدد ومرشد للسلوك وهي التي توجه اختياراتنا من بين بدائل السلوك في المواقف المختلفة،

[8] حامد عبد السلام زهران، مرجع سبق ذكره، ص158

[8] جابر نصر الدين لوكي هاشم، مفاهيم أساسية في علم النفس الاجتماعي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص 163.

وتحدد لنا نوع السلوك المرغوب فيه في موقف ما توجد فيه عدّة بدائل سلوكية، كما أنَّ التعدد في مجالات الحياة والسلوك يؤدي إلى تعدد في نظم القيّم الموجهة لسلوك الفرد.

أما "شوارتزوبلسكي" يرى بأنَّها " عبارة عن مفاهيم أو تصورات للمرغوب، تتعلق بضرب من ضروب السلوك، أو غاية من الغايات وتسمو أو تعلو على المواقف الفرعية ويمكن ترتيبها حسب أهميتها النسبية.[8]

وعرفها سميث بأنّها: "كل ما هو جدير باهتمام الفرد لإعتبارات مادية أو معنوية، أو اجتماعية أو أخلاقية أو دينية أو جمالية"[8]

أما نيوكومب يرى بأنّها: "عبارة عن الإطارات المرجعية العامة السائدة التي تربط اتجاهات الفرد فيما بينها وتعمل كدلائل، تستخدم في تقويم الخبرة والسلوك من حيث اتفاقها أو خروجها عن الأهداف الأساسية للحياة".[8]

ويؤكد بيري أيضا على أنها: "أي شيء يهمنا أيا كان موضوعه فإنه حتما يكتسب قيمة"[8]

ما يمكن أن نستخلصه من المفاهيم الغربية أن القيّم التي نتمسك بها، تتحكم في سلوكنا وتنعكس في أشكال النشاطات المختلفة التي نمارسها، أي موجهات سلوكية لسائر الأنشطة التي تتصل بأي شكل من أشكال العمل.

---

[8] عبد اللطيف محمد خليفة، مرجع سابق، ص 123

[8] جابر نصر الدين لوكي هاشم، المرجع السابق، ص 163.

[8] كامل محمد محمد عويضة، دراسة بين علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1996، ص 13.

[8] Gunnar Myrdal, (values in social theory), New York, 1958, p 03.

ويعرفها حامد عبد السلام زهران بأنها "تنظيمات لأحكام عقلية انفعالية معممة نحو الأشخاص والأشياء والمعاني وأوجه النشاط ويعبر عنها كذلك بأنّها: "اهتمام أو اختيار وتفضيل أو حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي حده المرغوب فيه، والمرغوب من السلوك "[8]

وعرفها جودت بني جابر على أنَّها «الحكم الذي يصدره الإنسان على شيئا ما، مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي وضعها المجتمع الذي يعيش فيه، والذي يحدد بالتالي المرغوب وغير المرغوب فيه[8]

أما إيمان عبد الله عرفتها على أنّها: "مجموعة من المعايير والمقاييس المعنوية بين الناس يتفقون عليها فيما بينهم ويتخذون منها ميزانا يزنون به أعمالهم ويحكمون بها على تصرفاتهم المادية والمعنوية، وهي مقياس، مستوى أو معيار نستهدفه في سلوكنا وينظر إليه على أنّه مرغوب فيه أو مرغوب عنه، وحسب رأيها فإنّ القيّم تعتبر إطارا مرجعيا إذ ينطلقون منها كموجه، بهدف الوصول إليها إمّا بالفعل أو عدمه، وهي تعتبر أنّ القيّم يكتسبها الإنسان من خلال التربية".[8]

عرفتها فضيلة أبو الشواشي على أنّها: عبارة عن الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء، وذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات أو الأشياء، بحيث تتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بمعارفه وخبراته في ظل الإطار الحضاري الذي يعيش فيه، ويكتسب خبرات ومعارف، وأنماط سلوكية، عادات وتقاليد في مضمونها بوضع معايير

[8] حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص158

[8] جودت بني جابر، مرجع سابق، ص288

[8] مرجع سابق، ص 290.

للسلوك الإنساني، وعلى الفرد أن يتبعها وأن يلتزم بها وأن يكيف سلوكه وفقا لها" وهي تعتبر (القيّم) مجموعة أحكام قيمية بمعنى أنّ الفرد يعبر عن رأيه في الأشياء بما تتركه في نفسه من أثر وإحساس، وهي ضوابط للسلوك يجب الالتزام بها، وتتفق مع التعريف السابق في اعتبار أنّ القيّم تكتسب بالتربية وذلك بتحديد ما يجب فعله وما لا يجب فعله، ثم يسعى الفرد لتحقيقها ذاتيا، وهي هنا تركز على القيّم الفردية.[8]

أما أحمد بيومي يرى بأنّها: المرغوب فيه بمعنى أي شيء مرغوب من الفرد أو الجماعة الاجتماعية، وموضوع الرغبة قد يكون موضوعا ماديا أو علاقة اجتماعية أو أفكارا وبصفة عامة أي شيء يرغبه الفرد والمجتمع.[8]

وعليه فالمجمل من هذه التعاريف العربية للقيّم يتضح لدينا بأنّ القيمة تتعلق بالتصور الذهني والميل الوجداني نحو موضوع ما يوجه سلوك الفرد العام وكل هذه التعاريف تؤكد على أنّ القيّم يكون فيها الاختيار والمفاضلة للفرد بين الفعل وعدم الفعل التي تخوله له طبيعته الانسانية والاجتماعية معا، والقيّم نسيج مشترك للفعل الانساني الذي يحدد الطبيعة الاجتماعية وفق المعايير اللازمة لها، لذلك فتعتبر القيّم موجه سلوكي اجتماعي ضابط، أي بمعنى أنّها ضمير جمعي مشترك لا يجب على أفراد المجتمع الواحد التخلي عنه، بل يكون ضمني داخل الجماعة وضابط للفعل وموجه للسلوك دون النظر في الرغبة الذاتية، كون القيّم معيار ثابت ينبع من المجتمع متواترا بقيمة العرف الاجتماعي والعادات والتقاليد وكذا مختلف الشرائع السماوية.

---

[8]عمرو عبد الكريم سعداوى، مرجع سابق، ص 19

[8]محمد أحمد محمد بيومي، مرجع سابق، ص 106.

3. القيّم من الناحية النفسية:

القيّم هي أحد المكونات الأساسية للشخصية، ويشمل تأثيرها على سلوك الأفراد، واتجاهاتهم، وعلاقاتهم، وهي بذلك توفر إطارا مهما لتوجيه وتنظيم سلوك الأفراد والجماعات، إذ تقوم بدور المراقب الداخلي الذي يراقب أفعال الفرد وتصرفاته .فالقيمة هي ما يعتبره الفرد مهما، وذا قيمة في حياته، فهي تمثل معتقدات الفرد عن قدرته على إيجاد معنى لحياته، وعلى هذا تعد القيّم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، والدينية نظرا لأنّها تمس العلاقات الانسانية بكافة صورها، وذلك لأنّها ضرورة اجتماعية ولأنّها معايير وأهداف لا بد أن نجدها في كل مجتمع فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات، وتظهر في السلوك الظاهري للشخص، لذلك تتعدد الرؤى النفسية نذكر منها الآتي:

عرفها "**نيوكومب**" بأنّها عبارة عن الإطارات المرجعية العامة والسائدة التي تربط اتجاهات الفرد فيما بينها، وتعمل كدلائل تستخدم في تقويم الخبرة والسلوك من حيث اتفاقها أو خروجها عن الأهداف الأساسية للحياة[8]، أما "**ثورندايك**" "Thorndike" فيرى أنّ القيّم تفضيلات، وأنّ القيمة الإيجابية منها أو السلبية تكمن في اللذة أو الألم الذي يشعر بهما الإنسان[8].

[8] كامل محمد عويضة، دراسة علمية بين علم النفس الاجتماعي والعلوم الأخرى، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 1996، ص 13

[8] عاطف غيث، علم الاجتماع، القاهرة، 1966، ص 259

في حين يرى "**سارجنت**" "Sargent" أنّ الاتجاهات تدل على ميل سلوكي يتميز بشعور سار أو مؤلم، أما القيّم تحتل الأمور التي تتجه نحوها رغباتنا أو اتجاهاتنا، ولقد أشار "جونار ميردل" أيضا إلى أنّ القيّم والتقويم يعتمدان أساسا على ما ينبغي أن يكون من المرغوب أو المرغوب فيه.[8]

نستنتج من خلال التعاريف السابقة أنّ علماء النفس يركزون اهتماماهم بخصوص القيّم على دراسة قيّم الفرد ومحدداتها سواء كانت نفسية، أو اجتماعية أو دينية .... حيث يمثل الفرد بؤرة ومركز اهتمام علماء النفس في دراسة موضوع القيّم في حين علماء النفس الاجتماعي فيهتمون بكل جانب من جوانب سلوك الفرد في المجتمع ولا يتحدد بإطار محدد لنظام أو نسق، فعلم النفس الاجتماعي يركز عنايته على سمات الفرد، استعداداته واستجاباته فيما يتصل بعلاقاته مع الآخرين، فهي إذن مجموعة من الديناميات التي توجه سلوك الفرد في حياته اليومية، حيث يستخدمها في الحكم على الأحداث والأشياء: مادية كانت أو معنوية، في مواقف التفضيل والاختيار.

4. القيم من الناحية الاجتماعية:

لقد شغل موضوع القيّم علماء الاجتماع نظرا لأهميته الواسعة وكما عرضنا في التعاريف السابقة حول القيّم من الناحية السيكولوجية فإننا سنحاول في هذا العنصر توضيح القيّم من الجانب السوسيولوجي، وهي ظاهرة دينامية متطورة لذلك لا بد من النظر إليها من خلال الوسط الذي تنشأ فيه والحكم عليها حكما موقفيا وذلك بنسبتها إلى المعايير التي يضعها المجتمع في زمن معين وارجاعها

[8]Gunnar Myrdal," values in social theory", New York, 1958, p 3.

إلى الظروف المحيطة بثقافة المجتمع، "وتعتبر القيم مستوى أو معيار للانتقاء من بين بدائل أو ممكنات اجتماعية متاحة أمام الشخص الاجتماعي في الموقف الاجتماعي".[8]

وتعتبر القيّم محصلة لتطور الكثير من عمليات الانتقاء والتقييم التي تنتج اتساقا طويل المدى وتنظيما في سلوك الفرد، بوصفها اطارا مرجعيا ينظم نطاقا أوسع مدى من الاتجاه في تأثيره على الموضوعات.[8]

ويرى كل من "ساجيف" "وسوارتز" أنّ القيّم الإنسانية هي أهداف مرغوبة تتباين في أهميتها، وتفيد كمبادئ توجيهية في حياة الانسان[8].

وتعرف كذلك على أنّها نتاج خبرات اجتماعية وهي تتكون نتيجة عمليات انتقاء جماعية يصطلح أفراد المجتمع عليها لتنظيم العلاقات بينهم"[8]

وتضيف فوزية دياب "أنّ القيّم من المفاهيم الجوهرية في جميع ميادين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وهي تمس العلاقات الإنسانية بكافة صورها لأنّها ضرورة اجتماعية ولأنّها معايير وأهداف لابد أن نجدها في المجتمع منظم سواء كان متخلفاً أو متقدماً فهي تتغلغل في الأفراد في شكل اتجاهات ودوافع وتطلعات، وفي بعض المواقف الاجتماعية تعبر القيّم عن نفسها في شكل قوانين وبرامج للتنظيم الاجتماعي والنظم الاجتماعية".[8]

---

[8]عبد الباسط محمد،

[8] يوسف عبد الفتاح، مرجع سابق، ص 49.

[8] Sagiv et swartez, p 430.

[8] نجيب اسكندر وآخرون، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1962، ص 17.

[8]فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1966، ص 16.

ويرى دوركايم أنّها:" تفرض تقديرا يصدر من فرد له أحاسيسه الخاصة، فماله قيمة خير وما هو خير يرغب فيه". هذا التعريف من التعاريف التي تحاول ربط القيمة بالشيء المرغوب فيه، والذي يحتل أهمية لدى الإنسان فيه كثير من القصور، فالإنسان قد يقدر أشياء ويعطيها قيمتها مع أنّها في الحقيقة تحمل كثيرا من المساوئ بعد مرور الوقت، وبالمقابل قد لا يعطي للأشياء قيمتها ويرغب عنها، لأنّ تقديره محدود وغير قادر على إدراك هذا الخير، كما أنّ مسألة المنفعة نسبية وتحمل معها أفكار **برجماتية***، وهناك من حاول ربط القيمة بالثقافة والأنماط العامة للسلوك"[8]

إذن فالقيّم الاجتماعية عملية دينامية تتأسس على الوسط الذي يعيش فيه المجتمع جامعة لكل ثقافاته ومعاييره التي يستندها، لتكون القيّم بذلك موجه أساسي يحكم المجتمع من التلاشي ومن المؤثرات الخارجية، لأنّها ضابط بالدرجة والأولى وموجهة للفعل الاجتماعي، كما أنّ لكل مجتمع معاييره المستندة عل قيمه الأساسية، أي أنّها أحكام ثابتة على ضوءها نستطيع إصدار أحكام على الأمور والتصرفات كما أنّها تحدد الصواب من الخطأ، فيستطيع المجتمع الحكم على الأفراد أو التصرفات والمستجدات من خلال ما لديه من قيّم بقدر موافقتها أو مناقضتها بسلمه القيمي، وأنّ القيّم تستخدم في الضبط الاجتماعي، فانتشارها وتعميمها والتأكيد عليها من خلال المؤسسات الاجتماعية يجعلها تساهم في توازن المجتمع وتعديل سلوك أفراده.

5. القيم في مجال الأنثروبولوجيا:

يتضح لنا من الدراسات الأنثروبولوجية أنّ هناك علاقة بين كثير من العوامل الثقافية والظواهر الاجتماعية، حيث أنّ لكل مجتمع ثقافته التي تتضمن كل القواعد والمعايير والقيّم وأساليب السلوك الذي

* اتجاه راديكالي غربي تزعمه ديوي ويطلق عليها النفعية أو الأداتية.

8

يتبعها أعضاء المجتمع كما تتضمن كل تلك المخترعات المادية التي اخترعها الإنسان لكي يتكيف مع المجتمع والبيئة التي يعيش فيها، ويهتم علماء الأنثروبولوجيا الثقافية بدراسة نشأة الثقافات المختلفة وكيفية استمرارها ثم عوامل تغييرها.

وتبدو أهمية دراسة هذا الفرع بالنسبة لمجتمعنا –على وجه الخصوص– نظرا لأنّ تعديل الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية، وأحداث النمو الاقتصادي والعلم على تنمية المجتمع كلها عمليات تتطلب التأثير في سلوك الإنسان وفي ثقافته كما تهتم الأنثروبولوجيا أيضا بالعلاقات والتفاعلات الاجتماعية بين الناس كما تبدو من خلال دراسة النظم التي تحوي قواعد ومعايير تنظيم العلاقات وأساليب التعامل في جانب من جوانب الحياة الاجتماعية، وعندما يدرس الأنثربولوجيين البناء الاجتماعي وهم يهتمون بدراسة المكانات التي يشغلها الأشخاص والأدوار التي يقومون بها[8].

والجماعات الاجتماعية التي يكون الأفراد أعضاء فيها وعلى هذا النحو ظلت القيّم تدرس–في مجال الأنثروبولوجيا على أنّها إحدى عناصر البناء الاجتماعي، ولم تهتم الأنثروبولوجيا بدراسة القيّم كنسق قائم بذاته بل جعلته متصلا بالسوسيولوجيا، وباستعراض تاريخ الفكر الأنثروبولوجي يظهر لنا أنّ هناك ثلاث اتجاهات، وقد أثرت في دراسة القيّم وهي كما يلي:

1.5 الاتجاه الأول: وهو الاتجاه التطوري، حيث أنّ الدراسات الأنثروبولوجية في القيمة لها جذورها في النظريات التطورية الثقافية، فمثلا: الأفكار الخاصة بالتقدم والتفوق والأعلى

[8]فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، 1980، ص57.

والأدنى...الخ، وقد استخدمت لفهم نسق القيّم الثقافي أو كما يطلقون عليه الأنثربولوجيين "النمو التطوري للثقافات[8]."

2.5 الاتجاه الثاني:

وهو اتجاه النسبية الثقافية وهو يعني أنّ القيّم نسبية بالنسبة للثقافة التي تنتمي إليها ووفقا لهذا الاتجاه لا يمكن اعتباره القيّم مطلقة، حيث أنّ القيّم يتشكل محتواها حسب التجربة الثقافية والتغير الاجتماعي[8].

3.5 الاتجاه الثالث:

وهو الاتجاه الوظيفي، وهذا الاتجاه ظهر نتيجة الارتباط الوجودي بين الجوانب البيولوجية والاجتماعية للسلوك. ومدلول هذا الاتجاه يفترض أنه لكي نفهم أي نسق قيمي فلابد إذن أن نشير إلى وظائفه الاجتماعية في الحفاظ على استمرار وجود وتضامن المجتمع إذ أنّ القيمة تعتبر مواتية وذات أثر في تقييم الظواهر الأخلاقية إذا كانت تعمل على الاستمرار أو البقاء الإنساني.[8]

نستنتج مما سبق الاشارة إليه أنّ الأنثروبولوجيا وخاصة في ثلاثينيات القرن الماضي شهدت اهتماما واسعا لموضوع القيّم نظرا لأهميته البالغة، فنجد أنّ القيّم تعالج من منظور الأنثروبولوجيين وفق ثلاثة اتجاهات رئيسية، فالمحدد أولا وآخرا هو الثقافة التي استخدمت مفهوم نسق القيّم الثقافي أو ما يصطلح عليه الأنثروبولوجيون مفهوم النمو التطوري للثقافات، كذلك لا يمكن أن ننظر على أنّ القيّم

[8] إيمان العربي نقيب، القيم التربوية في مسرح الطفل، تقديم: نبيل بدران، المعرفة الجامعية، مصر، 2002. ص30.
[8] فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص 45.
[8]فايزة أنور أحمد، القيم الأخلاقية بين الفلسفة والعلم، دار المعرفة الجامعية، مصر،2002، ص254-255.

مطلقة بل نسبية حسب كل ثقافة انسانية وتأثير التغير الاجتماعي، كذلك وظيفة الفرد داخل الجماعة لها مدلول الثقافة القيمية، من خلالها يمكن النظر إلى مستوى تأثير هذه القيم في المجتمع.

6. الطابع التربوي للقيم الدينية والاجتماعية:

المجتمع البشري هو بالأصل تجمع لأفراد وفئات وجماعات تعيش وتتعايش فيما بينها بمنطق التعاضد والتدافع، كل فرد فيها هو بنية عقلية وسيكولوجية، وكل جماعة هي وحدة علائقية ومصالحيه، وكلما كبر حجم المجتمع زاد تعقده، والمجتمع الذي حاله هكذا لا يمكن أن يستمر في الوجود فضلا عن الارتقاء والتطور والالتحام بين الأفراد والإحساس بروابط الجماعة، وهذا هو دور التربية التي تحتل موقعا مركزيا في مقاربة هذه الوقائع الاجتماعية التي تتشابك داخلها المراتب البيولوجية والنفسية والجماعية.

إنّ أهمية التربية، كما يراها "إميل دوركايم"، لا تكمن فقط في نقل المعارف واكتساب التلميذ مهارات مهنية، بل في إشاعة وتثبيت الروح العامة الخاصة بمجتمع معين يعيش صيرورة الانتقال التاريخي، بما يكفل اتزان النسق واستقراره وتوازن المجتمع واستمراره. ومن هذه المنظور تصبح غايتها اجتماعية في أساسها ولها صلة قوية بالتماسك الاجتماعي"[8]

كما يرى "إميل دوركايم" أنّه ليست هناك تربية صالحة وكاملة بالنسبة لكل المجتمعات ولكل الأزمان، فكل مجتمع في لحظة محددة من تطوره يملك نظاما للتربية يفرضه على الأفراد بقوة لا يمكن مقاومتها عامة، وهذه القوة كما رأينا هي الدولة باعتبارها المشرف الوحيد على التربية وذلك

[8]محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص 154.

عبر تأمينها للمواطنين وحدة كافية من الحقوق في التعبير عن شعورهم وأفكارهم بطريقة حداثية تنأى عن كل عتيق أو مسبق وعن كل إكراه أو عنف عدواني[8].

وبما أنّ التربية في نهاية المطاف هي ظاهرة اجتماعية كغيرها من الظواهر فإنّ الغاية المنشودة منها هي تنمية عدد معين من الحالات الجسمية والذهنية والأخلاقية لدى الطفل وذلك عبر تكوين جيد وتعليم فعال يكرس الوحدة الوطنية وروح التفاعل من أجل تحقيق ما ينبغي أن يكون الراشد[8]. إنّ التربية عملية أساسية في نقل وتعزيز وانتشار القيّم المنشودة، لذلك فننظر إلى التربية كآلية ناجعة في تفعيل الحقل القيمي وخاصة منه الديني والاجتماعي، لكونها وسيلة للتنشئة الاجتماعية.

7. ماهية القيم الدينية والاجتماعية:

منظومة القيّم الدينية والاجتماعية التي يتبناها الفرد والمجتمع هي الموجه الأساسي للأيدولوجيا المحركة لأفكار وأقوال وأفعال الفرد والمجتمع والأمة، كما أنّها المكون الأساسي لشخصية المجتمع والأمة، والملهم الحقيقي لها، والقوة الدافعة لها نحو المحافظة على البقاء والنمو والتطور، فهذه الخاصية الإلزامية لها طابع الاستمرارية، ومن هذا الطرح تحديدا سنحاول أن نعطي مفاهيم أساسية ومنطلقات فكرية تتأسس على فكر سوسيوأنثروبولوجي بحت.

8

[8] Emile Durkheim, op. cit., p. 69.

7.1 تعريف القيم الدينية:

ينظر رجال الدين إلى القيمة على أنّها أهداف ومعايير، ومن هؤلاء "ماكرجي" الذي يرى بأنّ القيمة "مجموعة أهداف متفق عليها اجتماعيا، وهي توجد في المجتمع، من خلال عمليتي التعليم والتنشئة الاجتماعية"[8].

أما في معجم المصطلحات التربوية، فهي المبدأ أو المستوى أو الخاصية التي تعتبر ثمينة أو مرغوب فيها، والفعل يُقيم يعني تحديد شيء ما، فعندما يقول شخص ما أنا أقيم صداقتك أي أرى ما يعود على من فوائدها، فإنّ السبب الذي يجعل المرء شخصا مرغوبا في صداقته قيمة التي يؤمن بها[8]

فالدين من وجهة نظر علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا يمثل ظاهرة اجتماعية لازمت الانسانية منذ ظهورها، حيث لا يوجد مجتمع من المجتمعات إلا وقام على أساس ديني يساعد على ايجاد التجانس في العقيدة بين أفراده، ويرسي أساسا من المعايير الأخلاقية، كما يستهدف تعود الافراد على الطاعة والخنوع في نظام اجتماعي معين، مما يؤدي إلى إمكانية قيام حياة اجتماعية وعلى هذا فإنّ الدين في أي مجتمع يعتبر أساس العلاقات الاجتماعية والاخلاقية بين أفراده[8]، وتتنوع وتتعدد المضامين والقيّم في الأسرة لكنّها لا تخرج عن النسق القيمي للمجتمع، إذ أنّها تحافظ على قيّمها بتكريس جهودها في نقل القيّم التربوية كما هي حفاظا عليها من الزوال أو التغيير.

---

[8] سيد أحمد طهطاوي، القيم التربوية في القصص القرآني، دار الفكر العربي، مصر، 1996، ص 14-42.

[8] أحمد حسين اللقاني، علي أحمد الجمل، معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 1998، ص 185.

[8] ثرية عبد الرؤوف محمد جبريل، دور الاخصائي الاجتماعي لمواجهة الحاجات الروحية للعملاء، بحث مقدم إلى مؤتمر التطوير برامج وخدمات الرعاية الاجتماعية في ضوء التصور الاسلامي، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية، ج2، الاسكندرية، 1995، ص 443.

والقيّم الدينية بما لها من أهمية بارتباطها بالنظم الاجتماعية التي تشكل البناء الاجتماعي للمجتمع تمثل محورا هاما ومتغيرا جوهريا في التخطيط لتنمية المجتمع خاصة وأنّ التفكير الديني لازال يسود في هذه المرحلة الدينية مع غيره من مناهج الفكر.

وتتجلى خصوصية القيّم الدينية كونها مناسبة وملائمة لخصائص الطبيعة الفطرية للإنسان، وأنّها ترتبط بالسلوك البشري في كل مظاهره وأبعاده، حيث تترجم في أفعال وأنشطة داخل الأنظمة الاجتماعية، وتعرف القيّم الدينية كذلك على أنها: "مجموع من المتقدات والميول والاتجاهات، التي يطلبها الدين الإسلامي للفرد والجماعة، وينبغي أن تنعكس على سلوكهم"[8].

ودون الدخول في تفاصيل المعنى اللغوي للكلمة نجد أنّ هناك عددا من التعاريف لهذا المصطلح، نأخذ أيسرها للفهم، وهو أنّ القيمة الدينية عبارة عن "مجموعة الأفكار والنظريات والأحكام العقلية والعقدية والثقافية التي يؤمن بها أي فرد من أفراد المجتمع مهما كان مصدرها"[8].

القيمة الدينية مصطلح ديني شائع الاستخدام لدى أهل أصول الدين، ففي اللغة القيّم واحدتها القيمة، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم، وكذلك قيّم مصدر كالصغر والكبر وكذلك دين قويم وقوام أي مستقيم، وفي الحديث قالو: يا رسول الله لو قوّمت لنا فقال الله هو المقوم أي لو سعّرت لنا، وهو من قيمة الشيء أي لو حدّدت لنا قيمتها[8].

---

[8] أشرف فهمي خوخة، استراتيجيات الدعاية والحملات الاعلانية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2012، ص 126.

[8] محي الدين عبد الله حسن، دور القيم التربوية في الوقاية من الآثار السالبة لوسائل الاعلام، مجلة العلوم الاجتماعية، مركز التقويم والجودة والتميز، أم درمان، السودان، 2012، ص 20.

[8] عبد الكريم عثمان، معالم الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 5، 1991، ص 33.

فقد يكون مصدر القيّم الدين أو التشريعات القانونية أو التجارب الإنسانية والأخلاقية أو العادات والتقاليد..، أما بالنسبة للمسلم فإنّ مصادرها هي: القرآن الكريم والسنة النبوية وسيّر الصحابة رضوان الله عليهم، والمصالح المرسلة والاستحسان والقياس، والأعراف والتقاليد الغير مخالفة للشرع، أي القيّم التربوية[8]، "من أدوات التربية التي تساعد الانسان وتؤهله ليؤدي دوره المنوط به سواء مع نفسه أو المجتمع الذي يعيش فيه".[8]

إذن فمن خلال التعاريف المقدمة نستنبط أنّ القيّم الدينية هي التمسك بالمبادئ الأخلاقية والأدبية، والتي هي الصدق، والإخلاص، والمثابرة، والإيمان ونقلهم داخل الأسرة، والأداء السليم للقيّم ولا سيما النوع التقليدي أو المحافظ منها والتي تقام لتعزيز الأسرة وتعزيز نسيج المجتمع، والقيّم التي يتم تلقينها تقليدياً أو تعزيزها داخل الأسرة وهي تلك التي تتمتع بالمعايير الأخلاقية والانضباط العالي.

كذلك هي مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية، يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولا من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته[8]

8. أهمية القيم الدينية:

يتفق عامة الناس وأهل البحث والعلم والاختصاص بخاصة على أهمية القيّم، وعظم دورها في بناء الإنسان وتكوين المجتمعات الإنسانية على اختلاف عقائدها وثقافتها، وتقع القضية القيمية في

[8]محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، (ج 6)، ص 496.

[8]محمد البشير محمد عبد الهادي، القيم التربوية في منهاج الإسلام وادماجها في المناهج الدراسية، شركة القناة للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان، 2011، ص 20.

[8]طارق عبد الرؤوف محمد عامر، التعليم والتعليم الإلكتروني، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2018، ص 86.

صلب اهتمام المنظرين والمثقفين على امتداد العالم وسعته، ويعود هذا الاهتمام بالقيّم جوهر الوجود وعنوانه الحقيقي، وما في الكون كله من مظاهر وآيات وخلق لها وسائط خلقها الله عز وجل وسخرها للإنسان ليقيّم حياته عليها ويحقق من خلالها رسالته في الاستخلاف، ورغم تعدد الفلسفات والتصورات للقضية القيمية إلا أنّ موقفها من أهمية القيّم وضرورتها للسلوك الإنساني واحد لا يتغير، إذ يتفق الجميع على أثرها البالغ في تشكيل سلوك الإنسان، وبناء شخصيته وتعريفه بذاته، "فالقيم ضرورية ولازمة للفرد والمجتمع معاً، فهي ضرورية للفرد في تعامله مع غيره من الأفراد والمواقف التي يواجهها في حياته اليومية، إذ يتخذ من نسق المعايير والقيّم موجها لسلوكه ونشاطه، وهي لازمة لأي مجتمع، لكي تنظم أهدافه ومثله العليا كي لا تتضارب قيمه وبالتالي ينتابها صراع قيمي اجتماعي يؤدي بذلك المجتمع إلى التفكك والسقوط".[8]

وتظهر أهمية القيم الدينية في الآتي:

- القيّم هي الأساس للقواعد والقوانين التي يتوافق عليها الناس نتيجة التزامهم بتعاليم دينهم وقناعتهم التامة بضرورة التمسك بتلك القيّم وتطبيقها في حياتهم لتستقيم الحياة ويتحقق لديهم الرضا، والشعور بالسعادة، والوحدة والانتماء، فيكون المجتمع متماسكا، قويا، راقيا، يسمو فوق الضغائن، وكل إنسان في هذا المجتمع يبتغي من الله عز وجل في كل أمر من أمور حياته[8].
- تعمل القيّم كمؤشرات للتنبؤ بالسلوك الحسن للإنسان، كما أنّها تشبع رغبات الفرد وحاجاته بما يتناسب مع عقائده وأفكاره ومجتمعه، إضافة إلى أنّها تحقق للفرد الراحة والاطمئنان من خلال

[8]هندي صالح دياب، دراسة **في الثقافة الاسلامية**، جمعية عمال المطابع التعاونية، عمان، الأردن، 1981، ص 74
[8]طهطاوي سيد احمد، **القيم التربوية في القصص القرآني**، القاهرة، دار الفكر العربي، 1996، ص 45.

حمايته من الانحراف والانجرار وراء شهوات النفس وغرائزها، وهي التي تحدد مسارات الفرد وسلوكياته في الحياة.[8]

- تعبر القيّم عن غايات يسعى أفراد المجتمع لتحقيقها، وتعمل على توجيه أبناء المجتمع إلى العمل الجماعي كما تساعد المجتمع على مواجهة الأزمات[8]
- تلعب القيّم دورا فاعلا في تحقيق التكيف والتوافق النفسي والاجتماعي للأفراد، كما تؤدي دورا هاما في عمليات الإرشاد والعلاج النفسي الذي يهدف إلى تعديل السلوك والقيّم الدينية، وهي سياج يحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي وبدونه يصبح عبدا لغرائزه[8]
- تساعد على تحديد ملامح شخصية المجتمع المتميزة عن غيره من المجتمعات الأخرى، وذلك لأنّ القيّم تزود أفراد المجتمع بقدر مشترك من الثقافة والتفكير، وبالتالي تساعد على الشخصية العامة المشتركة لجميع أفراد المجتمع بالرغم من وجود قدر من التباين بين شخصيات أفراده.
- تساعد المجتمع على مواجهة التغيرات السلبية التي قد تطرأ عليه وذلك لإعطاء بدائل حكيمة يسهل على أفراد المجتمع التعامل بها في المواقف المختلفة فيما بينهم، كما وتقي المجتمع من النزعات العدوانية فتدفع الأفراد إلى التعامل بحذر مع أصاحبها.
- تزود أفراد المجتمع بالصيغ التي يتعامل بها مع العالم، وبطبيعة العلاقات التي يجب أن تسود بينه وبين المجتمعات الأخرى، وتحدد له أهدافا ومبررات لوجوده، وبالتالي يسلك في ضوئها السلوك القويم.[8]

---

[8] زهران حامد عبد السلام، **علم النفس الاجتماعي**، ط 5 القاهرة، علم الكتب 1984، ص 28.

[8] ابو العينين علي خليل المصطفى، **القيم الاسلامية والتربية**، مكتبة ابراهيم الحلبي، المدينة المنورة، 1988، ص35.

[8] زهران حامد عبد السلام، **مرجع سابق**، ص 34.

[8] نفس مرجع، ص 36.

- تساهم القيّم في اختيار الأفراد المناسبين للقيام بوظائف مجتمعية معينة في مؤسسات المجتمع المختلفة كما " تعمل القيّم كمحفزات ودوافع للعمل، فمتى تكونت القيّم المرغوب فيها لدى الفرد فانه ينطلق إلى العمل، وتكون هي بمثابة المرجع أو المعيار أو القاعدة التي ينطلق منها وتقاس أعماله بناء عليها "[8]

وما يمكن قوله في هذا الصدد هو أنّ القيّم الدينية مهمة سواء للفرد أو المجتمع لأنّها تعطي معنى للحياة، فالحياة بلا قيّم هي حياة بلا معنى وآخرة بلا ثواب، فالدين مقوم أساسي لسلوك وتوجه الفرد نحو التشبع بالمبادئ والغاية منها التنظيم في الحياة والتمييز بين ماهو صحيح وخاطئ، وتتجلى القيّم الدينية في الاهتمام بالمعتقدات والقضايا الروحية والدينية والغيبية، والبحث عن حقائق الوجود وأسرار الكون، كما أنّ للقيّم الدينية قداسة وهيبة مما يجعل احترام هذه القيّم أمرا نابعا من ذات الانسان عن طاعة اختيارية الله ونية صادقة لكسب رضاه، وأن يصبح الالتزام الأخلاقي مسؤولية ذات معنى، بهذا يكون للقيّم سند حقيقي وتتفوفر بها شروط الاستقرار والثبات في المجتمع.

9. القيّم الاجتماعية:

تتحدد القيّم الاجتماعية وفق معايير اجتماعية يحددها المجتمع والتي تعتبر من أهم أسس بناء الإطار المرجعي للفرد وتضم عدد كبير من نتائج التواصل الاجتماعي بين الأجيال في الحاضر والماضي، كما لها دور في عملية التثاقف والتواصل بين مختلف الشعوب، وتنضوي تحتها تعاليم دينية وأخلاقية وأعراف وعادات وتقاليد، وغيرها مما استقر عليه المجتمع توافقا وقبولا لتحديد ماهو مقبول

[8] حسين عادل، **المشروع الحضاري العربي الاسلامي**، دار العربي للنشر، عمان، الأردن، ط1، 1981، ص 59.

ومرفوض اجتماعيا، إذ تعتبر القيّم الاجتماعية مرجعية ضابط للفرد والمجتمع، ومن خلال ما سبق سنشير إلى أهم التعريفات الموجهة للقيّم الاجتماعية نذكر منها:

قد عرفها الغوراني بأنها "نوع من الاتجاهات التي تتكون لدى الفرد في جميع المواقف والتي تحدد اختيارات الفرد نحو ماهو مفضل أو غير مفضل اتجاه الأشياء التي هي موضع اهتمام، وهذا ينعكس على شخصية الفرد وتصبح احدى الموجهات السلوكية وتصرفاته على المدى الطويل من عمره".[8]

أما ماجد الزيود يرى بأنّها: "مجموعة من المعايير والاحكام التي تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية بحيث تمكنه من اختيار أهدافه وتوجهاته لحياته، يراها جديرة بتوظيف امكاناته وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي بطريقة مباشرة وغير مباشرة".[8]

ويرى الجلاد أيضا بأنّها: "مجموعة من المعتقدات والتصورات المعرفية والوجدانية والسلوكية الراسخة يختارها الانسان بعد تفكر وتأمل ويعتقد بها اعتقادا جازما، تشكل له منظومة من المعايير يحكم بها على الأشياء بالحسن أو بالقبح وبالقبول أو الرد ويصدر عنها سلوك منتظم يتميز بالثبات والتكرار والاعتزاز".[8]

---

[8] سلوت نور السيد، مفاهيم القيم المتضمنة في الأناشيد المقدمة لطلبة المرحلة الأساسية الدنيا في مدارس فلسطين، رسالة ماجستير غير منشورة، غزة، فلسطين، الجامعة الاسلامية، 2005، ص 44.

[8] ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير، دار الشروق، عمان، ط1، 2006، ص25.

[8] ماجد زكي الجلاد، تعلم القيم وتعليمها التصور النظري والتطبيقي لطرائق تدريس القيم، دار الميسرة للنشر والتوزيع، عمان، ط2، 2007، ص 12.

من خلال التعاريف السابقة نشير إلى أنّ القيّم الاجتماعية هي جملة المعايير والأحكام والاختبارات التي اكتسبت من خلال التجربة الانسانية معاني اجتماعية، وعلى ذلك فهي بمثابة موجهات لتمحيص السلوك بين ماهو مرغوب وما هو مرفوض، وتترسخ هذه القيّم في مجتمع ما وفقا لقوتها الفاعلة في مختلف مجالات الإنسان، وعليه تأخذ طابع التدرج بين الفرعي والأساسي حسب ثقافة المجتمع ولها وظائف عامة أهمها التكامل الثقافي.

10. أهمية القيّم الاجتماعية:

للقيّم الاجتماعية أهمية في حياة الفرد والمجتمع إذ تعمل كآلية للضبط الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية للفرد في مراحله العمرية المختلفة، هذا إذا سلمنا أنّ المجتمع يسير وفق متطلبات التغير الاجتماعي وله أصالة وتقاليد مشبعة بالقيّم الاجتماعية المتجذرة في العرف الاجتماعي، لذلك تعتبر ذات أهمية بالغة في تنظيم المجتمعات، ويمكن أن نجيز أهميتها في الآتي:

- تنظيم المجتمع من خلال تنسيق سلوك الأفراد اليومي حسب مقتضيات مصلحة المجتمع الذي يعيشون فيه، فضلا عن كونها تقوم بخدمة النظام الاجتماعي واستقراره في الحياة الاجتماعية.
- تساهم في تنسيق دعائم المجتمع حيث أنّها تتمل وفق المعايير التي تساعد في بناء المجتمع وتنظيمه وتنميته.
- تعتبر الإطار العام لأخلاقيات المجتمع وينسب علماء الاجتماع أهمية القيّم خاصة منها القيّم الدينية والأخلاقية في العمليات التنظيمية والضبط الاجتماعي، ولقد ذهب بارسونز على أنّ المقاييس الأخلاقية بمثابة مركز الجانب القيمي من الثقافة العامة.
- تنظيم المجتمعات وإدماج الأفراد وبناء وتركيب النسق الاجتماعي، وتحديد السلوكات وفق مجموعة من المعتقدات الاساسية ولا وجود لمجتمع دون بنية قيمية تنظمه.

- تكوين شخصية الفرد وتقوية الروابط والعلاقات الاجتماعية والمحافظة على الهوية الوطنية وتجنب الفرد أمراضا اجتماعية تأثر سلبا على حياته وحياة مجتمعه.

من خلال ما سبق ذكره تظهر أهمية القيّم الاجتماعية في عملية الضبط الاجتماعي كونها معايير ثابتة مستمدة من التراث الثقافي للمجتمع أي العرف والعادات والتقاليد، كما أنّها تعمل على تسهيل عملية الإندماج الاجتماعي للأفراد وتساعد على التوازن الاجتماعية وبه يتحقق الهدف المنشود وهو الاستقرار والثبات.

11. الاتجاه الاجتماعي في تفسير القيم:

لقد توجه جمهور العلماء السوسيولوجيين إلى تفسير القيّم من خلال المقاربات والنظريات حسب المدارس الفكرية السائدة، ولكي نوضح ذلك أكثر سنعطي تفسيرات مختلفة لبعض العلماء وتظهر فيما يلي:

11.1 إميل دوركايمEmile Durkheim:

يظهر اهتمام "إميل دوركايم" بالقيّم والأخلاق في محاضراته عن التربية الأخلاقية (1902ـــ1907) والتي نشرت بعد ذلك في عدة كتب، منها كتاب التربية وعلم الاجتماع عام 1922.

بحيث يرى "دوركايم" أنّ النظام الأخلاقي هو حقيقة اجتماعية تميز المجتمعات البشرية، والمجتمع ما هو إلاّ مجموعة من القواعد الأخلاقية، وإذا اختفى المجتمع فإن القيّم الأخلاقية ستختفي

بالضرورة لأنّ الإنسان لا يوصف بأنّه أخلاقي بمجرد تبنيه لبعض القيّم الأخلاقية في داخله، بل لأنه يعيش في المجتمع، فالأخلاق والقيّم الأخلاقية ترتبط عضويا بالمجتمع[8].

والقيّم الأخلاقية هي وقائع اجتماعية تتصف بصفات الظواهر الاجتماعية من حيث إنّها خارجة عن ذات الإنسان، وصفتها الإلزامية والعمومية، وأنّها صفة إنسانية مرتبطة بأفعاله، فإنّها "لا تتشكل من أطر مثالية، بل من العادات والمتحيزات الواعية، فكل منا يتبع في حياته مبدأ أخلاقيا"،[8] ومصدر القيّم هو العقل الجمعي (الضمير الجمعي) للمجتمع، وإذا كانت المجتمعات تنقسم حسب طبيعة العلاقات الاجتماعية وأساليب السلوك، فإنّ القيّم والقواعد الأخلاقية هي التي تعبر عن شكل التضامن فيها، ويختلف شكل التضامن باختلاف درجة تطور وتعقيد المجتمعات، فإن القواعد الأخلاقية تتغير أيضا بتغير أشكال التضامن، فهناك قواعد تنتشر في المجتمعات البسيطة ذات التضامن الآلي، وقواعد أخرى تنتشر في المجتمعات المعقدة ذات التضامن العضوي، وهكذا فإن القيّم نسبية عند "دوركايم" وليست مطلقة، كما ادعى أصحاب التيار المثالي، ورغم هذا التباين إلا أنّ القواعد الأخلاقية لها نفس الدور في مختلف المجتمعات[8].

ما يمكن استخلاصه أنّ القواعد الأخلاقية عند "دوركايم" هي حقائق اجتماعية لها صلة مباشرة بالمجتمع وليست مفروضة عليه من الخارج، وبما أنّ المجتمعات تختلف في تقسيمها للعمل فإنّ قيمها وقواعدها الأخلاقية تتباين هي الأخرى مع احتفاظها بدورها في جمع وعي المجتمع كله حول هدف واحد لتشكيل ضمير جمعي للأمة، وبذلك تشكل القواعد الأخلاقية والإطار العام لروح الأمة أو

[8]أحمد بيومي، علم الاجتماع القيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1981، ص 210.
[8]فوزية دياب، القيم والعادات الاجتماعية، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، 1996، ص 74.
[8]خليل علي، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حنفي، القاهرة، مصر، 1989، ص 209.

لضميرها الجمعي، ورغم الطرح المعياري الذي تميز به "دوركايم" لفهم وتفسير الحياة الاجتماعية إلا أنّه استطاع أن يدرس القيّم كظاهرة اجتماعية شيئية لها صفات الظواهر الاجتماعية الأخرى مما مكنه من دراستها وفقا لمنهجه.

2.11 ماكس فبير Max Weber:

يرى فيبر أنّ الفعل الاجتماعي هو سلوك إنساني يحمل معنى، وتتشكل معاني الأفعال من القيّم الكامنة، وتبدو النتيجة في سلوك الفرد أو الجماعة، فلا يمكن فهم الفعل وتفسيره إلا بالرجوع إلى القيّم محركة والدافعة له[8].

ولما كانت القيمة مرتبطة بالفعل، والأفعال متباينة ومختلفة فإنّ القيّم تتباين وتختلف أيضا، ولذلك" فكما تصاغ الأفعال في أنماط متتالية (الأفعال العقلانية، الوجدانية والتقليدية) فإنّ القيّم الأخلاقية يمكن أن تصاغ في أنماط متتالية، ذلك أنّها تتعثر لا بين داخل المجتمعات بل داخل المجتمع الواحد."[8]

فالقيّم عند "ماكس فيبر" هي متغير مستقل في التفاعل الاجتماعي، لذلك حاول أن يبرهن عن العلاقة النسبية بين نسق القيّم الدينية وظهور الرأسمالية الحديثة، فلقد ساهمت القيّم الدينية البروتستانتية من خلال القيّم التي نادت بها كقيّم الإنجاز والعقلانية والحرية إلى تحفيز الرأسمالية نحو المزيد من الإخلاص والصرامة والالتزام، وهذا ما ساهم في نمو الحضارة في المجتمعات الغربية، فروح الرأسمالية هي نسق من القيّم الأخلاقية نحو الحياة التي يجب على الفرد أن يحققها.

[8] أحمد بيومي، مرجع سابق، ص 213.

[8] فوزية دياب، مرجع سابق، ص 78.

تفسير يركز على القيّم الفردية والذاتية والتي تدعم المشروع الرأسمالي وتبرز العمل الفردي فهو يسعى نحو "إرساء قيّم تخدم الرأسمالية الغربية التي تعد نموذجا فريدا أو مثاليا من نماذج المجتمعات التي يسود فيها نمط الفعل العقلاني"[8] وهكذا يبين دور القيّم في عملية التحول الاجتماعي.

3.11 تالكوت بارسونز:

ينظر " تالكوت بارسونز" إلى الفعل الاجتماعي على أنّه نسق يضم الاتجاه نحو تحقيق هدف أو غاية ووجود موقف يتفاعل فيه طرفان يستخدمان وسائل لتحقيق الغايات، ووجود إطار معياري ينظم عملية اختيار الوسائل والغايات، ويؤدي ترابط هذه العناصر إلى تشكيل وحدة سلوكية هي أصغر مكونات الواقع الاجتماعي، وتتغير أنماط المجتمعات بتغير الأطر البنائية التي تحكم أفعال الأفراد والجماعات فيها[8].

والسلوك هو نتاج التقاء دافعية الأفراد وتربيتهم الداخلية بالأطر المعيارية التي تحكم هذا السلوك والظروف الموضوعية التي تحيط به، فالأطر المعيارية تنظم العلاقات الاجتماعية وتضبط الطاقة الدافعة في بناء الشخصية، فالعلاقات الاجتماعية في موقف لا يخضع للمعايير، و تتشكل القيّم في علاقات التفاعل من خلال التوقعات المتبادلة بين الأفراد في مختلف المواقف عبر الزمن لتتحول إلى معايير تحكم سلوك الفاعلين وعند استقرارها داخل الفاعلين تشكل الثواب والعقاب، "إنّ هذه المستويات الثلاث: التوقعات، المعايير، والجزاء، هي التي تجعل العلاقات تتشكل في أدوار، التي تشكل في تداخلها وتعقدها مؤسسات المجتمع وبنائه الاجتماعي[8]".

---

[8] نفس مرجع، ص 81.

[8] أحمد بيومي، مرجع سابق، ص 214.

[8] فؤاد حيدر، القيم والأسس التربوية، دار الفكر العربي، مصر، 1994، ص 87.

والقيّم عند "بارسونز" هي ظاهرة اجتماعية ثقافية مصدرها البناء الثقافي، تعمل على ضبط الفعل الاجتماعي والتحكم فيه، فأنساق الفعل الأربعة: (النسق العضوي، النسق الشخصي، المجتمع، والثقافة) تختلف بحسب امتلاكها القدرة على الضبط، ويتوقف ذلك على كمية المعلومات في النسق، وتعتبر الثقافة أو النسق الثقافي قادرا على ضبط السلوك والتحكم فيه لامتلاكه كميات كبيرة من المعلومات، والنسق القيمي من مكونات الثقافة، حيث له القدرة على الضبط والتحكم، فالقيّم هي معايير عامة يشترك فيها أفراد المجتمع تؤدي وظيفة تحقيق الاستقرار للبناء الاجتماعي من خلال تحقيق التضامن في المجتمع، الذي بدوره يؤثر على البناء الاجتماعي.

4.11 جورج هربرت ميد Georges Herbert Mead

يرى "ميد" أنّ الواقع كيان حي ينشأ ويتكون من خلال تفاعلات الأفراد مع بعضهم البعض ومن خلال مظاهر التفاهم المشتركة التي تمكنهم من خلق مؤسسات والنظم، وتتغير النظم عند تغير التعريفات الذاتية المشتركة لهذه النظم.

وعملية خلق تعريفات مشتركة للواقع هي عملية خلق القيّم والمعايير المشتركة، وهي التي تميز جماعة معينة عن باقي الجماعات والتي تستدعي مدة زمنية طويلة، فالجماعة تمر بخبرات طويلة ومراجعات ومفاوضات طويلة لكي تحقق هذا الفهم المشترك الذي يكسب القيّم الاستمرارية، أما الوعي الجمعي فينشأ من تكيف الفرد (الذات) مع بيئته من خلال تفاعلهم معها ومع بعضهم البعض[8]، فيؤثر كل منهم على الآخرين وبالتالي يعدل كل واحد سلوكه على ضوء سلوك الآخرين، إذن "فالجماعة تستطيع أن تقيم لنفسها واقعا في داخلها إذا توصلت إلى فهم مشترك وقيّم مشتركة شكلت بناءها

[8] جليل وديع الشكور، القيم وتصنيفاتها، دار المعرفة للنشر، مصر، 1989 ص 88.

العقلي"، فالجماعة التي تستطيع أن تشكل لنفسها رموزا يتعارف عليها أعضاءها فقد استطاعت أن تحقق تفاهما مشتركا وبالتالي تؤسس قيم ومعايير مشتركة وعامة[8]، لكن الواقع الرمزي –القيمي– غير ثابت، قابل للتغيير باستمرار لأنّ الواقع الاجتماعي مرن، فالأفراد يغيرون من تصوراتهم، وبالتالي يغيرون من واقعهم باستمرار، إذن فالقيّم ليست ثابتة في المجتمع، بل متغيرة لأنّها من صنع الأفراد، وبالتالي فهم قادرون على تغييرها من أجل إثراء التفاعل، وليست أطر خارجية تفرض على الأفراد من البيئة الخارجية.

12. دور الأسرة في تشكيل القيّم الدينية والاجتماعية:

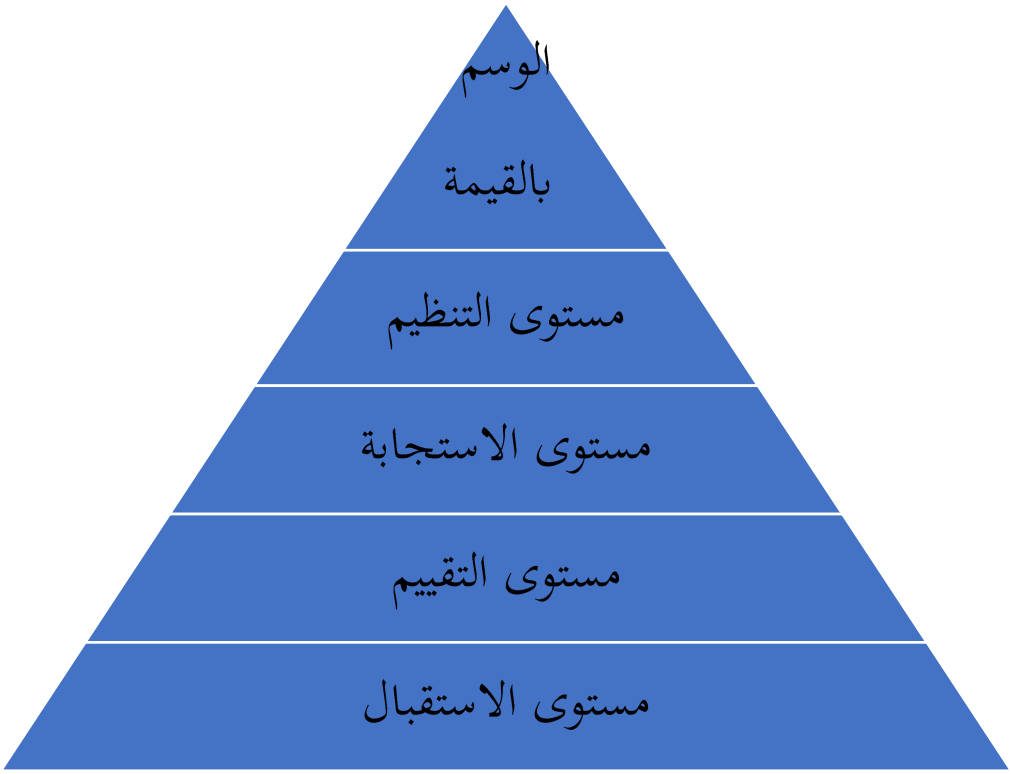
تعتبر الأسرة من أهم المؤسسات الاجتماعية التي تسهم في نقل القيّم الدينية من جيل إلى جيل فهي التي تحدد لأبنائها ما ينبغي ومالا ينبغي في ظل المعايير الحضارية السائدة، إنّ تبنى الطفل لقيّم ومعايير الوالدين يعتمد على مقدار الدفء والرعاية والاهتمام فنمو الضمير الأعلى يتضمن عملية التوحد أو التماهي للطفل مع والديه كما هو الصبي مع الأب وكما هي البنت مع الأم[8].

تعد الأسرة من أهم وأولى المؤسسات التربوية الاجتماعية لما لها من دور أساسي في إكساب الأفراد لمختلف القيّم وتشكيل شخصياتهم وتكاملها، فهي المسؤولة عن بث روح المسؤولية، والقيّم تعود الأبناء على احترام النظام والتواصل مع الآخرين، كما للأسرة دور حيوي في نقل التراث الاجتماعي من جيل لآخر.

[8]إيمان العربي نقيب، القيم التربوية في مسرح الطفل، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2002، ص 15.
[8]فؤاد حيدر، مرجع سابق، ص 100.

كما تعتبر الأسرة وسيلة اتصال بين الأجيال المتتالية عن طريق تنشئة الأطفال على القيّم والمبادئ والمعايير الاجتماعية، فهي تقوم بنقل التراث بين الأجيال من أجل تكوين شخصية سوية اجتماعيا وروحيا وعقليا وحتى جسميا ويرى ديفيد كراثول (krathwohl) أنّ اكتساب القيّم يحدث عبر عمليات متسلسلة على نحو هرمي ذات خمس مستويات نبينها في الهرم الآتي:

الشكل رقم 1 يوضح المستويات الخمسة لعمليات اكتساب القيم في الأسرة



المصدر: من إعداد الطالب.

من خلال هذا الهرم نرى أنّ اكتساب القيّم يبدأ من منطلق قاعدي ممثلا في مستوى الاستقبال أي استقبال القيّم من الأسرة، وترتقي بذلك إلى مستوى التقييم، ثم الاسجابة والقابلية، ثم بعد ذلك

ينظمها الفرد من أجل نقلها وتوريثها حتى تصل إلى أعلى الهرم وهي الوسم بالقيمة، أي تصبح كمعيار ضابط وموجه.

أما العوامل الأسرية الأخرى التي تؤثر سلبا أم إيجابا في عملية الاكتساب، نوع السلطة التي يمارسها الأبوان وكيفية تركيب الأسرة والمستوى الذي تحظى به من وعي وإدراك وثقافة ومعتقدات واتجاهات وقيّم[8]

بالرغم من أنّ عمليات اكتساب القيّم تحدث تلقائيا لكل شخص بمرور الزمن وتقدم عمره وأثناء عملية التنشئة الاجتماعية، إلا أنّه لا بد أن تغرس في نفوس الأطفال والناشئة، وذلك عن طريق التربية ولذا سميت بالقيّم، فتعد القيّم الأسرية منظومة فرعية ضمن المنظومة العامة للعملية التربوية التي تتشكل من الموجه والمُوَجَه، ومنظومة القيّم، والبيئة المحيطة.[8]

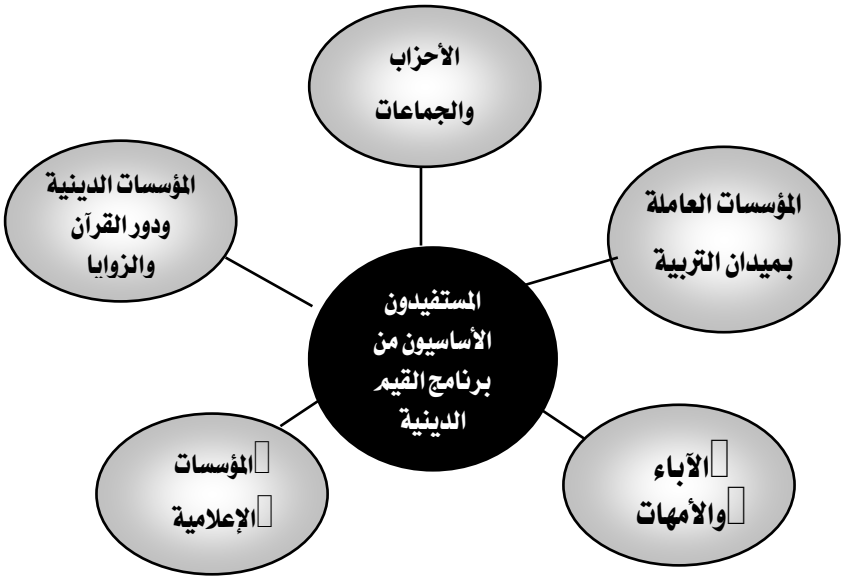
ولأنّ الأسرة هي المصدر الأول في تكوين قيّم الفرد واتجاهاته، وعاداته الاجتماعية، فهي التي تمده بالرصيد الأول من القيّم والعادات الاجتماعية، وهي بذلك تمده بالضوء الذي يرشده في سلوكه وتصرفاته، ففي الأسرة يتلقى الطفل أول درس عن الحق والواجب، والسلوكيات الصائبة والخاطئة، والحسنة والقبيحة، وما يجوز عمله وما لا يجوز، والمرغوب فيه وغير المرغوب فيه، وماذا يجب عمله، وماذا يجب تجنبه، بل وتحدد له حتى الدين الذي يعتنقه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة،

[8]جليل وديع الشكور، القيم وتصنيفاتها، دار المعرفة للنشر، مصر، 1989 ص 215.

[8]محي الدين عبد الله حسن، دور القيم التربوية في الوقاية من الآثار السالبة لوسائل الاعلام، دار فرحة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 68.

هل ترى فيها جدعاء"[8]، وعلى ما تقدم من طرح فإنّ العناصر الأساسية لتكوين القيّم تعتمد على منظومة القيّم الاجتماعية والتي تتأكد بفعل الدين والعادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية وهذا حسب المنظور السوسيولوجي، وفي هذا الصدد إنّ منظومة القيّم الاجتماعية والدينية تتطلب جهود جملة من الفاعلين ونقصد بذلك مؤسسات التنشئة الاجتماعية من أجل تعميمها والتحكم فيها كونها معيار ثابت لا يقبل التغيير من أجل التوازن والاستقرار وعلى ذلك نوضح في الشكل التالي المستفيدون من برنامج القيّم الدينية والاجتماعية.

الشكل رقم 2 يوضح المستفيدون من برنامج القيّم الدينية والاجتماعية.



المصدر: إبراهيم رمضان الديب، أسس ومهارات بناء القيم التربوية، ص 22

[8]بوعطيط سفيان، القيم الشخصانية في ظل التغير الاجتماعي وعلاقتها بالتوافق المهني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم، كلية العلوم الاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011، ص 89.

بناءً على هذا الشكل نستنتج أنّ عملية نقل القيّم لا يرتكز على الأسرة فقط، بل كل مؤسسات التنشئة الاجتماعية، فهذا الترابط يؤكد الاستمرارية والحفاظ على منظومة القيّم للمجتمع ككل، فهذه المحددات هي نتاج ثلاث مستويات:

أولا: وهو المستوى الذي تحدد فيه الثقافة المفاهيم الجديرة بالرغبة فيها.

ثانيا: حيث توجد الأسرة وتوجهاتها نحو قيم وغايات بعينها.

ثالثا: ويتمثل في الجوانب الاجتماعية الفرعية كالمستوى الاقتصادي، الاجتماعي والدين والجنس والمهنة ومستوى التعليم وغير ذلك.

ومن خلال هذه المستويات نرى أنّ للأسرة دور في تشكيل القيّم الدينية والاجتماعية، وكذلك المؤسسات التنشئة الأخرى حيث تقوم منظومة القيّم على ثقافة المجتمع أولا وتوجهات الأسرة كنواة أولية للمجتمع مع مختلف جوانب الحياة الأخرى، وتتخذها كمعيار ثابت من أجل التوازن والاستقرار.

11. وظائف القيّم الدينية والاجتماعية:

من المعروف أنّ الحياة مليئة بمجالات التعامل والتفاعل بين الناس، لذلك فهي تشتمل على عديد من القيّم البسيطة والمركبة المتداخلة، وهذه القيّم لها درجات مختلفة من التأثير على الفعل، ويرجع هذا إلى أنّ القيّم ليست متساوية في الأهمية فهي تقع في ترتيبات هرمية، وترتب تبعا لأفضليتها

ومستوى أهميتها، حيث تسبق القيمة العظمى، ثم تأتي التي تليها وهكذا ومن أهم الوظائف التي تؤديها القيّم الدينية والاجتماعية[8]:

- القيّم الدينية والاجتماعية تدفعنا إلى تفضيل أو تبني إيديولوجية سياسية أو دينية دون أخرى.
- تحافظ القيم الدينية والاجتماعية على هوية المجتمع، وتعمل على تماسكه ووحدته عبر التاريخ.
- القيّم الدينية والاجتماعية توجهنا في إتباع الآخرين والتأثير عليهم لتبني مواقف ومعتقدات أو اتجاهات نعتقد أنّها جديرة بالاهتمام والدفاع عنها.
- أنّها تهيئ للأفراد اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم، وبعبارة أخرى تحدد شكل الاستجابات وبالتالي تلعب دورا مهما في تشكيل الشخصية الفردية، وتحديد أهدافها في إطار معياري صحيح.
- أنّها تحقق للفرد الإحساس بالأمان فهو يستعين بها على مواجهة ضعف نفسه، والتحديات التي تواجهه في حياته.
- أنّها تعطي للفرد إمكانية أداء ما هو مطلوب منه، وتمنحه القدرة على التكيف والتوافق الايجابيين، وتحقيق الرضا عن نفسه لتجاوبه مع الجماعة في مبادئها، وعقائدها الصحيحة.
- أنّها تدفع الفرد لتحسين إدراكه ومعتقداته لتتضح الرؤيا أمامه، وبالتالي تساعده على فهم العالم حوله وتوسيع إطاره المرجعي في فهم حياته وعلاقاته.
- أنّها تعمل على إصلاح الفرد نفسيا وتربويا وتوجهه نحو الخير والإحسان والواجب.

[8] علي خليل مصطفى أبو العينين، القيم الاسلامية والتربية، مكتبة ابراهيم علي، المدينة المنورة، م. العربية السعودية، ط1، 1988، ص 35-36

- أنّها تعمل على ضبط الفرد لشهواته ومطامعه كي لا تتغلب على عقله ووجدانه لأنها تربط سلوكه وتصرفاته بمعايير وأحكام يتصرف في ضوئها وعلى هديها.

تؤدي القيّم الدينية والاجتماعية إلى تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي، لأن لكل مرحلة عمرية يمر بها الإنسان نسق من القيّم يميزها عن المراحل الأخرى، وهذا النسق القيمي يعمل على تحقيق توافق الفرد مع المعايير الاجتماعية السائدة في مجتمع[8].

ولها تأثير واضح كأداة للتضامن الاجتماعي، فوحدة الجماعات تستند إلى وجود القيّم المشتركة، مما يجعل الناس ينجذبون لبعضهم عندما يشعرون بتماثل الأخلاق والعقائد التي يعتنقونها[8].

إنّ أي تنظيم اجتماعي في حاجة ماسة إلى نسق القيّم الذي يضمن له أهدافه ومثله العليا التي تقوم عليها حياته ونشاطه وعلاقاته، فإذا تضاربت هذه القيّم أو لم تتضح فإنه سرعان ما يحدث الصراع القيمي الاجتماعي.

بذلك تضمن القيّم الدينية والاجتماعية للجماعة روحها وتماسكها داخل أهدافها التي وضعتها لنفسها، وهي تساعد المجتمع بأفراده وجماعاته المختلفة على التمسك بمبادئ ثابتة ومستقرة، وتحفظ له هذا التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة ومستقرة، وتساعد المجتمع على مواجهة التغيرات التي تحدث فيه من خلال الاختيار الصحيح الذي يسهل للناس حياتهم ويحفظ للمجتمع استقراره وتصون كيانه في إطار واحد.

12. مكونات وأساسيات القيم الدينية والاجتماعية:

تتلخص مكونات القيّم الدينية والاجتماعية في ثلاث مكونات أساسية تتمثل في[8]:

[8] قيس النوري، الحضارة والشخصية، مطبعة الفنون الجامعية، الجمهورية العراقية، 1981، ص 69

[8] نفس المرجع، ص 69.

أ. **المكون المعرفي:** وتتضمن مجموعة المعارف، والمعلومات التي تعرفنا بالقيمة المراد تعلمها وما تحمله من معاني مختلفة.

ب. **المكون الوجداني:** وهذا المكون مرتبط بتقدير القيمة والاعتزاز بها وهو مجموعة المشاعر والأحاسيس الداخلية للفرد إزاء قيمة دون الأخرى، وفي هذا يظهر استعداد الفرد بالتمسك بالقيمة وسعادته بذلك.

ج. **المكون السلوكي:** ويتضمن الترجمة الفعلية للقيمة عن طريق سلوكيات وأفعال وأداء نفسي حركي ولكي نضبط مفهوم القيّم ونحددها يجب الإشارة إلى عناصر القيّم الأساسية حتى نتمكن من فصلها عن بعض المفاهيم التي قد تتداخل معها في كثير من الأحيان، ويمكن تحديد عناصر القيمة فيما يلي[8]:

- **التعرف والاختيار:** وفيها يتم التعرف على البدائل الممكنة، ثم النظر في نتائج كل بديل ثم يتم الاختيار الحر للبديل.
- **تقدير القيمة والاعتزاز بها:** تعني الشعور بالسعادة لاختيار القيمة.
- **ممارسة القيمة:** وهي إعلان التمسك بالقيمة، ثم ترجمتها إلى ممارسة ثم بناء النظام القيمي.

إنّ للقيّم الدينية والاجتماعية مكونات أساسية تظهر من خلال تفاعل الفرد مع المجتمع معرفيا أي القيّم المكتسبة ثم الاعتزاز بها من خلال أحاسيس الفرد إزاء القيمة وهو ما يشكل استعدادات فردانية

---

[8] محمد فتحي عكاشة، محمد شفيق زكي، المدخل إلى علم النفس الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الأزاريطة، الإسكندرية، 1997، ص 240.

[8] نورهان منير حسن فهمي: القيّم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 93.

للتمسك بها، ثم تترجم هذه الاستعدادات الى مكون سلوكي تتجسد في ممارساتها في المجتمع، وعليه يوضح الشكل التالي عملية تكوين وتشكل القيّم الدينية والاجتماعية داخل الأسرة وهو كالآتي:

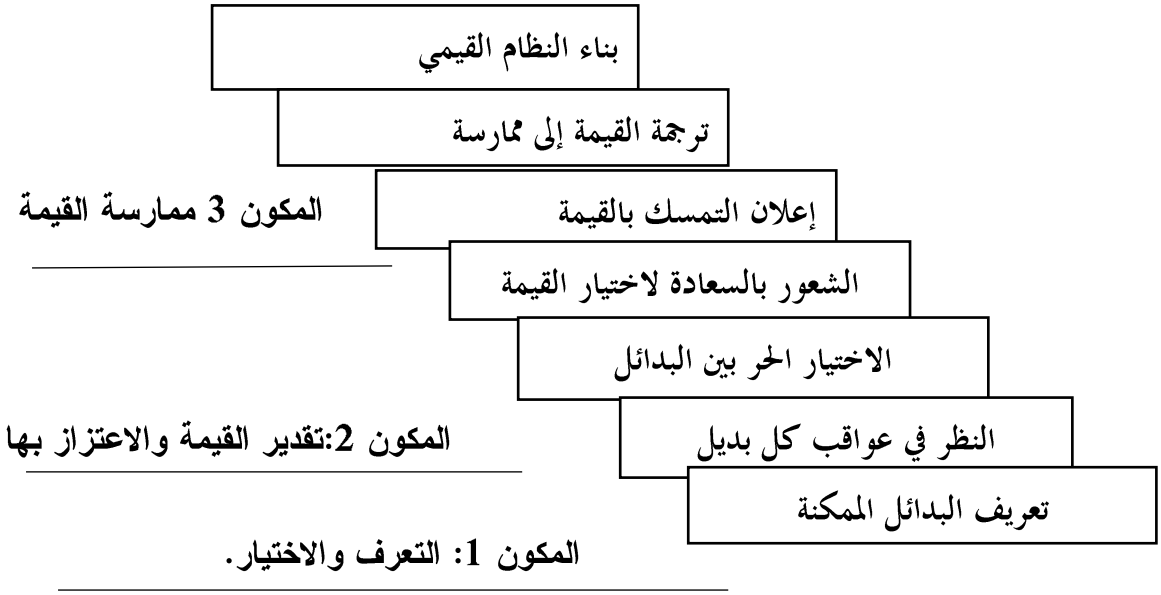
الشكل رقم 03 يوضح عملية تكوين وتشكيل القيم الدينية والاجتماعية في الأسرة.



المصدر: من إعداد الطالب.

من خلال الشكل أعلاه نؤكد على أنّ عوامل تشكيل القيّم الدينية والاجتماعية ترتكز على ثلاثة مكونات مرتبطة لا فصل بينها، حيث أنّ المكون المعرفي الذي ينمو عن طريق الأسرة باستخدام آليات محددة بمعايير وضوابط المجتمع الذي تنتمي اليه والتي يعبر عنها بمجموع القيّم التربوية، إذن فالمكون المعرفي يجسد ويُنشئ أفعال وسلوكيات لدى الفرد كونه يؤثر ويتأثر (المكون السلوكي)، ومن خلال هذه الممارسات فالمكون الوجداني لدى الفرد يخلق الانفعالات والمشاعر والأحاسيس الداخلية، وعن طريقه يميل الفرد إلى قيمة معينة، ويتصل هذا المكون بتقدير القيمة والاعتزاز بها، وفي هذا الجانب يشعر الفرد بالسعادة لاختيار القيمة ويعلن الاستعداد للتمسك بالقيمة على الملأ ولكي نوضح ذلك أكثر نضع الشكل التالي الذي يمثل مكونات وعناصر القيّم الدينية والاجتماعية

الشكل رقم 04 يوضح المكونات والعناصر الأساسية للقيم.



المصدر، هاشم فتح الله عبد الرحمن: دور كليات التربية في تنمية وتدعيم بعض القيم لدى طلابها، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة المنيا، 1992، ص 58.

نلاحظ من خلال الشكل أنّ أول مرحلة هي مرحلة التعرف والاختيار لهذه القيّم ثمّ المكون الثاني وهو تقدير القيمة والاعتزاز بها والنظر في البدائل وعواقبها والاختيار الحر بينها ثم مرحلة اختيار القيمة والتمسك بها وترجمتها الى قيمة ممارسة وبناء النظام القيمي.

13. خصائص القيم الدينية والاجتماعية:

تمتاز القيّم بمجموعة من الخصائص تميزها عن غيرها من المفاهيم الأخرى كالحاجة، أو الدافع، أو المعتقد، أو الاتجاه أو السلوك، ويمكن إبراز خصائصها فيما يلي[8]:

[8] صالح محمد علي أبو جادو، سيكولوجية التنشئة، دار المسيرة، ط 1، 1998، ص 208.

- أنّها إنسانية بمعنى أنّها تختص بالبشر دون غيرهم، وهذا ما يميزها عن الحاجات التي تخص البشر وغيرهم.
- أنّها مرتبطة بزمان معين، فالقيّم إدراك يرتبط بالماضي والحاضر والمستقبل وهي بهذا المعنى تبتعد عن معنى الرغبات أو الميول التي ترتبط بالحاضر فقط.
- أنّها تمتلك صفة الضدية، فلكل قيمة ضدها، مما يجعل لها قطبا إيجابيا وقطبا سلبيا والقطب الإيجابي هو وحده الذي يشكل القيمة في حين يمثل القطب السالب ما يمكن أن نسميه "ضد القيمة" أو "عكس القيمة".
- القيّم تلقائية، أي أنّها ذات إلزام جمعي، وتخضع لمنطق المجتمع ونظمه وقوانينه الاجتماعية.
- القيّم قابلة للانتقال، ومن ثمّ فهي تشكل تراثا لعديد من الأنساق الاجتماعية، وأنّه من الممكن أن تكون موضع مشاركة جماعية.
- كثرة القيّم ووحدتها، ويرجع ذلك إلى كثرة وتنوع الحاجات الإنسانية بمعنى أنّ وجود القيّم بكافة أنواعها، إنّما هو استجابة لحاجات الطبيعة الإنسانية، وميولها العاطفية، والاقتصادية والدينية والاجتماعية.[8]
- إمكانية قياسها ودراستها من خلال أساليب عامة للقياس، تستخدم في قياس الميول والاتجاهات.
- الملاحظة الميدانية والموقفية والاستبيانات المقننة.
- ولذلك فالقيّم مرتبطة بحياتنا التجريبية، فمن الممكن قياسها ودراستها باعتبارها تقديرا للأشياء وعلى أساس طبيعة الأشياء نفسها.

[8] نورهان منير حسن فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 101

- تتسم القيّم بالهرمية: إذ أنّها ترتب عند كل شيء ترتيبا متدرجا في الأهمية، وبحسب الأهمية.
- والتفضيل لكل فرد، وعلى هذا يمكننا القول إنّ لدى كل فرد نظاما للقيّم يمثل جزءا من تكوينه النفسي الموجه لسلوكه.
- تتصف بالقابلية للتغيير: بالرغم من أنّ القيّم تتصف بالثبات النسبي، إلاّ أنّها قابلة للتغيير بتغير الظروف الاجتماعية لأنّها انعكاس لطبيعة العلاقات الاجتماعية ونتاج لها.
- القيمة ذات قطبين في الجملة: فهي إمّا هذا الوجود أو ذاك أنها حق أو باطل، خير أو شر.

إنّ خصوصية القيّم الدينية والاجتماعية تظهر من خلال تفاعل أفراد المجتمع ببعضهم البعض، إذ تمثل القيّم الدينية والاجتماعية تجارب إنسانية مشتركة نفسر بها الأشياء التي توافق الفطرة، كما تمثل الجانب الحركي للمجتمعات، فمثلا في فقه المعاملات تواكب حركة تطور المجتمع والعلم، وكذا في حركية تطور البناء الاجتماعي، كما تمثل درجة من المفاضلة بين المهم والأهم، ونرى ذلك مثلا في النظام القيمي الديني بين المحرم والمكروه وبين الحلال والمباح.

14. تصنيف القيم:

لما كانت كل قيمة تولّد منطقيا قواعد تتكيف بتلك القيمة وطبيعتها، وجد الباحثون العديد من المقاييس التي تتحدث عن تصنيف القيّم وارجاعها إلى طبيعتها أو طبيعة مجالات العلوم الاجتماعية، والواقع أنّ هناك أنواعا مختلفة من القيّم، ولكنها شديدة الاتصال ببعضها بالبعض الآخر في كافة مجالات العلوم الاجتماعية، وشديدة التداخل إلى درجة أن الحكم على إحداها قد يتضمن أحكاما على

الأخرى.[8] وفي الحقيقة هناك احتمالية الوصول الى أحكام صحيحة متشابهة في جميع الحالات للترابط الشديد وعدم التفريق ما بين أنواعها ومجالاتها.

غير أنّ هناك من الباحثين من قسمها على أساس محتواها وطبيعتها، وشدّتها وعموميتها، ووضوحها ودوامها، ومقصدها ممثلة في[8]:

أ. بعد المحتوي:

- قيّم اقتصادية: وتشير لاهتمام الفرد بما هو نافع.
- قيّم جمالية: تشير لاهتمام الفرد بما هو جميل ورائع، من حيث الشكل.
- قيّم اجتماعية: وتشير لاهتمام الفرد بالأشخاص المحيطين به من الأسرة والجماعات الصغيرة كالأصدقاء، والجيران، وسكان الشارع والمدينة.
- قيّم سياسية: تشير لاهتمام الفرد بالقوة والسيطرة والتحكم بالأشياء.
- قيّم دينية: تشير إلى اهتمام الفرد وميله إلى معرفة ما وراء العالم الظاهري.
- قيّم نظرية: تشير إلى اهتمام الفرد وميله إلى اكتشاف الحقيقة.

ب. بعد المقصد:

- قيّم وسائلية intermentale: وهي تلك القيّم التي ينظر اليها الأفراد والجماعات على أنّها وسائل لغايات أبعد.
- قيّم هدفية أو غائية Goal Valu: وهي الأهداف والوسائل التي تضعها الجماعات والأفراد لنفسها.

[8] إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، موسوعة القيّم والأخلاق، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2005، ص33.

[8] نجيب إسكندر وآخرون، قيّمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، نهضة مصر، القاهرة، ب.ط، ص 3.

ج. بعد الشدّة:

- القيّم الملزمة Musts and Must notes: القيّم الملزمة أو القيّم الآمرة والناهية هي القيّم التي تمس كيان المصلحة العامة للفرد والمجتمع، أو التي تتصل اتصالا وثيقا بالمبادئ التي تساعد على تحقيق الأنماط المرغوب فيها التي تصطلح عليها الجماعة في تنظيم سلوك أفرادها من الناحية الاجتماعية والخلقية والعقائدية، وهذه القيّم تشمل الفرائض والنواهي، وهي ذات القداسة التي تلزم الثقافة بها أفرادها.
- القيّم التفضيلية préférences: وهي القيّم التي يشجع المجتمع أفراده على التمسك به، ولكنه لا يلزمه بمراعاتها إلزاما يتطلب عقابا لمن يخالفها، وليست لها صفة القدسية.
- القيّم المثالية Utopian: وهي القيّم والمثاليات والغايات، التي يحس الناس باستحالة تحقيقها بصورة كاملة، لأنّها في قمة المثالية، على الرغم من ذلك، فإنها كثيرا ما تؤثر تأثيرا بالغًا في توجيه سلوك الفرد.

د. بعد العمومية:

- القيّم العامة: هي القيّم التي يعم انتشارها في المجتمع كله بغض النظر عن فئاته المختلفة.
- القيّم الخاصة: هي القيّم المتعلقة بمواقف ومناسبات اجتماعية معينة أو بطبقة محددة أو مناطق محددة.

ه. بعد الوضوح:

- قيّم ظاهرة: هي القيّم التي يصرح بها ويعبر عنها بالكلام.
- قيّم ضمنية: هي القيّم التي تستخلص ويستدل على وجودها من ملاحظة الاتجاهات التي تتكرر في سلوك الأفراد.

و. بعد الدوام:

- القيّم العابرة: وهي القيّم الوقتية العارضة القصيرة الدوام السريعة الزوال، فلا تكون لها صفة القداسة وذلك لأنّها تتعلق بالحاضر، ولا تلتصق بالماضي.
- القيّم الدائمة: وهي تتميز بالدوام النسبي، وهي القيّم التي تبقى زمنا طويلا مستقرة في نفوس الناس يتناقلها جيل عن جيل، كالقيم المرتبطة بالعرف والتقاليد.

15. القيّم والتغير الاجتماعي:

تنشأ القيّم أصلا وترتبط بالحاجات الأساسية للإنسان ولا شك أنّ طريقة التعبير عن تلك الحاجات تختلف باختلاف ظروف البيئة وإمكانيتها وتظل القيمة صالحة ووظيفية مادامت تناسب ظروف البيئة وتقوى على الارتباط، فإذا اختلفت البيئة أصبحت القيمة بذلك لا تؤدي وظيفة اجتماعية ولا تخدم حاجة من حاجات الناس ومن ثم يصلح التمسك بها والدفاع عنها والحفاظ عليها ضمن الإطار القيمي صمودا وإصرار على غير ما ينبغي الإصرار عليه[8]

والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية من حيث وجودها تغيرات في الظروف والأحوال والبيئات تؤدي بالضرورة إلى تحويل بعض القيّم الوظيفية إلى قيّم غير ذات موضوع كما تؤدي إلى ظهور قيّم جديدة تنشأ من الحاجات الجديدة التي يمليها التغير[8]

وترتبط علاقة القيّم بالتغير الاجتماعي بعلاقتها بالبناء ويتضح ذلك من خلال إبراز القيّم للتغير أو مقاومتها له، فعلاقة القيّم بالتغير كما يرى بعض الباحثين بمثابة استجابة للعلاقة بين النسق القيّمي والمشكلات الاجتماعية، وفي هذا يشير "هواردبيكر" في كتابه من القيّم إلى التفسير السوسيولوجي إلى

[8] إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، موسوعة القيم والأخلاق، مركز الإسكندرية للكتاب، مرجع سابق، ص 123.
[8] نجيب إسكندر وآخرون، قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، نهضة مصر،

أنّ نمطي المجتمع المقدس والمجتمع العلماني يعكسان بدورهما نمطين من القيّم أحدهما محافظ تقليدي والثاني متحرر عقلي وهذان الاتجاهان من القيم يعكسان صورة البناء في كل نمط من المجتمعين ويؤثران بدورهما في التغير الاجتماعي .[8]

ويشير " ولبرت مور" إلى أن القيم وتغيرها شرط ضروري من شروط التحول والتغير الاجتماعي والاقتصادي فكأنّ القيّم من الظواهر الاجتماعية التي قد تعوق التغير وتساعد في حدوثه مما يساير المتطلبات الاجتماعية في المجتمع ولعل أبرز إنجاز واضح للعلاقة بين القيّم والتغير وما أشارت إليه "ماريا أوجسنا" في بحث لها عن القيّم والمجتمعات في التغير الاجتماعي من أنّ العلاقة بينهما علاقة متبادلة ففي الوقت الذي تؤثر فيه القيّم على التغير وتحديد مساراته فإنّ التغير يؤثر في القيّم وتدرجها وأنساقها الفرعية.[8]

ومع أنّ القيّم ذات ثبات واستمرار باعتبارها أساسا للتفاعل ودافع للتصرفات إلا أنّ هذا الثبات وذلك الاستمرار نسبيان وليس مطلقين بحيث تظل هكذا قيّماً في كل عصر ولكل جيل ينشأ في المجتمع، وإلا لم يكن هناك تطور ولم تتغير المجتمعات تغيرا ما بل تظل جامدة بعيدة عن تيارات الحضارة والازدهار وهذه النسبية في ثبات القيّم واستمرارها هي التي خالفت بين قيّم الجماعات المختلفة داخل المجتمع الواحد طبقا لمشاكل كل جماعة والظروف التي تحيط بأفرادها، هذا ومن ناحية

[8] منير حسين فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، مصر، 199، ص29.

[8] محمد عاطف غيث، التغير الاجتماعي والتخطيط، مرجع سابق، ص 128.

أخرى جعلت القيّم قابلة للتغير والتطور نتيجة التفاعل المستمر بين الفرد و البيئة التي تستنكفه و يعيش فيها[8].

إنّ أهمية القيّم تظهر أساسًا كونها ثابتة من أجل التوازن والاستقرار داخل المجتمع إلا أنّ بعض التغيرات الاجتماعية تقوض انتشار القيّم وخاصة في عملية انتقالها من جيل لآخر وبالتالي تبقى في علاقة تبادلية وتجاذب إذ يؤثر التغير في القيّم كما تؤثر القيّم في التغير، وذلك حسب شدّتها وغايتها وتنوعها بين القيّم الدينية والاجتماعية والاقتصادية

[8] عبد الحميد محمود سعد، مرجع سابق، ص ص128-131.

خلاصة الفصل:

من خلال هذا الفصل نستنتج أنّ القيّم مهمة في حياة الإنسان ودراسة مثل هذه الظواهر يتطلب منا جهدا ووقتا من أجل استيفاء كل ما يقتصر على القيّم، فالقيّم الدينية والاجتماعية الأولى بدراستها الأنثروبولوجيا، فهي التي تهتم بمثل هذه المواضيع، وتمّ في هذا الفصل التطرق إلى القيّم وتطورها وأبعادها جملة وتفصيلا من البعد الديني والاجتماعي بحكم أنّهما قيمتان أساسيتان ووجهان لعملة واحدة، وتبين لنا أنّ القيّم الدينية والاجتماعية تتداخل في كثير من الموضوعات وبخاصة في دراستنا الحقلية الأنثروبولوجية وبعدها الديني الممثل في الزاوية التيجانية وذلك التدين الشعبي الذي يتداخل فيه الاجتماعي بما يمثله من عادات وتقاليد وأعراف وذلك البعد الديني الذي يحتوي على جانب الإحسان والتربية الروحية كقيمة دينية عاكسة لصورة المجتمع.

الفصل الرابع:
مونوغرافيا منطقة

تمهيد:

تعتبر عين ماضي حاضرة ذات إشعاع حضاري ومنارة فكر ودائرة معرفة في المغرب العربي، حيث وصفت بأنّها صفوة مناطق الصحراء الجزائرية لما لها من طابع عمراني يميزها عن بقية الحواضر الأخرى، وما يلفت النظر إليها هو ذلك النسيج العمراني الممزوج بحضارة المغرب العربي، وما نقصده هنا (طرابلس)، وجاء في وصف الرحالة على منطقة عين ماضي أنّها مدينة تتميز بطابعها الخاص في بنائها العمراني والاجتماعي وما هو ملاحظ أنّ البناء العمراني تكمن خصوصيته في فقه العمران أي ذلك الامتزاج بين نمط العمران والبعد الديني ويضاف لها الطابع الاجتماعي وتمظهراته في المعاش اليومي، كما تعتبر منطقة عين ماضي ذات خاصية رمزية كونها مركز وعاصمة الخلافة العامة للطريقة التيجانية التي ذاع صيتها في مختلف بلدان العالم الاسلامي كدائرة حضارية تتمثل بخصوصية الطريقة التيجانية وفقهها حيث كانت محج للمريدين وسبيل لطلبة العلم ومأوى للزائرين وعابري السبيل، وما يميزها عن باقي الطرق الأخرى هي اليسر وانشراح الصدر ومحبة الأخرين وأولها طاعة الوالدين.

ولقد جاء في هذا الفصل وصف مونوغرافي لمنطقة عين ماضي من حيث أصل التسمية والطابع العمراني والتركيبة السكانية ووصف بعض الرحلات التي جاء فيها ذكر مناقب المنطقة، وما يميزها آنذاك عن غيرها، كما تمت الإشارة إلى الطريقة التيجانية كونها مقر الخلافة العامة في عين ماضي وفقهها وسبلها المعرفية والعلمية والدينية والتربوية والاجتماعية.

1. عين ماضي الامتداد الجغرافي والبعد التاريخي:

1.1 عين ماضي جغرافيا:

تقع عين ماضي بالجنوب الجزائري تبعد عن الأغواط حوالي 70 كلم تتربع على مساحة تقدر ب 4070 كلم مربع ويصل عدد سكانها حوالي 240 17 نسمة[1]، وعلى بعد 05 كلم من جبال العمور، يحدها من الشرق بلديتي الحويطة وحاسي الرمل، ومن الغرب بلديتي الغيشة وتاجرونة، ومن الشمال بلديتي الغيشة وواد مزي أما الشمال الشرقي بلدية تاجموت[2] ويحدها من الجنوب الغربي ولاية البيض، يصنفها المؤرخون بأنّها مدينة تتربع على بيضة نعام، وذلك لقيامها على ربوة جبلية منخفضة تتوسط حدائق وبساتين وسط صحراء صخرية ضاربة في القدم يحصّنها سور شامخ وما يميزها فن العمارة المتميز في تشييد المساجد والبيوت والقصور.

الشكل رقم (04) يوضح خريطة مدينة عين ماضي



المصدر: مونوغرافيا ولاية الأغواط

حسب ما هو موضح في الخريطة وفي إشارة سابقة يتضح أنّ دائرة عين ماضي بالأغواط تضم أربع بلديات تابعة لها إداريا وهي كالتالي: (بلدية الحويطة وتقع شرق بلدية عين ماضي، وبلدية الخنق وتقع أيضا شرق عين ماضي، وبلدية تاجموت وتقع في الشمال الشرقي لعين ماضي، وبلدية تاجرونة وهي التي تحد عين عاضي غربا).

2.1 عين ماضي تاريخيا:

[1]Emérite Daumas, le Sahara algérien étude sur la région au sud en Algérie, Larousse, paris, 1845, p 34.

[2] عثمان عثماني، واقع اعادة التأهيل العمراني والسياحة في القصور الصحراوية، دراسة حالة عينة من قصور ولاية الاغواط، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الحضري، جامعة عمار ثليجي، الأغواط، 2019، ص 119.

تعود تسميتها إلى زمن الدولة العبيدية[1]، وكانت عبارة عن حصن منيع أسّسها وأقام حصنها ماضي بن يقرب ومن هنا جاءت تسمية عين ماضي من اسم من أجرى هذه العين، وتعتبر هذه القبيلة ممن أقبل من العرب اليمنيين في المائة الخامسة من الهجرة، لأول دخول على الأغواط وهم قبائل التي طردت من طرف بني هلال، إلى ناحية البيض حيث انجذب اليه بني الأغواط ...[2]

وتتداول المراجع أنَّ أول من عمر المنطقة كان أحد المرابطين الآتين من المغرب والملقب ب" سيدي محمد" ، بحيث اشترى الأرض من ولاد يعقوب الزغارة من أجل إقامة خلوة له، بحيث عاش هناك لبعض الوقت وحده، ولكن رحيله إلى المغرب ترك فراغا بين تلاميذه، فالتحقوا به من أجل العيش معه[3] ولكن الروايات تقول إنّ "سيدي محمد " أقام خلوته على بعد 2 كلم من القصر أين توجد عين تسمى بعين "سيدي معين"[4]. ولكن هذه الجماعات التحقت بسكان القصر من أجل الاستقرار معهم ويرجع انتقالهم لسببين هما:

- وفرة الماء بالعين الموجودة بقصر عين ماضي أكثر من عين "سيدي معين"، فمن المعروف أنّ الناس قديما كانوا يسكنون ويتجمعون حول أماكن تواجد المياه.
- الضرورة الاجتماعية والأمنية وذلك من أجل تكبير المدينة والحفاظ على أمن وسلامة المجتمع.

ثم وفد على القصر فرقتان: البدو أولاد صالح والتجاجنة، وهم أول من عمر بالقصر بحيث بنوا المسجد العتيق ومجموعة من المنازل، وكانت عبارة عن حصن منيع يحتوي على ثلاثمائة دار وتدخل له عين جارية في قناة وبه صهاريج لجمع ماء المطر. تسد عون أهله وله من المتانة والحصانة ما يبهر العقول وحوله البساتين الحافلة بالأشجار المثمرة كالخوخ والبرقوق .....[5]

كما يرى بعض الباحثين أنّ تاريخ تأسيس قصر عين ماضي يرتبط ارتباط وثيقا بتسميته المركبة من كلمتين، هما "عين" و "ماضي"، بالنسبة للكلمة الأولى عين: يعتقد هؤلاء أنها تعود للعين الواقعة شمال المدينة على سفح جبل المركب، والتي تمثل المورد الرئيسي والوحيد للسكان آنذاك وتصنف الروايات الشفوية أنّ هذه العين تم اكتشافها من قبل أحد الرعاة فأخبر قبيلته بذلك

[1]محمد بن عبد القادر الجزائري، تقديم: محمود حقي، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية، بيروت، لبنان، ج1، ط2، 1964، ص 305.
[2]مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، دار هومه، الجزائر، ط1، 2005، ص 134.
[3] مجلة حقائق للدراسات النفسية والاجتماعية، ص 359.
[4] C.Trumelet, Histoire De l'Insurrection Dans Le Sud, Alger,1861, pp.93-94-95
[5]Emerit Marcel, l'Algérie l'époque d'Abdelkader, collection document inédits et étude sur l'histoire modern, éditions Larose, paris, 1951, p 301.

ومن هنا بدأت فكرة تشييد القصر، بينما يرى فريق آخر أنّ كلمة عين دلالة على ما عرفه القصر من ازدهار فكري، حيث كان وجهة الناس ليغتروا من علومه[1]، أما كلمة ماضي فيعتقد أنّها نسبة إلى ماضي بن يقرب أحد أعيان قبيلة قرة*، الوافدة للمنطقة من طرابلس وقابس وشرقي إفريقية، أما الرواية الشفوية ترى أنّ كلمة ماضي ترجع وتنسب لشخص حادّ وصارم في فصل القضايا الشائكة والعالقة فلقب بالماضي أي الحادّ، وقبل دخول العثمانيين إلى الجزائر وفد شخص بالمنطقة يعرف بسيدي محمد قادما من المغرب فاشترى الأخير تلك القطعة من مالكيها وبنى بها خلوة للتعبد، ثمّ تبعه أصدقائه الوافدين بإنشاء الدور والمباني وبذلك تم تعمير المنطقة، وهكذا يبقى تأسيس القصر غامضا ولم يبرز على مسرح الأحداث إلا منذ ظهور أحد الشخصيات الدينية التي غيرت مساره ويعود إليه الفضل بالنهوض بسمعته وهو أبو العباس أحمد التيجاني 1150ه 1737م_ 1230ه 1814م وهو مؤسس الطريقة التيجانية[2]

وما وصفت به مدينة عين ماضي آنذاك لجمال قصورها وعمرانها بأنها: "بلدة تقع غربي تاجموت هي محاطة بأسوار تشبه أسوار طرابلس ولها بابان عظيمان ولحاكمها الذي يسمى ولد التيجاني حوالي 100 عبد، وخزانة مليئة بالنقود..."[3]

وأول من سكن عين ماضي من أجدادنا سيدنا الشيخ هو الجد الرابع للشيخ سيدي أحمد التيجاني واسمه محمد بن سالم، وكان قد تعاشر مع قبيلة بنو توجين أصحاب تاهرت وتاقدامت، ومن هنا اشتق اسم التجاجنة أو التيجانيين، هذه القبيلة مصاهرة لأنّهم أخوال سيدنا الشيخ أحمد التيجاني[4]، أما المجتمع الماضوي نجده يتشكل على الأغلب من عائلة التيجاني الشريفة النسب، وأولاد زيان وبعض قبائل العبيد الاحرار الذين بقوا في خدمة الزاوية.

---

[1] عثمان عثماني، واقع اعادة التأهيل العمراني والسياحة في القصور الصحراوية، دراسة حالة عينة من قصور ولاية الاغواط، مرجع سابق، ص 119.

* قبائل بنى قرة الهلالية احدى القبائل الكبيرة والمذكورة في تغريبة بنى هلال الشهيرة تحت اسم العمور او المنفه او بنى قرة، ذكرهم ابن خلدون في قبائل بنى هلال و عدهم من بنى الاثبج و ذكر انهم كانوا يقيمون بالبحيرة و منهم بالصعيد و برقة جماعة كثيرة ثم انتقل منهم جماعة مع بنى اثبج من بنى هلال الى الغرب فاستقروا اولا بتونس ثم انتقل فريق منهم الى المغرب الاقصى، واستقر بهم الحال في الجنوب الجزائري وتحديدا منطقة عين ماضي بالأغواط.

[2] علي حملاوي، نماذج من قصور السفح الجنوبي لمنطقة جبل العمور من 13-10ه/ 19-16م، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2006، ص 56-57.

[3] أبو القاسم سعد الله، مجموع رحلات- رحلات جزائرية 03 رحلة الاغواطي الحاج ابن الدين، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 88.

[4] علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض ابي العباس أحمد التيجاني، ج1، مطبعة الحلبي، مصر، 1927، ص 26.

من خلال ما سبق يمكن القول والإشارة على أنّ المنطقة ما هي إلا اكتشاف بعض الرعاة الذين كانوا بالمنطقة ولولا مورد الماء لما استقر بهم الحال فيها، حيث أسسوا المباني والعمران وشيدوا القصور نازحين من طرابلس ويقال إنهم من قبائل بنو قرة والتحقت بهم بعض القبائل من بنو توجين، وكان للمنطقة فضل كبير على الشيخ التيجاني الذي جعلها منارة علم ومقصد المريدين من طلاب العلم وكذا الزائرين لجمال العمران فيها والأسوار المحيطة بها التي تشبه زخرفة سور طرابلس كما وصفت في كتابات العديد من الرحالة، وأيضا تزخر المنطقة بجمالية قصورها ومبانيها العظيمة التي تجسد امتزاج البعد الديني والبعد الاجتماعية في هندستها وتصميمها، حيث بقي كل من قبائل التجانيين وأولاد زيان الذين يشكلون أغلب ساكنة عين ماضي إلى يومنا هذا.

3. طبيعة العمران والتركيبة العمرانية لمنطقة عين ماضي:

إنّ أهم ما يميز الجانب العمراني هو ذلك التداخل على هامش كل ما هو اجتماعي (طبيعة النسق الاجتماعي)، والجانب الايكولوجي (مواد البناء الخام)، وربما حتى الجانب الايديولوجي (التثاقف والتداخل) والمقصود به الانتقال بالفن العمراني كجزء من الثقافة العمرانية وتأثيرها في عملية التبادل الثقافي، وهذا ما يفسر تشييد مدينة عين ماضي بداية بالقصر القديم كنقطة توسع فكري عمراني، وفق الذوق والفن العمراني الطرابلسي كما وسم من بعض الرحالة الذين اعتبروا عين ماضي كأنّها وجه جديد لطرابلس نظرا للتشابه الكبير في الفن العمراني بينهما، إذن فالثقافة العمرانية تنتقل بانتقال الأفراد أينما حلوا وخاصة أنّ المنطقة تطورت بعد مجيء الشيخ المؤسس للطريقة حيث أضيف للفن العمراني مفهوم جديد وهو الفقه العمراني خاصة بعد التوسع في تشييد المدينة وتأسيس بيوت للسكان ودور ومرافق عامة للتعبد كالمساجد والزاوية، وهو ما يعكس نظرة أنثروبولوجية لنمط تخطيط المدن وفق طابع جمالي يتداخل فيها الاجتماعي والديني.

1.3 القيمة الفنية العمرانية لقصور عين ماضي:

يمثل التراث العمراني والأنسجة العمرانية القديمة جزء أساسيا من ملامح المدن وحياة المجتمعات عبر الأزمنة لما لها من صفات ودلالات عمرانية وروحية وثقافية، وتتأثر هذه القيّم التي يحملها التراث بمدى ارتباط الأجيال به، ويعتبر قصر عين ماضي القديم واحدا من هاته الأنسجة التي ترمز للتطور الانساني في المنطقة وما وصل له هذا التطور، وما زاد في قيمته أنّه أصبح مهدا

للطريقة التيجانية ومركز إشعاع ديني محلي وعالمي لذا فالقصر يحمل قيمة عمرانية أثرية وأخرى روحية[1].

يعرف القصر لغويا على أنّه ما شيد من المنازل وعلا، ويعرف كذلك على أنّه بناية فخمة، واسعة[2]، ولقد ورد ذكره أيضا في القرآن الكريم في قوله عز وجل " تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا" (الأية 73 سورة الأعراف)، كما عُرّف القصر في الموسوعة الحرة ويكيبديا باللهجة العامية في المغرب العربي تنطق بتسكين القاف وفتح الصاد وتسكين الراء[3]، وهي بنايات محصنة نجدها في المغرب العربي وبجنوبه خصوصا، تبنى القصور عموما على مرتفعات بمداخل الواحات من النخيل ومنابع المياه وتتكون القصور من مطامير لتخزين القمح والأكل عموما وبيوت للسكان، تشكلت هندسة القصور لتصد القبائل الرحل في الصحراء فكانت الحل المناسب لحماية سكان الواحات[4]، كما هو حال قصر عين ماضي حيث يتربع على ربوة جبلية كبيرة بيضاوية الشكل وله سور عظيم مزين بواحات النخيل وبعض الأشجار المثمرة.

كانت سمعة القصر معروفة منذ القرنين11 - 12ه/ 17 – 18م بفضل الحركة العلمية التي شهدها آنذاك، وكان بها عدد كبير من الفقهاء من أشهرهم سيدي زروقي وابنه سيدي أبو القاسم وسيدي احمد الدهصاء[5]، لذلك فلا يجب أن نهمل الجمالية الفنية كقيمة عمرانية لقصر عين ماضي وكامتداد للتراث الثقافي العمراني الذي زخر آنذاك بزخرفة مغاربية ميزته عن باقي القصور الصحراوية، ولعل هذا يرجع إلى فضل الشيخ أبي العباس الذي مزج الطابع العمراني كقيمة مادية والفكر الديني كقيمة جمالية. ولعل الدراسات الأثرية كشفت عن القيمة الجمالية لقصر عين ماضي حيث تتجلى خصوصيتها الفنية العمرانية في النقاط التالية:[6]

- كونه مدرسة تخطيطية ومعمارية.
- يعطي للمدن والقرى أصالة وجمالا لما له من أهمية تاريخية وثقافية.
- يمثل قيمة روحية وتوثيقية علمية.
- أهميته السياحية النابعة من الأصالة.

---

[1] علي حملاوي، نماذج من قصور السفح الجنوبي لمنطقة جبل العمور من 13-10ه/ 19-16م، دراسة تاريخية وأثرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، مرجع سابق، ص 46.

[2] المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط21، 1986 ، ص63.

[3] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، www.ar.wikipedia.org بتاريخ 2023/02/12

[4] حملاوى على، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2006، ص 34.

[5] الدرعى، الرحلة، مخطوط بالمكتبة الوطنية، رقم1954، ص 19.

[6] هبول حنان، إعادة تأهيل القصور الصحراوي قصر عين ماضي نموذجا، مذكرة تخرج لنيل شهادة الدكتوراه، معهد الآثار، تخصص الانسان والمحيط، جامعة الجزائر2، 2010، 2011، ص 38.

4. فضاءات النمط العمراني لمدينة عين ماضي:

يعد النمط العمراني أحد أهم المعالم الفنية للمدينة فهو يعكس الدلالة الاجتماعية والدينية لساكنتها إذ يمثل كبعد أنثروبولوجي مفهوم المقدس والمدنس من خلال المرافق العمرانية العامة والخاصة، وله دلالات رمزية تعكس الطابع الفني الجمالي للمنطقة، وخير دليل وصف الرحالة لمنطقة عين ماضي ووصفها بجوهرة الجنوب. ومن خلال النمط العمراني المشكل في المدينة قاطبة نعرض أهم فضاءاته والمتمثلة في:

4.1 المسجد:

هو مركز ترابط الجماعة الإسلامية وهيكلها المادي الملموس، فلا تكتمل الجماعة إلا بمسجد يربط بين أفرادها ببعضهم البعض، يتلاقون فيه للصلاة وتبادل الرأي، ويقصدونه للوقوف على أخبار جماعاتهم، ويلتقون فيه مع رؤساءهم، أو يتجهون اليه لمجرد الاستمتاع بالقعود في ركن من أركانه، فالمسجد على هذا ضرورة دينية وضرورة سياسية وضرورة اجتماعية أيضا بالنسبة لكل مسلم وبالنسبة لجماعة المسلمين[1].



الصورة تشير إلى المسجد العتيق بمدينة عين ماضي

[1] هبول حنان، إعادة تأهيل القصور الصحراوي قصر عين ماضي نموذجا، معهد الآثار، تخصص الانسان والمحيط، جامعة الجزائر2، مرجع سابق، ص 40.



الصورة تشير إلى مدخل المسجد العتيق

ويقع الجامع العتيق أسس بالقرن الخامس هجري الحادي عشر ميلادي، بالقرب من الباب الشرقي الرئيسي لقصر عينٌ ماضي أي في الجهة الجنوبية الشرقية، يحدّه من الجهتينٌ الشمالية والجنوبية شارعينٌ رئيسينٌ، ومن الجهة الشرقية يحدّه ممر مسقف أي ساباط، وتتصل به المساكن من جهته الغربية، كما يعتبر المسجد أهم عنصر في المدينة، حيث يمثل مركز المدينة وما يعكس هذه الأهمية هو موقعه ومأذنته ذات الشكل الهرمي، فهو المركز الديني والروحي في القصر يقتضي اختيار المكان الملائم الذي يراعي في توسطه قلب القصر وامكانية جعله ضمن ميدانه ومحورا لتلاقي الشوارع وبرج منارته العالية وتوسطه له ضرورتان، ضرورة اجتماعية وتنظيمية، فعلو منارته اشارة للمتوهمين نحو مركز العمران والتنظيمية هي افتقار السكان في انتظام حياتهم الروحية اليه.

2.4 البيوت:

من الملاحظ في النسق العمراني للبيوت في قصر عين ماضي القديم هو تلاحمها إذ تعبر في ملمحها الأول عن عدم الانتظام إلا أنّه وفي الغور وفي ذلك البعد العمراني الإسلامي المشبّع بقيّم الدين والمنمط بالعادات الاجتماعية وخاصة منها أسلوب المعاش فتراص البيوت إنّما يدّل

ضمنيا على ذلك التضامن الآلي وأبعاد الجيرة دينا وعرفا إذ تشترك البيوت في سورها الخارجي المبني بحجارة بسيطة مهذبة بعيدة عن التكلف. كما أنّ أبوابها متناكفة حفاظا على الحرمة واحترام الجار كما أنّ مدخل البيوت يكون على شكل (L) إذ يفصل صحن البيت عن المدخل حفاظا على أسرار البيت، كما جاء في نص الآية القرآنية "يآيها اللذين أمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه" (سورة الأحزاب الأية 53). كما أنّ لنمط البيوت سقيفة تستعمل لاستقبال الضيوف ولمآرب معيشية أخرى كما أنّ النوافذ تفتح من الداخل نحو صحن البيت المفتوح ولا تفتح على واجهات الشارع وهذا احتراما للآداب العامة، إذ تخلوا واجهات المنازل من أي منافذ غير الميازيب التي تستعمل في تصريف مياه الأمطار، إضافة الى دورة المياه (الكنيف) والتي وإن كانت بسيطة في بنائها التقليدي إلا أنّ موقعها التخطيطي من المنزل بعيد عن غرف المعيشة يعكس قيّم النظافة في الإسلام والخصوصية الفردية.



الصورة تشير إلى أحد البيوت بمدينة عين ماضي (القصر القديم)



الصورة تشير الفضاء العمراني المشترك بين البيوت

3.4 شبكات الشوارع:

لقد عالجت الضوابط الفقهية المستمدة من الشريعة من جانب تنظيم الحياة المجتمعية وتخطيط شبكة الشوارع والطرق لمراكز العمران الإسلامية وكان تخطيط الشوارع الذي يتضمن شارعا وطرقا نافذة جانبية أقل اتساعا وتمثل هذه الطرق العامة، كما توجد طرق فرعية أخرى غير نافذة لها دروب تمثل نوعية أخرى من الطرق وهي الطرق الغير نافذة.[1]

كما يلعب موقع الجامع العتيق كنواة للقصر دور مركزي في توزيع شبكة الشوارع الرئيسية والتي بدورها تتفرع عنها شوارع ثانوية ومسالك كالآتي:

شارع رئيسي: وهو ما أطلق عليه الفقهاء الطريق السابلة (طريق المسلمين أو الطريق العامة أو الطريق الرئيسية)[2]، وتسمى محليا الحاف وتختلف القصور الصحراوية من حيث عدد الشوارع الرئيسية من قصر لأخر وتتميز بانكسارها وقصر امتدادها، وتعد الشوارع الرئيسية من العناصر الأساسية للقصر ووسيلة اتصال بين داخله وخارجه، فهي تقوم بربطه مع المناطق المجاورة له كالبساتين والمقبرة ويتم عبرها أيضا اتصال بالوحدات الرئيسية للقصر كالمدخل والرحلات والسوق ومركز القصر الذي يشغله الجامع العتيق، تتقدمه ساحة فسيحة لامتصاص كثافة المصلين[3].

ما نلاحظه من الشوارع ونمطها العمراني في قصر عين ماضي القديم هو تماثلها أو ما يصطلح عليه بالاعتماد على ضوابط الشرع في التخطيط العمراني الإسلامي مراعاة لأهمية الطريق وآدابه في الفقه الاسلامي والعرف الاجتماعي (الحشمة، تناكف الأبواب لواجب الاحترام)، إذ ينطلق من مركز ونواة المدينة الاسلامية المسجد ويتفرع في شكل شجري يمثل جذعه الطريق العام والطريق السابلة، والتي ترتبط بالقصر ووحداته وتتفرع إلى فروع وهي الطرق الفرعية، وهي الغير نافذة ومما يلاحظ في زوايا الشوارع انها انكسارها وهو ما يوحي لبعد أنثروسوسيولوجي لمحاكاة آداب الحشمة والوقار.

الشوارع الثانوية: وهي مسالك أقل من الشوارع الرئيسية عرضا وتنطلق منها أو من الساحات العامة وتتوغل داخل الأحياء وهناك أزقة مغطاة وأخرى مكشوفة وتكون التغطية إمّا بسقف خاص بها وإما عن طريق استغلال الفضاء بإنشاء مباني عليها كطابق علوي.[4]

---

[1] محمد عبد الستار عثمان، فقه العمارة الاسلامية، م.ن، ص 06.

[2] مرجع سابق، ص 179.

[3] هبول حنان، اعادة تأهيل القصور الصحراوية قصر عين ماضي نموذجا، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2011/2010، ص 48.

[4] قبابلة مبارك، تطور وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2010/2009، ص 66.

وتعتبر نصف عمومية بمعنى ليست عامة لكل الناس بل تقتصر على ساكنة الحي واتساعها لا يزيد عن متر ونصف، مما يسمح بمرور حمارين محملين في آن واحد، كما أنّ تغطية الزقاق وظيفة اجتماعية هي مرور النسوة من بيت لأخر، كما أنّه يستخدم قديما للنوم أو الراحة من طرف الرجال أيام الحر الشديد ومن الأعلى يتقاسم سطحه المسكنين المتجاورين اللذان يحصران هذا الحيز والزقاق وهي شبيهة شكلا وأداء للساباطات الموجودة في القرى المغربية إذ لها وظيفة مناخية واجتماعية وبنائية تلائم أهل المنطقة.[1]

مما يستشف من وصف الشوارع الثانوية بقصر عين ماضي أنّها تتفرع عن الطريق الرئيسي وتتوغل في الأحياء كما تتسم بضيقها عرضا لحاجتها الاقتصادية التي تسمح بمرور راكبتين كما أنّها نافذة وغير نافذة بمعنى أنّها قد تمتد لحي آخر وفي أغلب الأحيان تكون غير نافذة إذ تؤدي دورها العمراني الاجتماعي، إذ تعد مخصصة لمرتديها من الساكنة والجوار ومما يلاحظ هو تغطيتها لدورها في تعزيز نمط المعاش الاجتماعي، وهذا من خلال التداخل العمراني بين الأحياء، وهي مغطاة في ازدواجية (السقيفة) تجمع بين التوسع العمراني والحفاظ على عادات الاحتشام والحياء، وخاصة لارتياد هذه الطرق من طرف النسوة كممرات داخلية بين البيوت. ناهيك عن دورها كمتنفس للرجال أيام الحر أو لتجفيف بعض المنتجات خاصة منها التمور على سطح هذه الازقة المغطاة، كما تمثل حيز مشتركا يربط أواصر الجيرة.

[1] ثياتة الصديق، فاتحي عبد النبي، النمط المعماري للمدينة الصحراوية ووظائفه الاجتماعية، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، العدد 22، المجلد 07، ص 116.



الصورة تشير إلى أحد الشوارع الثانوية بمدينة عين ماضي (القصر القديم)



الصورة تشير إلى أحد الشوارع الثانوية بمدينة عين ماضي (القصر القديم)



الشوارع الرئيسية لمدينة عين ماضي (القصر القديم)

5.4 الأسوار الخارجية:

السّور جدار عال ضخم يحيط بالبناء لحمايته[1]، والأسوار من أهمّ التّحصينات الحربية سواء على مستوى المدن أو المباني أو الحصون فهي خطّ الدفاع الأوّل، لأنّ المهاجمين إذا تمكّنوا من اقتحام أسوار المدينة والنّفاذ منها إلى الداخل فإنّ هذا يعني تمكّنهم من الاستيلاء على باقي المدينة،[2] ومن المعروف تاريخيا أنّ المسلمين كلّما فتحوا مدينة بادروا إلى تحصينها، كما اهتموا بترميم ما تضرر منها.

[1] قبابلة مبارك، تطور وأساليب البناء في العمارة الصحراوية، رسالة ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، مرجع سابق، ص 69.
[2] نفس المرجع، ص 72.

ويظهر سور عين ماضي الخارجي في مورفولوجية البناء المكونة من الحجارة الصلبة في شكل بناء هرمي ذو قاعدة سميكة تتضاءل حسب قياسات الارتفاع إذ يعتبر خط الدفاع الاول أمام الفضاء الخارجي، ومن الداخل كسياج فيزيقي للبساتين وهامش المدينة الخارجي خط دفاع أول، لذا تتخلله أبراج مراقبة وعدد من المزاغل للمراقبة، وخاصة وأنه يمثل نمط القصور الصحراوية وذلك بغية صد الاغارات الخارجية لقبائل البدو.

5. مدينة عين ماضي بعيون الرحالة:

لقد قيل ولد (الانسان راحلا) أي متنقل[1]، كما جاء في القرآن الكريم أنّ قريشا كانت لها رحلتان رحلة الشتاء والصيف حيث قال تعالى "لإيلاف قريش إلافيهم رحلة الشتاء والصيف" (سورة قريش الآية 1-2). وإن تعددت مقاصد الرحلة وأسبابها من شخص لآخر بين طالب للعلم وآخذا بأسباب الرزق ونازغا من جيوب الظلم أو حاجا قاصدا بيت الله الحرام فهي إذ ذاك مشتقة من الارتحال أي الانتقال من مكان لأخر ومن وجهة إلى وجهة، بغية الظفر بالقصد المنشود ماديا كان أو معنويا، وقد تعددت موضوعاتها وتمايزت أغراضها بازدياد الإقبال عليها فتطورت الرحلة فنًا أدبيا كما وكيفاً وأصبح له من الأهمية بمكان في استكشاف ثقافات الأقاليم والبلدان الأخرى، كما أضحى من أهم المصادر التاريخية في وصف البلدان والأقطار، كما تشكل جزء مهم في الدراسات الأنثروبولوجية في الموروث الثقافي العربي من خلال رحلات المسعودي واخوان الصفا ابن بطوطة والعلامة عبد الرحمن ابن خلدون.

وكان تركيزنا على الرحلات المغاربية لما لها من علاقة روحية ثقافية أسس لها الشيخ المؤسس سيدي أحمد التجاني حين مكوثه بفاس وتأسيسه لزاويته هناك من جهة ومن جهة أخرى أنّ أغلب الرحالة الذين وصفوا المدينة وأعجبوا بها هم الركب المغاربي (ركب الحجيج)، ولأنّ أنصار الشيخ من المغرب لذلك تم التركيز على هذه الرحلات لما لها من كتابات تقارب البعد الأنثروبولوجي.

والمغرب رقعة من العالم الإسلامي العربي عرف هذا الفنّ من خلال الرحلات الحجازية والتي تصف البلدان والأقاليم والنمط المعاش الاجتماعي والثقافي والايكولوجي في مسار الحج إلى بيت الله الحرام "حيث تعددت مسالك الحج المغاربي وفقا لانطلاق الركب ومساره إلى أربعة وهي الركب السجلماسي والركب الفاسي والركب المراكشي والركب الشنقيطي وهي كلها مسالك برية يضاف اليها الركب البحري، والذي يهمنا في بحثنا هذا هي "الأركاب التي كانت تخترق مدينة عين

[1]محمد بلحميشي، الجزائر من خلال الرحلات المغاربية في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص 8.

ماضي إما ذهابا أو إيابا وهي الركب السجلماسي والركب الفاسي وهذا الأخير هو الركب الرسمي منذ العهد المريني حتى أيام السعديين ثم حل مكانه الركب المراكشي"[1].

وهذا ما يؤكد على أنّ منطقة عين ماضي وجهة علم وسياحة من خلال الكشوفات الرحالة المغاربة، وقد تعددت هذه الرحلات التي ذكرت فيها منطقة عين ماضي سواء ذهابا أو إيابا وهو ما جعلنا نستأنس بها ونستدل بها مع احترام تسلسلها الزماني والمكاني بغية معرفة حقيقة منطقة عين ماضي وما فيها من تعدد المعارف والمعالم وطبيعة بنائها الاجتماعي والمعاش والأيكولوجي، من عيون الكشافة وما وصفوا.

1.5 الرحلة العياشية للبقاع الحجازية:

الموسومة "ماء الموالد" وهي الرحلة الثالثة للامام أبي عبد السلام عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي نسبة إليه المولود عام 1037ه – 1627م والمتوفى عام 1090ه – 1679م[2]، وكانت ما بين عام 1072ه – 1661م، وعام 1074ه – 1664م، تاريخ منتهاها مستغرقة ثلاثون شهرا وسبعة عشر يوم وكان مسلكها ذهابا طريق الصحراء مرورا بتراب أقروت وتقرت أما إيابا فقد سلك رحمة الله عليه سيدي خالد بسكرة والأغواط والغاسول.

وقد ذكر هناك مدينة عين ماضي وذلك في 17 رمضان حيث قال: "وفي يوم الاثنين السابع عشر من رمضان ارتحل الناس من الأغواط بعد أن تشاجروا في أي طريق يسلكون فمالت طائفة إلى طريق عين ماضي وكان لي فيها أرب لبيع بعض الكتب ولقاء الأصحاب ولن يقدر ذلك وحالت طائفة وهي الأكثر إلى المرور على الطريق اليسرى لقربها وسهولتها وخصبها فيما زعموا"[3].

الملاحظ من خلال رحلة العياشي وعلى الرغم من عدم دخوله مدينة عين ماضي إلا أنّه جاء على ذكر مآرب له في المنطقة ولقاء البعض من الصحب وخاصة بيعه للكتب، وهذا ما يدل على مكانة عين ماضي العلمية كنقطة تبادل ثقافي في طريق الرحلات الحجية.

1.1.5 رحلة العياشي الحجية الصغرى:

[1] محمد بن أحمد الحضيكي، تحقيق أحمد بومزكو، طبقات الحضيكي، ج2، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 2006، ص 396.
[2] نفس المرجع، ص 396.
[3] أبي سالم العياشي، تحقيق الشيخ أحمد فريد المزيدي، الرحلة العياشية للبقاع الحجازية الموسومة بماء الموائد، ج2، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2011، ص 530.

والموسومة بتعداد المنازل الحجية أو التعريف والايجاز ببعض ما تدعوا إليه الضرورة في طريق الحجاز وذلك سنة 1068ه – 1658م، وهي في الأصل رسالة بعث بها مؤلفها العياشي إلى أصحابه من علماء فاس وهو الشيخ القاضي أبي العباس أحمد بن سعيد المليدي أو المجيلدي المتوفى 1904ه – 1682م بفاس (نسبة المليدي إلى قبائل بني مليد البربر في الأطلس الأوسط المغربي)[1]، وقد أوجز له فيها ما يهم المسافر من نصح لما أوعز للحج ذاكرا له فيها مسالك الحج برا من سجلماسة وصولا إلى الحجاز وأشار إليه ببعض المزارات والصلحاء وما يحفظ صاحب السفر من تحصينات ودعوات وأوراد وعلى ذكر وتعداد المنازل والمزارات جاء له فيها ذكر مدينة عين ماضي حاثا له النزول بها والاستفادة من علمائها وتبليغ أمانة السلام على بعض صحبه بها كما استرسل بالغ المدح لأهلها ووصفهم بالعلم والخير قائلا: "ومنه إلى قرب عين ماضي ثمّ تصاحبها إن شاء الله وهي قرية طلبة العلم وأهل الخير فاشحذ ذهنك لمسائلتهم وسلم لنا على سيدي أحمد بن سالم وسيدي الزروقي ووالده سيدي أبي القاسم بن أحمد وسائر الطلبة"[2]

ومن خلال هذه الرحلة نستشف شهادة المليدي وثنائه على منطقة عين ماضي كمنارة علم ووجهة للمعرفة وصلاح أهلها، وعلاقتها الوطيدة بعلماء العالم الإسلامي خاصة المغرب منه، وأنّها كانت فيها مجالس للنقاش في أمور الدين وعلومه بين فضلاء وعلماء المنطقة وطلبتهم والوافدين لها والإشادة بمعرفة علمائها للدين الصحيح.

2.5 رحلة اليوسي:

وهي الرحلة التي تنسب إلى صاحبها الإمام العلامة أبي الحسن بن مسعود اليوسي المولود سنة 1040ه -1631م والمتوفى في 23 للحجة 1102ه الموافق ل 16 ديسمبر 1691م بتمززيت[3]. استغرقت الرحلة ذهابا وإيابا سنة قمرية كاملة وثمانية أشهر وإحدى عشر يوما من يوم انطلاق ركب الحجاج من فاس يوم السبت 14 جمادى الثانية 1101ه 24 مارس 1690م، وكان الرجوع إلى تمززت يوم الأحد 25 شوال 1102ه 21 جويلية 1691م، حيث رافقه ابنه الثاني وهو أمحمد (بالفتح) العياشي المتوفى سنة 1131ه – 1719م وهو كاتب الرحلة.

---

[1]محمد بن أحمد الحضيكي، تحقيق أحمد بومزكو، طبقات الحضيكي، ج1، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط1، 2006، ص 81.

[2]أبي سالم العياشي، تحقيق ودراسة عبد الله الحمادي، رحلة العياشي الحجية الصغرى الموسومة بتعداد المنازل الحجية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2013، ص 63.

[3]محمد بن الحاج الصغير الإفراني، تحقيق عبد المجيد الخيالي، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن 11، مركز التراث الثقافي المغاربي، المغرب، ط1، 2004، ص 344.

وقد مر اليوسي بمدينة عين ماضي في طريق ذهابه حيث دخلها بشهر رجب الموافق لفصل الربيع واصفا أهلها في استقبال الحجيج بالحفاوة، وكذا اعتنائهم بعلم القراءات وسؤالهم عين احكام التجويد واعتنائهم بالقرآن الكريم وعلومه وحرصهم على ملاقاة أهل الصلاح والفلاح. حيث قال: "ثم صبحنا قرية عين ماضي يوم الأربعاء 16 من رجب (24 أفريل 1690م) وأهلها يتلقون الحجيج فرحا وسرورا واكثرهم طلبة يقرؤون القرآن ويرغبون في ملاقاة اهل الصلاح ويسألون عن آيات في القرآن والتجويد والتفخيم والترقيق وكيفية ذلك"[1]. ثم وصف مائها بعذوبته وحلاوته قائلا: "وماؤه حلو عجيب"[2]

ومما تشير إليه هذه الرحلة في وصف مدينة عين ماضي وساكنتها وطبيعتها ممثلة في عذوبة مائها وما يشير اليه في أدبيات التراث الإسلامي كرمز للحياة ودوره في حياة المسلم كرمز للطهارة والتجدد، وكذا الإشادة بحفاوة أهلها في استقبال ضيوف الرحمن في رحلتهم ذهابا وإيابا، وهو ما يشير إلى تقديسهم لشعائر الإسلام من ناحية فضلا عن اهتمامهم بالخاصة من ركب الحجاج من علماء وفقهاء والإفادة والاستفادة منهم في طرح تبادل ثقافي علمي، ومما يشير إلى مكانة العلم وتقديسه ما جاء على لسان صاحب الرحلة في أنّ أغلب من تلقاهم طلبة العلم ورغبتهم العارمة في ملاقاة أهل الصلاح وسؤالهم عن علوم القرآن.

3.5 الرحلة الناصرية:

تنسب هذه الرحلة إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المدعو بالخلفية ولد في 18 رمضان 1057ه – 1647م وتوفي عام 1129ه وقيل 1128ه بتامكروت[3]، وقد حج رحمه الله أربع حجات الأخيرة منها عام 1121ه – 1709م تاريخ ذهابه والإياب يوم 6 رمضان 1122ه - 1710م وهذه الرحلة الحجازية جاء في سياقها ذكر عين ماضي وصفا بأنّها بلدة يكثر فيها طلبة العلم (حاضرة علم) وأنّ أهلها أهل محبة ونية صادقة وأهل جود وكرم كما ذكر مسجدها العتيق وصلاته به تبركا وأنّه لم يطل الإقامة بها في حجتها الأخيرة حيث قال: "ونزلنا عين ماضي عصر الأحد التاسع رجب الرابع سبتمبر وتلقانا أهلها أفواجا أفواجا وأقمنا بها يوم الإثنين لاستراحة الإبل

[1] محمد العياشي بن الحسن اليوسي، تحقيق أحمد الباهي، رحلة اليوسي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، ط1، 2018، ص 09.
[2] نفس المرجع، ص 76.
[3] محمد بن الحاج الصغير الإفراني، تحقيق عبد المجيد الخيالي، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن 11، مرجع سابق، ص 364.

وتنعيل الدواب"[1]، كما أثنى على العلم بها ومريديها من الطلبة والفقهاء حيث جاء في ذكرهم قائلا: "وعين ماضي أهلها كلهم طلبة علم يقرؤون خليلا وكبيرهم سيدي أحمد الدَهْصاء بالدال المفتوحة والهاء الساكنة وصاد مهملة على وزن حمراء، إلا أنّه كبير السن به علّة لا يقدر على المشي إلا راكبا على حمارا وأولاده الثلاثة فقهاء سيدي عبد الرحمن وسيدي محمد وسيدي زروق ومن فقهائهم سيدي أبو حفص وسيدي محمد بن عيسى بن يحي وسيدي بلقاسم ابن عيسى وسيدي عيسى بعكاز مؤدب الأطفال وغيرهم"[2]. كما عدد رحمة الله عليه صفوة من فقهاء عين ماضي وهم إحدى عشر فقيها ووصفهم بالخير وصدق النية قائلا: "وهؤلاء امتلأت قلوبهم محبة وصدق"[3]

ومما يثير قريحة الباحث المتتبع لهذه الرحلة وما جاء في ذكر أوصاف مدينة عين ماضي والثناء على أهلها محبة وصدقا على لسان صاحب الرحلة كشاهد على تراثها نستشف أهمية العلم لدى ساكنتها واهتماهم به وتوارثهم العلم أبًا عن جد في تراتبية تلقين العلوم والتربية واحترامهم وتوقيرهم للكبير علما وعمرا إذ نجد في العائلة الواحدة أكثر من طالب علم، إذ ذكر في زمانه ما يناهز الإحدى عشر عالما وفقيها محملا بمختصر الخليل صلب ولب الفقه المالكي الزلال، كما وصفهم بصدق النية والمحبة وهو ما يربوا أن يلامس التصوف الإسلامي الأصيل والزهد والورع الذي يجمع بين العلم والورع، ناهيك عن تلقين الآداب وفنونها للأطفال في ذكر سيدي الشيخ بعكاز كمؤدب للصبيان.

4.5 رحلة الهشتوكي الحجازية:

لصاحبها أبي العباس أحمد بن محمد بن داوود بن يعزى بن يوسف الهشتوكي شهرته الجزولي نسبا نزيل تمكروت توفي عام 1127ه – 1715م وعنوانها هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام والوقوف بالمشاعر العظام وزيارة النبي عليه السلام وهي رحلته الحجية الأولى وكان الانطلاق يوم الثلاثاء آخر ربيع الآخر سنة 1096ه – 1684م[4]. وصل الهشتوكي إلى مدينة عين ماضي مخترقا مناطق الجنوب الغربي مرورا بالقنادسة ثم بوسمغوم ثم اربوات ثم الكركدة والغاسول،

[1] أبو العباس أحمد بن محمد الدرعي، تحقيق عبد الحفيظ ملوكي، الرحلة الناصرية، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، ط1، 2011، ص 130.
[2] نفس المرجع، ص 137.
[3] نفس المرجع، ص 138.
[4] عبد السلام بن سورة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر، لبنان، ط1، 1997، ص 253.

حيث دخل عين ماضي وقت الظهيرة متزامنة وخروج أهلها لملاقاة ركب الحجاج مرحبين مهللين بحلولهم إذ يقول الهشتوكي: " ... ثم منه إلى عين ماضي ودخلناها قرب الظهر ولما قربنا إليها بأميال خرجت أهلها لملاقاتنا فرسانا وركبانا ورجالا فارحين بنا غاية وأخذوا يلعبون بالخيل ووقع ذلك اليوم فرح عظيم وسرور حسين ووجدنا بلدهم ذات عيون وجنات تحكي بحسنها البدور المشرقات"[1]

هذا عن أخلاق أهلها وجمال أرضها أما عن خاصتها من أهل العلم فقهائهم وطلبتهم فمنهم من يدعي الفقه ومنهم من يدعي النحو ومنهم من يدعي التوحيد، ومما يدّل على حرصهم على علوم الآلة خاصة النحو حين سأله بعضهم عن قوله تعالى: "لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة" (سورة النساء الآية 161). ومراده والمقيمين هل هو منصوب أو مخفوض وعلى ماذا وقف فأجبته بأنّه يجوز فيه الوجهان وأصحها النصب على أنه مفعول بفعل محذوف[2]

كما طلب منه سائل الإجازة في الاجرومية* بعد أن سلّم له وقبّل يدّه وقرأ عليه بعض الأبواب منّها قائلا: " فسّلم وقبّل اليد وطلب مني قراءة الأجرومية فقرا عليّ منّها أبواب وطلب مني فيها الإجازة فأجزته كما أجازني فيها شيخنا"[3].

ومما يدّل على اعتناء أهل المدينة بالعلم وانشغالهم به ما تنوع عليه من طرح للمسائل والتي أوردها بأجوبتها في رحلته على تنوعها في علم الكلام أو العقائد أو علم الفقه حتى مدح المدينة وأهلها وبخاصة حبهم وحرصهم على العلم وانشغالهم به منذ أمد الزمان قائلا: " وبالجملة فما رأيت فيهم محمودا إلا سرورهم وفرحهم بالركب المحمدي أكثر من غيرهم وحبهم للعلم من قديم الزمان إلى الآن"[4].

ومما يستدعي تأكيد حرص أهلها على نهل العلم وأنّه غايتهم منذ غابر الأيام تحذيره على لسان شيخه القاضي الأريب أبو مروان سيدي عبد الملك ابن محمد التجمعتي قائلا: " إنّه يسألون كل من

---

[1] الهشتوكي، هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، مخطوط رقم 121، بالمكتبة الوطنية بالرباط، اللوحة 119، (نسخة مصورة بمكتبة التيجانية بعين ماضي).

[2] مرجع سابق، الهشتوكي، هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، مخطوط رقم 121، بالمكتبة الوطنية بالرباط، اللوحة 119، (نسخة خاصة).

* كتاب في علم النحو ألفه ابن أجرّوم، بدأه بالكلام عن الكلام وأنواعه وتسلسَلَ مع المواضيع بأسلوبٍ ابتكره، سهل المنال للطالبين يحمل علوم النحو في اللغة العربية.

[3] الهشتوكي، هداية الملك العلام إلى بيت الله الحرام، مخطوط رقم 121، بالمكتبة الوطنية بالرباط، اللوحة 120، (نسخة خاصة).

[4] المرجع نفسه.

مرَّ من بلدهم ممن وسم بالعلم وذكر أنّهم سألوه حين مر عليهم عما فاتته صلاة الصبح أعوام هل يقرأ في كل صبح دعاء القنوت أم لا قال فأجبتهم بان يقرؤوه فقالوا له أين دليله في مختصر خليل"[1]

على ذكر ما جاء في شواهد على لسان الهشتوكي في رحلته الحجازية واصفا مسالك المرور بعين ماضي ومكانة ركب الحجيج لدى الساكنة وفرحهم بهم تقديسا لشعائر الدين و وصف جمال البلاد وما تحويه من عيون وجنات وتنوع ضروب العلم بين علمائها وطلبتها من توحيد ونحو وفقه، وكذا حرصهم على تعلم علوم الآلة كونها ذات أهمية وصيلة بلغة القرآن العربية، واهتمامهم بالفقه المالكي من خلال الإجازة في مختصر خليل وتقديسهم للعلم والعلماء، وهذا ما يؤكد على أنّ منطقة عين ماضي حاضرة وحاضنة علم وعلماء، وكذا مريدي العلم والمعرفة في أصول وفقه الدين، وحرصهم على مسائل وخاصة فقه المعاملات من خلال مسائلة من تلقوه من علماء.

5.5 رحلة الحضيكي الحجازية:

نسبة لصاحبها العلامة الفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الحُضَيْكي اليوسي المولود في شعبان 1118ه – 1706م وتوفي 19 رجب 1189ه – 1775م انطلاقا من سوس لكنه لم يذكر تاريخ العودة لأنّ ما وجد عن رحلته هو وصوله إلى مدينة مصر في طريق العودة وقد تكلم الحضيكي عن مدينة عين ماضي في طريق ذهابه بعد أن مرّ على الغاسول وميسرة ووادي سيدي طيفور وجبل الملح ثم دخل عين ماضي فوصف أجنتها وسورها وصفة أهلها وأنّهم من أهل العلم كما أشار إلى نسبهم إلى آل البيت[2]. وجاء على ذكر عين ماضي قائلا: "ونزلنا بعده قرية يقال لها عين ماضي فيها أجنة تين وعنب محفوفة بالحوائط والزروب وللقرية كذلك سور ممنوع"[3]

على الرغم من أنّ توثيق رحلته كان في فترة ذهابه دون إيابه، حين توقف تاريخ توثيقه لرحلته إيابا في مصر، إلا أنّه من الفائدة ما كان هو الوصف الايكولوجي لمنطقة عين ماضي وما تحويه من بساتين ذات أسوار والبعض من فواكه الجنان بها وأنّ لها سور ممنوع. كما أشار إلى أنّ نسب أهلها إلى آل البيت واصفا إياهما بأنهم أهل علم وزهد ووقار.

6.5 رحلة أبي العباس السجلماسي:

[1] أبي سالم العياشي، تحقيق ودراسة عبد الله الحمادي، رحلة العياشي الحجية الصغرى الموسومة بتعداد المنازل الحجية، دار الكتب العلمية، ص 62 - 63.

[2] عبد الحي الكتاني، تحقيق احسان عباس، فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، ج1، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط4، 2001، ص 352.

[3] أبي عبد الله محمد الحضيكي السوسي، ضبط وتعليق عبد الله المدبر، دار الأمان مع الرابطة المحمدية للعلماء، المغرب، ط1، 2011، ص 84 – 85.

لأحمد بن عبد العزيز بن الرشيد الهلالي توفي 1175ه – 1761م بتافيلالت المسماة بالتوجه لبيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام[1]، حيث اخترق هذا الركب الحجي مدينة عين ماضي أثناء ذهابهم مرورا بمناطق من البيض ميسرة وواد المخيلي ومنطقة أولاد سيدي طيفور مشيدا أبي العباس الهلالي بكرم أهل عين ماضي وحفاوة استقبالهم وملاقاتهم وما أثار قريحته ولب انتباهه كثرة طلبة العلم وقد انطلقت هذه الرحلة من سجلماسة ومن الزاوية الزينية بتافيلات تحديدا في شهر جمادى الآخر سنة 1150ه الموافق ل أكتوبر 1737م، وقد عدد وصف من تلقاهم من ساكنة عين ماضي قائلا: "... ثم ارتحلنا فمررنا بجمال للأعراب حيث بدت لنا عين ماضي واشترى منها الحجاج جلودا ولحما وغير ذلك ثم بلغنا عين ماضي حين ارتفع النهار وتلقانا كثيرا من أهلها من بعيد وكنت قد سمعت أنّ طلبة العلم فيها كثير ... ونزلنا قرب القرية وهي قرية منقطعة بعيدة عن العمارة ذات ماء معين ... ولهم بحيرات (بساتين) داخل سورهم فيها أشجار وقرع"[2]. كما جاء في وصفه لهم بكثرة حفظهم القرآن وعنايتهم بالعلم وبخاصة الفقه والعقائد والتفسير وعلم الحديث منه قائلا: " ... وأهل هذه القرية كثير منهم يحفظون القرآن ويقرؤون مختصر الشيخ خليل ورسالة ابن أبي زيد القيرواني وصغرى السنوسي وكتاب ابن أبي حمزة في الحديث ويسردون تفسيري الثعالبي والخازن[3]

ثم جاء ذكره تحاوره في مسائل مع أحاسن فقهائهم قائلا: " وأنجبهم فيما رأيت سيدي محمد الأحمر حفيد سيدي أحمد بن سالم الذي ذكره أبو سالم (العياشي) في وصيته المسماة الرحلة الصغرى وقد تكلمت معه في شأن قراءتهم للكتب بلا عربية فقال لي فيما معناه نأخذ منها ما ظهر وسهل وترك ما وراء ذلك لأربابه... وأخبروني لا أحبس عندهم وانهم يقرؤون لله تعالى وما أحسن هذا القصد عندهم[4]

7.5 الرحلة الناصرية الكبرى:

للإمام الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري المولود سنة 1142 ه– 1729م توفي ليلة السبت 12 سفر 1239 ه – 1824 م بتمكروت[5]، استغرقت الرحلة ما يقارب الستة عشرة شهرا ذهابا وايابا، انطلاقا من الزاوية الناصرية بتمكروت يوم الخميس 3 جمادى 1126ه الموافق

[1] عبد السلام بن سورة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، مرجع سابق، ص 237.
[2] أبو العباس أحمد الشيخ عبد العزيز الهلالي، التوجه لحج بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام، مخطوط غير تام (بدون رقم التصنيف)، خزانة سيدي عبد الله البلبالي كوسام، أدرار، الجزائر، لوحة رقم 17.
[3] نفس المرجع.
[4] نفس المرجع.
[5] محمد بن محمد مخلوف، تعليق عبد المجيد الخيالي، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ط1، 2003، ص 546.

لـــ 16 ماي 1782 م بعد صلاة الظهر إلى تاريخ الرجوع إلى الديار بالأربعاء 7 رمضان 1197 ه 16 أوت 1783 م، وقد اخترق الناصري مدينة عين ماضي ذهابا وايابا متبعا خط السير المعتاد من طرف ركب الحجاج المغاربة وقد مرَّ بمدينة بوسمغون وهناك التقى بالشيخ سيدي أحمد التيجاني*، عائدا من مدينة تلمسان وقد تذاكر معه فقال: "ورد هاهنا أي بأبي سمغون رجل ينتمي للعلم والصلاح من شرفاء عين ماضي اسمه أحمد التيجاني رفض سكن بلده بعد تطليق زوجته وانقطاعه للتجوال شرقا وغربا وقدومه بوسمغون كان من تلمسان مرغما من بعض أمراء الترك بها"[1]، ومما ذكره الناصري تدليلا على أنّ عين ماضي حاضرة علم تزخر بمكتبات وخزائن للمخطوطات تحوي أمهات كتب فقه المالكية ونوادر المصادر والمراجع، وأسفه لعدم وجود تقييد أبي الحسن الصغير كاملا في مكتبة زاويتهم، قائلا: "وليس في الخزانة الناصرية من تقييد الشيخ أبي الحسن هذا إلا جزئين نسأل الله أن يكمله لنا فنعم الكتاب والله"[2]، ولهم خصوصا عند أبناء الدهصاء كتب كثيرة متداولة ولما جرى ذكر التوضيح على ابن الحاجب قال ابن أبي زيان المذكور أشياخنا يقولون أنظر التوضيح تستريح[3]، ثم انتقل الى وصف جمال مدينة عين ماضي وحصانتها وعذوبة مائها وكثرة بساتينها قائلا: "وبلدتهم هذه خصيبة مبنية كلها بالحجارة دارت بها الأجنة والحدائق وفتحوا لها الأبواب من داخل البلد ومن خارجها، تسقى الأجنة كلها من عين واحدة خارجة من سفح جبل بقربهم عذبة باردة"[4]

وقد جاء على ذكر وصوله لعين ماضي أثناء عودته من رحلته حيث قال رحمه الله وفي الخامس من شهر شعبان وصلنا عين ماضي، فرحب بنا أهلها فأنزلنا الأَبرّ السيد عبد القادر آخر العهد الناصري بحديقة له وأجّلّ ضيافتنا كغيره من أهل البلد تقبل الله منه."[5]، ووقع السؤال من بعض الحجاج ونحن بعين ماضي... وبدأ يعددها ثم قال: "وسئلت من أهل البلد عمن باع شاة للذبح بدراهم فذبحها المشتري ثم أراد البائع أن يأخذ ثمنها شعيرا أو غيره من الطعام"[6].

* هو الشيخ العلامة سيدي أبو العباس أحمد بن محمد التيجاني مؤسس الطريقة التيجانية ولد عام 1150 ه – 1737 م بعين ماضي وتوفي 1230 ه – 1814 م بفاس، كان عارف أهل زمانه، أنظر في ترجمته الحاج أحمد سكريج كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التيجاني من الأصحاب، المكتبة الشعبية، لبنان، 2002، ص 9 - 10

[1] أبي عبد الله محمد بن عبد السلام الناصري، تحقيق المهدي الغالي، الرحلة الناصرية الكبرى، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب، ج1، ط1، 2013، ص 194 – 197.

[2] نفس المرجع، ص 130 – 131.

[3] نفس المرجع، ص 203.

[4] نفس المرجع، ص 203.

[5] نفس المرجع، ص 205.

[6] نفس المرجع، ص 906 – 907.

مما سبق وكما جاء على لسان الرجل العالم الذي يعتبر من الثقاة لإمامته وفقهه، حيث جاء على ذكر لقياه بمؤسس الطريقة التيجانية سيدي أحمد التيجاني وتنويهه العميق بأصالة وشرف نسبه، ونقاء سريرته وصلاحه وما عاناه من حكم الأتراك بتلمسان، وزهده في الدنيا وتجواله شرقا وغربا طالبا للعلم وراغبا فيه، كما أفادنا في رحلته هذه بما لاقاه من محبة أهلها لأهل العلم والصلاح، وما تحويه مكتبة الزاوية من كتب ومخطوطات نفيسة قلما وجدها في زاويته الناصرية وكذا باقي الزوايا، وفي اشارة إلى فن التعايش في الطريقة التيجانية مع باقي الطرق الأخرى، ما يثبته سرده لملاقاة عبد القادر بعين ماضي وهو ناصري أي من أتباع الزاوية الناصرية، وكذا اهتمام ساكنة عين ماضي بالدين علما وعملا، وخاصة في فقه المعاملات وما يدّل عليه من ورع وخوف من الله ومراعاة أحكام الشريعة في المعاش اليومي.

6. الطريقة التيجانية:

تعتبر الطريقة التيجانية من الطرق الصوفية التي شهدت انتشار واسع وهذا بفضل مؤسسها الشيخ أحمد التجاني وخلفاؤه، وقد أتت الطريقة التيجانية معتمدة الوسطية كمنهج وسبل اليسر والتيسير كطريقة عمل لبلوغ أهدافها، ألا وهي الوصول بالمريدين إلى طريق النجاة وهو معرفة الله وهذا من خلال إنشاء الزوايا للحفاظ على مبادئ الدين الإسلامي.

6.1 التعريف بالطريقة لغة:

الطريقة لغة: هي الطريق والسبيل، هي المسيرة و طريقة الرجل و مذهبه يقال: مازال فلان على طريقة واحدة أي حال واحد وفلان حسن الطريقة و الطريقة حال[1] أي السبيل الموصل إلى الله عز وجل والمنهج المتبع في ذلك، لما جاء في قوله تعالى: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ" (سورة يوسف الآية 108)، جاء في تفسير الآية أي قل يا محمد هذه طريقي ومنهاجي واضحة مستقيمة لاعوج فيها ولا شك ولا شبهة، أي ادعوا إلى عبادة الله وطاعته على بيان وحجة واضحة أنا ومن آمن بي[2].

ومعنى الطريقة من سلك يسلك مسلكا أي الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، ويقال فلان على الطريق بمعنى مستقيما صحيحا في طريقته، وأيضا وردت بمعاني عدّة كالنهج والسبيل، وجاء

[1] ابن منظور، لسان العرب، العدد العاشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ص 224.
[2] صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مج 2، ط 8، دار الجيل بيروت، دار الصابوني، القاهرة، 1415ه، 1995م، ص 70.

في قوله تعالى أيضا "وَأَنَّ هَذَا صراطي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وصآكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تتَّقُونَ" (سورة الأنعام الآية 153). جاء في تفسير هذه الآية أي وبأنّ هذا ديني المستقيم شرعته لكم فتمسكوا به ولا تتبعوا الأديان المختلفة والطرق الملتوية فتفرقكم وتزيلكم عن سبيل الهدى[1]، أما في القاموس المحيط فجاءت الطريقة بمعنى الحال.

6.2 الطريقة اصطلاحا: هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله من قطع المنازل، والترقي في المقامات، بمعنى السير إلى الله سيرا حقيقيا ومعنويا لتزكية النفس والجوارح عن منكرات الخلاف والأعمال.[2]

ويعرفها ابن خلدون فيقول: "هي العلم بكيفية تطهير القلب من الخبائث والكدرات بالكف عن الشهوات وإخماد القوى البشرية بقطع العلائق البدنية والاقتداء بالأنبياء صلوات الله عليهم في جميع أحوالهم، فيقول ما يتحلى من القلب ويحاذي به شطر الحق تتلألأ فيه حقائقه وهذه هي الرياضة والمجاهدات[3]

والطريقة التيجانية هي طريقة سنية صوفية تمثل منهج سلوكي من المناهج الإسلامية التي ظهرت إبّان القرن الثامن عشر، ويقوم هذا المنهج على الكتاب والسنة، ويهدف أساسا إلى تزكية النفس وتهذيبها، والعمل الصالح وتقوية الإيمان بالتقرب إلى الله عزوجل[4]

وفي تعريف آخر للطريقة التيجانية هي طريقة إحسان لوجه الله، لا تقوم على رفض الآخر على اختلاف رآه، فهي تعتبر الصوفي أخا في الطريق، والمسلم أخا في الدين والآخر الذي يخالفك في الدين والعقيدة شريكا في العبودية لله والمجتمع الإنساني الواسع.[5]

وهي أيضا طريقة صوفية سنية ظهرت في القرن الثاني عشر هجري القرن الثامن عشر الميلادي على يد الشيخ أبو العباس أحمد بن المختار التجاني ولهذه الطريقة عدة أسماء، فهي تسمى بالأحمدية والمحمدية والإبراهيمية، أما الأولى فلأنّها طريقة شكر لكون القطب الذي عليه مدارها هو حمد الله تعالى على نعمه الوافرة أما الثانية فلكونها جل أورادها صلاة وسلاما على سيدنا محمد

[1] نفس المرجع، ص 429.
[2] عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر نشأتها ونظمها وروادها، ط 5، دار المعارف، مصر، 1983 م، ص 18-19
[3] شفاء السائل لتهذيب المسائل، عبد الرحمان ابن خلدون، ت/ أبو يعرب مرزوق، ط 8، تونس، الدار العربية للكتاب، 1991 م، ص182.
[4] العرف الشذي في التعريف بالشيخ سيدي الحاج علي التماسيني، علي بن خليفة، ط 8، مطبعة دار الجائزة، القبة، الجزائر, 2015 م، ص68.
[5] نفس المرجع، ص 69.

صلى الله عليه وسلم، والثالثة كونها طريقة اجتبائية لا ضيق فيها ولا حرج ولا مشقة[1] لقوله تعالى: "وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" جاء في تفسيرها أي دينكم لا حرج فيه هو دين إبراهيم فألزموه لأنه دين القيم[2].

ومما سبق من التعريفات نرى أنّ الطريقة هي ذلك المسلك الروحي الذي تنتهجه الطرق الصوفية كسبيل للتزكية وبلوغ المقامات الربانية ودرجات الاحسان والترقي الروحي وفق أذكار وأوراد مخصوصة في اليوم والليلة جماعة وفرادى وهدفها ترويض النفس واللسان بالذكر واستحضار عظمة الخالق في نفس المخلوق، وتختلف صيغ هذه الأذكار وتكرارها العددي من طريقة إلى أخرى، وقد أجمع السادة الصوفية على أنّ الطرق هي سبل تربية للنفس وتزكية للقلب وتجلي للروح وربطها بخالقها حالا وأحوالا.

والطريقة التيجانية واحدة من هذه الطرق الصوفية ترجع إلى مؤسسها الشيخ أحمد التيجاني الذي أسّس طريقته على منهج تربوي روحي يتمثل في مقام الإحسان اعتمادا على الكتاب والسنة وهي طريق حمد وقوامة وعلى ذلك سميت طريقته بالأحمدية والابراهيمية، وهي مجموع أوراد وأذكار من حمد وتسبيح وهيللة وشكر لله تعالى على نعمائه، وقد اشتهرت الطريقة التيجانية بأورادها كصلاة الفاتح وجوهرة الكمال، وكما ذكرنا بأنّ هذه الطريقة ترجع إلى مؤسسها الشيخ أحمد التجاني، فمن هو الشيخ أحمد التجاني؟ وكيف أخذ هذه الطريقة؟

6.3 نسبه: الشيخ سيدي أحمد التجاني هو قطب الزمان، الحامل في وقته لواء أهل العرفان، أبو العباس أحمد بن محمد فتحا بن المختار بن أحمد بن محمد بن سالم متصل بسيدنا الحسن بن الإمام سيدنا علي صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على آله وسلم زوج السيدة فاطمة الزهراء وأم الشرفاء بنت المصطفى عليه وعلى آله الصلاة والسلام، أما أم الشيخ فهي الجوهرة المصونة وبنت العائلة المعلومة السيدة عائشة بنت السيد الجليل سيدي محمد بن السنوسي التجاني المضاوي[3] ولقب سيدنا التجاني نسبة لقبيلة أخواله ذو الكرم والجود[4] وهم بنو توجين[1].

---

[1] دور الطريقة التيجانية في الوسطية ونشر الإسلام وتحقيق الأمن، بقلم د/ علي زيتونة، الملتقى الدولي، الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، ربيع الأول 1439 ه ديسمبر 2017 م، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي. ص737.

[2] صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مج 2، مرجع سابق، ص 300.

[3] سيدي محمد بن السنوسي المضاوي: هو جد الشيخ أحمد التجاني لجهة امه، ينسب إلى قبيلة التجاجنة أحد بطون قبائل عين ماضي " بنو توجين " وهم أخوال الشيخ أحمد التجاني، عرف هذا الرجل بالعلم والصلاح، كما أنه كان، أحد وجهاء مجتمع " عين ماضي، انظر: بغية المستفيد لشرح منية المريد، محمد العربي بن محمد السايح، ط 4، مطبوعات سالم الحبيب التجاني، تغزوت، الوادي، الجزائر 2008 م، ص 143

[4] نفس المرجع، ص 144.

ويعد سيدي أحمد التيجاني قطب زمانه العارف بالله والزاهد في دنياه والمعتصم بدينه، نال شرف العلم والأدب ودماثة الخلق الحسن والورع، وهو متصل نسبًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الخلق وأعلاهم منزلة من سيدنا الحسين سبطه ولد فاطمة رضي الله عنها وعلي ابن عمه كرّم الله وجهه، فقد جمع الشيخ أحمد التيجاني شرف الانتماء لبيت النبوة ومنزلة العلم والحكمة من علي رضي الله عنه، وهو شرف زان به الشيخ مكانته وله شيوع في مختلف بقاع الأرض ومريدين ينتمون لطريقته، هذا إضافة إلى امتداد نسبه من أمه إلى علية قوم زمانه شرفا وعلما وجودا وكرما فهي سليلة سيدي عبد الجليل لماضوي التجاني من ساكنة منطقة عين ماضي مسقط رأس الشيخ أحمد التجاني، فهي امرأة جليلة من عائلة مصونة علمًا وخلقاً، وعليه نسب لقب الشيخ التيجاني نسبة إلى نسبه من أخواله قبيلة (التجاجنة).

6.4 مولده ونشأته: ولد الشيخ أحمد التجاني الحسني بدائرة عين ماضي ولاية الأغواط دولة الجزائر سنة 1050ه الموافق 1737م، ونشأة في تلك البيئة الصحراوية في وسط أسرته الشريفة المتشبعة بالعلم والتصوف من تلاوة للقرآن الكريم واعتناء بالصلوات والاحتفال بالأعياد الدينية والليالي الفاضلة، ولما أدرك التميز أسلمه والده للمكتب، فحفظ القرآن الكريم برواية نافع حفظا جيّدا وعمره سبعة أعوام وهذه أعظم المزايا الأولية التي من بها على الشيخ والتي تنبأ بأنّ له شأن عظيم.

ولما بلغ الخامسة عشر حتى أتم الدراسة بعين ماضي على يد الشيخ مبروك بن بو عافية، فقرأ عليه مختصر خليل والرسالة لابن أبي زيد القيرواني ومقدمة ابن رشد وكذلك تحصل على كل ما يلزمه من علم التجويد واللغة، وصار جديرا بالتدريس والفتوى فكان يدرس ويفتي.

ولما بلغ الحلم زوجه والده فتاة شريفة النسب اعتناء بشأنه وحفظا له وصونا ومراعاة للسنة من المبادرة في ذلك، ومكث متزوجا مدة سنة في حجر والده، لكن بعد سنة من زواجه بها طلقها لانشغاله بطلب العلم ثم اشترى أمتين وتزوج بهما بعد عتقهما، الأولى اسمها مبروكة، ولدت له ابنا سنة 1211ه بعين ماضي قبيل هجرته إلى فاس، وسماه محمد الكبير، وقد توفيت بعين ماضي بعد وفاة الشيخ، والثانية اسمها مباركة وولدت له ابنا سنة 1217 ه بفاس بعد قدومه لها وسماه محمد

[1] بنو توجين: من قبائل بني بادين على ما أ ريته في ابن خلدون وكان بنو بادين من زناتة وهم بنو عبد الواد وتوجين ومصاب وبنو زردال وبنوا رشد شيعة الموحدين من أول دولتهم، فكانوا أقرب إليهم من بني مرين توجين وهم إخوة مطمامة ..... انظر: تاريخ الجزائر الوسيط، أد حساني مختار، ج 2، د،ط، دار الهدى عين مليلية، الجزائر، ص154.

الحبيب، وتوفيت هي أيضا بعين ماضي بعد وفاة الشيخ، وولد للشيخ قبل ذلك ابنان هما إسماعيل والمختار توفيا صغيرين في حياة والدهما ودفنا في أبي سمغون بصحراء الجزائر.[1]

وفي هذه الفترة قرأ على الفقيه المبروك بن أبي عافية المضاوي التجاني، ومكث يتردد على شيخه هذا إلى أن توفي عام 1166ه، في العام نفسه الذي توفي فيه والدا الشيخ، فقد ماتت أمه مع أبيه في اليوم نفسه بسبب مرض الطاعون، وقبرا بعين ماضي وكان عمر الشيخ حينذاك لا يتجاوز 16 سنة، واشتغل بتحصيل فنون العلم الأصلية والفرعية الشرعية اللغوية والأدبية، حتى تفرس فيها ثم تعمق في تلك الدراسات، وكان يقول: "ما أحوج الناس في هذا الزمان إلى عالم أو علماء ينقحون لهم كتب الفقه من الحشو الذي فيها".

يبدوا مما سبق أنّ الشيخ أحمد التيجاني هو أصيل مدينة عين ماضي وعلمها مولداً وهي منطقة صحراوية شاسعة، حيث تلقى أصول تعليمه وتربيته الأولى من أسرته التي عرفت بالعلم والورع والتصوف ومحافظتها على أصول الشرع الحنيف، فحفظ القرآن في سن مبكرة والتحق بالكتّاب حيث أتم حفظ متون الفقه المالكي كمختصر خليل ورسالة أبي يزيد القيرواني ومقدمة ابن رشد ثمّ أتمّ بعض متون النحو واللغة وعلم التجويد واتقنها تلاوة ونطقاً فكان يعتلي المنابر يدرس ويفتي.



[1] أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 42.

الصورة تشير إلى مسقط رأس الشيخ سيدي أحمد التيجاني.



بيت الشيخ سيدي أحمد التيجاني بالقصر القديم بعين ماضي

6.5 صفاته وأخلاقه: (صفاته الخلقية)

تميز الشيخ سيدي أحمد التجاني منذ صباه بشدة الحزم فيما يتعاطاه من أموره حتى قال عن نفسه: من طبعي أني إذا ابتدأت أمرا ألا أرجع عنه، وما شرعت في أمر قط إلا أتممته، وبهذا الحزم كان يوصي أصحابه فيقول: همة الإنسان قاهرة لجميع الأكوان متى تعلقت بمطلوب وسعت فيه على الجادة المستقيمة بحيث ألا يناله في طلبها سآمة ولا رجوع عن المطلوب ولا تصعب عليه صعوبة مطلبه ولا يناله شك ولا تردد بل اعتقاد جازم أن تناله أو تموت في طلبه، اتصلت بمطلبها ولو كان وراء العرش، وقد وجه الشيخ همته إلى مجاهدة نفسه في شيبته من صيام وقيام وعبادات وعلم، ثم أمر بالمعروف والنهي عن المنكر خلال كهولته.[1]

للشيخ التيجاني صفات وسمات تمثلت في الحزم والعزم في طلب العلم والصبر وطول الأناة للظفر به وإصراره وملكته في الحفظ والتحصيل، كان الشيخ خلوقا مهذبا صادقا زاهدا ورعًا متمسكا بدينه محافظا عليه، وقال عن نفسه مثبتا مدى تعلقه بإتمام أمر إذا شرع فيه، وادراكه لقدرة

[1] الطيب بن احمد السفياني، تحقيق محمد الراضي كنون الحسنى الادريسي، الإفادة الأحمدية لمريد السعادة الأحمدية، فصل حرف الميم، الكلمة 186، ص 123.

الانسان في تحقيق مراده ان صدق في قصده، ونال قوة التوكل الحق على الله تعالى، ومجاهدة نفسه من صيام وقيام وعبادات، والتزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

6.6 صفاته الخَلْقِيَةَ:

كما وصفه تلميذه عليْ حرازم بقوله "بهي المنظر، منور الشيبة، عظيم الهيبة، أبيض مشرب بحمرة معتدل القامة، ذو صوت جهوري، حلو المنطق، فصيح اللسان يعبر عن مراده في غاية البيان، وهو من حفاظ أهل زمانه .... وأما لباسه فيلبس المتوسط من الثياب مما يقيه الحر والبرد، كما يلبس عامة الناس ولا يحب الامتياز بثوب حسن ولا قبيح[1]

وقد وصف عليْ حرازم حال الشيخ في داره وعياله، فقال أما شأنّه في داره وعياله فإكثار الطعام والتوسعة والأفضال والإكرام لا يدع شيئا إلا متعهم فيه من وجه شرعي من قصد كفايته إيّاهم وتنعيمهم بأنعم مولاهم لا على الرفاهية والترفة.[2]

للشيخ صفات خلقية جاءت على ذكر تلميذه واصفا إيّاه بصفات خلقية جمعت بين الحسن والهيبة والوقار وهو ما يحاكي وصف الصلحاء، فقد كان بهي النظرة منور الشيبة عظيمة الهيبة. وقد جمع في ملبسه بين بساطة دون تكلف ونظافة وأناقة دون تقشف فكان حاله الوسطية من عموم الخلق وهو ديدن الصلحاء والأتقياء الذين يظهرون نعم الله عليهم دون تفاخر وتباهي.

6.7 حياة الشيخ أحمد التجاني الصوفية:

بالرجوع إلى سيرة الشيخ من ولادته 1150ه إلى بلوغه من العمر 21 سنة وهي مرحلة التكوين النفساني والعقلي، حيث شب الشيخ في وسط مشبع بروح العلم والتقوى والتصوف، والعوامل التي جعلته يقبل منذ بداية شبابه على طريق الصوفية متعددة، فهو سليل الآل الذين فيهم[3] قول الله تعالى "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عنكم الرجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً عَنْكُمْ" (سورة الأحزاب الآية 33). جاء في تفسيرها أي إنّما يريد الله أن يخلصكن من دنسي المعاصي، ويطهركن من الآثام، التي يتدنس بها عرض الإنسان كما يتلوث بدنه بالنجاسات، ويطهركم من أوضار الذنوب والمعاصي تطهيرا بلغيا[4].

[1] أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 42.
[2] المرجع نفسه، ص42.
[3] المرجع نفسه، ص 53
[4] صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مج 2، مرجع سابق، ص524.

ولعل أهم ما صقل شخصية الشيخ الصوفية هو احتوائه في بيت صوفي وتكوينه على ذلك المسلك التربوي، فتتلمذ على شيوخ قبل بلوغه السابعة وحفظ عنهم القرآن الكريم فكان يقبل على الطرق الصوفية وينتمي لحلقاتهم فتكونت لديه الرغبة في اكتشاف الطرق الصوفية والبحث عن ضالته هذا إذا اضفنا إلى ذلك مفهوم الشرف المرتبط نسبا بآل البيت الذي يبلور شخصية الشيخ المتزنة الوسطية، المعتدلة.

إنّ الشيخ بقي متعطشا ليكون عاملا بما علم فارتقت همته العلية لإتباع السادة الصوفية وعمره في ذلك الحين 21 سنة قمرية فخرج من بيته في طلب العلم والصلحاء إلى المملكة المغربية كعبة إفريقيا في ذلك الحين، ومنهل الواردين لطلب العلم بجامعة القرويين التي تغص بعلماء المذهب وعقيدة السلف منذ 12 قرنا، وسلك الطريقة الطيبية والقادرية والناصرية وكثيرا من طرق التزكية الروحية فبقي في المغرب سنوات عديدة يتكون تكوينا سنيا كاملا ضمن علماء عاملين وأولياء موصلين.[1]

وما انتقال الشيخ في طلب العلم والصلاح للمغرب إلاّ تأكيدا لرغبته في البحث عن طريق الترقي الروحي وسلك طرقا عديدة كالطيبية والقادرية والناصرية وكثيرا من طرق التزكية، وبقي سيدنا أحمد التجاني سنين عديدة بين طبقات العلماء ينهل منهم العذب الفرات ويتدرج في مدارج السالكين المقامات العظام، لكن العارف المكاشف سيدي محمد بن الحسن الوانجلي* الذي ما إن وقع بصره على الشيخ حتى قال له قبل أن يكلمه بشيء "" أنك تدرك مقام الشاذلي وبشره ببشائر عظيمة ""، وقال له مكان فتحك صحراء غرب الجزائر، وبقيت هذه العبارة الشريفة دليل سيدنا الشيخ أحمد التجاني لنيل مطالبه فأسرع بالرجوع إلى وطنه العزيز قاصدا الأماكن التي فيها ريح الأقطاب من أهل الله، فاراً إلى مقر آبائه ومحل أسرته وقصد لبيض سيدي الشيخ حيث زاوية سيدي الشيخ القطب الصديق الشهير فبقي فيها خمس سنين عابدا وزاهدا مدرسا وزار خلالها بلده عين ماضي ليواصل طريقه حتى يصل مرامه و متمناه ووفقه الله إلى عاصمة العلم وأولياء الله في الجزائر من غير منازع ولاية تلمسان (حيث كانت عاصمة علم وزهد)، فاتخذها دارا وقرار وعكف فيها ودرس بها علوما خصوصا علمي الحديث والتفسير، فلاحت بوارق الفتح عليه وظهر عليه من الخوارق، ما دان له به شانئه ومعاديه فصار يفتتن به كل من رآه فأقبل الناس عليه طالبين

[1] نبذة تاريخية الشيخ سيدي أحمد التجاني الأشعري المالكي مرجع سابق، ص 4

* سيدي محمد بن الحسن الوانجلي: هو أحد أعلام التصوف بالمغرب الأقصى من قبيلة " وانجل "، زاره الشيخ أحمد التجاني أثناء رحلته في طلب العلم بمنطقة تدعى "جبل الزبيب"، لم يأخذ عنه الشيخ التجاني شيئا، لكن الشيخ الوانجلي "أخبره بأنه سيدرك مقام الإمام" الشاذلي، توفي العلامة محمد بن الحسن الوانجلي سنة 1185ه/ 1771-1772 م، انظر: بغية المستفيد لشرح منية المريد، محمد العربي بن محمد السايح، مرجع سابق، ص 162.

الإذن والتلقين، لكن علو همته قابلتهم بالتستر والامتناع عن ادعاء مشيخة بابتداع وهرع إلى أداء الركن الخامس من أركان الإسلام، وزيارة أفضل مخلوق في الأنام عليه وعلى آله أفضل الصلاة وأزكى السلام.[1]

وفي سنة 1773م عزم على أداء فريضة الحج فمر بجبل جرجرة بالقبائل الكبرى وأخذ الطريقة الخلوية عن الولي الشهير محمد بن عبد الرحمان، ثم مر بتونس ومكث فيها بضعة أشهر، يدرس بجامع الزيتونة فأفاد واستفاد من أهل العلم والصلاح، ثم واصل سيرهم (كما التقى الشيخ/ فمر بالقاهرة والتقى بالولي الشهير محمد الكردي بالولي أحمد بن عبد الله الهندي*، الذي منحه أسراره العلمية والمعرفية[2].

وفي يوم الاثنين من ذي الحجة 1187ه الموافق 1774 م كان وقوفه بجبل عرفة ، وبعد إتمام مناسك الحج المبرور شدّ الرحال إلى المدينة المنورة لزيارة النبي صلى الله عليه وسلم، والتقى فيها الشيخ بقمر السلسلة الخلوتيه الجندية المتصدرة للمشيخة والتسليك بها بالمدينة المنورة وهو القطب محمد بن عبد الكريم السمان*[3]، وهو أحد مشايخ الطريقة القادرية الذي منحه ما شاء الله من علوم وأسرار وبشره بعلو المقام[4] فأجازه أستاذه في الطريقة الخلوتيه وخصه بالتسليك والتربية بها فأمتنع سيدنا وما قبل حتى قال له لقن الناس والضمان علي، وهذا من أروع الأمثلة التي فاتت العد والكثرة في تستر الشيخ للمشيخة. ورجع الشيخ أحمد التجاني إلى الجزائر في آخر1774م

---

[1] نبذة تاريخية الشيخ سيدي أحمد التجاني الأشعري المالكي، 1815/1737، مرجع سابق، ص 3-5-6.

* الولي أحمد بن عبد الله الهندي: هو احد الأفاضل المشهورين ببلاد الهند، ولد 1093 ه / 1682 م، اشتغل بطلب العلم وقراءة الفقه والحديث النبوي الشريف وعلوم اللغة العربية وغيرها من العلوم العقلية والنقلية على يد والده وعلماء عصره، وألبس خرقة التصوف فسلك على يده الكثير في الطريقة القادرية، التقى بالشيخ سيدي أحمد التجاني بمكة المكرمة عن طريق خادمه دون رؤيته في شهر شوال 1187 ه / جانفي 1774 م، وأعطاه أسرار في التصوف وقال في حقه " أنه ورث أسراري ومقاماتي، توفي يوم 71 ذي الحجة 1187 ه / 4 مارس 1774 م، ودفن بمكة، انظر: ملحق لتراجم الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام.

[2] عبد النصير الميليباري، لتراجم الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، ط 1، دار بن حزم، بيروت 2009 م، ص 692، وانظر كذلك: بغية المستفيد لشرح منية المريد، محمد العربي بن السايح، مصدر سابق، ص 169.

* الشيخ محمد بن عبد الكريم السمان: ولد بالمدنية المنورة سنة 1130 ه / 1718 م وتربى في أحضان والديه حفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنين، وتبحر في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وكان مجتهدا في طلب العلوم الظاهرة , بالمسجد النبوي فكان السابق في مضمار العلوم النقلية والعقلية , وقد اخذ الطريقة القادرية على يد الشيخ محمد الطاهر الكردي ، وكذا التقى بالشيخ سيدي أحمد التجاني عند رحلته للحج سنة 1187 ه / 1774 م ، وأخذ عنه أسرار صوفية كثيرة في علوم التزكية ، من مؤلفاته) كشف الأستار فيما يتعلق بالاسم القهار ، وكتاب عنوان الجلوة في شأن الخلوة (التحق بالرفيق الأعلى يوم الأربعاء 75 ذي الحجة 1189 ه / 85 فيفري 1776 م ، ودفن بالبقيع تجاه قبة أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها.

[3] المدني محمد توم الفكي علي، الكؤوس المترعة في مناقب السادة الأربعة، المطبعة السمانية، ط7، طابت السودان، 2008 م، ص 23 و24.

[4] جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، علي حرازم بن العربي برادة المغربي، ج 1، المكتبة التجارية الكبرى 1383ه، ص 115-124

ومكث بتلمسان من (1785/775م)، حيث التقى بأول أصحابه ومريديه سيدي محمد بن المشري السايحي الطيباتي، وخلال هذه الفترة زار فاس سنة 1777م أين التقى بصاحبه العارف بالله سيدي الحاج علي حرازم مؤلف كتاب جواهر المعاني[1] وفي سنة 1781م رحل الشيخ أحمد التجاني إلى قصر أبي سمغون بولاية البيض في الجنوب الغربي الجزائري، وفي هذا القصر بلغ مراده، وجاءه الفتح الأكبر في أواخر سنة 1196ه/1781م[2] حدث الفتح الأكبر للشيخ سيدي أحمد التجاني سنة 1196ه بقصر أبي سمغون حيث خلوة الشيخ ورسمها إلى يومنا هذا موجود، حيث رأى النبي صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما فأذن له في تلقين الورد للخلق بعد أن كان فارا منهم لاعتنائه بنفسه، وهروبه من ادعاء المشيخة، كما أذن له صلى الله عليه وسلم بتربية الخلق على العموم والإطلاق، وعيّن له الورد سنة 1196 ه الذي شمل في البداية الاستغفار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، ثم أكمل الورد صلى الله عليه وسلم بكلمة الإخلاص، فعند ذلك تصدر الشيخ أحمد التجاني للتربية وبدأ ينشر في الطريقة التيجانية بين الناس[3]. وكان للطريقة التيجانية أوراد خاصة بها تميزها عن الطرق الصوفية الأخرى وهذه الأوراد* هي:

الوظيفة، ولها أربع أركان:

- الاستغفار "وهو استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم" 30 مرة.
- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وتكون بصلاة الفاتح لما أغلق وهي" اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم" 50 مرة.
- الكلمة المشرفة وهي "لا إله إلا الله" وتكون 100 مرة.
- جوهرة الكمال: وهي 12 مرة في مدح سيد الرجال، فإن كان فرض طهارتك التيمم أو لك عذر فاستبدلها 20 مرة بصلاة الفاتح[4].

---

[1] أضواء على الشيخ أحمد التجاني وأتباعه، مرجع سابق، ص 78.
[2] جواهر المعاني في فيض سيدي أبي العباس التجاني، علي حرازم، مصدر سابق، ص125.
[3] نفس المرجع، ص 125.
* الورد: بكسر الواو، جمعها " أوراد"، والورد هو جزء من القرآن، أو مجموعة من الأذكار ذات قدر معلوم يداوم صاحبها على قراءتها في اليوم والليلة، كأن نقول: ق أوراده، أو قرأ حزبه، وهما بمعنى واحد. انظر: جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج 6، ج 53، د. ط، دار المعارف، القاهرة، 1979 م، ص 4811.
[4] محمد الحافظ التجاني، أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني، دار نوبار للطباعة، ط6، 1984، ص 12.

وما يميز الطريقة التيجانية هي سهولة أذكارها ويسر أورادها والوظيفة التي تتأسس على أربعة أركان أولها الإستغفار الذي يكون مائة مرة، وصلاة الفاتح (أي الصلاة على النبي بالصيغة المعروفة بها)، وهي: اللهم صلي على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، وإن كانت بسيطة المبنى فهي عظيمة المعنى، فالصلاة على النبي لا تخلو من تسليم وبركة ومعنى الفاتح هو ما جاء في قوله تعالى "إنّا فتحنا لك فتحا مبينا" (سورة الفتح، الآية 01)، وأغلق من القلوب المغلقة بالجهل والشرك، والخاتم بمعنى خاتم الأنبياء والمرسلين، وناصر الحق بالحق فلا ينتصر للحق إلا بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم بمعنى الطريق القويم دين إبراهيم الحنيف، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم بمعنى إجلال آل الرسول وصحبه رضوان الله عليهم وتعظيما لمكانة النبي وقدره عند حبيبه ومجتباه، وتقرأ صلاة الفاتح في الوظيفة خمسين مرة، أمّا الكلمة المشرفة "لا إله إلا الله" تكون مائة مرة، ولعل لفظ التشريف في الكلمة هو إقرار وحدانية الله وربوبيته فلأجلها خلق الله الموجودات وبعث الرسالات، وجوهرة الكمال في مدح سيد الرجال تقرأ اثنا عشرة مرة فهي مدح في مناقب وصفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم واستنطاق لما خصه الله به من دماثة الخُلق وحسن الخَلْق.

7. ظهور الطريقة التيجانية:

بالعودة إلى قصر ابي سمغون سنة 1781م أذن له الرسول صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما بتربية الخلق على العموم والاطلاق وبه حصل له الفتح الأكبر وعين له الورد الذي يلقنه وهو 100 مرة من الاستغفار ومائة من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وأذن له صلى الله عليه وسلم لكل من رغب فيه من المسلمين بعد تحديد الشروط والتزام المريد بها، وفي عام 1785م كمل له صلى الله عليه وسلم في الورد اللازم 100 من الكلمة المشرفة لا اله الا الله وأخبره صلى الله عليه وسلم بأنّه مربيه وكافله وأنّه لا يصله شيء من الله إلا على يديه من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس حتى يصل مقامه الذي وعد به، وهذا يدّل على مرتبة الشيخ التيجاني عند الله ورسوله لأنّ فتحه ووصوله كان على يديه صلى الله عليه وسلم[1]، ثم انتقل من أبي سمغون من بلاد الصحراء في السابع عشر ربيع الأول سنة 1213ه ودخل فاس في السادس من ربيع الثاني وأسس الزاوية استمر في نشر الطريقة والاذن في الأوراد فانطلقت الطريقة التيجانية لتعم المغرب الأقصى بكامله والصحراء والسودان الغربية وقد برز سيدي أحمد التيجاني شيخا عارفا بالله كرس حياته للتربية

[1] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1998، ص 511.

الروحية إلى أنّ لقي ربه في صباح يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة 1230ه[1]، وله يومئذ ثمانون سنة ودفن في فاس رضي الله عنه وأرضاه.

وبذلك يكون الشيخ قد أسس أكبر مدرسة روحية دامت لأكثر من قرنين من الزمن ولها من الأتباع مئات الملايين[2]، وما نختم به هذه الأسطر التي تسرد لنا حياة الشيخ رضي الله عنه مقولة سجلها عباس محمود العقاد في كتابه بين الكتب والناس فكتب على لسان أحد الصحفيين تحت عنوان التيجانيين ونظام الحكم في تركيا "كاد التيجانيين أن يكونوا خلافة كالخلافة العثمانية أو ما يماثلها[3].

يقترن ظهور الطريقة التيجانية بالارتباط الروحي الصوفي الذي نشأ عليه الشيخ أحمد التيجاني في حله وترحاله، إلى أن استقر به الحال في منطقة بوسمغون بولاية البيض حاليا أين اعتكف خلوته إلى أن حصل له الفتح الأكبر، حيث أتاه الرسول يقظة لا مناماً ولقّنه أوراد طريقته وأذكارها كما أسنده مددا وهو ما أسس لأهم خاصية للطريقة التيجانية الأحمدية في امتدادها سنداً للنبي صلى الله عليه وسلم، ولعل هذا السبق من الفضل ما عزز مكانة الشيخ اجتماعيا ودينيا وذلك كون الأوراد والأذكار خالية من البدع والشرك والريب مما جعل المريدين مقبلين عليه راغبين في طريقته ونيل العلم عنه، خاصة وأنّ الشيخ أحمد التيجاني تلقى مختلف العلوم في شتى الفنون، وما أكسبَّ مكانته أكثر أنّ أشياعه واتباعه لقبوه بشيخهم فأبى ذلك وقال إنَّما أنا مقدم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم انتقل الشيخ التيجاني إلى فاس بالمغرب التي كانت مركز إشعاع علمي وحضاري، حيث حظي الشيخ بقبول واسع الانتشار في الأوساط الاجتماعية ودوائر الحكم وأسس زاوية له لطلب العلم ونقل الأوراد والأذكار، وتعتبر الطريقة التيجانية منذ ظهورها كواحدة من أكثر الطرق تأثيرا وانتشارا في مختلف أنحاء العالم وبلاد المغرب العربي وعموم إفريقيا خصوصا، ولحد الساعة تعتبر بوسمغون ضمن جغرافيا المقدس للطريقة التيجانية خارج مدينة عين ماضي مسقط رأس الشيخ إذ تعتبر محجاً للمريدين والمحبين، حيث تحمل قداسة مكان خلوة الشيخ.

7.1 منهجية الشيخ سيدي أحمد التيجاني في التربية:

[1] محمد أبو جعفر الكتاني ادريس، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، د. ط، دار البيضاء، المغرب، 2000، ص 153.

[2] أبي عتيق بن العالم خضر التيجاني (افادة المريد بشرائط ورد شيخنا السديد، دار التيجاني، الجزائر، 2010، ص 8.

[3] محمد بن محمد الصغير، الجيش الكفيل بأخذ الثأر ممن سل على شيخنا سيف الانكار، دار التيجاني، تغزوت، 2007، ص 10.

اختلفت مفاهيم التربية عند الصوفية عمَّا هو موجود في الحياة الاجتماعية العامة وذلك بمجاهدة النفس عن الطاعة وهذا ما ينعكس على الحياة الاجتماعية ويجعلها أكثر روحانية وأكثر تكافلا وذلك بالتسامي الروحاني وآداب الظاهر والتي تدخل حيز معالجة السرائر كالغّل والحسد والكبر، وهي الباطنة منها أما ظاهرها فهي آداب عامة، كآداب الجلوس والحديث والمأكل والملبس، وبهذا النهج لتلقي الآداب تلقينا وميرانا يتدرج المريد بغية الوصول لمعرفة الحق.

وبالنسبة للطريقة التيجانية فإنّ منهجها التربوي يبدأ عند الشيخ سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه بالأخذ بيد المريد إلى مولاه عن طريق العقيدة الصحيحة، حتى يكون قوي الإيمان عميق اليقين لا تزعجه الشبهات ولا تبعده عن طريق الحق، ويهدف إلى تنقية النفس من أهوائها معتمدا على المقولة المشهورة عند الصوفية التخلية قبل التحلية ومعنى ذلك أنّ سيدنا الشيخ يبدأ في تربيته قبل كل شيء أولا بالعمل على تطهير النفس من عيوبها فيبدأ بتخليصها من الأمراض الباطنية، ثم بعد ذلك إلى ايصال العبد بالله عن طريق العقيدة الصحيحة وتعريف المريد بصفات الله عز وجل وصفات المصطفى صلى الله عليه وسلم، وذلك من خلال الاستقامة والثبات على الورد[1] مستدلا بقول صاحب الحكم العطائية "فوصول العبد إلى الله بقدر الوصول إلى العلم بها"[2].

إنَّ التربية أسلوب يتخذه الشيوخ في تزكية النفوس وتهذيبها وهو فن من فنون العلم حيث كان الشيخ يسمى مؤدبا ولنا في العلوم مدخل يسمى بالأدب والتربية، لذلك حرص الشيخ التيجاني على منهج تربوي رصين يسعى من خلاله إلى تجسيد الصفات الخلقية في نفوس المريدين والمحبين، وأول الطريق هو التخلية بمعنى تنقية النفس من براثن ما يشوبها من أمراض القلب كالحسد والغل والضغينة، فصلاح السريرة من صلاح العبد ومن ثمَّ يؤهل طالب الوصول والعرفان بالتحلية وهي أذكار وأوراد وفق منهج وطريقة معينة تعين طالب الوصل على زاد العلم والإيمان ومحبة الله ورسوله وجميع خلقه، فالشيخ التيجاني تلقى الحكم العطائية وهي حكم تربوية صوفية روحية لأبي عطاء الله السكندري أحد مشايخ الصوفية، هذا إضافة إلى خصوصية بساطتها واعتمادها على الحياة الجمعية اجتماعيا ودينيا وهو ما يؤصل لقيمة التربية والخلق في عموم الفقه الإسلامي وخصوص الطريقة التيجانية.

7.2 طرق التربية الروحية عند الشيخ رضي الله عنه:

[1] التجرد للتمسك بالورد التيجاني من كل طريقة أخرى هو ثاني الشروط الثلاثة الأساسية الرئيسية التي يقطع الاخلال بها المريد عن الشيخ أنظر الصفحة 266 بغية المستفيد.

[2] أحمد بن حسين بن عطاء الله السكندري، الحكم العطائية، مكتبة المعارف، الجزائر، د.س، ص 05.

إنّ التربية مسلك أساسي لا بدّ منه لطالب العلم، ولراغب الوصول لدرجات الترقي عند السادة الصوفية، مما جعل الطرقيين الصوفيين يعتمدون أساليب تربوية روحية قبل نيل مختلف العلوم وأخذ الأوراد والأذكار عن مشايخها، وتبقى التربية الروحية منهجا قويما يركز عليه الشيوخ، وسيدي أحمد التيجاني كما جاء على لسان أحد أحفاده وهو الشيخ محمد الحبيب التيجاني يذكر لنا سبعة أصناف للتربية الروحية: "علم العلل والأدوية" ثم علم الانسان بنفسه من جهة حقائقه ثم يليه العلم بالكمال والنفس في اللاوجود، والعلم بخطاب الحق عبادة، ... بألسنة الشرائع ثم علم التجلي والسادس علم الخيال المتصل، وآخرها علم الحقائق وهو ما ارتبط بالعلم بالأسماء الإلهية"[1].

فهذه التصنيفات السبعة إنّما هي تربية روحية في صميمها تسعى لتطويق النفس من براثن الآثام والذنوب والتقرب من الله ونيل مرضاته ومعاملة خلقه بالإحسان والدعوة إليه في الخلوات، وكسب الأجر، وهو ما يوصل النفس للتزكية وهو باب الإحسان وجوهره، ويمكن تفسير هذه التصنيفات وتقسيمها كالتالي:

أ. **فداء العجب:** يقابله الشيخ بذم النفس واظهار عيوبها ورعونتها وأنّها لا ترضى حتى تتصف بصفات الربوبية الكبر والعظمة، ويقول في هذا إذا أراد الله هلاك عبد أوكله إلى نفسه.

ب. **التخويف:** أما الرجل المتكاسل يقابله بأية "وفي أنفسكم أفلا تبصرون" (سورة الذاريات، الآية 31)، فالعجز جبلة للعبد لكونه مفتقرا في كل أحواله إلى مولاه ويذكر في هذا الباب حكمة الرجاء ما قارنه عمل إلا فهو أمية.

ج. **التبشير:** والمريد الخائف يفاتحه الشيخ بفضل الله وسعة رحمته وأنّ الله أرحم بالعبد من الأم بولدها ويذكره بالحديث في هذا المعنى.

د. **السعي في مرضات الله:** ومن جاء يدعي محبة الله يقول له إنّ علامة المحبة السعي في رضى المحبوب وينشد قائلا:

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل..... إذا رضى المحبوب صح لك الوصال

ه. **التوبة:** وإذا جاءه المذنب أشفق عليه وأقبل عليه بكله وذكره بحديث "الله أفرح بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها"[2]

[1] سيدي محمد الحبيب التيجاني، منهج التربية عند سيدي التيجاني، الملتقى الدولي للإخوان التيجانيين، أيام 25/24/23 نوفمبر 2006، عين ماضي، الأغواط، ص 07.

[2] أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، دار الريان، مصر، ط6، رقم 6098.

و. **الشكر:** إذا ذكر المريد نعمة أرشده إلى تقييدها بالشكر على ما أسّبل عليه من نعّم ويقول الشكر باب الله الأعظم وصراطه الأقوم، ولهذا قعد الشيطان في سبيله يصد عنه المؤمنين.

ز. **التسليم لله وترك التدبير**: يقول في الجواهر إنّما يدبر من يعلم عواقب الأمور ومن لا يعلم فكيف يدبر وأي شيء يدبر.

ح. **التذكير بنعم الله:** والغافل يذكره بالحياء من الله وألا يستعين بنعمه عن معصيته وإذا أراد الله بعبد خيرا ويجعله من خواصه عرفه ما عليه من النعّم وألهمه شكرها.

ط. **الاعتماد على فضل الله:** إنّ ذكر المريد عمله الصالح فيخرج له دسائس وعلل ذلك العمل لكيلا يأنس إلا برحمة الله ويذكر له قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا ينجي أحدكم عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته سددوا وقاربوا واغدوا وروحوا وشيء من الدلجة القصد تبلغوا[1].

إنَّ للنفس أهمية كبيرة حيث أمرنا الله عزّ وجل بتهذيبها وتزكيتها فقال: "قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى" (سورة سبح، الآية 14)، وقال سبحانه "قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها" (سورة الشمس، الآية 9)، لذلك كان لزاما على المؤدبين والمربين من الشيوخ الاعتماد على التربية كمنج وأسلوب للتهذيب، والشيخ أحمد التيجاني أخذ بسبل التربية الروحية تدرجاً أولا بأول ابتداءً من الابتعاد عن الكبر وداء العجب فالله لا يحب المتكبرين المتفاخرين، ثم حثّ النفس على مخافة الله وترك نواهيه واتقاء سوء المنقلب، فالتخويف أسلوب تربوي قرآني، إضافة إلى التبشير بحسن العاقبة لمن خاف مقام ربه، والسعي لمرضات الله من حيث يرضى لا من حيث ترضى، ثم التوبة وتجديدها في كل يوم وليلة فهي ذلك الوصال الوثيق الذي يربط نيّة العبد بربه، ثم الشكر لله على نعمه وحمده والثناء عليه فهو المعطي والمانع، ثمّ التسليم لقضاء الله فلا رادّ لقضائه إلا هو، والتذكير بنعم الله التي أسبغها على عباده وأولها الإسلام واليقين، والاعتماد على فضل الله فلا فضل لمخلوق على خالق وإنّما الفضل لله تعالى وحده.

7.3 تربية الشيخ بأذكار الطريقة:

وانشغالا على هذه العلوم تمكن للشيخ المؤسس أن يستنبط طريقته الشاملة في تربية المريد وقد جاء على تقسيمها على الآتي:

أ. التربية بأذكار هذه الطريقة.

ب. التربية بالمواظبة على الصلوات الخمس.

[1] أحمد سكيرج، رفع النقاب، المطبعة المهدية، المغرب، ج1، 1961، ص37.

ج. التربية بصلاة الفاتح.

7.4 التربية بأوراد الطريقة:

إنَّ أوراد الطريقة التيجانية وبالخصوص الأذكار الجماعية تهدف أولا الاجتماع بين المريدين والتي يعتبر فيها الحضور الجماعي إجباريا أمّا أذكار الصباح والمساء فتكون انفرادية لأنّ المريد يعمر وقته بالذكر فلا ينبغي أن ينشغل ذهنه بأشياء تفسد سلوكه، ولا ينشغل لسانه مما لا طائل منه وتشتغل جوارحه بالتركيز فلا تنصرف إلى المحرمات[1]، فالذكر له لفظ ومعنى وإنّ للقلب انشغالات فإذا ألحّ اللسان على القلب بدوام الذكر ففي حديث أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله وسلم: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره كمثل الحي والميت"[2]، وما دام اللسان يذكر فهذه البداية في صلاح الأحوال ولذلك نجد سيدنا رضي الله عنه يحث على الحضور والتدبر أثناء الذكر لإصلاح الأحوال وجعل رضي الله عنه مع ملازمة هذه الاذكار شرطا وهو عدم مخالفتها وإن خالفها فليبادر بالتوبة ليتذكر والذكر يقي المريد من شر الانس والجان لأنّ ذكر الله واستغفاره يربطان العبد بربه ومن آداب المريد كذلك خشوع القلب وإظهار الذل وحسن الظن وخفض الجناح.

7.5 سلوك التربية بالمواظبة على الصلوات الخمس:

جعل الشيخ سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه المواظبة على الجماعات شرطا من شروط التمسك بالطريق فكان الشيخ ومن خلال يقينه بأهمية الصلاة وأنّ من فضلها أن فرضت في السماء فحث على المحافظة عليها جماعة ما استطاع الإنسان إلى ذلك سبيلا.

7.6 سلوك التربية بصلاة الفاتح:

وهي صيغة من صيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم نال بها الشيخ سيدي أحمد التيجاني رضي الله عنه الخصوصية العظمى والفضل الجسيم من محض الفضل الالهي لأنّ الفضل بيد الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده فقال فإنّ الله فضلنا خارج دائرة القياس ويكفيك قوله سبحانه وتعالى: "ويخلق مالا تعلمون" (سورة النحل الآية 108)، إلى أنّ قال: ولا يحصل فضل صلاة الفاتح إلاّ مع التسليم[3].

---

[1] محمد بن عبد الله بن حسين، الفتح الرباني فيما يحتاج اليه المريد التيجاني، دار التيجاني، الجزائر، ط2، 2009، ص 65.

[2] زين الدين أحمد بن عبد اللطيف، مختصر صحيح البخاري، دار الامام مالك، الجزائر، ط3، 2015، ص 476.

[3] محمد بن عبد الله النظيفي، الياقوتة الفريدة، دار التيجاني، الجزائر، ط1، 2008، ص 105.

ومن الملاحظ في الطريقة التيجانية هو بالغ اهتمامها بأهمية صلاة الفاتح في منهج التربية الروحية حتى يكون الذكر في مقام فرض ويحافظ عليه المريد ويشدّ عليه بنواجده بترديد الأوراد والالتزام بذكرها وفق شروط الوقت.

7.7 آداب وشروط الذكر:

يعتبر الأدب عموما مطلبا هاما في الطريقة التيجانية حيثما كان المريد ومع من كان وروي في الحديث القدسي أنّ رب العزة أنا جليس من ذكرني[1] ومتى استحضر المريد هذا المعنى لازم الأدب، ولأنّ الأدب هو التحلي بكل فضيلة قال سيدنا الشيخ رضي الله عنه: إنّي لكثير ما أهم بوضع مؤلف في آداب الطريق[2]، ليعلم المريد أولا أنّ الشيخ القدوة هو خليفة الشيخ رضي الله عنه أي أن يكون الشيخ أو المقدم مأذون له بتلقين الأوراد إذنا صحيحا متواترا منه إلى الشيخ الأكبر رضي الله عنه وللوصول إلى هذا الحصن المنيع لا بد من سلم للارتقاء وهو التحلي بآداب خاصة والتي عند تمحيصها نجدها تهتم بالجوانب العقائدية أولا ثم الفرائض والمعاملات لتأتي السنن وللتفصيل أكثر نعدد شروط الدخول في الطريقة والشروط أثناء الذكر:

7.8 شروط خاصة بالطريقة التيجانية:

وهي 24 شرطا مستنبطا من الكتاب والسنة نذكر منها[3]:

- المحافظة على الفرائض وأولها الصلوات الخمس بالطهارة المائية ما أمكن.
- عدم وقوع المقاطعة بينه وبين جميع الخلائق لاسيّما بينه وبين اخوانه.
- احترام العلماء والصالحين وما انتسب إليهم.
- اعتقاد عقائد أهل السنة والحديث النبوي والالتزام بمذاهبهم الفقهية.
- عدم الأمن من مكر الله تعالى إلى الممات.
- الالتزام بالورد الى الممات بعد أخذه عن قدوة في الطريقة.
- أن يتلقى الاذكار على يد الشيخ أو المقدم المأذون له بالتلقين أي سنده متواتر.

---

[1] أبو بكر عبد الله بن محمد، مصنف بن أبي شيبة، تح: محمد عوامة، الدر الهندية، ج1، د.س، ص 114.
[2] محمد العربي بن السايح، بغية المستفيد في شرح منية المريد، دار التيجاني، الجزائر، ط4، 2011، ص 54.
[3] محمد بن عبد الله النظيفي، زبدة الخريدة على الياقوتة الفريدة، مطبعة السعادة، مصر، 1342ه، ص 64.

- أن يتخلى عن طريقته السابقة وينسلخ عنها نهائيا.
- عدم زيارة الأولياء الأحياء والأموات بنية الاستمداد.
- دوام محبة الشيخ بلا انقطاع وكذا مداومة الورد الى الممات.
- ألاّ يصدر منه سب ولا بغض ولا عداوة في حق الشيخ.
- أن يحترم كل من كان منتسبا للشيخ ولا سيما الكبار من أهل الطريقة.
- أن يحافظ على الصلوات الخمس في أوقاتها جماعة ما أمكن.
- أن يبرّ بوالديه وأن يكون دخوله الطريقة برضا منهم.

وبالالتزام بهذه الشروط المذكورة التي تأتي ضمن ما نصّ به الله سبحانه وتعالى ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم من العبادات والالتزامات الشرعية فلا يجب على المنتمي للطريقة التيجانية ألا يكون متطهراً أو تاركا للصلاة أو غير باراً بولديه فكل ما جاء في الشروط العامة السابقة إنّما هي من العبادات الضرورية التي ينبغي أن تكون مجسدة للعبد المؤمن حتى يتسنى له القبول في الطريقة لأنّ الإسلام والايمان درجتين سابقتين للإحسان الذي هو جوهر الطريقة ومسلكها التربوي، وكلها شرط لازم غير كاف للأخذ بالمريد إلى غايته وهي المعرفة بربه وتأكيد ولائه للطريقة ومشايخها دون غيرها، ويحصل له بعد ذلك الالتزام بالأوراد المذكورة فيما يلي:

7.9 الأوراد اللازمة:

7.9.1 الورد المعلوم: يتلى مرتين كل يوم بعد الصبح مرة وبعد العصر مرة أخرى أركانه ثلاثة: البسملة وفاتحة الكتاب ويشرع في ذكر الورد على النحو الآتي:

- أستغفر الله "100 مرة".
- الصلاة على النبي وآله وصلى الله عليه وسلم "100 مرة والأولى بصيغة الفاتح".
- لا إله إلا الله "100 مرة ويختم بالدعاء"[1].

فالاستغفار مناسب بمحو الذنوب والأوزار وهو تطهير والصلاة على النبي له اختصاص في اتباع سبيله لأنّها تؤدي إلى رسوخ تعظيمه في النفس وثبوت محبته[2]، فهي تنوير والكلمة المشرفة تعمير فالورد التيجاني تطهير وتنوير وتعمير.

[1] عبد الباقي مفتاح، أضواء على حياة الشيخ أحمد التيجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص 160.
[2] محمد بن محمد الصغير الشنقيطي، المرجع السابق، ص 127.

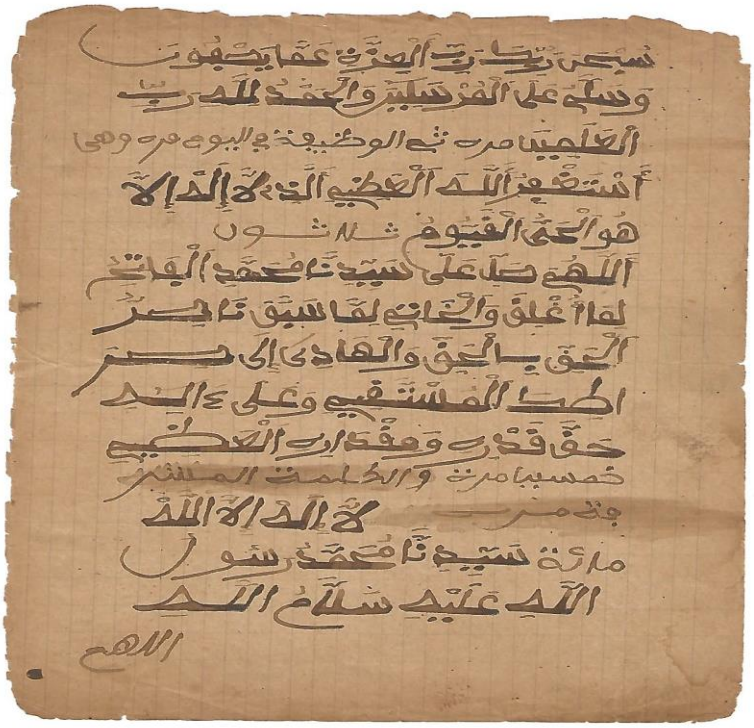
الأوراد هي ما يميّز الطريقة التيجانية خاصة والطرق الصوفية عامة، ولعل التزام المريدين بالأوراد اليومية هو جوهرها ولبّها وفق خصوصية أوقاتها وأعدادها، فبعد فاتحة الكتاب والبسملة يجتمع مجموع المريدين فرادى أو جماعة فيكررون الاستغفار 100 مرة، والصلاة على النبي (صلاه الفاتح) 100 مرة، والكلمة المشرفة لا إله الا الله 100 مرة، ثم يختتم بالدعاء.

7.9.2الوظيفة:

فيجب أن تذكره جماعة بصورة واحدة، إن كان للمريد إخوان في بلده جاز له أن يذكرها واحدة مرة في كل يوم، ولها أربعة أركان:

- الاستغفار "أستغفر الله العظيم الذي لا إله الا هو الحي القيوم" 30 مرة.
- صلاة الفاتح 50 مرة.
- الهيللة "لا إله الا الله" 100 مرة.
- جوهرة الكمال 12 مرة.

والوظيفة خاصية تشتهر بها الطريقة عن غيرها وهي تأدية بعض الأوراد شرط الجماعة إلا إذا استحال ذلك في قطر لا إخوان مريدين فيه، فيجوز له ذكرها فرادى وهي الاستغفار ثلاثين مرة، وصلاة الفاتح خمسين مرة، والهيللة 100 مرة، وجوهرة الكمال 12 مرة، وهي أوراد يومية.



الصورة تشير إلى الوظيفة التيجانية

7.9.3 هيللة الجمعة:

يكون الذكر يوم الجمعة متصلا بغروب الشمس وهو ذكر لا إله الا الله 100 مرة إلى 160، وهيللة الجمعة من الأذكار اللازمة للطريقة التيجانية وملازمته بعد عصر الجمعة ترقبا لساعة الاستجابة لما جاء في الحديث، ومما لا اختلاف فيه عند العلماء أنّ أفضل الذكر لا إله إلا الله[1]، ووقتها ضروري من بعد صلاة العصر إلى الغروب وتسقط بعده أي لا تقضى بعد مغيب شمس اليوم الجمعة، وعلى العموم فإنّ لهذه الأذكار شروط أثناء الذكر فتنقسم إلى شروط الصحة وشروط الكمال، ولعل لخاصية زمانها بعدا دينيا يتصل بفضل يوم الجمعة وخصوصية ساعة الاستجابة بين العصر والمغرب وقدسية الكلمة المشرفة لا إله إلا الله التي تحمل معاني التوحيد والربوبية

[1] عامر نعوم، دور الطريقة التيجانية في منطقة الأغواط في الحركة العلمية والثقافية خلال القرن 19- 20، مرجع سبق ذكره، ص 31.

وترديدها جماعات إنّما يؤسس للبعد التوحيدي الذي يمثل عمق الرسالات السماوية منذ عهد أبا الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام.

7.9.4 شروط الصحة:

النية محلها القلب ولا بأس بالتلفظ بها فينوي الذاكر ورد الصباح أو المساء أو الوظيفة ومن شروطها ما يلي:

الطهارة: طهارة الحدث والخبث في الجسد والثوب وطهارة المكان إذا كان الذكر في المسجد والزوايا أفضل فعن أبي ميسرة لا يذكر الله إلا في مكان طيب[1].

ستر العورة: كما هو محدد شرعا للصلاة.

ترك الكلام: الذاكر بين يدي ربه فلا يقطع مناجاة ربه بزائل باستثناء الوالدين والزوجة مع زوجها والمريد مع شيخه.

إنَّ الذكر عبادة من أفضل العبادات التي تقرب العبد لربه زلفى وترأب النفس عن زلاتها وترقى بالإنسان في دوائر الفضل الصوفية التيجانية وممارسات الذكر الطقوسية حالة الجلوة والخلوة فرادى وجماعة، فيجب احاطتها بشروط توفي حقها كعبادة، ومنها النية والطهارة البدنية والروحية والمكانية، وترك الكلام الا ذكر الله.

7.9.5 شروط الكمال:

الجلوس للذكر، استقبال القبلة، تغميض العينين لأنّه يسد طرق الحواس الظاهرة، استحضار صورة القدوة، التأمل في معاني الذكر، ترتيل الورد بدون لحن، عدم الالتفات، تطييب المكان واللباس، إلزام السكون فالسكينة مغنم وتركها مغرم[2].

وهذه شروط تكميلية لصحّة القبول، فالاستقامة للذكر والجلوس له إنّما هو تعظيم لله تعالى ومقام نبيه، واستقبال القبلة إنّما هو شرع من قبلنا، وتغميض العينين إنّما استحضار للهيبة والسكينة والغوص في ملكوت الخالق ودرء النفس عما يشغلها مع الذكر دون لحن وعدم الالتفات وتطييب المكان والالتزام بالسكينة لأنّ النفس لا تستقيم في أحوالها إلا بذكر خالقها والإنس به حالا وأحوالا.

---

[1] محمد بن سعد بن بو عبد الله البصري، تح: احسان عباس، الطبقات الكبرى، ج7، دار صادر، بيروت، 1968، ص 107.

[2] الحسين بن مسعود البغوي، تح: شعيب الأرناؤوط، شرح السنة، ج13، المكتب الاسلامي للنشر، دمشق، 1983، ص 107.

خاتمة الفصل:

من خلال ما تم التطرق إليه في هذا الفصل نستخلص أنّ مدينة عين ماضي منارة علمية وإشعاع حضاري، ودائرة من دوائر التصوف في العالم الاسلامي، وهذا ما جاء وصفا من خلال عيون الرحالة المغاربة، إذ تمثل بطابعها العمراني حاضرة فكرية مؤسسة على البناء الاجتماعي وقبله البعد الديني، والطريقة التيجانية انتشرت بفضل الشيخ المؤسس أبو العباس أحمد التيجاني ومنهجه في التربية وتزكية النفس خنوعا وتعبدا لله سبحانه وتعالى، كذلك يسر تعاليمها مما أهلها أن تكون جامعة لعدد كبير من المريدين وامتداد انتشارها في أصقاع العالم.

إذن نستنتج مما سبق أنّ لمدينة عين ماضي خصوصية فكرية ونمط عمراني وبعد ديني ممثلا في الطريقة، وتمّ في هذا الفصل التطرق إلى عين ماضي وصفا شاملا والنظر في الطريقة وأبعادها وفقهها وأساليب تعليمها، إذ تساعد هذه الدراسة في تقريب الرؤى بين الاجتماعي والديني والحفر العميق في البعد السوسيوأنثروبولوجي من خلال قراءات فقه الزاوية ونمط المعاش وتمثلاته العمرانية والاجتماعية.

الفصل الخامس:

الإجراءات الميدانية للدراسة

تمهيد:

إنَّ الدراسة العلمية الإمبريقية تفرض على الباحث اختيار أساليب بحثية لتقصي الظاهرة المدروسة ولجمع البيانات من المبحوثين، ودراستنا الحقلية التي اقتصرت على دور الزوايا في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية لدى المريدين، وبالأخص زاوية عين ماضي مهد الطريقة التيجانية، حيث في هذا الفصل المُحدِّد للإجراءات العلمية للدراسة بداية من المنهج المتبع المتوافق مع طبيعة الدراسة ثم نوع أداة الدراسة الذي من خلاله يتم الحصول على معلومات، والتأكد من صحّة الفرضيات، أمّا عينة الدراسة فقد حُصِرَتْ في مريدي الطريقة التيجانية، لهذا سنتطرق في هذا الفصل إلى المحددات العلمية والإجراءات الميدانية للدراسة.

1. مجال الدراسة:

لكل دراسة مجال تنطلق منه فالتراث النظري هو عبارة عن أدبيات حول الموضوع ودراسات سابقة له تؤصل للانطلاق الحقلي الإمبريقي لتتجانس الوقائع الميدانية مع التراث النظري، وحدود الدراسة تشمل الحيز المكاني الذي يمثل محل الدراسة، والحدود الزمانية التي هي المراحل الزمنية إجراء الدراسة وتطبيقها، وفي هذا الصدد سنتطرق إلى مجالات الدراسة من خلال تحديد البعد المكاني والزماني للدراسة وهو كالآتي:

1.1 المجال المكاني:

يعتبر المجال المكاني من الأساسيات التي ينطلق منها الباحث العلمي خصوصا في الدراسات الميدانية، بحيث يمثل محل الدراسة وجزء من الإجراءات الإمبريقية المحددة له، ولكون الدراسات الحقلية الأنثروبولوجية تولي أهمية بارزة بمكان الدراسة، وذلك من خلال الإشارة في نص عنوان الدراسة بمكان إجراء الدراسة، وهو ما تمّت الإشارة إليه في عنوان دراستنا المعنونة ب: "دور الزوايا في تعزيز القيم الدينية والاجتماعية لدى المريدين (الزاوية التيجانية بعين ماضي أنموذجا)" فالمجال الحقلي المكاني لدراستنا هو الزاوية التيجانية بمدينة عين ماضي.

تعتبر منطقة عين ماضي إحدى دوائر ولاية الأغواط لها خصوصيات جغرافية واقتصادية واجتماعية ودينية، فهي حاضرة فكرية ومنارة علمية ورمزية دينية طرقية، وتعتبر المنطقة ببعدها التاريخي معروفة بالزاوية التيجانية لأبي العباس أحمد التيجاني الذي أشرف عليها طيلة حياته وبعد وفاته أصبحت المنطقة رمزية دينية لأتباع التيجانيين من ساكنة المنطقة

وحتى خارجها فهي تمثل مقر الخلافة العامة للطريقة التيجانية بالعالم، وحيّز مكاني تتشابك فيه المميزات الاجتماعية والدينية الطرقية والعمرانية، إذ تحتوي المنطقة على مجال عمراني مقدس يضم مساجد التيجانيين العتيقة ومقر الخلافة والقصر القديم ومنزل ميلاد الشيخ (مسقط رأسه)، ومكان خلوته وتعبده، إضافة إلى الكتاتيب، هذا وتعتبر المنطقة خزان بشري لمريدي الطريقة التيجانية ولنسل الشيخ التيجاني أو ما يطلق عليهم (الشرفة).

1.2 المجال الزماني:

أي دراسة علمية لها مجال زمني تُجرى فيه وفق رزنامة زمنية قد تطول أو تقصر حسب طبيعة الموضوع، ودراستنا هذه تم تقسيمها إلى أربعة مراحل زمنية متتالية تحدد الإجراءات النظرية والعلمية للدراسة عموما وهي كالآتي:

المرحلة الأولى: (من 17 فيفري 2018 إلى غاية 21 ديسمبر 2019): في هذه المرحلة مع عدم ضبط عنوان الدراسة المراد دراسته تم الإلمام بمختلف المصادر والمراجع حول الموضوع وكذا الدراسات السابقة، بالإضافة إلى حضور بعض الأنشطة والفعاليات العلمية الأكاديمية التي ساعدتنا على الإحاطة بجوانب متغيرات الدراسة، إلى أن تم ضبط العنوان في شكله الحالي وتم الاستفادة في هذه المرحلة من مختلف المصادر العلمية التي كونت لنا تصور عام للدراسة.

المرحلة الثانية: (من 02 مارس 2020 إلى 13 ديسمبر 2021): تطرقنا إلى طرح تصور عام للدراسة من خلال الاشارة إلى مجتمع البحث وتحديده وهذا ما جعلنا نضبط الحيز البشري للدراسة أكثر وتم بناء إتمام الإطار التمهيدي للدراسة من خلال الإشكالية وطرح التساؤلات

فالفرضيات ثم أسباب اختيار موضوع الدراسة والأهمية والأهداف وتحديد المفاهيم، وكذا الدراسات السابقة التي أخذت منا جهد ووقت كبير وتم اتمام الفصل الأول خلال هذه الفترة.

المرحلة الثالثة: (من 12 جانفي 2022 إلى 14 سبتمبر 2022): في هذه المرحلة تم إعداد خطة الدراسة، وذلك من خلال القراءات المعمقة حول الموضوع وصياغة الفصول النظرية كاملة، والتي تحتوي على فصل متعلق بالزوايا وفصل متعلق بالقيم الدينية والاجتماعية ثم فصل اجتهدنا فيه بمتابعة وإشارة من الأستاذ المشرف وجاء بعنوان مونوغرافيا منطقة عين ماضي والذي يعتبر اضافة نوعية للدراسة خاصة في المجال الأنثروبولوجي.

المرحلة الرابعة: من (05 نوفمبر 2022 إلى 25 جانفي 2023): في هذه الفترة تمّ ضبط الأداة المستعملة في الدراسة وتحديد المقابلة كتقنية لجمع المعلومات وبناء دليل المقابلة وتنقيح محاوره حسب فرضيات الدراسة وكذا الإلمام بالإجراءات الميدانية الإمبريقية.

المرحلة الخامسة: من 01 فيفري 2023 إلى غاية 26 فيفري 2024): تعد المرحلة الأهم والأصعب وذلك بالنزول إلى الميدان وإجراء المقابلات الميدانية مع العينة، وكذا الملاحظات الميدانية وبعد ذلك تحليل لمعطيات المقابلات (دراسة حالة) ثم تقييم الحالات والتأكد من الفرضيات المطروحة ثم مناقشتها وصولا إلى الاستنتاج العام واستيفاء الدراسة كاملة من جوانبها العلمية والشكلية.

2. المناهج المستعملة في الدراسة:

إنَّ طبيعة الموضوع هي التي تحدد نوع المنهج المتبع في الدراسة، حيث يعتبر المنهج بأنّه الأسلوب الذي يتبعه الباحث في دراسته، وموضوع دراستنا يهدف لمعرفة دور الزوايا في

تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية لدى المريدين، ونظرا لعمق الموضوع وتنوع أبعاده تمّ الاعتماد على مجموعة من المناهج التي فرضتها الدراسة، ورأينا أنّها تساعدنا في فهم الموضوع والإحاطة به علميا من مختلف الجوانب المدروسة، ويعرف المنهج على أنّه "مجموعة منظمة من العمليات تسعى لبلوغ هدف، أما المنهج العلمي فهو طريقة لاكتساب المعرف القائمة على الاستدلال وعلى الإجراءات معترف بها للتحقق في الواقع، ويعرف بأنّه هو عبارة عن مجموعة من العمليات والخطوات التي يتبعها الباحث، بغية تحقيق بحث"[8]

والمنهج محدد بمجموعة من الإجراءات والطرق الصحيحة المتبناة من أجل الوصول إلى نتيجة، كما أنَّ المنهج في العلم مسألة جوهرية، وأنَّ الإجراءات المستخدمة أثناء إعداد البحث وتنفيذه هي التي تحدد النتائج.[8]

فالمنهج إذن هو مجموعة من الإجراءات العلمية الدقيقة التي ينتهجها الباحث في دراسته من أجل فهم جوانب الظاهرة المدروسة والوصول على نتائج علمية محققة، ونظرا لطبيعة الموضوع وتداخله مع تخصصات أخرى فقد تم الاعتماد على ثلاث مناهج علمية كالآتي:

2.1 المنهج الوصفي التحليلي:

باعتباره المنهج الأساسي والمناسب للدراسة والملائم لطبيعته، فالمنهج الوصفي هو رصد ومتابعة دقيقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة كمية ونوعية في فترة زمنية معينة أو عدة

---

[8] رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية قسنطينة، الجزائر , 2008 , ص 176

[8] موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، دار القصبة للنشر، ط2، الجزائر، 2006، ص 36.

فترات من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المعنى أو المضمون أو الوصول الى نتائج وتعميمات تساعد في فهم الواقع وتطويره[8].

وهو الذي يستخدم دراسة الأوضاع الراهنة للظواهر من حيث خصائصها، وأشكالها، وعلاقاتها، والعوامل المؤثرة ذلك، وهذا يعني أنَّ المنهج الوصفي يهتم بدراسة حاضر الظواهر والأحداث بعكس المنهج التاريخي الذي يدرس الماضي، مع ملاحظة أنّ المنهج الوصفي يشمل كثير من الأحيان عمليات تنبؤ لمستقبل الظواهر والأحداث التي يدرسها[8].

هذا وتعمل الدراسات الوصفية التحليلية على تقرير خصوصية ظاهرة معينة أو موقف يغلب عليها صفة التحديد، والقصد منها رصد الظاهرة ووصفها شمولا وهذا من خلال التطرق إلى الزوايا ودورها في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية لدى مريدي الطريقة التيجانية بزاوية عين ماضي، واعطائها تفسيرات مختلفة لاستخلاص دلالتها، وصولا إلى إصدار تعميمات حول النتائج المحصل عليها.

2.2 المنهج التاريخي:

لقد تمّ الاعتماد على المنهج التاريخي في الدراسة من خلال النظر في تاريخ الزوايا عموما والتطرق إلى سلسلة الأحداث التاريخية للزاوية التيجانية وكذا منطقة عين ماضي مكان وجود الزاوية.

---

[8] زكي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم مناهج وأساليب البحث العلمي، بدون طبعة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن , 2000 , ص 4

[8] إسماعيل سيبوكر ونجلاء نجاحي، أهمية المنهج الوصفي للبحث في العلوم الإنسانية، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 16، جوان، 2019، ص 46.

هذا ويعتبر المنهج التاريخي بأنّه إعادة بناء الماضي بدراسة الأحداث الماضية معتمدا في الأساس على الوثائق والأرشيف، ويتضمن المنهج التاريخي كأي منهج مسعى خاص ينبغي على الباحث في بادئ الأمر أن يقوم بجمع الوثائق المتنوعة ثم يقوم بتقييمها أو نقدها[8]

فالمجال الأنثروبولوجي الذي انطلقنا منه في دراستنا يعتمد بدرجة كبيرة على المنهج التاريخي وهو ما كان في دراستنا بحيث تناولنا الإطار التاريخي للزوايا عموما وللزاوية التيجانية خصوصا بعض الوثائق والسجلات التاريخية وحتى بعض المخطوطات التي تحيلنا إلى ذلك التفاعل مع الزمنة المختلفة إذ سعينا في طرحنا الأنثروبولوجي إلى ملامسة الأطروحات التاريخية واستثمارها في الدراسة.

3. أدوات الدراسة:

لكل دراسة علمية مجموعة من الوسائل المستعملة في جمع المعلومات والبيانات، وموضوع دراستنا كغيره من المواضيع العلمية يتطلب مجموعة من الأدوات المساعدة في الإلمام بالمعطيات ميدانيا، والتي تمكننا من التأكد من صحّة الفرضيات ثم النظر في النتائج المتوصل إليها واعطائها الطابع العلمي وتعميمها، وفي دراستنا هذه تمّ الاعتماد على مجموعة من الأدوات كالتالي:

3.1 المقابلة:

تعتبر المقابلات إحدى أهم أدوات البحث العلمي خاصة في الدراسات الاجتماعية وبالأخص الدراسات الأنثروبولوجية كونّها عملية دقيقة في جمع المعلومات، وتعرف المقابلة على أنّها:

[8] موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 105.

"تقنية مباشرة تمكن الباحث من جمع معطيات مباشرة من الميدان بطرح مجموعة من الأسئلة على مجموعة من المبحوثين بشكل منتظم"[8].

ويعرفها (موريس أنجرس) بأنّها: "تقنية مباشرة تستعمل من أجل مساءلة الأفراد بكيفية منعزلة لكن أيضا وفي بعض الحالات مساءلة الجماعات بطريقة نصف موجهة تسمح بأخذ معلومات كيفية بهدف التعرف العميق على الأشخاص المبحوثين"[8]

إذن المقابلة تقنية أساسية مباشرة تستعمل في الدراسات الميدانية والمراد منها جمع معلومات كيفية من المبحوثين، وتم استعمالها في دراستنا هذه كون الدراسات الأنثروبولوجية تستخدمها كوسيلة هامة، حيث تمّ التطرق إلى وضع دليل مقابلة موزع على أربع محاور وتضم 26 سؤالاً[8]، تم من خلالها جمع المعلومات اللازمة مباشرة من المبحوثين.

3.2 الملاحظة:

تعتبر الملاحظة أحد أبرز أدوات البحوث الاجتماعية وخاصة في مجال الأنثروبولوجيا لكونّها أداتها الرئيسية لمشاهدة وكشف الظواهر المختلفة عن كثب، إلاّ أنّ الملاحظة في المجال الأنثروبولوجي تختلف عن الملاحظة البسيطة التي لا تعدو أن تكون مجردة من الخاصية العلمية المعرفية المقننة، وكونها أداة مهمة لرصد وجمع البيانات عن قرب من مجتمع الدراسة، تمت الاستعانة بها طيلة مراحل البحث العلمي للدراسة، هذا وتعتبر الملاحظة "من أقدم أدوات جمع

---

[8] لمياء مرتاض نفوسي، ديناميكية البحث في العلوم الإنسانية، دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 135

[8] موريس أنجرس، مرجع سبق ذكره، ص 197.

[8] أنظر دليل المقابلة الصفحة ....

البيانات وتتمثل أساساً في استخدام حواس الباحث ومهاراته لملاحظة ورصد الأشياء والوقائع والأشخاص، ولكي تكون صالحة علمياً يجب أن تكون قصدية (ليست عابرة أو ناتجة عن الصدفة) ومسجلة وموجهة معرفيا وقابلة للتكرار (إذا لم تكن الملاحظة من النوع البسيط طبعا)"[8].

والملاحظة العلمية لها خصوصية ينطلق منها الباحث في اطاره المعرفي والمنهجي للدراسة بحيث تكون الملاحظة موجهة ودقيقة ومقصودة وإلاَّ فلن يكون لها غاية علمية إلا التقصي والاكتشاف الغير مقصود، ولعل هذه الدراسة التي تنطلق من خصوصية التخصص العلمي كون الأنثروبولوجيون كافة اعتمدوا على الملاحظة والملاحظة بالمشاركة، فلهذه الخصوصية بعد علمي يؤكد صحة استخدامنا لهذه الأداة طيلة مشوارنا العلمي في اتمامها هذا من جهة، ومن جهة أخرى الحاجة الضرورية لوجود هذه الأداة في دراستنا خاصة وأنّها حساسة جداً من حيث الإدلاء بالمعلومات حول الطريقة التيجانية، وبما أنّ الملاحظة العلمية سهّلت علينا الحصول على معلومات أكثر من أي أداة أخرى قمنا باستغلال هذه الملاحظات خاصة فيما يتعلق بالمريدين وطريقة الذكر والهيللة وصلاة الفاتح والوظيفة وأخذ العهد والأربعاء الخضراء، وكل ما يتعلق بالممارسات الدينية (الطقوسية) داخل الزاوية في أداء مجمل العبادات وما يتعلق بفقه الطريقة التيجانية (الشروط والآداب)، وحتى الزيارات لأضرحة أحفاد الشيخ التيجاني وأخذ البركات والدعاء لهم، وزيارات المجاملات التي تحمل بعد رمزي يؤكد تجديد البيعة والاستمرار على نهج الشيخ وتناقله بين أفراد الأسرة الواحدة، إضافة إلى ملاحظة المعاش اليومي للمريدين

[8] فضيل دليو، مدخل إلى منهجية البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014، ص 207.

الذي يعكس ذلك التطبع الطرقي وتمثلاته الاجتماعية من خلال النواة الأولى الأسرة، امتدادا إلى كل أنساق المجتمع الأخرى، فكل هذه الملاحظات تمت الاستفادة منها وتعزيز الحقل الإمبريقي في المقابلات من خلال تأكيد صحة المعلومات المجمعة واستغلالها في نتائج الدراسة.

4. العينة ومواصفاتها:

تعتمد الدراسات الحقلية الإمبريقية على المجال البشري الذي يعتبر مصدرا أساسيا للحصول على المعلومات والوصول إلى النتائج بناء على الفرضيات المتوقعة، لذلك فالمعاينة والعينة تعتبر أساس البحث الميداني في العلوم الاجتماعية عموماً والأنثروبولوجيا على وجه التحديد، ومجتمع البحث في دراستنا المعنونة بدور الزوايا في تعزيز القيم الديني والاجتماعية لدى المريدين (الطريقة التيجانية نموذجا) تم تحديد مجتمع البحث الذي ينحصر في كل مريدي الطريقة التيجانية بزاوية عين ماضي، لذلك في هذا المدخل سيتم تحديد العينة ونوعها ومواصفاتها وذلك من خلال:

4.1 نوع العينة:

تعتبر العينة من الإجراءات الميدانية التي تنطبق عليها الأدوات المستخدمة من الباحث لغرض جمع المعلومات وصولا إلى نتائج علمية دقيقة، فالعينة تعرف على أنّها: مجموعة جزئية يقوم الباحث بتطبيق دراسته عليها ويجب أن تكون ممثلة لخصائص مجتمع الدراسة الكلي[8]، ويذهب "رشيد زرواتي "إلى توضيح عينة الدراسة والتي يعتبرها جزءا لا يتجزأ من مجتمع الدراسة الكلي والذي من خلاله تجمع البيانات الميدانية، وهي تعمل على أخذ مجموعة من

[8] حسن المنسي، منهج البحث التربوي، دار الكندي، الأردن، 1999، ص 92.

الأفراد من المجتمع الكلي شرط أن تكون ممثلة لمجتمع البحث[8]، لذلك فالعينة يجب أن تخضع لشرطين أساسيين أولهما أنّها تكون تمثيلية بحيث أن تكون ممثلة لمجتمع البحث، والثانية تكون تعميمية من حيث النتائج المتوصل إليها، ودراستنا موجهة لعينة مقصودة لذلك تمَّ اختيار العينة القصدية لأنّنا قصدنا عيّنة الدراسة وحصرناها بمريدي الطريقة التيجانية، حيث يقوم الباحث "باختيار هذه العينة اختيارا حرا على أساس أنها تحقق أغراض الدراسة التي يقوم بها"[8].

والعينة القصدية هي عينة تختار من منطقة، يختارها الباحث لكونه يعرف أنّها تمثل المجتمع تمثيلا سليما بناء على معلومات إحصائية سابقة، فيختار عينة يتناسب عدد أفرادها مع حجم سكان هذه المنطقة، وينطوي اختيارها على افتراض أنّ المجتمع لا يتغير، بحيث تظل هذه المعلومات صادقة، وهو افتراض من الصعب قبوله، وإلا كانت تؤدي في كثير من الأحيان إلى نتائج تكاد تكون مساوية للنتائج التي يكون عليها بمسح المجتمع كله.[8]

لذلك فمريدي الطريقة التيجانية عينة مقصودة تم اللجوء إليها مباشرة واستعمال المقابلة كأداة لجمع المعلومات واستغلالها للحصول على نتائج تفسر لنا دور الزوايا في تعزيز القيّم الدينية والاجتماعية لديهم.

---

[8]رشيد زرواتي، مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار الكتاب الحديث للنشر، 2007، ص 33

[8]ذوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي: مفهومو، أدواته، أساليبه، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص 112.

[8] طلحة الياس، **نظام المعاينة في البحوث الاجتماعية والإعلامية**، مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، العدد 10، جوان، 2017، ص 11.

4.2 حجم العينة:

هنا تحديدا يجب علينا كباحثين التطرق بعناية علمية ومنهجية في اختيار عدد العينة وحصره ضمن مجتمع البحث الكلي، وهذا ما يؤكد صحة الاختيار والاختبار العلمي للعينة المراد دراستها، ولكون دراستنا تنطلق ضمين حيز المريدين قصدنا مريدي الطريقة التيجانية بمنطقة عين ماضي بالزاوية وعددهم كبير حسب احصائيات الزاوية، إلاّ أنّنا لم وجدنا صعوبة في حصره ولم نتمكن من الوصول إلاّ لعشرة 10 مريدين، وهذا ما تبيحه الضرورة العلمية في اختيار العينة التمثيلة حيث تستوفي جميع الشروط والخصائص لهذا تم إجراء الدراسة عليهم وتعميم النتائج على بقية المريدين من مجتمع البحث الكلي.

4.3 مواصفات العينة:

تأتي مواصفات العينة مباشرة من محور البيانات الشخصية التي فيها وصف شامل لعينة الدراسة أي المريدين وللتوضيح أكثر يمكننا حصر المواصفات في الجداول التكرارية والدوائر النسبية للتوضيح أكثر:

الجدول رقم (01) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الجنس

الجنس	التكرار	النسبة%
ذكر	10	100
أنثى	00	00
المجموع	10	100

المصدر: من اعداد الباحث على ضوء مخرجات برنامج Spss

القراءة الاحصائية والتأويل:

من خلال الجدول رقم (01) نلاحظ أنّ نسبة الذكور تمثل 100% كحجم كلي للعينة المنحصرة في مريدي الطريقة التيجانية، هذا لأنّ طبيعة الدراسة تنحصر على المريدين الذين في الزاوية وهي مخصصة للرجال منهم دون النساء، ومرد هذا إلى اعتبارات الحقل الديني والطرقي والطبيعة السوسيوأنثروبولوجية للمنطقة التي تأتي من العرف الاجتماعي المتمثل في الحشمة، ولأنّ الأوراد والوظيفة تجهر باللسان وصوت المرأة عورة في الإسلام، كما أنَّه توجد مريدات يلتزمن بالوظيفة فردياً داخل الأسرة.

الجدول رقم (02) يوضح توزيع أفراد العينة حسب مؤشر السن

السن	التكرار	النسبة
من 20 إلى 30 سنة	3	30,0
من 31 سنة إلى 40 سنة	3	30,0
من 41 سنة إلى 50 سنة	4	40,0
المجموع	10	100,0

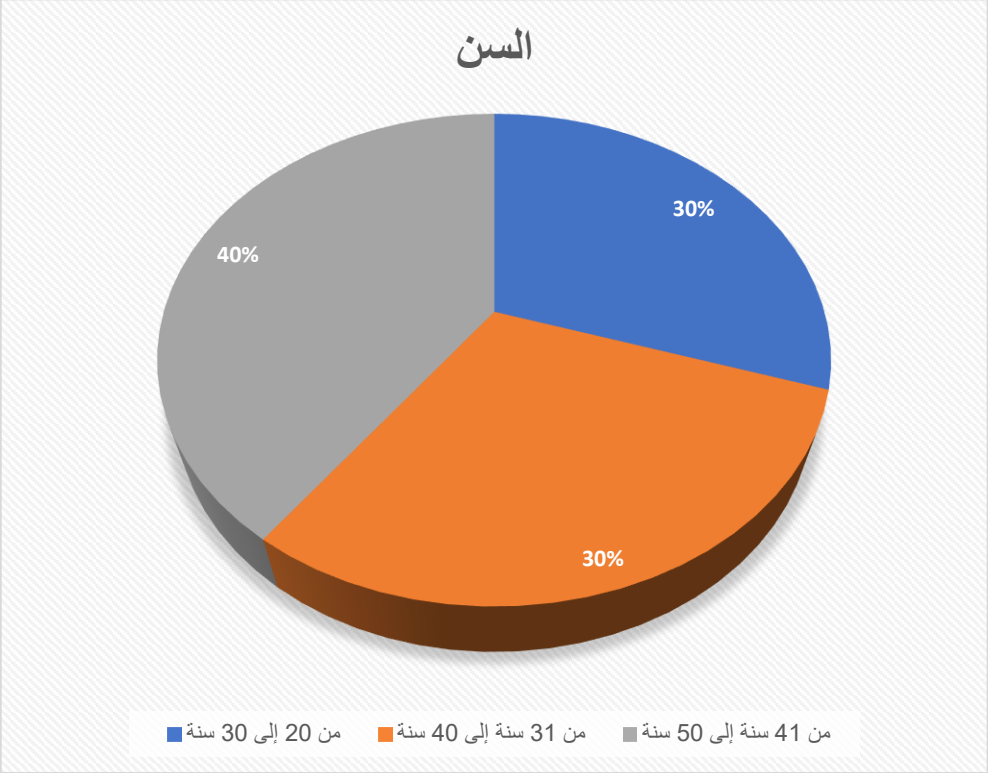
المصدر: من اعداد الباحث على ضوء مخرجات برنامج Spss

القراءة الإحصائية والتأويل:

من خلال الجدول الموضح أعلاه نلاحظ أن نسبة 40% تمثل أفراد العينة من المريدين الذين تقع ما بين 41 سنة إلى 50 سنة، في حين نجد أنّ نسبة 30% تمثل أفراد العينة من المريدين الذين أعمارهم ما بين 20 إلى 30 سنة وهي متساوية بذلك مع النسبة ذاتها أي 30% للمريدين الذي أعمارهم من 31 سنة إلى 40 سنة.

إنَّ مؤشر السن ليس له دلالة على الانتماء للطريقة وليس مرتبطاً بمنزلة تقتصر وتقتضي عمراً زمنياً في المريد، وهذا ما لمسناه جليا من خلال المقابلات والملاحظات وما أشارت إليه الدراسة الميدانية أيضا، حيث تتباين أعمار المريدين وتتقارب عمرياً وهذا ينفي وجود سن محدد ينتمي فيه المريد للطريقة، ومع هذا فإنّ المؤشر الوحيد الذي له دلالة عمرية محددة هي في الخليفة العام فالبيعة تستوجب خاصية واحدة في آل الشيخ التيجاني وهي الأكبر سناً.

الشكل رقم (04) يوضح توزيع أفراد العينة حسب مؤشر السن



المصدر: من اعداد الباحث.

الجدول رقم (03) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	التكرار	النسبة %
ابتدائي	1	10,0
متوسط	1	10,0
ثانوي	4	40,0
جامعي	4	40,0
المجموع	10	100,0

المصدر: من اعداد الباحث على ضوء مخرجات برنامج Spss

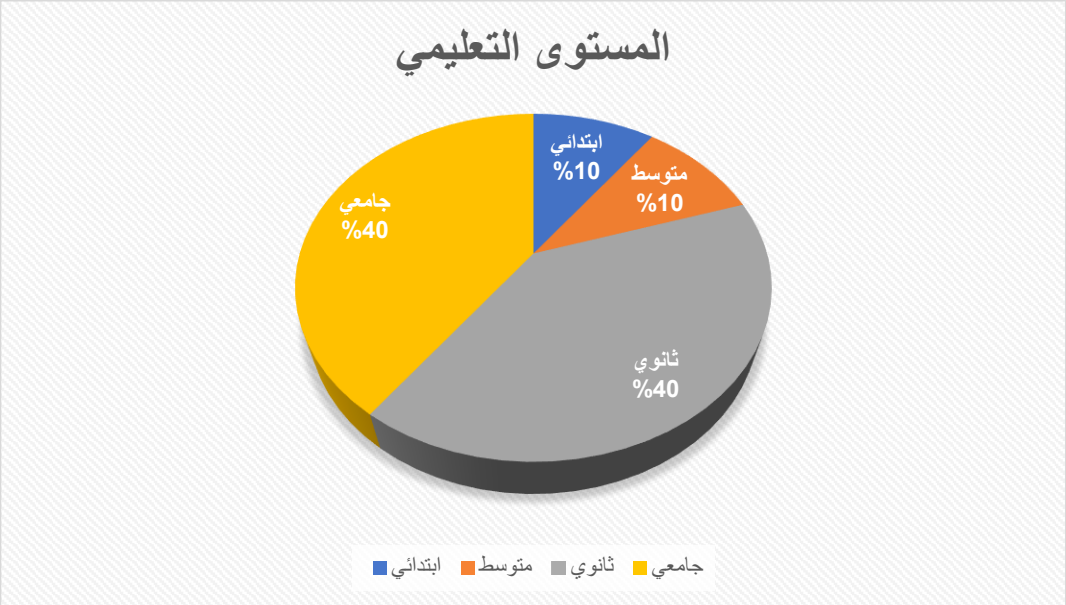
القراءة الإحصائية والتأويل:

من خلال الجدول رقم (03) نرى أنَّ نسبة 40% تشير إلى المريدين الذين مستواهم التعليمي جامعي، وهي ذاتها النسبة 40% التي تبيّن المريدين الذين مستواهم التعليمي ثانوي، في حين نجد أنَّ نسبة 10% تمثل المريدين الذين مستواهم التعلمي متوسط، وأيضا النسبة 10% تمثل المريدين الذين مستواهم التعليمي ابتدائي.

يتضح لنا من خلال القراءات الإحصائية أنَّ المستوى التعليمي لمريدي الطريقة التيجانية يشمل جميع الأطوار التعليمية مع وجود تباين في المستويات، فغالبية المريدين مستواهم التعليمي جيد بحيث أنّهم أتموا تعليمهم الجامعي، وهذا ما يدل على الثقافة التعليمية والمدرسية للمريدين وحثهم على التعلم واتمام الدراسة، كذلك من المريدين من مستواهم التعليمي حسن بحيث وصلوا

لمرحلة الثانوي على عكس بعض المريدين الذين لم يتمكنوا من إتمام دراستهم وهذا راجع على عدم توفر الإمكانيات المادية والمعنوية اللازمة وظروف الحياة المتعددة خاصة مع عدم توفر المرافق التعليمية وبعد المسافة وطبيعة المعاش البدوي في مراحل سابقة.

الشكل رقم (05) يوضح توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي



المصدر: من اعداد الباحث.

الجدول رقم (04) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية.

الحالة العائلية	التكرار	النسبة
متزوج	8	80,0
أعزب	2	20,0
المجموع	10	100,0

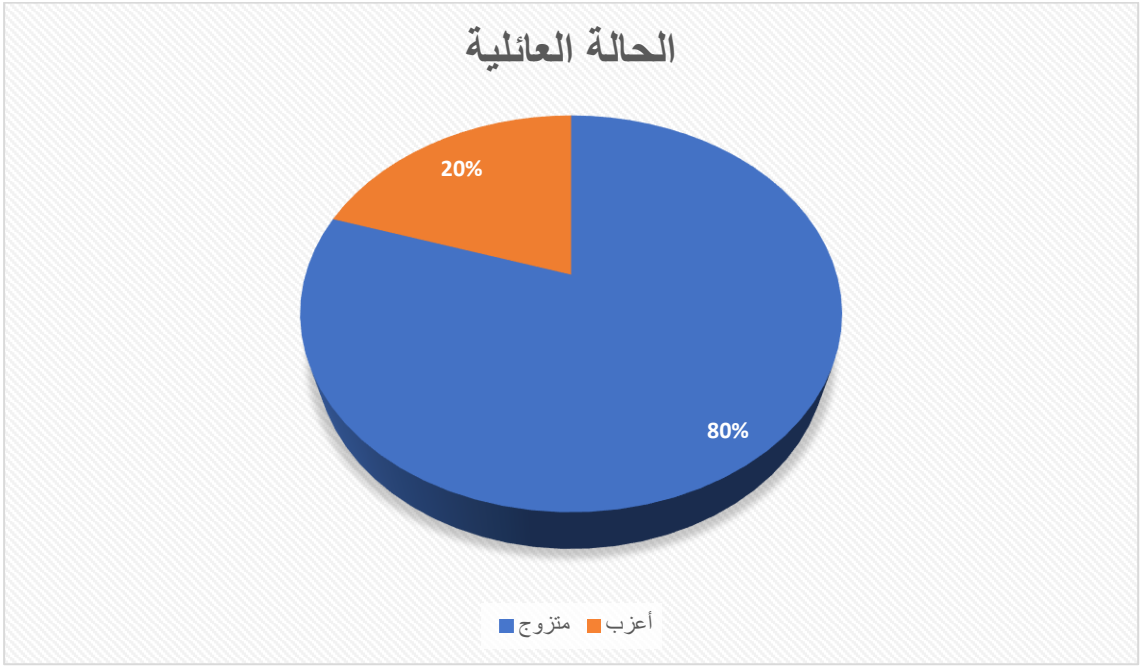
المصدر: من اعداد الباحث على ضوء مخرجات برنامج Spss

القراءة الإحصائية والتأويل:

يشير الجدول رقم (04) إلى الحالة العائلية لدى المريدين، حيث نلاحظ أن نسبة 80% من المريدين من هم متزوجين على عكس نسبة 20% التي تشير إلى المريدين العازبين.

نرى أنّ الزواج لدى المريدين باختلاف أعمارهم له رمزية دينية واجتماعية وخاصية في العرف الاجتماعي التقليدي للطريقة، بحيث أنّ الزواج يشكل وقاية المريد من المحظورات والمحرمات وهو أمر يشجعه شيوخ الطريقة فبمجرد بلوغ الشخص سن التكليف يستوجب عليه الزواج ويساعده أعيان الطريقة على فتح أسرة ولا يعتبرون أنَّ الزواج شاغل للمريد عن طلب العلم وحضور مجالس الذكر والوظيفة الخاصة بالطريقة، بل على العكس فهو ينمي روح المسؤولية الدينية والاجتماعية لدى المريد.

الشكل رقم (06) يوضح توزيع أفراد العينة حسب الحالة العائلية



المصدر: من اعداد الباحث.

الجدول رقم (05) يوضح توزيع أفراد العينة حسب مدة الالتحاق بالطريقة

مدة الالتحاق بالطريقة	التكرار	النسبة
أقل من 10 سنوات	1	10,0
من 10 سنوات إلى 20 سنة	4	40,0
أكثر من 20 سنة	5	50,0
المجموع	10	100,0

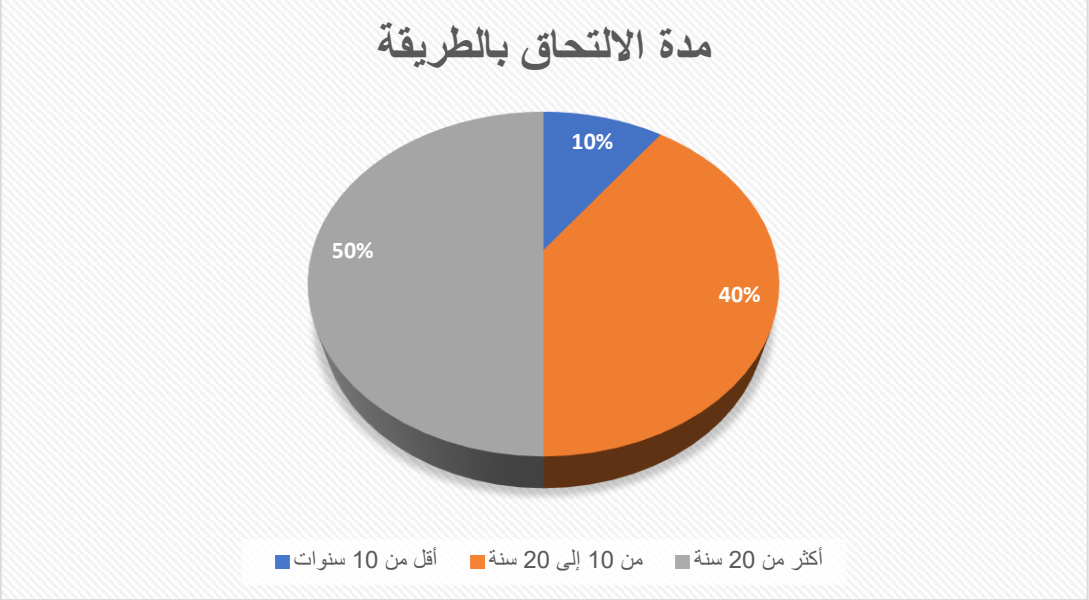
المصدر: من اعداد الباحث على ضوء مخرجات برنامج Spss

القراءة الإحصائية والتأويل:

من خلال الجدول رقم (05) نلاحظ أنَّ نسبة 50% تمثل المريدين الذين مدّة التحاقهم بالطريقة التيجانية أكثر من 20 سنة، بيّنما نرى أنَّ نسبة 40% تمثل المريدين الذين مدّة التحاقهم بالطريقة التيجانية ما بين 10 و20 سنة، في حين نجد أنَّ نسبة 10% تشير إلى المريدين الذين مدّة التحاقهم بالطريقة التيجانية أقل من 10 سنوات.

تعتبر المدّة الزمنية للمريد عن درجة ولائه وانتمائه واخلاصه للطريقة التيجانية وهو عهد يجدده المريد ضمن حلقات الذكر ومجالسة شيوخ الطريقة، ولعل ما لوحظ في الجدول أعلاه أنَّ من بين المريدين من التحق بالطريقة منذ حداثة سنّه، وفي هذا دلالة على الأكثرية من المريدين الذين مدّة التحاقهم أكثر من 20 سنة، فهذا الانتماء للطريقة له أبعاد وخصوصيات تتجلى في تشبعه بالقيّم الدينية والاجتماعية لفقه الطريقة التيجانية.

الشكل رقم (07) يوضح توزيع أفراد العينة حسب مدة الالتحاق بالطريقة.



المصدر: من اعداد الباحث.

5. صعوبات الدراسة:

إنّ مختلف الدراسات العلمية تواجه صعوبات مختلفة منّها ما يتعلق بطبيعة الموضوع ومنها ما يتعلق بالإجراءات البحثية للموضوع لا سيما الإمبريقية منها، حيث يواجه الباحث مجموعة الصعوبات خلال فترة الدراسة العلمية، وموضوعنا هذا على غرار مجمل الدراسات ذات الصلة بالموضوع واجه صعوبات بحثية أشدّ صعوبة وهذا نظرا لطبيعة الموضوع وحقله الميداني حيث يمكن حصر الصعوبات في النقاط التالية:

- حساسية الموضوع كونه يتناول أحد أكثر الطرق الصوفية انتشار في الجزائر وإفريقيا ألا وهي الطريقة التيجانية بزاوية عين ماضي التي تعد مقر الخلافة العامة لها.

- طبيعة موضوع القيّم عموما الذي يعتبر ذو مفاهيم فضفاضة وعابرة للتخصصات لهذا تم الاقتصار على القيّم الدينية والاجتماعية.
- تناول موضوع القيّم وتكيفيه وفق الرؤية الأنثروبولوجية لما تقتضيه طبيعة التخصص.
- عدم توفر مراجع خاصة بالقيّم الدينية والاجتماعية لذلك تمّ تناولها من طرف الباحث وفق الحقل الميداني واستخلاص جملة القيّم من خلال الملاحظات والمعايشة الأنثروبولوجية الإمبريقية.
- عدم توفر دراسات سابقة حول مضمون القيّم الدينية والاجتماعية لا سيّما في الحقل الطرقي (الزوايا) واقتصارها على دراسات تاريخية واجتماعية دون توفر دراسات أنثروبولوجية.
- ندرة المراجع الموثقة خاصة في الجانب القيمي الديني والاجتماعي في الحقل الطرقي.
- معالجة الموضوع المستحدثة من زاوية أنثروبولوجية أصيلة تجافي تلك الدراسات الاستعمارية واسقاط الموضوع وفق المرجعية الدينية والخصوصية الثقافية المحلية.
- صعوبة التوصل إلى القائمين والفاعلين في الزاوية التيجانية نظرا لطبيعة أدوارهم الشرفية وتوجيهنا إلى الضالعين في فقه الطريقة من المريدين.
- اقتصار المعلومات على المختصر منها والموجز منها في المقابلات الميدانية التي أجراها الباحث، وهذا لخصوصية الحقل الصوفي الذي يعتمد على لغة مفاهيمية خاصة تتطلب عناء التحليل والاعتماد على الحوار الشفهي الخارج عن المقابلات الرسمية وحفظها خلسة عن طريق التسجيل الصوتي للرجوع إليها تحليلا واستنباطا.
- صعوبة التنقل وإجراء المقابلات على بعد مسافة أكثر من 60 كلم، وعدم التوصل إلى المبحوثين الذين يقدمون إفادّة شاملة لموضوع دراستنا.

- ضرورة الإلمام بالمعلومات الخاصة بجمع البيانات من المريدين فرض علينا تقمص أدوار المحبين للطريقة وحفظ ما يستلزم من قواعد وسلوكيات وآداب الطريقة والأوراد اللازمة والوظيفة، وفهم الرمزيات الدينية المقدسة، والتلفظ بعبارات المريدين، وكيفية تعاملهم مع المشايخ مثل: (كسيدي الشيخ، ورضي الله عنه، وقدّس الله سره، وتقبيل رؤوس الشيوخ القائمين وأيديهم) والمشاركة معهم في الحيز القدسي خاصة في المناسبات الدينية.
- صعوبة تحليل المقابلات التي أجريت مع المريدين لما تحتويه من مفاهيم خاصة استدعت من الباحث الرجوع إلى الموروث الثقافي المحلي الخاص بالمنطقة، والدور الذي مارسه الباحث من خلال المعايشة ممّا مكّنه في التحليل من ازدواجية المعلومات المقدمة من المريد والدور الذي مارسه الباحث كمريد.
- الاسقاط النظري في الدراسة وصعوبة تكيفه مع طبيعة الموضوع القيمي والطرقي لما لهما من خاصية سوسيولوجية ذات تشابك تحمل الثقل المعنوي الأخلاقي والروحي مما فرض علينا استعمال مقاربات سوسيولوجية، واعطائها الصبغة الأنثروبولوجية.

خلاصة الفصل:

تم التطرق في هذا الفصل إلى الإجراءات الميدانية للدراسة والتي تناولنا فيها المجال المكاني والزماني للدراسة ثم تحديد المنهج المتبع الذي من خلاله يتم رصد الظاهرة المدروسة ويحدد أبعادها، وتم استخدام المقابلة كأدّاة للدراسة من خلالها تم جمع المعلومات من أفراد العينة الذين اقتصروا على فئة المريدين بالطريقة التيجانية بزاوية عين ماضي، كما تمّ استعمال الملاحظة بالمشاركة كأدّاة أنثروبولوجية بحتة تساهم في كشف جوانب الظاهرة المدروسة، وتدعيم المقابلات من خلال تحليل المعطيات.

الفصل السادس

عرض وتحليل نتائج الدراسة

تحليل محاور الدراسة: (تحليل المقابلات)

الحالة رقم (01):

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس: ذكر.**
2. **السن: 46.**
3. **المستوى التعليمي: جامعي.**
4. **الحالة العائلية: متزوج.**
5. **مدة الالتحاق بالطريقة: منذ 25 سنة.**

المحور الثاني:

6. **كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟**

الإجابة: شخصية عالمة عاملة عنده علم وسر عظيم.

التعليق: يبدو جليا مدى اهتمام المريد بالطريقة وتأييده لها وانتمائه الطويل منذ الصغر حسب سنه ومدة التحاقه بالطريقة، وتتضمن إجابة المبحوث على دلالة قدسية وانتماء ديني للطريقة مبني على المناقب الجيدة لشيخ الطريقة الذي يرى فيه العلم الوافر والعمل به واحتضان المريدين لتحقيق مبدأ التكامل والرضى في الدنيا والآخرة، وكما جاء على لسانه ان له سر عظيم يتأتى في الكرامات التي ظهرت لدى الشيخ المؤسس وهذا يدل على حبه للشيخ واتباع نهجه الذي يعتبره نبراس الكتاب والسنة.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الإجابة: سر انتشارها سهولتها ويسر اذكارها لذلك فهي تستقطب كل المريدين شرط النية والصلاح.

التعليق: الملاحظ هنا أن السر العظيم في انتشار الطريقة التيجانية هو السهولة وحسب ملاحظتنا العامة وبعض القراءات السابقة وأدبيات التراث النظري توصلنا إلى أنّ السهولة في الانتماء تكمن في النية وصلاح القلب ورضى الوالدين دون قيود وشروط كبعض الطرق الصوفية الأخرى، وقوله تستقطب المريدين هي ترجع إلى تعامل الشيخ مع أحبابه من المريدين وتعليمهم الأوراد التي أخذها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهنا نرى ذلك البعد الرمزي لدى المريد في رؤية الشيخ أحمد التيجاني في دائرة الهالة القدسية والولاية وما تحمله من معاني الورع والزهد والتبجيل والبساطة، وفي لغة رمزية تضادية بمعنى الاصطفاء بالكرامات والقطبانية فوراء كل نبي ولي ولكل ولي نصيب من علم الباطن وكما أن محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين فالهالة القدسية للقطب المكتوم هي ختام الولاية.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: هي طريقة تستند على الكتاب والسنة لأنّها مدد نوراني خص الله أحمد التيجاني بها عن غيره من مشايخ الطرقية، لأنه أخذ وردها من الرسول مباشرة اذ لا منّة لأحد من المشايخ عليه، وقد جاء في الأثر المناقبي للشيخ قوله "زنوا كلامي بميزان الشرع".

التعليق: نرى من خلال الإجابة أنّ الطريقة تستند على الكتاب والسنة وقصده بالنورانية ذلك النور الممتد من الوحي للرسول صلى الله عليه وسلم وهنا تتجلى الرمزية القدسية للشيخ الذي أخذ

الطريقة مشافهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكدتها مقولته "زنوا كلامي بميزان الشرع" ولم يقف على هذا فحسب بل أكمل بأن: "ما وافق فخذوه وما عارض فاضربوا به عرض الحائط"، ولم يجد المريدون ما يخالف الكتاب والسنة ممّا أكد قدسيته للدين كمرتكز أساسي تستند اليه الطريقة.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أولويات الطريقة الانفراد بالطريقة لوحدها دون غيرها والالتزام بالورد

التعليق: إنّ الطريقة التيجانية تضع شروط الانتماء لها الذي يعتبر أولوية من الأولويات وهذا ما وضحه المبحوث الذي يرى أنّ الانتماء للطريقة التيجانية له شرط ألاَّ يخضع لطريقة أخرى وكذلك الالتزام بالعهد الذي له رمزية القبول للانتماء للطريقة كمبايعة للطريقة الممثلة في قدسية الشيخ المؤسس، ثم بعد العهد يأتي أخذ الورد والالتزام به والوظيفة فهذه الشروط متتابعة لكل مريد يريد الانتماء للطريقة.

10. على أي أساس بنى الشيخ زاويته؟

الإجابة: لعل أهم أسسها كونها طريقة روحية وتربية النفس لأنّها مرمى الولوج إلى درجة الاحسان.

التعليق: لعل حجر الأساس الذي وضعه شيخ الطريقة التيجانية هو التربية الروحية وتطهير النفس من الرذيلة وحب الله ورسوله الذي يتجلى في حب الوالدين والتعامل مع الناس، ويشير المبحوث إلى دلالة دينية تتأسس بالانتقال من تحقيق أركان الإسلام ودرجات الايمان وصولا إلى مبدأ الاحسان "أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك"، على هذا يتحرى المبحوث في أنّ الأساس الأولي يتجاوز الإسلام والإيمان لأنّهما أصلان محققان لدى المسلم، أما الإحسان فهو

درجة روحية كامنة في ذات الإنسان لا تتأتى إلا من خلال شيخ مربي وهذا ما يعتبره المبحوث ركن انشاء الشيخ للزاوية.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: حسب رأيي الشخصي ما تكتسيه الزاوية التيجانية من مكانة يعود فضله الأول بمكانة مؤسسها القطب المكتوم سيدي أحمد التيجاني الذي منّه الله بهالة قدسية تجلت اتباعا في أخذه الطريقة عن سيد الخلق مباشرة، فهي تمتد سندا إلى أشرف الخلق.

التعليق: تعتبر زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا في الجزائر وافريقيا وحتى العالم العربي بل والأكثر من ذلك فهي تتعدى 340[1] مليون مريد في أصقاع العالم وأغلب فروعها في افريقيا، وهذا يتجلى في إجابة المبحوث الذي أكد على انتشار رقعتها الجغرافية ويرجع ذلك إلى مكانة الشيخ المؤسس والدور الاستراتيجي في مختلف مجالات الحياة الدينية والاجتماعية وحتى السياسية والثقافية، وتعد الرحلات الكبرى التي قام بها المريدين في مختلف نواحي المنطقة دليل على قابليتها لدى الساكنة بمختلف المناطق ويعتبرون الشيخ رمزية دينية لها الفضل في انتشار الإسلام في افريقيا وخير دليل على ذلك الرحلات العمرية التي نالت حظا وافرا من انتشار الإسلام، وهنا يؤكد المبحوث على التزام المريدين بما جاء عن الشيخ المؤسس الذي قال لأولاده من بعده لا تليق بكم إلا الصحراء وهذا سر من أسرار الشيخ في إنشاء زاويته في عين ماضي.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

[1] حموش الطاهر، أحد القائمين في الزاوية التيجانية بعين ماضي.

الإجابة: نعم تعزز ذلك وبقوة من خلال أمور عدّة أولها التزام العهد الذي تحضره جماعة المريدين وفق ترتيبات معينة، فهو مثابة حلقة مرور من الحياة العامة إلى جماعة المريدين فهو بمثابة شريعة تعاقد بين الشيخ والمريد إذ لا بدّ له من التزام محبته سرا وعلنا والتزام الاذكار والأوراد الخاصة بالطريقة والانفراد بها وهو ضمن الدائرة الفضلية التي خص الله بها الشيخ المؤسس وطريقته.

التعليق: إنّ الانتماء للطريقة التيجانية له العديد من الخصوصيات التي تعزز قيمة الانتماء لها والولاء لمرجعياتها، وأولها التزام العهد الذي يعتبر طقس مرور من الحياة العامة إلى جماعة المريدين وهذا ما أشار إليه المبحوث من خلال اجابته، كما أن العهد يعتبر الزام ديني أولي بين العبد وربه وبين المريد وشيخه وجماعة الطريقة فهو بمثابة بيعة للشيخ المؤسس وهو ما لمسناه في الملاحظات التي قمنا بها والتي كان من ضمنها حضور لحلقات الورد والوظيفة والتي تزامنت مع أخذ أحد المنتمين إلى العهد ليصبح مريدا ثم يتبع ذلك بتلقينه الأوراد المختلفة مشافهة كما نقلت عن الشيخ المؤسس، وبذلك نرى ذلك التماسك الاجتماعي بين المريدين الذي يعزز الانتماء الاجتماعي للطريقة التيجانية.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: نعم وذلك من خلال ما سبق سرده في السؤال السابق بمحبة الشيخ المؤسس وأعلام الطريقة هو تعزيز لقيم الولاء والذي يتحقق وفق التحلي بأخلاقهم والتأسي بمناقبهم وخصهم بالتبجيل والقداسة وعدم الانتماء لغير الطريقة وعدم زيارة حتى أعلام الطرق الأخرى ولو أموات (الأضرحة نتاعهم) إلا بما تجيزه الشريعة السمحاء من باب الترحم والعبرة.

التعليق: يبدوا أن الولاء من أهم الإشارات الدالة على الانتماء للشيء وحبه وتبجيله والترويج له، وهذا ما يوضح أسس الطريقة التيجانية التي تعتبر الولاء أحد أهم مؤشرات الانتماء فلا ولاء دون انتماء، وحسب ما وضحه المبحوث فإنّ أول علامات الولاء محبة الشيخ المؤسس وأعلام الطريقة ومشايخها من بعده وعلامات المحبة هو التحلي بأخلاق الشيخ المربي والالتزام بفقه طريقته والعمل به في السر والعلن، وتوقير الشيخ في الحديث معه والتأدب في مناداته كقوله (سيدي) بدل لفظ اسمه أو لفظ الشيخ، وتعظيمه تعظيما يليق بمقامه فهذا يعزز الالتزام بمرجعيات الولاء للطريقة التيجانية لدى مريديها.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: نعم تحقق القيم الدينية لأنّ أساسها أصلا غرس القيّم في ذات المريد مما ورد في فقه الطريقة الممثل في الكتاب والسنة.

التعليق: إنّ الأساس الأول الذي تنطلق منه التربية الطرقية كـــآفة هي معرفة الله حق معرفته التي تليق بعظمته سبحانه وتعالى والتربية هي غرس قيم الدين الإسلامي كما ورد في الكتاب والسنة دون تحييز أو تحريف، ولعل الطريقة التيجانية تختلف عن باقي الطرق كونها تستقطب المريدين الذين يريدون سمو الروح والزهد في الدنيا دون تقشف وهو ما سبق ذكره بدرجة الاحسان، ولعل إجابة المبحوث عن كون الطريقة التيجانية تحقق التربية الدينية ممثلة في جملة القيم التي يأخذها المريد من خلال احتكاكه بالمشايخ والتزامه بمجالسهم والمسارعة في العمل بما يحقق رضاهم الذي يرتبط برضى الله لأنّ أصل طريقتهم كتاب الله وسنة نبيه ومصطفاه.

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: من أهم أنواع القيّم الدينية التي يسعى شيوخ الطريقة التيجانية لغرسها هي عقيدة التوحيد فالمريد يجب عليه استحضار الذات الإلهية في سكناته وحركاته فهو المتمكن من نجواه باطنا وظاهرا فهو الحي الذي لا يموت لأن علمهم لادني من فيض الرحمن كما يقول السادة الصوفية "أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا من الحي الذي لا يموت"، كما يؤسس السادة الصوفية إلى التزكية وهي مفهوم قرآني أساسي لأنّ موضوعها الانسان المستخلف في الأرض والذي يستلزم تقويمه تقويما باكنا وظاهرا كما أن الدعوة إلى معرفة الله حق قدره ومقداره العظيم وتبيان المسلك اليه رسالة الأنبياء والمرسلين والأولياء من بعدهم.

التعليق: إنّ التوحيد من أهم القيّم الدينية التي تحقق العقيدة السليمة لدى المؤمن ولهذا فقبل التطرق إلى باقي القيم الدينية الأخرى لا بدّ من الأساس السليم الذي يكمن في معرفة الله وصفاته وذاته الإلهية إذ لا معبود بحق إلا الله، فجواب المريد جاء في هذا الصدد عن قيمة التوحيد ومعرفة الله حق معرفته وعزز بذلك مقولة ما جاء على لسان أحد الصوفية التي جاء فيها: "أخذتم علمكم عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت"، ومن بين القيّم الدينية التي تحدث عنها المبحوث التزكية الروحية الذي هو لب السادة الصوفية في الترقي إلى الحضرة الإلهية وأوله مراقبة النفس وعدم ائتمان مكر الله وطرق ذلك بالذكر الذي هو ملاذ المريد للشكر والثناء والإحسان لله.

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

الإجابة: نعم تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية لأنّ الاحسان جوهر التصوف من خلال أهم خصوصية وهي الجمع بين العلم والعمل، انطلاقا من مفاهيم المحبة الإلهية ولبّ هذه المحبة هي الانفراد به دون سواه.

التعليق: إنّ أهم مرتكز تستند إليه الطريقة التيجانية هو التصوف الممثل أساسا في التزكية الروحية وهو سمو الروح ومبدأ الاحسان الذي يستلزم وجود الله وصفاته تربيةً وواقعا في اخلاق المريد الواصل مثل أسس المحبة والرحمة وعدم الانتصار للنفس إلا لأوجه الحق وعدم الطمع فيما أيدي الخلائق بمعنى التوكل على الله في السكنات والحركات ومراقبة النفس، وحسب ما جاء في جواب المبحوث فان جوهر الطريقة التيجانية وعمودها هو بلوغ مراتب الاحسان وتحقيق ذلك يتأتى من خلال مجاهدة النفس والالتزام بالأوراد اليومية بصفة منتظمة فردا وجماعة.

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: من اهم المرتكزات التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها التربية الدينية والأخلاق التي تعتبر صفات المسلم المؤمن المريد.

التعليق: ان الطريقة التيجانية قامت بتأسيس جملة القواعد والشروط التي ينبغي على شيوخها تعليمها ونقلها للمريدين وهي بمثابة مرتكزات أو أولويات ان صح التعبير ومن بين ذلك إجابة المبحوث على أن التربية الدينية هي أهم مسعى لشيوخ الطريقة وتتمثل في تربية المريد بأخلاق وصفات المسلم المؤمن الذي يختلف عن غيره من الناس كون أن هذه الأخلاق نظهر جليا لدى المريد في أسرته ومجتمعه فهو يحتسب عن الطريقة وشيوخها، لذلك تسعى الطريقة التيجانية في بناء منظومة دينية تربوية عملية لا قولية فقط في مجمل العلاقات البينية بين المريد وبيئته

الاجتماعية، انطلاقا من الضوابط الدينية والأخلاقية تجاه خالقه ومشايخه وأقرانه من المريدين، فواجب الاحترام والتوقير لمكانة الشيخ المربي ذات دلالة دينية رمزية للشيخ المؤسس.

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: للذكر قيمة أساسية في فقه الطريقة التيجانية لأنه تنبيه لغفلة النفس وعليه دأبت الطريقة التيجانية على وضع ضوابط فقهية خاصة به من أوقات وإمكان مخصوصة وشروط سابقة له كطهارة البدن والمكان، لأنه حياة روحية لا بدّ من مداومته.

التعليق: من منطلق أن الأذكار الخاصة بالطريقة التيجانية تم تلقينها للشيخ المؤسس مباشرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاءه الفتح الأعظم في بوسمغون، فان الذكر يكتسي قيمة أساسية ذات هالة قدسية لسنده وعلى الرغم من بساطته إلا أنه يحمل رمزية دينية مشبعة بقيم ايمانية عظيمة فالكلمة المشرفة لا إله الا الله لأجلها خلق الله الموجودات وأرسل الأنبياء وشرَّع الرسالات، ودلالة معنى إجابة المبحوث تشير إلى أن الذكر له أهمية عظيمة لدى الطريقة التيجانية وهو جملة أذكار يحفظها المريد ويلتزم بتكرارها في ساعات مخصوصة كل وقت وحين معلوم، فالمريد بعد خضوعه لله تعالى يستحضر الذكر الذي يستوجب شكر الله والثناء عليه وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم والرضى عن صحابته رضوان الله عليهم.

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: إلى حد ما تعتبر آلية فعّالة لأن اتباع مناقب الشيخ المؤسس يعزز قيّم دينية أهمها هو طلب العلم والاجتهاد فيه والصبر على الشدائد فحياة الشيخ على ضوء ما جاء في سيرته قاسية

هيئته لصقل شخصيته الدينية المتميزة وهذه صبغة الله في أنبيائه وأوليائه، فالشيخ المؤسس سلك نهجا عظيما ومنه انتقل إلى طلبته ومن بعده فحرصوا على تقليد الشيخ بكل أقواله واعماله.

التعليق: ان التربية بالقدوة هي من أسس الدين القويم الذي تتأسس عليه الطريقة التيجانية فقد حرص أبناء وطلبة الشيخ المؤسس من بعده على انتهاج نهجه والتعليم به، كما جاء على لسان المبحوث أن الامتثال للموروث الديني بالتقليد والمحاكاة عن شيوخ الطريقة فعال كونه يؤكد التعليم الموجه فلا يرى المريد اخلافا بين أقوالهم وأفعالهم، ناهيك عن كون الطريقة التيجانية ذات خصوصية سوسيوثقافية اذ هي طريقة عامة لكل الناس لا تعتمد النخبوية فطريقة التربية بالقدوة تكون أكثر تأثيرا وانتشار بين المريدين، وهو ما سهل قبولها بين الناس وفي ذلك نجد قوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة"، فحرص شيوخ الطريقة على اتباع هذه الآية الكريم التي تجسد لمفهوم الاقتداء والتأسي.

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: إلى حد كبير تجسدت هذه القيم بين المريدين من خلال قيم المحبة الخالصة لوجه الله وتبجيل شعائر الله ومواظبة الصلوات الخمس وطاعة الوالدين وبرهما واحترام وتوقير الجار والعطف على اليتيم والتواضع لله من خلال التواضع لجميع خلقه فتذوب المراتب الاجتماعية أمام الجماعة الطرقية فالكل سواسية كأسنان المشط، وأساس التمايز هو درجة الترقية الروحية.

التعليق: تعتبر القيم الدينية احد اهم السبل التي تسمح للفرد بالتعايش مع مجتمعه وانتمائه الديني له فهي تحمل جملة المعايير والضوابط الدينية المنظمة للحياة الاجتماعية، وعلى هذا نرى أن الطريقة التيجانية كنهج طرقي تربوي يستند إلى الدين وخدمة المجتمع يركز على قيم دينية عامة

أهمها المحبة لله ولجميع خلقه وهذا ما أشار اليه المبحوث إضافة إلى قيم دينية تعتبر من صميم شروط الانتماء للطريقة كرضا الوالدين وبرهما اذ أنه يعتبر شرطا لقبول الفرد ضمن دائرة المريدين وجماعة الطريقة، ويشر المبحوث أيضا إلى أن التواضع لجميع الخلائق يعتبر من أهم المقومات التي يمتلكها المريد وتنغرس فيه لأن التواضع من شيم المؤمنين ويؤكد على قيمة المساواة بين الناس كـــآفة وأن سبل التمييز بينهم على أساس المجاهدة في مرضاة وتقوى الله وهذا هو نهج الشيخ المؤسس أحمد التيجاني.

المحور الرابع:

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: نعم لأن هدفها الذي أُنشأت من أجله هو غرس القيم الاجتماعية داخل الوسط الاجتماعي.

التعليق: تعتبر القيم الاجتماعية ذات مدلول اجتماعي يؤسس لوحدة وتماسك الأفراد داخل المجتمع الواحد أو في خلايا المجتمع المتعددة كالأسرة والمسجد والمدرسة باعتبارهم انساقا اجتماعية تؤسس الجماعة وتماسكها، ولعل الطريقة التيجانية نموذجا ذات نسق قيمي ديني مبني على وحدة الجماعة وهو ما لاحظناه داخل الزاوية التيجانية وما يؤكد ذلك هو إجابة المبحوث التي تنطلق من فحوى كون أن الجماعة الدينية بشيخها تؤكد أهمية احتضان القيم الاجتماعية وتعزيزها داخل الجماعة الدينية وهو بذاته ما انطلق منه الشيخ احمد التيجاني الذي أكد على الدور الاجتماعي الذي

بواسطته أرسى ركائز الطريقة التيجانية وأهم القيم الاجتماعية المستنبطة من خلال الطريقة التيجانية هي وظيفة كل مريد داخل الحقل الاجتماعي، فقيمة الانتماء للجماعة تعزز قيم التضامن والتعاون بين الافراد وتؤكد الالتزام بمرجعيات الجماعة وهنا ما يؤسس لوجود قيم اجتماعية ذات دلالات دينية، فالجماعة آلية توليف للأفراد وتأثيرهم على المجتمع بطرق شتى وقاسمها المشترك المدلول الاجتماعي.

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: نعم تعمد الطريقة على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي من خلال مؤسسة الزاوية والتي تعبر عن الفعل الاجتماعي التضامني من خلال الأعمال الخيرية.

التعليق: ان التضامن الاجتماعي هو ركيزة كل مجتمع وتماسك افرادها لتحقيق وحدة المجتمع وبناءه وهو آليه تنتهجها الطريقة التيجانية في نشاطها داخل الحقل الاجتماعي تجاه المريدين والمحبين وأقطاب المجتمع كـــآفة، وما ذكره المبحوث من خلال إجابته يؤكد على أنّ الفعل التضامني الذي تتبعه الطريقة التيجانية ممثل في الاعمال الخيرية وهو من أولويات الطريقة التيجانية نستنتج منه التقاطع الديني مع الاجتماعي أي ان الطريقة التيجانية من خلال احياءها للحفلات الدينية تبرز دورها في الأعمال الخيرية التي تتجلى فيها رمزية التضامن بين المريدين وبين الاحباب من عامة الناس فالتكافل الاجتماعي يستند على قيمة التضامن بين المريدين ممثلا في العصب الواحد الذي لا فرقة فيه.

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: نعم تساعد ويتمثل ذلك في التفاف المريدين والمحبين في جماعة دينية واجتماعية تساهم في عملية الاندماج الاجتماعي.

التعليق: يعتبر الاندماج الاجتماعي ضرورة أساسية لتأكيد انتماء الأفراد للمجتمع متوافقا مع المبادئ التي تخضع لها الجماعة الاجتماعية وهو ما يحافظ على استقرار واستمرارية المجتمع وتحقيق أهدافه، ولعل الطريقة التيجانية مؤسسة دينية مهمتها الأولية تندرج ضمن أولويات الجماعة الدينية والمحافظة على مبادئها وقيمها التي لا تتعارض مع قيم المجتمع بل تساهم في استقطاب المريدين وتأكيد مهمتها التي تتمثل في تماسك المجتمع، وهذا ما أكده المبحوث من خلال اجابته التي تدل على أن الطريقة التيجانية تساهم بدرجة كبيرة في تماسك أفراد جماعتها وهذا لن يتأتى إلا بالاندماج الاجتماعي لدى مريديها داخل الدائرة القيمية الدينية للجماعة الطرقية، مما يوضح أن الاندماج أسلوب يؤدي إلى التماسك الذي بدوره يحافظ على نظام الطريقة وعملها الذي وجدت لأجله، فالشيخ سيدي أحمد التيجاني أكدّ على أحقية الاندماج داخل الزاوية مع المحافظة على مبادئ المجتمع وقيمه لذلك كثر محبيه ومريديه، فالتوافق القيمي هو حجر أساس الاندماج الاجتماعي الذي يؤسس قاعدة مفادها ألاّ اندماج دون توافق قيمي، لذلك نستنتج ان الطريقة التيجانية تساهم في تعزيز الاندماج الاجتماعي لمريديها ولكافة الناس.

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: نعم تجسدت هذه القيم واقعا اجتماعيا وخاصة لدى المريدين من خلال تعاضد اللحمة الاجتماعية في قيم الانتماء والولاء والتضامن والاحترام وحسن الجوار والتعاون؟

التعليق: إنّ تجسيد القيّم الاجتماعية داخل الحاضنة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها ينطلق في أساسه من الطريقة التيجانية التي تعتبر الرمز المثالي داخل المجتمع وتمتد فروعها الى باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى عن طريق مريديها الذين تتمركز فيهم القيم الاجتماعية المختلفة وبدورهم ينقلونها في أنساق المجتمع بتعددية علاقاتهم الاجتماعية، وهذا ما يدل على إجابة المبحوث من خلال التفاف المريدين ببعضهم داخل الطريقة وخارجها لتحقيق مبادئها وأهدافها الاجتماعية ممثلة في القيم التبادلية، ونرى أن الطريقة التيجانية تساهم في تجسيد قيم الانتماء والولاء بتحقيق التضامن المبني أساسا على الاحترام بين المريدين وعامة الناس وحسن الجوار والتعاون بين مختلف افراد المجتمع.

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: تنمي الروابط الاجتماعية من خلال الحث على صلة الرحم وفضل عيادة المريض وتوقير الكبير واحترام الصغير فضلا على تأصيلها لمفهوم الأخوة الإنسانية والحث على الايثار وحق الجيرة والابتعاد عن سبل العداوة والحث على فضل اصلاح ذات البين.

التعليق: ان الرابط الاجتماعي يكتسي أهمية بالغة في استمرار المجتمع واستقراره وتوازن أنساقه الذي يتعدى الروابط الدموية والقرابية إلى ذلك العمق الاجتماعي كوحدة أساسية منظمة، ويتضح الأسلوب الذي تنتهجه الطريقة التيجانية في نسجها للرابط الاجتماعي من خلال إرساء مبادئها التي تدل على تعزيز وتنمية القيم الاجتماعية التي تحقق مبدأ الأخوة في الله والخلق، وأن أساس التمايز هو التقوى، فمن هذا المنطلق تؤسس الطريقة التيجانية قواعدها في تنمية وتعزيز الروابط الاجتماعية، وما يشير اليه المبحوث مما سبق أن الطريقة تحث مريديها على مبادئ الاحترام والتوقير للكبير والصغير وزيارة المريض والتزاور بين المريدين وباقي المجتمع وإصلاح ذات

البين والابتعاد عن الخصومات والعداوات ونبذها وهذا ما يساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية وتقويتها والحفاظ على استمراريتها.

26. فيما تمثل انعكاس دور شيوخ الزاوية التيجانية على المجتمع؟

الإجابة: نعم انعكس دورهم في الماضي والحاضر لكونهم علماء ربانيون أتقنوا فن الدعوة قولا وفعلا واعتمادهم على أسلوب بسيط وعميق التأثير فالزاوية بعلمائها وقائميها مؤسسة اجتماعية مهمة للتنشئة الاجتماعية المتواصلة، لطبيعة مريديها التي تختلف عمرا وجنسا ومستوى علمي وثقافي.

التعليق: تعتبر الطريقة التيجانية مصدر ديني هام للمجتمع كافة سواء في حدود المنطقة أو ما ورائها والمرجعية الأساسية للطريقة التيجانية شيوخها الذين لهم امتداد للشيخ أحمد التيجاني ولعل ما أجاب به المبحوث كون أن الشيخ له تأثير على المريدين والمجتمع، واذا ما أردنا ان نوضح الانعكاس الديني كلغة محكية وتقارب في اللغة الرمزية لأجل فهم أعمق للحقل الديني وبالأخص الطرقي منه كنظام ثقافي يتأتى ويتأسس على علاقات تداولية بين عناصره التي تستوجب تفكيك الأبعاد وفق مرحلية الدرس التزامني Synchronique تليها مرحلة الدرس التاريخي Diachronique وعليه فان استمرارية هذا الحقل الديني الطرقي كبناء ثقافي أو كظاهرة ثقافية سائلة بالمعنى الأنثروبولوجي، أي امتدادها إلى المركز إلى الدوائر الثقافية الأخرى تحاكي عملية التثاقف La culturation إذ يعد نهج الصوفية واحد والطرق شتى، كما يعرف في أدبيات السادة الصوفية معرفة الله بعدد أنفاس الخلائق، فمن خلال كيفيات اشتغال البناء الطرقي وفق مستوى الموضع الهامشي عند الخوض في نصوص تؤصل على وجه الخصوص للطرقية وبوجه أعم لتاريخ التصوف وذلك وفق نمطية الاسناد وهو استمداد القداسة من أصلها الأول الممثل في الرسول

صلى الله عليه وسلم وإمكانية التمحيص في تاريخية هذه الظاهرة وامتدادها إلى ولد فاطمة زوجة علي كرم الله وجهه، فخاصية الطريقة التيجانية وشيخها تتفرد لكونها مرجعية ممتدة من الرسول صلى الله عليه وسلم، اذ اخذ الشيخ أورادها مشافهة عن الرسول وهو ما عزز مكانة الشيخ اجتماعيا ودينيا في الحقل الطرقي كانعكاس وتأثير في المجتمع كما جاء في أثر الصوفية أن من لا شيخ له فان شيخه شيطان، وهذا ما يفسر أهمية المشيخة ودورهم كمرجعية دينية واجتماعية.

تقييم الحالة الأولى:

من خلال عرض إجابات المبحوث من خلال المقابلة الميدانية يتضح لنا من خلالها جملة من التقييمات حولها حيث تضمنت الإجابات في المحور الأول المتعلق بالفرضية الأولى التي تشير إلى أنه **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم.**

وما حملته إجابة المبحوث حول المحور الأول له دلالة قدسية وانتماء ديني للطريقة مبني على المناقب الجيدة لشيخ الطريقة الذي يرى فيه العلم الوافر والعمل به ولعل هذا سر انتشار الطريقة التيجانية، كما أن الطريقة تستند على الكتاب والسنة، والانتماء للطريقة التيجانية له شرط ألاَّ يخضع لطريقة أخرى وكذلك الالتزام بالعهد الذي له رمزية القبول للانتماء للطريقة كمبايعة، أما حجر الأساس الذي وضعه شيخ الطريقة التيجانية هو التربية الروحية وتطهير النفس من الرذيلة وحب الله ورسوله الذي يتجلى في حب الوالدين والتعامل مع الناس، هذا وتعتبر زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا في الجزائر وافريقيا وحتى العالم العربي، كذلك يعتبر الانتماء للطريقة التيجانية من الخصوصيات التي تعزز قيمة الانتماء لها وهذا راجع في نظر المبحوث إلى الولاء الذي يعدّ من أهم الإشارات الدالة على الانتماء للشيء وحبه وتبجيله.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية الت تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين.** حيث ان الأساس الأول الذي تنطلق منه التربية الطرقية كـــآفة هي معرفة الله حق معرفته كما أن من أهم أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الطريقة التيجانية لغرسها هي عقيدة التوحيد مع الإشارة إلى أن أهم مرتكز تستند إليه الطريقة التيجانية هو التصوف الممثل أساسا في التزكية الروحية **وهو** سمو الروح ومبدأ الاحسان، كما أن التربية الدينية مسعى هام لشيوخ الطريقة وتتمثل في تربية المريد بأخلاق وصفات المسلم، كما ان الذكر يكتسي قيمة أساسية ذات هالة قدسية لسنده وعلى الرغم من بساطته إلا أنه يحمل رمزية دينية مشبعة بقيم ايمانية تتمظهر في التربية بالقدوة التي هي من أسس الدين القويم الذي تتأسس عليه الطريقة التيجانية، وتعتبر القيم الدينية أحد اهم السبل التي تسمح للفرد بالتعايش مع مجتمعه وانتمائه الديني.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثالث المتعلق بالفرضية الثالثة التي تشير إلى أن **للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها** حيث تعتبر القيم الاجتماعية ذات مدلول اجتماعي يؤسس لوحدة وتماسك الأفراد داخل المجتمع عن طريق التضامن الاجتماعي الذي يمثل ركيزة كل مجتمع وتماسك افرادها لتحقيق وحدة المجتمع وبناءه وهو آليه تنتهجها الطريقة التيجانية في نشاطها داخل الحقل الاجتماعي وهو ما يحقق الاندماج الاجتماعي الذي يعد ضرورة أساسية لتأكيد انتماء الأفراد للمجتمع متوافقا مع المبادئ التي تخضع لها الجماعة الاجتماعية كما أن تجسيد القيم الاجتماعية داخل الحاضنة الاجتماعية بمختلف مؤسساتها ينطلق في أساسه من الطريقة التيجانية التي تعتبر الرمز المثالي داخل المجتمع الذي يقوي الرابط الاجتماعي ويكتسي أهمية بالغة في استمرار المجتمع واستقراره وتوازن أنساقه الذي يتعدى الروابط الدموية والقرابية

إلى ذلك العمق الاجتماعي كوحدة أساسية منظمة كما تعتبر الطريقة التيجانية مصدر ديني هام للمجتمع كافة سواء في حدود المنطقة أو ما ورائها والمرجعية الأساسية للطريقة التيجانية شيوخها.

الحالة رقم (02):

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس: ذكر.**
2. **السن: 37.**
3. **المستوى التعليمي: ثانوي.**
4. **الحالة العائلية: متزوج.**
5. **مدة الالتحاق بالطريقة: منذ 16 سنة.**

المحور الثاني:

6. **كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟**

الإجابة: شخصية دينية صوفية عملت في مجال نشر التصوف في افريقيا.

التعليق: يبدو جليا أن شخصية أحمد التيجاني شخصية عملت على تكريس التصوف ضمن درجة الاحسان، وما يمكن تفسيره من خلال إجابة المبحوث أن شخصية الشيخ لها تأثير في مجال التصوف وخاصة في شمال افريقيا بداية ثم امتدادها لما بعده من أبناءه إلى جنوب القارة، اذ أن أحمد التيجاني رأى بأن تمكين الطريقة لن يكون إلا بانتهاج التصوف الذي اعتبره صلة العبد بربه والتقرب اليه عن طريق خدمة الخلق وهذا ما سهّل انتشار طريقته في أقاليم ثقافية وجغرافية مختلفة.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الإجابة: سر انتشارها يكمن في سهولتها ويسرها والتزامها الجماعة.

التعليق: ان الطريقة التيجانية في أساسها تميزت بيسر مبادئها وجوهرها الجماعة، اذ يعتبر التزام الجماعة واجب وشرط من شروطها، وما أقرّ به المبحوث في سر انتشارها يرجع إلى ما سبق ذكره وخاصة في يسر مبادئها وبساطة الانتماء لها، فهي تعتبر أن الجماعة هي محور الفعل الديني الي يحث على المساندة الاجتماعية المادية والمعنوية مما سهل انتشارها في أقطاب شتى.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: هي طريقة أحمدية تستند إلى الكتاب والسنة وأذكارها وأورادها هيللة وصلاة على النبي.

التعليق: تعتبر الطريقة التيجانية واحدة من الطرق الصوفية المتعددة فهي تعتمد على مرجعية دينية ممثلة في الامتداد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذلك فهي تستند إلى الكتاب والسنة كما جاء على لسان المبحوث كونها طريقة أحمدية، وما تنفرد به الطريقة التيجانية من خصوصية وامتياز تلك الأوراد التي أخذها الشيخ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشافهة، فاعتمادها على الكتاب والسنة أصل في الدين وواجب على المؤمن، أما الترقي الروحي هو ما يميز الطريقة التيجانية التي تعمد على وصل العبد بربه عن طريق الأوراد والوظيفة، وهذا هو جوهر التصوف ومبدأ تحقيق درجات الاحسان.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أهم أولوياتها الانفراد بها لازم لا تنتمي لطريقة أخرى وما تزورجش شيخ اخر.

التعليق: ان للطريقة التيجانية خصوصية تنفرد بها عن غيرها من أي طريقة أخرى، فهي تعتبر أن قدسية الشيخ الممثلة في طريقته لا تنتهج أي طريقة أخرى ولا تتبنى أي فكرة من مختلف الطرق الصوفية الأخرى، واجابة المبحوث لها دلالة مفادها تلك الخصوصية التي تؤكد أولوياتها المتعلقة بالتفرد بالطريقة دون غيرها، وقول المبحوث بعد زيارة شيوخ آخرين له بعد يكرس تلك الأولوية التي تستند اليها الطريقة التيجانية، وما زيارة الشيخ احمد التيجاني لشيوخ طرق مختلفة إلا لطلب العلم ونيل الرضى ولا منة لأحد من شيوخ الطرق على طريقته التي تمتد سندا إلى سيد الخلق.

10. على أي أساس بنى الشيخ المؤسس زاويته؟

الإجابة: على أساس التربية والعلم والأدب وتهذيب الأنفس الذي يتأتى تباعا بعد الإسلام والايمان وهي درجة سابقة لا تتأتى إلا من خلال المثابرة ومجاهدة النفس والصبر على نزوات الحياة.

التعليق: ان سبيل الطرق الصوفية هو التربية الروحية وتهذيب النفس والطريقة التيجانية واحدة من أهم الطرق الصوفية التي ارتكز أساسها على هذا النهج التربوي العميق، فهي طريقة ذكر وشكر، ومنه إجابة المبحوث حول الأساس الذي اعتمده الشيخ المؤسس فالتربية سبيل الشيخ لتحقيق مبادئ الطريقة فلا علم دون تربية، وعلم التزكية علم خاص بأهل العرفان لا يتأتى إلا بأدب مع الله ونيل درجات الاحسان بالشكر والحمد والذكر ومثابرة النفس على الصبر.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: إذا تكلمنا في هذا الموضوع بطريقة أكثر وضوحا فالجواب على قسمين مهمين يكمل أحدها الآخر فالأول مكانة شيخها المؤسس والثاني هو دورها الاجتماعي والثقافي والذي يمكن حصره أساسا في انفتاحها على الناس واعتمادها الشعبوية.

التعليق: تعتبر زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا في افريقيا ومقرا للخلافة ويرجع ذلك لكون عين ماضي مسقط رأس الشيخ المؤسس وامتداد لنسله وحاضنة طريقته، وما يميز الطريقة التيجانية انفتاحها على الناس ويسر تعاليمها وأسس مرتكزاتها وسبل مبادئها التي تستند إلى مرجعية الكتاب والسنة مما أهّلها إلى أن تصبح من أكبر الزوايا في المنطقة وما بعدها، واجابة المبحوث دليل على ما سبق ذكره حيث ذكر أن زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا وذلك يرجع إلى قسمين مهمين أولها مكانة الشيخ وقدسيته وكثرة محبيه ومريديه، وثانيا الدور الاجتماعي والثقافي الذي ساهمت به في عين ماضي، وهذا ما يؤكد على أن الطريقة التيجانية يبرز دورها أساسا في الوحدة الاجتماعية ونشر تعاليم القرآن والحديث الشريف، مما جعلها رمز المنطقة وحاضنة للطريقة وواحدة من أكبر الزوايا.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

الإجابة: تعزز ذلك بطريقة غير مباشرة من خلال النشاطات الدينية والاجتماعية والاهتمام بالمريدين في أحوالهم الاجتماعية ومراعاتها.

التعليق: تتجلى رمزية الطريقة التيجانية في دلالاتها الاجتماعية التي تحث على تحقيق مبدأ تنمية وتعزيز الروابط الاجتماعية وذلك من خلال الانتماء للطريقة، فالطريقة التيجانية لا تعمد إلى الدعوة بالانتماء للطريقة وانما يتأتى ذلك طوعا من المريد وذلك بعد رضى الوالدين وصفاء

السريرة، واجابة المبحوث لها بعد قيمي يكمن في تعزيز هذا الانتماء لدى المريدين من خلال النشاطات الدينية الممثلة في الذكر الجماعي والالتزام بصلاة الجماعة والجمعة، وأيضا من خلال النشاطات الاجتماعية الممثلة في روح التضامن والتعاون المادي والمعنوي، فهي تتعدى الروابط القرابية والاجتماعية مع تجاوزها لمفاهيم المكانة الاجتماعية فالكل سواسية في طريق الترقي وهذا يؤكد قيمة الانتماء لدى المريدين.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: يستوي في ذلك المتعلم وغيره فالمرجعية الأولى هي محبة الشيخ فهو واسطة لمحبة الله ورسوله فالهدف واحد وان تعددت السبل وهو ما يعزز الولاء للمريدين.

التعليق: يعتبر الولاء أحد أهم الركائز التي تدل على روح الانتماء والامتثال بمبادئ الطريقة التيجانية ولعل ذلك راجع إلى رمزية ومكانة الشيخ المؤسس، كما يدل الولاء على الرضى التام بالطريقة وهذا ما يؤكده المبحوث من خلال اجابته التي اشارت إلى محبة الشيخ واصطفاف جميع المريدين المتعلم منهم وغير المتعلم فالكل سواسية، مما جعل روح الولاء للشيخ الذي اختصه الله بالفضل والكرامات ونال حظ وافرا من العلم والأدب والزهد والورع، فهو رمزية دالة على انتماء المريدين للطريقة والولاء للشيخ ومحبته كأصل للطريقة.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: نعم تحقق ذلك وهو ما نراه في قيم المريدين فالطريقة أصلا هي تربية وتزكية ومعاملة لذلك الطريقة التيجانية تحقق قيمها الدينية لمريديها.

التعليق: تعتبر الطريقة التيجانية من أهم الطرق تأثيرا في المنطقة، ومرجوع ذلك إلى الأسس التي تنضوي عليها الطريقة من تعبد وتقرب إلى الله ومعاملة خلقه بالتواضع ودأب الصراع الاجتماعي، ونرى إجابة المبحوث في دلالتها القيمية كون الطريقة محور لتلقين المبادئ الدينية المبنية على ما جاء في كتاب الله وسنته، فالقيم الدينية دالة على الأسلوب الذي تنتهجه الطريقة لتحقيق التربية الخلقية التي هي أصل المعاملة بين العبد وربه وبين العبد والعبد، وهذا ما أرسى قواعد الطريقة التيجانية وجعلها مدد روحي وتربوي ممثل فيما جاء به شيخ الطريقة والشيخ المربي، والقيم الدينية رأسها التربية وعمودها المعاملة، وهذا الذي تؤكده الطريقة التيجانية لتحقيق القيم الدينية لدى المريدين.

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: قبل أن نتحدث عن القيم الدينية نشير إلى جوهر القيم لي هو الايمان فالإيمان مدخل لكل القيم الدينية كالصدق والأمانة والأخلاق والآداب.

التعليق: تسعى الطريقة التيجانية ممثلة بشيوخها المربيين إلى صقل جملة القيم الدينية المختلفة والالتزام بها كونها مرجعية دينية ذات بعد قيمي يرتبط بالامتداد الديني إلى رسول الله، واشارة المبحوث إلى أن الايمان جوهر القيم فمعناه أن الايمان يجمع كل القيم الدينية، فمثلا الصدق والأمانة اللذان يعتبران شرط أساسي لمريدي الطريقة التيجانية، وعلى ذكر ما جاء في شروط الانتماء للطريقة رد الحقوق لأهلها وهذا تأكيد لصدق النية والأمانة مع النفس ومع الله ومع الخلق، وهذه الدلالة التربوية تشير إلى جوهر القيم الدينية، وأما قوله الأخلاق والآداب فمعناه أن التزام المريدين بحسن الأدب والتحلي بأخلاق وصفات المسلم المؤمن لنيل مرضات الله ورضى والديه وشيخه المربي، فهذه القيم الدينية يسعى شيوخ الطريقة لغرسها وصقلها لمريديها.

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

الإجابة: ايه باينة هاذي في ادبيات الطريقة لأن التربية الروحية هي تزكية النفس وتنقيتها من الرذائل فالشيخ سيدي حمد التيجاني ركز على التربية الروحية.

التعليق: ان التصوف هو علم التزكية والتربية وهو مسلك ونهج الطرق الصوفية المختلفة باختلاف أنماط تربيتها، والطريقة التيجانية ممثلة في رمزها الشيخ المؤسس تسعى إلى التربية الروحية والوصول إلى درجة الاحسان بالمجاهدة والرياضة الروحية، إضافة إلى خاصيتها كونها تعمد إلى ذلك التصوف العملي الذي يتجلى في المعاملة والأدب، ويشير المبحوث إلى أن الطريقة تعمد على تعزيز التربية الروحية باعتبارها تنقية للنفس من الرذائل ويعتبر أن الشيخ المؤسس بنى طريقته على جوهر التصوف الممثل في الاحسان، وهو درجة سابقة بعد الإسلام والايمان.

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: يسعى الشيوخ إلى تعليم القرآن وعلومه والحديث الشريف وبعض متون الفقه والسيرة النبوية.

التعليق: يتضح أن من مهام المنوطة بمشايخ الطريقة التيجانية هي ذلك الجانب العلمي القاعدي والمتمثل في تلقين علوم الدين وعلى رأسها علوم القرآن من خلال الكتاتيب إضافة إلى تلقين الناشئة الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية العطرة كملحق مكمل لعلوم الدين، وهو ما دأبت عليه الزاوية كامتداد لسير مؤسسيها الذين نبغوا في علوم الدين، وسيدي احمد التيجاني بذل في سبيل ذلك العمر كله ترحالا في طلبه من مسقط رأسه إلى تلمسان إلى المغرب، حيث أسس زاويته التي كانت رباطا للعلم إضافة لالتحاقه بعلماء أجلاء في علوم الدين والتصوف ابان رحلاته لبيت

الله الحرام عبورا بتونس ومصر حيث أخذ عنهم صروف العلوم المختلفة، وهذا ما يوافق ما أدلى به المبحوث اذ يسعى شيوخ الزاوية إلى تكريس الجهود في تلقين العلوم الدينية سابقة الذكر وخاصة لدى الناشئة.

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: للذكر موقع محوري هام وأساسي في تجسيد القيم الدينية المختلفة.

التعليق: للذكر أهمية في أدبيات السادة الصوفية التيجانية وقد جاء في أثرهم اختصار نهجهم التربوي الصوفي في مفهوم (السُبْحَة واللُوَيْحَة) وهو ما يؤشر إلى ترسيخ أساس الطريقة الممثل في الذكر، فرمزية في الموروث الثقافي الطرقي تحدد عدد الأذكار وكثيرا ما تشير إلى النهج الطرقي الذي يتبعه حاملها، أما رمزية اللويحة في العرف التقليدي لساكنة المنطقة فيوحي إلى ذلك البعد الديني المتجذر لا شعوريا لدى المريدين والمحبين والناشئة من مرتادي الكتاتيب فالقرآن ذكر حكيم في لوح محفوظ فاللويحة تشير إلى ذلك الركن المادي في تعلم القرآن وتكراره كتابة ومشافهة وانسجامه مع المعطى البيئي في أدوات كتابته كالوذحة (صوف الغنم في صنع حبر الكتابة على اللوح) والصلصال (نوع من التربة يستخرج من الأرض لمحو الكتابة على اللوحة)، وهو ما يوحي إلى تمثل البركة والطهارة في الغنم اذ تجوز شرعا الصلاة في مرابطها، وهذا يؤكد إجابة المبحوث على أهمية الذكر وموقعه في فقه الطريقة التيجانية لتجسيد القيم الدينية.

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: ان للشيخ مكانة مهمة في تأسيس الطرقية إذ تنسب الطريقة التيجانية امتداد لمؤسسها الشيخ أحمد التيجاني ولما كان نهجها تربوي فلا بدَّ وأن يؤخذ هذا النهج من سير مشايخها وملازمة خلفائه من بعده اذ لا بدّ من تحقق شرط ملازمة المريد لشيخه العارف لبلوغ مرامي الاحسان والتزامه يعني أخذ العلم عنه تلقينا وقدوة وبخاصة إذا تمت الإشارة إلى ذلك البعد السوسيوثقافي لخاصية الطريقة التيجانية التي تعمد إلى روح الجماعة، ذكرا وطقوسا وخاصيتها الشعبوية، اذ يتم تلقين الضروري من علم الترقي بالتعلم بالقدوة فالشيخ في أدبيات الطريقة التيجانية هو شيخ تعب ونال بمعنى أنه بحث عن المنهج التربوي الصوفي متنقلا بين مشايخ طرق أخرى وهو ما صقل فكره الصوفي وتأثره بمن احتك منهم من المشايخ قدوة في بلوغ درجة الاحسان إلا أنه وبالفتح العظيم في بوسمغون أسس اركان طريقته كنهج سهل ممتنع بمعنى أن لا منّة لأحد في الأخذ منه فقدوته وولي نعمته النبي صلى الله عليه وسلم وصورة الشيخ المؤسس في المخيال الطرقي التيجاني هي محاكاة لامتثال القدوة في النبي صلى الله عليه وسلم أخلاقا وعملا.

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: نعم تجسدت.

التعليق: إن الطرقية جزء لا يتجزأ من التراث الإسلامي الصوفي عامة، وخاصية الطريقة التيجانية في بلوغ درجات العرفان هي غرس الضروري من الدين في نفوس مرامي الواصلين فمن شروط الدخول للطريقة رد الحقوق لأهلها وهي قيمة دينية تمثل مقصد مهم من مقاصد الشريعة لحفظ المال ورفع الظلم، وأيضا من ضمن شروطها رضى الولادين وهو يجسد قيمة دينية ممثلا في طاعة وبر الوالدين، فهذه القيم الدينية تتجسد واقعا لدى المريدين وهو ما يؤكده المبحوث في جوابه.

المحور الرابع:

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: نعم هي من صميم نشاط الزاوية في الظروف الاعتيادية وبخاصة خلال المواسم الدينية والاجتماعية، إذ يتم الاحتفال بها وفق نمطية تجسد قيم اجتماعية اصيلة في الدين عامة والطريقة خاصة كالتعاون والتشاور والتزاور.

التعليق: على ضوء ما صرح به المبحوث فالزاوية أُسست كركن مادي فيزيقي لإيواء عابر السبيل والمحتاج فهي مؤسسة اجتماعية تؤطرها مجموع قيم مستمدة من الشريعة الغراء والعرف المجتمعي وباقي المتغيرات الاجتماعية، فمثلا وعبر تاريخها عملت على اطعام الساكنة أيام القحط والمجاعات والأزمات، وكذا دورها في تنظيم نسقية المجتمع كآلية للتضامن الضمني داخل المجتمع وهو تأكيد لما سبق من إجابة المبحوث، وكذلك قيم التعاون على الخير المختلفة، والتزاور بين الاحباب والمريدين ونسج تلك العلاقات المجتمعية في وجهها العام الممثل في تدعيم وتقوية الروابط المجتمعية وهو ما يعتبر أولوية من أولويات الطريقة التيجانية.

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: هي تعمد إلى ذلك من خلال مبادئ التصوف فحب الخلق واجتناب العداوة والتماس سبل الألفة طريق إلى تحقيق كل أشكال التضامن الاجتماعي.

التعليق: ان تحقيق الألفة والتجانس بين أنساق ووحدات المجتمع الطرقي تتأتى من خلال التزام المريدين والمحبين بآداب الطريقة فتحقيق الألفة هو سبيل لتحقيق التضامن الاجتماعي، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وما تمثله الجماعة الطرقية ورأسها الروحي الممثل في الشيخ إلا شكلا من أشكال التضامن الاجتماعي، فكثيرا ما يتم معالجة قضايا اجتماعية بين المريدين بالمشورة وأخذ الرأي والاعانة المادية في حالات المرض وأمور الحياة الأخرى ولزوم الجماعة هو مساندة اجتماعية وتفقد أحوال بعضهم البعض وهذا مؤشر على أن الطريقة التيجانية تعمد على تحقيق التضامن الاجتماعي.

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: نعم تساعد في عملية الاندماج الاجتماعي بصورة آلية فالمريد يندمج في جماعته الطرقية اندماجا وجدانيا واجتماعيا من خلال العلاقات البينية بينه وبين المريدين من جهة والشيخ من جهة أخرى ومشاركته في الطقوس الدينية المختلفة.

التعليق: لعل ذلك الوسم الذي يشار به إلى الطرقية كمفهوم حداثي للتدين الشعبي يحيلنا إلى الإشارة إلى ذلك الاندماج الاجتماعي الطوعي، حيث ترسم الطريقة التيجانية خطوط الانتماء اليها في تشابكية بين مختلف أطياف المجتمع حيث يتكيف الكل مع هذا المعطى تحت راية الانصياع لطاعة الله والتذلل له والتقرب زلفى بالتواضع للخلق، فتذوب التراتبية الاجتماعية ويذوب معها التمايز الاجتماعي مما يحقق الاندماج البسيط بين المريدين داخل الحقل الديني الاجتماعي.

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: نعم تجسدت ذلك في الواقع.

التعليق: تجسد جزء مهم منها في الواقع المعاش فسبيل الترقي يتأتى من صلب أهمية المعاملة في الدين إذ تلعب آليات الضبط الذاتي القيمي للشخص المريد على المفاضلة بينها وما يواءم العرف الاجتماعي، فالدين لا يعاكس الفطرة السليمة فبذل العون والنصح من صميم الدين وهو من آليات استمرارية المجتمع وصحته، وعلى هذا نرى أن الطريقة التيجانية تبرز ذلك الدور الضمني داخل انساق المجتمع للحفاظ عليه وتعزيز مبادئه وقيمه الشتى ومضمون ما تحمله من قيم اجتماعية أخرى وهذا ما نراه من خلال إجابة المبحوث في تجسد تلك القيم في الواقع.

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: لعل أهم أهداف الطريقة التيجانية هي ربط اللحمة المجتمعية والرابط الاجتماعي ضروري وهام في صقل البنية المجتمعية والطريقة التيجانية كجماعة دينية تحمل في ثناياها قيم تؤسس لتقوية الرابط الاجتماعي فمثلا تقوية رابط القرابة من خلال الحث على صلة الرحم وقيم الأخوة في الله.

التعليق: من خلال ما جاء على ضوء إجابة المبحوث حول آليات تنمية الرابط الاجتماعي فإننا نستشف ذلك الدور الممنهج والأصيل في ادبيات الطريقة التيجانية في الحفاظ على الرابط الاجتماعي بدءً من علاقات القرابة الدموية من خلال ما يصطلح عليه مفهوم الأبوة وتكريسها بالقداسة وربطها برضى الله إلى امتداده في ذلك النمط الأفقي إلى مفهوم العائلة الممتدة، إضافة إلى ذلك الرابط الخاص بواجب الأخوة في الطريقة وتمثل الدور الأبوي للشيخ المربي وواجب

الطاعة وإشاعة سبل احترام وتوقير الكبير والصغير امتدادا إلى مفهومها المتأصل في أخوة الدين إلى أخوة الخلق وهو ما مكّن لها من تأصيل ذلك الرابط الاجتماعي المتين الذي يستند إلى الاعتصام بحبل الله.

تقييم الحالة الثانية:

من خلال عرض إجابات المبحوث وفق محاور المقابلة تبين لنا جملة تقييمات حيث نستعرض إجابات المحور الأول المتعلقة بالفرضية الأولى **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم** ومن جملة ما جاء في إجابات المبحوث له دلالات عمق التجربة الصوفية وأصالة الولاء للطريقة وأولها الارتباط بالشيخ المؤسس كرمزية للتصوف المبني على خدمة الخلق وهو ما يسر سبل انتشارها وفق أقاليم تاريخية وجغرافية في بقاع العالم بدء من مركز اشعاعها الأول ودوائر احتكاكها الأقرب ممثلة في افريقيا ويوعز ذلك إلى مؤشر مهم هو من اولويات الطريقة وهو يسر مبدئها واعتنائها بمفهوم الجماعة دينيا واجتماعيا وسهولة استقطاب مريديها واتباعها كما أنّها تنطلق في شرط انتمائها من حسن اسلام الفرد فهي تركز على كتاب الله وسنته فأذكارها وأورادها هي شكر وحمد وهيللة وصلاة على المصطفى واستحضار لأخلاقه وسيرته مع استئثارها بطريقة الشيخ دون غيره كأولوية في الانتماء لها دون غيرها مع واجب احترام الطرق الأخرى ومرد ذلك على امتدادها مدداً إلى سيد الخلق وأهم أسس زاويته هو السبيل والطريق التربوي الروحي فدرجة الاحسان درجة سابقة بعد حسن اسلام الفرد لا تأتي إلا بملازمة الأدب حالاً وأحوالاً مع الشيخ المربي وأدب مع الله ومراعات في السر والعلن فمقام التزكية خاص باهل العرفان وفضل يمن به الله على من يشاء من عباده ولزاوية عين ماضي مكانة مرموقة اذ تعتبر من أكبر الزوايا ومرد ذلك لأمرين متلازمين متكاملين أولهما مكانة مؤسسها والثاني دورها

الاجتماعي والثقافي وانفتاحها على الناس وهو ما عزز الانتماء لديها بطريقة غير مباشرة من خلال مجمل النشاطات الدينية والاجتماعية واهتمامها بأحوال مريديها ومن نتائج تعزيز الانتماء هو تحقق نوع من الولاء الذي يستمد أساسه الأول من التزام المريد بمرجعيات الطريقة وأولها محبة الشيخ.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية التي تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين،** فالتربية الطرقية في النهج التيجاني أمر محقق فهي نهج تربية وتزكية وصقل لأصول المعاملة الحسنة ولعل أول الأمر غرس قيم ايمانية لأن الايمان مدخل لكل الفضائل الدينية الأخرى كالصدق والأمانة ومجمل الخلق والأدب فالطريق التيجاني هو طريق لابتغاء سبيل الاحسان فمريد الطريقة التيجانية هو طالب للتزكية الروحية وهو نهج السليل الأول لمشايخ الطريق وصولا لسيدي أحمد التيجاني وأول الطريق هو اجتهاد الشيخ المربي في تعليم علوم القرآن والحديث والفقه والسيرة النبوية كقاعدة أولية لبلوغ درجات الاحسان والترقي فيها ولعل الذكر يشغل حيزا مهم في الدائرة القيمية الدينية المختلفة لدوره في تعميق الايمان وتنقية الأنفس وترويضها ونظرا لمكانة الشيخ المحورية في أدبيات النهج الصوفي عامة والطريقة التيجانية خاصة لدوره كقدوة تربوية فاعلة في ترسيخ القيم الدينية وخاصة أن الشيخ المؤسس سيدي أحمد التيجاني تنقل بين مشايخ طرق شتى بحثا عن ضالته فأخذ منها ما يحتذى به إلى أن خصه الله بطريقته الخاصة به بخاصية سندها ومددها إلى القدوة الأصل سيد الخلق محمد صلى الله عليه ومن منطلق الخاصية السوسيوثقافية للطريقة التيجانية واعتمادها الخلوة دون الجلوة وخوض المعاش الاجتماعي تتجسد هذه القيم واقعا

ملموسا في التقاطعات الدينية والاجتماعية بين التزام أوامر الله واجتناب نواهيه وتعظيم مكانة الانسان وحفظ حقوقه وتكريمه حسنا في المعشر وردا للحقوق ورعاية روحية ونفسية.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثالث المتعلق بالفرضية الثالثة التي تشير إلى أن **للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها**، تعتبر القيم الاجتماعية من صميم أولويات الزاوية وتتمظهر هذه القيم فعلا اجتماعيا من خلال المعاش اليومي وخلال المناسبات الدينية والاجتماعية وفق نمطية متكررة تؤشر لأصالتها في الدين عامة والطريقة خاصة كالتشاور والتزاور والتعاون وكل هذا وما على شاكلته يحيل إلى اعتناء الطريقة كبير العناية في التضامن الاجتماعي من خلال مبادئ التصوف كإشاعة المحبة والتماس أسباب الألفة في شكل اندماج اجتماعي وبطريقة آلية للمريد السالك في الطريق فهو يندمج وجدانيا في علاقته البينية مع أقرانه من المريدين من جهة وقيامه بالطقوس الدينية والاجتماعية في عموم الحقل الاجتماعي وهو يستدرك تحققها وتجسدها واقعاً من خلال التزام المريد آلية الضبط القيمي الذاتي من خلال استمداد الموجه الديني والبعد الصوفي في مراقبة الله واستحضاره حال نفسه وحال جميع خلقه وتوخي أسباب ربط اللحمة المجتمعية وتنمية الروابط الاجتماعية ومد جسور صلة الرحم وقيم الأخوة بأعمق معانيها الإنسانية.

الحالة رقم (03):

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس: ذكر.**
2. **السن: 29.**

3. المستوى التعليمي: ثانوي.

4. الحالة العائلية: أعزب.

5. مدة الالتحاق بالطريقة: منذ 11 سنة.

المحور الثاني:

6. كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟

الإجابة: شخصية قوية وشيخ مربي جمع بين العلم والعمل.

التعليق: ان لمركزية الشيخ في النهج الصوفي أهمية بالغة اذ يعد رمز للقدسية وأصلا لها فهو في المخيال الطرقي الديني انعكاس لحركة الدين بين المقدس والمدنس وهذا ما جاء في جواب المبحوث الذي أشار اليه بلغة رمزية تدل على تلك القوة والقدسية للشيخ سيدي احمد التيجاني كمربي جمع بين العلم والعمل فهو ذلك العالم ارباني الذي جمع بين علوم الشريعة والحقيقة وهذه الأخيرة هي محور التمثلات القدسية في العلم اللادني الذي يختص به الله الصفوة من خلقه ويطلعهم على أسرارهم النورانية.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الإجابة: سر انتشارها على حساب رايي وبتحفظ هو سهولتها ومتاحة لكل طبقات المجتمع باختلاف أعمارهم وجنسهم شرط النية.

التعليق: ان الملاحظ في انتشار الطريقة التيجانية في أصقاع العالم عامة وافريقيا خاصة وتوسع حاضنتها الاجتماعية المتنوعة جغرافيا وعرقيا لم يأتي من فراغ وهو ما جاء على لسان المبحوث الذي أشار إلى أهم سبب وهو يسرها بمعنى يسر اذكارها وأورادها، فهي لا تتقصى التكلف ناهيك

عن اشتراطها الصلاح كشرط أساسي كالدخول في جماعتها وهو ما سهّل انتشارها بين الناس فهي لا تتحرى النخبوية والخلوة في أذكارها وهي بسيطة وتؤدى جماعات مما ساعد على انتشارها بدون دعوة لذلك، لأن دائرتها دائرة فضلية يختص الله بها من يشاء دون ترغيب ولا دعاية لأحد من الخلق.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أهم مرتكزاتها هي حب النبي صلى الله عليه وسلم باعتباره سندا أصيلا للطريقة.

التعليق: ان للطريقة الصوفية مبادئ وشروط يلتزم بها مريديها وقائميها وتختلف باختلاف المنهج التربوي الذي يؤسسه الشيخ الأول للطريقة، إلا أن القاسم المشترك بين هذه الطرق هو غاية الوصول لمحبة الله ورسوله فمعرفة الله متعددة بعدد أنفاس الخلق، وعليه جاء في جواب المبحوث في إشارة إلى مركز الطريقة التيجانية وهو النبي كاقتداء لذلك البعد القدسي بين السماء والأرض ورمزيته الدينية والخلقية في دماثة أخلاقه كانسان قبل أن يشرفه الله بالوحي والاصطفاء وعليه فالتشابك الرمزي بين الشيخ كمربي والرسول كنبي وذلك الأثر في تقفي الخلق المستمد من نور الحق فعلى أثر كل نبي ولي.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أولوياتها التزام الأذكار خطراكش تعتبر عبادة وربط العبد بخالقه والتزامها جماعة هو دليل على تنمية معنى الاعتصام بحبل الله وروح الجماعة.

التعليق: ان الطريقة التيجانية كغيرها من الطرق الأخرى التي ترمي إلى تهذيب النفس فان أولوياتها تندرج تحت مصطلح التربية والتي تأتي وفق شروطها العامة المتعلقة بشروط الانتماء

وكذا شروطها الخاصة بها التي تتحور أساسا في الآداب الخاصة بالمريد وبما أن محوريتها هي احدى أولوياتها فان الذكر كسبيل للتعبد وتزكية الأنفس وتطهيرها بغية الوصول لسنام الدين الممثل في الاحسان، وهذا ما أكدته إجابة المبحوث بلسان الحال تصريحا وتضمينا فالذكر أهمية بالغة في فقه الطريقة التيجانية لعموم مريديها وعليه اتسم بالبساطة واليسر فهو هيللة وصلاة على سيد الخلق بأي صيغة كانت ويستمد هذه القيمة والرمزية من المدد السماوي لاتصاله بالنص القرآني المنزّل وحيا كقوله تعالى "واذكروا الله قيّاما وقعودا وعلى جنوبكم لعلكم تفلحون"، وكذا الفلسفة الصوفية في فهمها العميق لمفهوم الذكر إذ يتعدى الذكر باللسان إلى الذكر بالقلب.

10. على أي أساس بنى الشيخ زاويته؟

الإجابة: لازم نفرقو بين مفهومين على حساب معريفتي بالطريقة كأسلوب تربوي مبني على الاحسان وتهذيب النفس وبين الزاوية كبناء مادي لها أبعاد اجتماعية وثقافية عبر تاريخها خطراكش هي محل للعابرين ولي يدو البركة والشفاء وكفالة اليتيم وبالتالي دورها اجتماعي حر.

التعليق: ان التصوف الطرقي في بلاد المغرب العربي خاصة له سمة التصوف العملي الذي يجمع بين علم التصوف النظري والعملي المنتظم في مجموع القيم الاجتماعية والأخلاقية وهو ما أوكل للزاوية لما لها من دور فعّال في الحاضنة الاجتماعية على جميع الأصعدة التربوية والتعليمية والتضامنية وهو ما يشاطره المبحوث إجابة في مفهومين أساسيين يؤصلان لمفهوم الزاوية والطريقة أي أن الشيخ بيّن طريقته كمنهج تربوي له خصوصية وانفراده سندا وذكرا وكذا انتشار الزوايا التي تحقق الجانب العملي للتصوف كمؤسسة فاعلة وحاضنة للمجتمع عامة ناهيك عن المريدين والمحبين وهو أساس الطريقة التيجانية في نهجها للتصوف والاخذ به دون تقشف بل تحث على الخوض في الحياة الاجتماعية التي تعتبر المحك الأصيل في ثبات النفس على الحق

والصبر عن الأذى وتحقيق المبدأ العميق للذكر من خلال تذاكر وتفكر قدرة الله وتفقد أحوال الرعية وحثهم على سبل المحبة والمرحمة والتزود بالصبر واليقين ففي أدبيات السادة الصوفية التيجانيين ان جوهر العبادة هو عبادة الله من حيث يرضى لا من حيث ترضى.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: لعدة أسباب منها ما يلحق مباشرة بمكانة سيدي احمد التيجاني والدور نتاعو في الوسطية والاعتدال وثاني الدور الاجتماعي والثقافي ونقصدو بيه نشر وحفظ القيم الإسلامية الأصيلة المختلفة.

التعليق: تعتبر زاوية عين ماضي مقرا للتيجانيين بها إقامة الخليفة العام للطريقة في عموم العالم التي تعتبر محجا للمريدين والمحبين من داخل الوطن وخارجه لاعتبارات عديدة جاءت على لسان المستجوب اذ جاء في افادته كمؤثر أول مكانة الشيخ سيدي احمد التيجاني ورمزيته العلمية والاصلاحية واتصاله مولدا بالمنطقة كرمزية للبركة فمسقط رأسه بعين ماضي أصبح محجا للمريدين والمحبين إضافة للباحثين في الحقل الديني والتاريخي فالقصر الكبير بعين ماضي يجمع بين الامتداد الأفقي والعمودي لرابطة الدم القرابية للشيخ فهي حاضنته الأولى من جهة أبيه وأجداده ومن جهة أمه التي تنتمي إلى قبيلة بنو توجين 'التجاجنة' أول من عرفوا نمط التمدن بالمنطقة وأسسوا القصر كرمزية حضارية في قلب الصحراء إضافة لتمثلات ثقافية واجتماعية في فن التعايش المشترك بين مختلف المكونات العشائرية وذوبان كل أشكال التباين و تجلي البعد الديني الطرقي في صهر هذا المكون الاجتماعي في كنف التدين الشعبي الذي يشيع الحفاظ على العادات والتقاليد والأعراف وكذا الحفاظ على نمط تعليمي أساسي للناشئة ومتمثل في تعليم القرآن وايلائه أهمية بالغة، اذ تنتشر الكتاتيب في القصر وخارجه في البدو.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

الإجابة: نعم تعززها كثيرا خطراكش لها رابطة اخوية روحية مددا للشيخ سيدي احمد والرسول خير البشر لذلك هي انتماء للنهج المحمدي ويطلق عليها مرات الطريقة الأحمدية.

التعليق: ان الانتماء قيمة ضرورية في تجسيد الالتزام بالطريق التربوي الصوفي والذي يكون فيه التوافق بين الطريقة ومبادئ المنتمي لها، اذ يعد الانتماء محرك أساسي في عملية التفاعل بين المريد والنظام الوظيفي للطريقة الذي يحدد الأدوار المناط بها كل من المريد والشيخ والأدوار الهامشية التي تدخل ضمن المعاش اليومي للمريد فالانتماء لا بد وأن يكون ظاهرا من خلال الالتزام بشروط الطريقة والتفاني في تقمصها على المستوى الفردي والجماعي وهو في علاقة تبادلية حيث تبذل الزاوية مسببات تعزيز هذا الانتماء وفق مجموعة من الشروط والآداب المتعلقة بفقه الطريقة التيجانية وهو ما أشار اليه المبحوث في دلالات مختصرة اقتصرت على الرابطة الأخوية الروحية ممثلة في الشيخ التيجاني وامتدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: على حساب تجريبتي الشخصية ومكوثي مع الاخوة التيجانيين ولاني مريد شفت أسباب ياسر دلت على انو محبة الشيخ تحفظ ولاء المريدين لانو يمشي كيما قال سيدنا النبي ومحبتو فهذه المكانة للشيخ في قلوب المريدين والمحبين تعزز الولاء التاااااام للطريقة التيجانية.

التعليق: ان المريد في يد شيخه كالميت في يد مغسله هذا ما جاء في مرجعيات الطريقة التيجانية اذ لا بدّ من طاعته والصدق معه في المحبة وتطهير النفس تجاه من أي شبهة أو ريب أو شك هذا بالنسبة للشيخ المربي (الخليفة)، اذ لا بدّ من الصبر معه أدبا وتواضعا لأنه ممثلا لسلسة الولاية

الممتدة للشيخ المؤسس الذي يعتبر مصدرها الأول، وبالتالي الالتزام بمرجعيات الطريقة من آداب عامة وتوقير مكانة الشيوخ ودور الطريقة اجتماعيا دينيا ثقافيا تربويا يعزز الولاء لمريدي الطريقة التيجانية وهذا ما أشار اليه المبحوث من خلال اجابته.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: نعم تحقق قيم دينية عميقة خطراكش هي ديما تحوس على القيم هاذي لانها جوهر المعاملات بين العباد لانو الدين معاملة.

التعليق: ان التربية الطرقية هي نهج نبوي في غرس قيم دينية أصيلة ومتأصلة وأهمها الصدق والأمانة وطاعة الله وامتثال أوامره والحب في الله وإخلاص النية وتوحيد الربوبية وعلى ضوء ما جاء في إجابة المبحوث هو أن القيم الايمانية ومعرفة الضروري من الدين كأركان تؤشر لطريق المسلم معتقدا وتعظيما لشعائر هي خطوة سابقة للوصول إلى الدائرة الفضلية الممثلة في الطريق الصوفي واستحضار الذات الإلهية في السكنات والحركات فمن شروط المريد المتلقي في الطريق الصوفي التيجاني طاعة الوالدين وبرهما والأخذ بإذنهم ورد المظالم وثبوت الصلاح ومواظبة الصلوات وطاعة الشيخ المربي لأنه تمثل لصورة الأصل المؤسس سيدي أحمد التيجاني وامتدادا للنبي صلى الله عليه وسلم والصلاة عليه حق قدره ومقداره العظيم والتقفي في أثر خلقه لأن خلقه القرآن.

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: يركز شيوخنا الاكارم على النية والإخلاص في العمل فلا تطلب الدنيا بعمل الآخرة والابتعاد عن مرض القلوب من حسد وحقد في أمور الدنيا وكف الجوارح عن الآثام وترك أمور الخلق لخالقهم وتدريب اللسان بالذكر لأنو كل كلام بنو ادم عليه الا من ذكر الله.

التعليق: يسعى شيوخ الزاوية في غرس جملة من القيم الدينية تشكل دور فعال لمركزية الطريقة التيجانية التي تحمل الرسالة العميقة لأساس الدين وتجاهد في نقله للمريدين تلقينا ومتابعة واشارة بالنصح والتوجيه وعلى سبر ما تكلم به المبحوث فان مشايخ الزاوية يركزون على أساس العمل الممثل في النية والصدق والإخلاص وهم مدخل كل عمل وعبادة يقوم بها الفرد والتي يحصل بها القبول فلا عبادة دون نية، ويركز الشيوخ على محو الحقد والحسد من النفوس وترك الآثام من الأعمال فالمؤمن كيس فطن يرضي ربه بما أمره به من أوامر وترك النواهي فهذه القيم الدينية من خلال المبحوث يسعى شيوخ الطريقة إلى تكريسها.

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

الإجابة: نعم تعزز جوهر التصوف من خلال الايمان بالله وكتبه ورسله وترسيخ مبدأ الاحسان من خلال مراقبة النفس فهي ذات أهمية بالغة في النهج التربوي التيجاني وعدم الإغترار بالعمل لأن واجب المترقي في درجات الاحسان هي الشكر والثناء على سيد الخلق وعليه سميت بالطريقة ابراهيمية وأحمدية.

التعليق: التصوف هو طريق الوصول للحضرة الإلهية وهي مرتبة مخصوصة بأهل العرفان الذين حظهم الله بعلم الباطن الذي يتجاوز حدود المحسوس إلا أن الاخذ به كمسلمة صعبة المنال على المترقي في النهج الصوفي لما لها من دلالات رمزية وما نلحظ في تاريخ التصوف عبر العصور

من هذا اللغط والصراع الفكري إلا لمثل هكذا اعتبارات الا أن الطريقة التيجانية وخاصيتها العملية في الحقل الطرقي تستند إلى جانب المعاملات البينية بين المريد ودائرته الحقلية مع اخوانه المريدين وامتداده إلى دوائر الحقل الاجتماعي فالطريقة تنشد الوصول لدرجة الاحسان دون تقشف وزهد وعزلة بل على العكس اذ تحث على الاختلاط بالناس فأصل الانسان شرعا الاستخلاف في الأرض وعمارتها بفعل الخيرات فأساس الدين المعاملة وحسن الخلق، فرياضتها الروحية جلوة لا خلوة.

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: نذكر منها العقيدة وتعاليم الدين ومراتبه والصلاة واركانها ومن ثم التزكية الروحية التي تعتبر غاية الغايات وهي معرفة الله حق قدره ومقداره العظيم.

التعليق: ان الحقل الطرقي هو جزء من التراث الإسلامي يمتد إلى القرن الثالث الهجري وعليه فان امتداده تاريخيا من عمق فكر الإسلام كظاهرة دينية وانتشارها وفق حركية الفتوحات مكنت من احداث ذلك التنوع في الطرق حسب الأقاليم الجغرافية والثقافية وهو ما يفند قول المستشرقين أن التصوف نبتة غريبة في صحراء الإسلام وامتداد الانتشار الثقافي للإسلام كعقيدة عالمة بالوحدانية والتزامها واحترام التنوع الثقافي في نص القرآن في مفهوم اختلاف الألوان والألسن ظهر التصوف المغاربي في قالبه الطرقي العملي بعيدا عنه في المشرق العربي كبعد فلسفي بعيد المنال عن العامة من الناس وبناء على هذا الطرح واستنادا على إجابة المبحوث والتي جاء في أهم أطرها الطرحية هي تلك المرتكزات العقائدية الايمانية فالإيمان مكمنه القلب وصدقه العمل هذا العمل الذي لا بدّ وأن يمر عبر امتثال أوامر الشرع والتزام أركانها من وحدانية واقام صلاة وايتاء زكاة وصوم فهذه المرتكزات جامعة لعموم المسلمين فالمريد الطرقي بارتكازه على هذه

الأخيرة يؤهله للدخول طوعا ودون دعاية من أحد لدخول الدائرة الفضلية لأجل الترقي الصوفي كمعرفة خاصة خص الله بها ذوي الفضل من أوليائه وصلحائه.

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: للذكر شأن عظيم فطريق الله بعد التزام أوامره واجتناب نواهيه انما يكون بملازمة الذكر حالا ومآلا والقيام على آدابه بحضور القلب فهو تفكر في قدرة الله وشكر لنعمائه.

التعليق: ان للذكر في النص الديني القرآن والسنة شأن عظيم فهو مفاز وطمأنينة لصاحبه وما جاء على لسان المبحوث يؤكد ذلك كون الذكر شأن عظيم في النهج الطرقي التيجاني فحددت له ضوابط عددية وشروط للطهارة الجسمية والمكانية وأركان وأماكن مخصوصة كأداء الوظيفة بعد عصر يوم الجمعة وأذكار الصباح والمساء وبصيغ متعددة وصيغ أخرى كالهيللة والكلمة المشرفة لا اله الا الله التي تعبر عن جوهر العبودية والاقرار بالوحدانية فلأجلها خلق الله الكون وبعث الأنبياء والرسل والحث على ادائها جمعا بعد الصلوات المفروضة وفي أشكال وطقوس معينة تحيل إلى ذلك التمثل الرمزي في وحدة الجماعة الإسلامية واضمحلال التمايز الاجتماعي اذ الكل عبيد لله وحده فالذكر هو استحضار لقدسية الخالق وشرف للقرب من مصطفاه ذكرا بالصلاة والثناء عليه وهو انكسار للنفس وترويضا لها على الخنوع والشكر الدائم لله على كل أمره إضافة إلى ذلك الدور السوسيوثقافي الذي يربط الجماعة الطرقية في شكل دائرة (حضرة) تؤكد مبدأ المساواة مع ظهور تمثلات رمزية أخرى كبسط الرداء الأبيض وسط الحضرة كدليل على النقاء والطهارة لأن لسان الحال والقلب في مصب دائرة الذكر يستحضر محبة الخالق ونبيه واوليائه وعليه تظهر هذه الجماعة بتمثيلاتها الرمزية والطقوسية كرمز لقوة الجماعة في الفقه الإسلامي عامة والطرقي خاصة فهي ضابط قيمي للفرد.

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: هي أصل التربية الروحية فعلى المريد العناية التامة بصحبة الأخيار ومجالسة الصالحين الأبرار وطلب الشيخ العارف الناصح والاقتداء به قولا وفعلا لأن التأدب بآدابه والامتثال لأوامره واجتناب نواهيه يحقق له ميراث سره.

التعليق: ان الطريقة تستمد أصلها الأول من مؤسسها وامتثال نهجه هو اقتداء بمثله التربوية الواصلة سندا إلى سيد الخلق وعليه جاء وجوب اتباع الشيخ والبحث عنه ولزوم الطاعات، وهذا ما جاء في صدد افادة المبحوث حول أهمية العناية بصحبة الشيخ الموصل والعارف ومجالسته والاشارة اليه بالنصح في أمور الدين والدنيا والصدق معه حال اللسان والقلب لأنه يحمل ميراث الشيخ المؤسس الذي يحمل بدوره ميراث الأنبياء والصلحاء في علم الباطن.

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: نعم تجسد الكثير منها ومنها لزوم الصلوات المفروضة جماعة وحفظ حدود الله في السر والعلن وحفظ اللسان الا من ذكر.

التعليق: بما أن التصوف المغاربي عامة والطريقة التيجانية خاصة تعمد إلى النهج الطرقي العملي الذي يستند إلى وضع السلم القيمي على محك الواقع فعلا اجتماعيا دينيا من خلال المعاملات فالملاحظ قسرا على ما جاء على لسان المبحوث أن الكثير منه تحقق ومنه لزوم الصلوات جماعة والحفاظ عليها وحفظ الحدود وخاصة المقاصدية منها المال والنفس والعرض فمثلا من شروط صحة قبول المريد في الطريقة رد المظالم والحقوق لأهلها وحفظ اللسان الا من ذكر وحسن التوكل

على الله وحده وعدم السخط والرضى بما في اليد وصلة الرحم وفضلها عند الله ومحمودها عند الخلق وإشاعة مفاهيم الطهارة القلبية بالذكر إضافة إلى الطهارة الحسية كطهارة البدن والمكان وخاصة عند ابتذال المخصوص من الذكر.

المحور الرابع:

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: ان هدف الطريقة التيجانية هو هدف تربوي وتحت طائلة هذا العنوان يأتي الجانب القيمي والاجتماعي كنتيجة وتحصيل حاصل لهذه التربية وفق نهج الطريقة الداعية إلى ضرورة الاختلاط بالعامة وتجنب الخلوة فهي أولوية لكونها ترجمان للقيم الروحية واقعا على الأرض.

التعليق: ان التربية الطرقية هي نهج نبوي في غرس قيم اجتماعية أصيلة بل وتعتبر من أولوياتها ان الطرقية في المغرب الإسلامي ممثلة في مؤسسة الزاوية عرفت دورا بارزا على المستوى الاجتماعي والثقافي المنحصر في الجزء التربوي منه، في الحفاظ على الهوية الإسلامية ووحدة النسيج الاجتماعي عبرا محطات التاريخ و خط للتثاقف بين الأقاليم الجغرافية وخاصة في وجه الاستعمار الذي يحمل مشروع ثقافي يهدد الخصوصية الاجتماعية للمجتمعات التقليدية ذات الثقافة المتأصلة عبر جغرافيتها وأقاليم الحاضنة الاجتماعية للطريقة التيجانية واستطرادا مما جاء في إجابة المبحوث في تحقيق التربية الطرقية لتلك القيم الاجتماعية وارتباطها بجانب المعاملات يحمل بعدا اجتماعيا قيميا متجذر في قيم التعاون والتآخي ومعاملة خلق الله كما وجب في شرعه، فطريق تحقيق الطريقة التيجانية للقيم الاجتماعية يمر من هذه الأساسيات.

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: هو تضامن آلي يتأتى من منطلق العلاقة الروحية بين الخالق والمخلوق فتعظيمه وشكره لا يتأتى بالذكر فقط وانما بأوجه البر كافة تجاه الخلائق وتراحم وصلة رحم.

التعليق: ان تاريخ الطريقة التيجانية ومن خلال انتشار زواياها التي أنشأت ذات طابع اجتماعي اذ لعبت دورا هاما عبر التاريخ كبديل للسلطة المغيبة في فترات الاستعمار والحفاظ على نسقية المجتمع وآليات تفاعله مع المتغيرات الاجتماعية والثقافية وحتى الأمنية منها اذ ما افترضنا جدلا أن من مقاصد التجمع البشري الأول للجماعة البشرية هو تحقيق الأمن المجتمعي والروحي والثقافي وعلى حدود الاستدلال بما جاء على لسان المبحوث فان هذا التضامن هو تضامن آلي لدى المريد تجاه حاضنته الاجتماعية رابط الأخوة في الله أولا كواجب مقدسا موصل لمرضاة الله فالله أوصانا بالمرحمة في أوجه منها مرحمة اليتيم وذا المقربة والسائل ذا المتربة واطعام طعام في يوم ذي مزغبة فهذه الأوامر الإلهية هي من صميم الفعل التضامني للزاوية التيجانية فهي مأوى لعابري السبيل واليتيم وذا الفاقة وطالب البركة وتتمظهر في كثير من صوره التضامنية الآلية ذلك البعد الأنثروبولوجي لمفهوم (الكولا) الفعل التضامني الآلي في القبائل البدائية والذي يحاكي بيت مال المسلمين في التراث الإسلامي اذ تعد العطايا والهبات المقدمة للزاوية صدقات للفقراء والمحتاجين وكثيرا ما تحمل طقوسها الاحتفالية في مختلف المناسبات المصحوبة بإطعام الطعام حمولات رمزية تضامنية وكذا التزام الخلفاء والقائمين عليها بالإنفاق من مالهم الخاص في مماثلة أنثروبولوجية لمفهوم البوتلاش في حضارات أمريكا الجنوبية (الهنود)، اذ تعزز تلك القيمة الرمزية للعطاء والتجدد وفرض سلطة رمزية إلا أن المفهوم الإسلامي للصدقات يتقاطع لفضا مع علم التزكية في معاني التجدد فالله يزكي الصدقات بمعنى الزيادة في البركة إضافة إلى الباقيات

الصالحات من ذكر وصدقات ولو كان للمعطي خصاص فهي ايثار يدخل ضمن معطى تزكية النفس واتقاء شحها.

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: تعتبر أدبيات الفقه الطرقي التيجاني متجاوزة لمفهوم الاندماج الاجتماعي اذ يدخل تحت شروط لواء تحققه جميع الأصناف الاجتماعية والأكثر تعمل على تعزيزه من خلال لزوم الجماعة ولزوم الشيخ المربي وضرورة الخوض في الحياة العامة.

التعليق: ان الطريقة التيجانية ومن خلال مبادئها وشروط الانتماء اليها وتحري الاختيارية والحرية في الانتماء لها وابتعادها عن النخبوية واعتمادها نهجا تربويا صوفيا يحيد الفردانية والعزلة انما يعزز بذلك الاندماج الاجتماعي الذي تلاقحت في منظور تاريخه وعملياته الثقافوية الناشطة محليا وإقليميا وهو ما يحقق طرح مفاده أن أهم ما جاء على لسان المبحوث الذي باشر افادته كون من ادبيات الفقه الطرقي التيجاني هو تجاوزه إلى حدود الجماعة الاجتماعية الواحدة إلى ذلك البعد الإنساني الذي يحقق الأسرة الإنسانية الواحدة من منبع أصيل في التراث الإسلامي فمن ليس لك أخ في الخلق أخ لها في الخَلق، إضافة إلى خصوصيتها (الجماعة الطرقية التيجانية) السوسيوثقافية التي تنأى عن التراتبية الاجتماعية التي تحقق الاندماج الاجتماعي وهو ما لاحظناه في مضامين المقابلات والملاحظات الميدانية الحقلية اذ نلمس تلك الألفة والأخوة التي تذوب في تعاملاتها البينية الألقاب الاجتماعية والمهنية والرسميات والبروتوكولات فالكل سواسية في طلب محبة الشيخ وهو ما يتمثل في مخيال الصوفي الديني في أن سر قبول مجهول وطريق العمل معلوم بالتواضع للخلق وخدمتهم سر من أسرار هذا القبول.

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: تجسدت في مختلف مناحي الحياة الأسرية والاجتماعية والدينية فواجب الاحترام والتواضع والحشمة والتضامن ظاهرة في المعاش اليومي للمريد جماعات وفرادى بل والأكثر من ذلك فاتباع سير الشيخ المؤسس تلزم المريد بالتخلق بمناقب الشيخ الاجتماعية.

التعليق: ان المتفحص في شروط وآداب المريد في فقه الطريقة التيجانية لا بد وان يلمس ذلك البعد الواقعي للسلم القيمي الاجتماعي واقعا اجتماعيا بدءً من البناء الوظيفي للجماعة الطرقية الذي تؤطره آداب وشروط بين المريد والمريد وبين المريد والشيخ وأسرته والمجتمع ومن خلال إجابة المبحوث التي تؤكد تجسد القيم واقعا في مختلف الحياة الأسرية وحتى في واقع الممارسة الدينية (الطقوس والشعائر)، فواجب الاحترام والاحتشام والتوقير ظاهرة في المعاش اليومي للمريد جماعات وفرادى ومما لاحظناه في حقل دراستنا وعلى اختلاف المناسبات والطقوس الدينية قيم تضامنية ومعلم القرآن مثلا مكفول المعاش تضامنا بين أولياء الطلبة بطريقة تضامنية آلية حيث تتمظهر القداسة الدينية لمكانة القرآن وتعلمه ومن الملاحظات اللافتة في الكتاتيب (المحضرة) هو تلك العادات المتجذرة في الرصيد القيمي المجتمعي اذ دأب الناشئة من طلبة القرآن المشاركة في فعل تضامني رمزي عن طريق جلب عيدان الحطب لسد حاجة معلم القرآن في معاشه اليومي من طهي وتدفئة لتسهيل وظيفته التعليمية بعيدا عن متطلبات معاشه اليومي، فهذا الفعل الذي يتجسد في هذه العادة العتيقة هو تأصيل لفكر تضامني محلي ذو دلالات فهو غرس لمبدأ الجماعة والتعاون فإشاعة روح التعاون على البر تقديرا لمكانة القرآن علما وتعلما وإشاعة روح الأخوة التي تنتقل في علاقة تعدي بين الشيخ وطلبة العلم وذويهم.

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: تنمي ذلك من خلال روابط أخوة والزيارات والتعاون في الأفراح والأقراح فمحبة الشيخ توجب عليهم افشاء روح المحبة بينهم والتآزر وهو ما نلاحظه في أيام مخصوصات ذات دلالات قدسية دينية كيوم الجمعة حيث يتبادل للمريدين والأحباب الزيارات ناهيك عن حرص كثير من الأحباب على أداء صلاة العيدين واحياء ليالي رمضان قرآنا وذكرا ودروسا في كنف الزاوية التيجانية ناهيك عن تلك الزيارات التي تحمل طابع المجاملات من عموم السلطات المحلية.

التعليق: ان الرابط الاجتماعي هو تلك الصلة التي تجمع بين أفراد المجتمع كجماعة اجتماعية واحدة موحدة وعلى سرد ما جاء في تصريخ المبحوث فان تنمية هذه الروابط من خلال اشاع سبل الأخوة والتزاور والتآزر في مختلف المناسبات فواجب محبة الشيخ يمهل لنسج روابط اجتماعية متينة كالتزاور في أيام ذات دلالات دينية كالجمعة ورمزيتها كعيد المسلمين وأداء الوظيفة بعد عصر كل يوم الجمعة وامتداده إلى الغروب وما يحمله من دلالات القبول والأوقات المخصوصة بقبول الدعاء والطاعات يقوي الرابط الاجتماعي بين المريدين داخل المنطقة وخارجها على أساس أن حضور هذه الوظيفة يشمل مريدين من خارج المنطقة والوطن، فالرابط الاجتماعي قوي لدرجة تطوره إلى علاقات مصاهرة كامتداد للعائلة الطرقية فمحبة الشيخ توجب محبة المريدين فيما بينهم فالروابط الاجتماعية تتمظهر في أخوية المريدين وعلاقات اجتماعية كالمصاهرة تعزيزا للدائرة الدينية الاجتماعية.

26. فيما تمثل انعكاس دور شيوخ الزاوية التيجانية على المجتمع؟

الإجابة: لهم دور ومكانة وكلمة مسموعة فهم موجه مهم للتعبئة الاجتماعية في مختلف المناسبات فهوم مرشد ديني واجتماعي يتحقق له ذلك من الهالة الرمزية للشيخ المؤسس فلهم دور فاعل في توجيه الجماعة الطرقية نحو أهدافها الخاصة والعامة وبالتالي فلهم دور فاعل يستمد جزء من شرعيته من خلال نشاطاته في الأزمات والمحن عبر تاريخ المجتمع.

التعليق: ان لشيوخ الزاوية تأثير بالغ على حاضنتهم الاجتماعية وهو ما خص به الشيخ المؤسس في حله وترحاله طوعا ورغما فانتقاله طالبا للعلم بتلمسان وفاس وتونس ونازغا من ملاحقة العثمانيين كان له دور في نشر قيمه الاجتماعية إضافة الى تلقينه صنوف العلوم طلبا وتعليما حتى ذاع صيته وحضي بمكانة اجتماعية مرموقة وسعت دائرته الاجتماعية الحاضنة لفكره التربوي و بلوغ درجة العرفان في بوسمغون أسس لامتداد تأثيره الاجتماعي حيث توافد عليه الاشياع والاتباع فهذه الأسباب أسست لذلك التأثير على المجتمع المتنامي مع انتشار زواياها وفاعليتها في العمل الخيري الاجتماعي ودور الخلفاء من بعده كورثة لتلك البركة الممثلة في الشيخ المؤسس سواء عن طريق امتداد له نسبا أو الامتداد له في ميراث علمه اللادني وهو ما نلاحظه واقعا في زاوية تماسين التي تنسب إلى الشيخ التماسيني اذ قد تسند مهام الخليفة المربي لغير ذي النسب اذ توفر فيه شرط الصلاح والشهود له بالرسوخ في العلم.

تقييم الحالة الثالثة:

من خلال عرض إجابات المبحوث وفق محاور المقابلة تبين لنا جملة تقييمات حيث نستعرض إجابات المحور الأول المتعلقة بالفرضية الأولى **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم** نلحظ نوعاً من الترابط المفاهيمي حول شخصية الشيخ المؤسس الذي جمع بين العلم والعمل وهي تمثلات قدسية تتمظهر في وراثة العلم اللادني والعمل

به زهدا في الدنيا دون تقشف وهو ما أسس لأهم أسباب انتشار طريقته التي تعتمد على اليسر مما أهل لإتاحتها لجميع الخلق على اختلاف جنسهم ومستوياتهم الفكرية والاجتماعية بشرط صلاح النية في الاخذ بها دون غيرها وكذا اعتمادها على التأسي بسيد الخلق في أخلاقها والاستناد على محبته وأهم أولوياتها التزام الذكر وهو رابطة بين العبد وخالقه وله دلالات زمانية ومكانية وشروط التي تعبر عن تلك التربية الروحية التي تتمحور في أسلوب الطريقة ونهجها إضافة إلى البعد الاجتماعي للزاوية الذي يشير لأوجه الاحسان للخلق من أعمال خيرية تضامنية وهو ثاني أسباب مكنت للزاوية مكانة راسخة إضافة إلى مكانة شيخها المؤسس والتزامها نهج الوسطية والاعتدال واعتمادها مفاهيم الاخوة الروحية محبة في الله ورسوله والشيخ المؤسس فهي رابطة قوية على نهج محمدي هدفه الذكر والحمد، وبالتالي فهذه المحددات تعزز قيمة الانتماء لدى المريد الذي يتكرس انتماؤه وفق مفهوم العام إلى الخاص أي من زمرة المسلمين إلى زمرة الأخوة في الطريقة التي تعتبر دائرة فضلية خص بها الله الجماعة فهي تعزز الانتماء داخلها وكون هذا الانتماء يستوجب شروط أهمها محبة الشيخ والحفاظ على عهده بالتزام الولاء لطريقته دون غيره.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية التي تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين**، كون لب التربية لطرقية هو تحقيق القيم الدينية وخاصة في فقه المعاملات بين الخلائق لأن الدين معاملة وأهم ما تصبوا اليه الزاوية في مراميها القيمية هو اخلاص النية في جميع الأعمال والعبادات وتهذيب الجوارح وشحذ همم الخلق على مواظبة الذكر وهو لب الطريق للإحسان وشكر وثناء على مصطفاه محمد صلى الله عليه وسلم وهي ترتكز على أهم ما يوجبه أول الطريق وهو العقيدة الصحيحة فلا سبيل للإحسان دون صلاح اسلام الفرد ومعرفة الأوامر والنواهي والانصياع لها

وفق ما شرع الله واستحضار الخالق في الحال والأحوال ذكرا وملازمة الذكر فهو عبادة قلبية نستذكر بها قدرة الله ونعمائه علينا هذا إضافة إلى استكانتها إلى منابع ترسيخ القيم الدينية وفق مبدأ التربية بالقدوة من خلال التزام جماعة المريدين ومحاكاة الشيخ في أخلاقه وعليه فالتزام الشيخ قدوة أساس في النهج الصوفي عامة والطريقة التيجانية خاصة اذا ما أشرنا إلى امتداد القدوة إلى الأصل الأول سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وكل هذا يؤسس لتجسيد هذه القيم الدينية واقعاً وبخاصة لزوم العبادات والحفاظ عليها جماعات ومراعات حدود الله في السر والعلن وحفظ اللسان وتطيبيه بالحمد والشكر.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثالث المتعلق بالفرضية الثالثة التي تشير إلى أن **للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها**، فالقيم الاجتماعية هي تحصيل شامل للجانب القيمي التربوي ونجاحه فيما يتعلق بالأخذ بأساليب وأنماط التربية الاجتماعية والتقوى والورع دون تقشف ووجوب الاختلاط والتفاعل الاجتماعي، حيث تصقل المريدين على مبادئ سامية كالإيثار والصدق والمحبة والتعاون والتعايش مع الآخرين كل هذا وغيره من أوجه البر يؤسس لتحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي فمنطلق أي علاقة روحية بين الخلق والخالق تتأتى جليا في دلالات العلاقات الاجتماعية وتآزر الخلق بينهم وتضامنهم وهذا ما يحقق ذلك الاندماج الاجتماعي الذي يتجاوز في الفهم العام للفقه الطرقي التيجاني لمفهوم جماعة المسلمين إلى مفهوم الجماعة الاجتماعية الطرقية إلى الدائرة الأوسع وهي الدائرة الإنسانية كمفهوم أشارت اليه الأنثروبولوجيا تحت مسمى وحدة الانسان.

الحالة رقم (04):

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس: ذكر.**
2. **السن: 45.**
3. **المستوى التعليمي: جامعي.**
4. **الحالة العائلية: متزوج.**
5. **مدة الالتحاق بالطريقة: منذ 28 سنة.**

المحور الثاني:

6. **كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟**

الإجابة: شخصية عالمة عاملة ركز على الخلق والتربية.

التعليق: ان الشيخ المؤسس في أدبيات المسلك الطرقي هالة رمزية ومكانة مشبعة بمفاهيم الولاية والصلاح وصولا إلى درجة القطبانية وهي أسمى الدرجات وهي التي تعني بلوغ علم لادني واسرار عظيمة لا ينالها الا ذو حظ عظيم وعلى اثر ما قدمه المبحوث من إجابة فان شخصية عالمة عاملة ركزت على الخلق والتربية فهو ما تؤكده سيرة الشيخ في كون عالما بعلوم الشرع في ذلك حتى نال الدرجات العليا ونبغ في علوم الدين أما الإشارة في افادته فقوله عاملا فيقصد بالعمل الاجتماعي الطرقي بمعنى التصوف الطرقي المبدئي البعيد عن الأسس التنظيرية الفلسفية فالأخذ بالضروري من الدين في منهجه التربوي المنتظم على الخلق العظيم تأسيا بأخلاق الأنبياء والمرسلين وعلى حذوهم محمد خير الخلق أجمعين صلوات الله عليه وأزكى التسليم.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الإجابة: تركيزها على العمل والعبادة لأن الدين معاملة وهناك فضل للعالم على العابد.

التعليق: ان سبل القبول للطريقة التيجانية وسبل تمكينها في مرامي الأقاليم المختلفة عبر القارات لم يتأتى الا بأسباب بالغة ولعل ما جاء في سياق افادة المبحوث في ان سر انتشارها يعوزه إلى تركيزه على العمل والعبادة لأن الدين معاملة فالشيخ المؤسس رجل صلاح ولم يتأتى له بلوغ مرمى القطبانية إلا عن علم ومجاهدة وتأسيسه الطريقة على أساس التقوى وحسن الخلق واشتراط أدوار عامة وخاصة للمريدين عزز من انتشارها فالنشاط الاجتماعي الفاعل للمشايخ والمريدين وفن الدعوة إلى سبل الخير والعدالة طريق يستوجب العلم والعمل فاختلاف أطياف المريدين والتزامهم العقد الحقلي التربوي الطرقي ساهم في انتشارها بين ذويهم في الجماعة الأولية (الأسرة) امتدادا لجماعات الرفاق وجماعات العمل، لأن الدين معاملة وسامحة قلب بعيدا عن الفضاضة قال تعالى: "ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك"، فاستنادها على قيم خلقية دينية واجتماعية تحيل الى ترجمتها فالحقل الاجتماعي ساهم في سرعة انتشارها ورواجها قبولا طوعية وارتكانها لبذل الخير لوجه الله يحاكي المثل الكانطية في فعل الخير لأجل الخير وهو ما جاء في النص القرآني الكريم "لا نريد منكم جزاء ولا شكورا" فكل هذه المبادئ سهلت على انتشارها والحث على عدم الكراهية والعداوة وان انتصار الانسان للحق لا يكون الا لوجهه تعالى والا فالنفس أمارة بالسوء ودوام الذكر والشكر فهذه الأطر المعرفية والأفعال الاجتماعية المحمودة عرفا إنسانيا سهلت انتشارها فهي تعتمد على آداب عامة للمريد مع كافة الخلق كرسالة دعوية غير مباشرة لهذا النهج ناهيك عن الآداب الخاصة للمريد.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أهم مرتكزاتها الأخلاق والتربية الروحية وهو ما يسر قبولها للخلائق.

التعليق: ان ما ترتكز عليه الطريقة التيجانية هي التربية الروحية التي تسعى لبلوغ مرامي الحضرة الإلهية والكشف عن الأسرار النورانية وأول الطريق هو الخلق والتأدب مع الخلق والخالق فالدين أوله خلق قال تعالى مخاطبا نبيه الكريم وإنك لعلى خلق عظيم، وامتداد الطريقة سندا في أذكارها الى النبي صلى الله عليه وسلم انما يعزز قيمة الاخلاق في طريق الترقي وهو ما تؤصله إجابة المبحوث بأنها سر من اسرار قبولها لدى الخلائق على اختلاف مشاربهم وامصارهم.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أولوياتها اتباع الشيخ قولا وفعلا لأنه رمز التربية ومحبتهم هي التزام بمبادئ الطريقة وهي سبيل لبلوغ المحبة الربانية.

التعليق: ان للطريقة كنهج ومسلك تربوي أولويات لا بدّ أن يمتثل لها ويعمل بها وعلى سبيل ما جاء في تصريح المبحوث فان اتباع الشيخ قولا وفعلا من أهمها لماله من علم باطن وأن طريق الوصول في الحضرة الإلهية لا بدّ وان يستدل به بشيخ عارف ويجب الصدق معه والرجوع له مشورة ونصحا وسيدي احمد التيجاني وما يمثله من رمزية لا بد وأن تكون له مكانة خاصة لمريدي الطريقة فيحضر عليهم اتباع غيره ومن كان على غير عهد الشيخ واراد الدخول في الطريقة عليه ان يتحلل مما سبق له به العهد من الطرق.

10. على أي أساس بنى الشيخ زاويته؟

الإجابة: كما أسلفنا سابقا فان أساس الشيخ في نهجه الطرقي هو التربية الروحية وسلامة السريرة.

التعليق: ان النهج الطرقي في مبدئه العام على اختلاف مشاربه يستجدي الوصول على التزكية والتي تعني تطهير القلب والنفس من الرذائل والذنوب وعليه فان جل الطرق تشترط التوبة كشرط لقبول الانتماء في حضرتها والطريقة التيجانية واحدة من هذه الطرق التي تسعى لرسم منهج خاص بها في علم التزكية يعتمد على شروط عامة وخاصة وهذا ما جاء في تصريح المبحوث.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: لعل أهم سبب هو مكانتها ودورها العملي تجاه المجتمع ودور مشايخها الفاعل.

التعليق: تعتبر زاوية عين ماضي الزاوية الأم في الجزائر وعموم افريقيا وعلى الرغم من وجود نوع من التنافس مع نظيرتها في تماسين بواد سوف إلا أنه تم تسوية هذا الامر تاريخيا في رسالة مفادها أن زاوية عين ماضي بمثابة فردتي رحاء المطحنة كل من دخل بينهما سحق في إشارة للتوافق والتفاهم القائم اذ تعتبر الزاوية التيجانية بعين ماضي مرجعية روحية وعاصمة للطريقة لأسباب عديدة منها امتدادها التاريخي لمولد الشيخ المؤسس فهي مسقط رأسه وعلى الرغم من تنقلاته الكثيرة طالبا للعلم وفارا من ملاحقة الباي العثماني وانشائه للزاوية بفاس الا انه أشار لأولاده من بعده بأنه لا يليق بهم الا الصحراء بإشارة إلى عين ماضي حيث تعد رمزا لبركة الشيخ ومستقره فيها أحياء وأموات وهو ما يفسر انتشار أضرحة ذريته فيها وعلى سبيل ما جاء في ذكر المبحوث أن سبب توجه صيتها هو دورها العلمي كذلك وخاصة في تعليم القرآن ودور

مشايخها الفاعل داخل المجتمعات ومن خلال مقابلاتنا مع احد القائمين حدثنا عن الدور الاجتماعي للزاوية اجتماعيا كرأب المشاكل الزوجية الأسرية فمثلا في أثر ما جاء على لسان حال ذكره للسيدة لالة حلوم التي تنتمي إلى ذرية سيدي أحمد التيجاني والتي اشتهر دورها في معالجة مثل هذه المشاكل ورد الغضبانة إلى بين زوجها ولو على حساب مالها الخاص دون لجوء إلى المحاكم. وكذا دورها في رأب المشاكل الداخلية للمجتمع الإقليمي والوطني وحتى خارج حدود الوطن اذ لعبت دورا في تسوية نزاعات مثل أحداث غرداية وإقليم دارفور بالسودان إضافة الى تسوية كثير النزاعات العشائرية وهذا تحققا لمكانة الزاوية ودورها على كل الأصعدة تحقيقا لمبدأ اصلاح ذات البين ونبذ الفرقة.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

الإجابة: نعم تعزز ذلك من مبدأ المساوات بين مريديها وأن معيار الفروق بينهم يكمن في درجة الترقي الروحي الذي يبقى محل تنافس ومثابرة اذ يعتبر مؤشرا لتعزيز هذا الانتماء وابتعادها عن التقشف يلزم اتباعها بتأكيد انتمائهم للطريقة بالتزام الجماعة ونقل قيمها داخل المجتمع فالفعل الديني الطرقي وفق محدادته الفقهية يعزز الانتماء.

التعليق: ان مفهوم الانتماء يتحقق تلقائيا اذ لا تعمل الطريقة على استقطاب المريدين انما هم من يطلبون شرف الانتماء لها وفق شروطها فهذه القابلية والحرية في الالتحاق بالطريقة انما يدل على قابلية الانتماء لها والذي لا يكون الا بفتح رباني ولعل ما جاء من نقاط في افادة المبحوث ان تعزيز الانتماء كمرحلة ثانية بعد تحقق هذا الانتماء وفق شروط وآداب يتوخاها المريد والتزامه هذه الآداب والشروط في أمور الدين والدنيا والتخلق بأخلاق الشيخ المربي الواصل ويشكل تلك السلطة الأبوية التي تجتمع تحت لوائها الأخوة الطرقية بين المريدين والمحبين فشرح الولاء

والالتزام وتحري المشورة والنصح تحقق نوعا من الضبط الاجتماعي الداخلي للجماعة الطرقية التي تعزز بدورها قيمة الانتماء لجماعة لها خصوصيتها مع حرصهم على تمثل تلك القيم داخل الأسرة والمجتمع وجماعات العمل.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: ان للطريقة التيجانية مرجعية أساسية ممثلة في شيخها الذي تتمحور حوله كل القيم بما فيها قيمة الولاء فلا محبة الا للشيخ.

التعليق: ان الولاء من أهم المؤشرات التي تؤكد التزام أي فرد بتحقيق أهداف جماعته الاجتماعية سواء كانت جماعة عمل أو جماعة ثقافية أو جماعة روحية والطريقة التيجانية كجماعة دينية لها خصوصيات اجتماعية وثقافية ونظام تراتبي تعتبر الشيخ المؤسس هرم سلطتها وله الفضل الأكبر في ظهورها وعليه فالالتزام بما جاء به من تعاليم وضوابط وما حث عليه من أخلاق وواجب محبته يحقق قيم الولاء لرمزيته التي تتمظهر فعلا أخلاقيا ودينيا واجتماعيا وروحيا في نواحي عدة منها واجب محبة وتوقير خلفائه في التربية من بعده والولاء للجماعة وواجب المحبة فيهم وهو ما لاحظناه واقعا في الحقل الطرقي التيجاني اذ تنتقل قيم الولاء من الأجداد إلى الآباء إلى الأبناء فمثلا في رمزية الأسماء للشيخ التي يؤخذ بها كولاء وتيمن بالبركة فنجد أسماء متداولة مثل التيجاني محمد الحبيب أحمد عباس وهي أسماء الشيخ وأبنائه المتقدمين.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: نعم تحقق ذلك من خلال اخلاص النية والعمل بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم. والتزام الصلوات الخمس والنوافل والتزام الجماعة والاعتصام بحبل الله.

التعليق: ان المبادئ الأساسية للطريقة التيجانية وعلى الرغم من بساطتها الا أنها مختصرة على الضروري من الدين مع تأكيدها على تلك القيم العامة لأن النبي بعث لعامة الناس فهو ما يفسر يسر قيمها الا انها محملة بقيمة الإخلاص في العمل لأن نية شرط من شروط صحة العبادات وعلى ذكر ما جاء في تفصيل إجابة المبحوث انها تحقق مبدا اخلاص النية والعمل لوجه الله وحده والابتعاد عن الرياء والصدقة لوجه الله تقوى ولو بشق تمرة وكلمة طيبة خير من صدقة يتبعها اذى والتزام العبادة جماعة وخاصة الصلوات المفروضة مع المحافظة على الرواتب والسنن وعدم ائتمان مكر الله هو تنبيه عن نزوات النفس والشيطان فالنفس قد تحدث بعمل الخير وهو مبطن بالشر فالرياء مرض قلبي يفسد المقاصد وان لا يغتر العبد بعمله فعليه رجاء رحمته تعالى وان يوكل المؤمن أمره لله وأن يبتعد عن التواكل وأن يمتحن الصبر كداب تربوي عمل به الأنبياء والرسل ونيل مفازه العظيم والايمان بالقضاء خيره وشره كركن من اركان الايمان والتزام الذكر والشكر قال تعالى: "ولئن شكرتم لأزيدنكم". لأن الشكر زيادة في تقوية اليقين الذي يعتبر أولى النعم التي يتوجب على المسلم شكر الله عليها.

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: القيم التي يسعى لها الشيوخ قيم تربوية روحية.

التعليق: أهم القيم يصبوا شيوخ الزاوية إلى غرسها هي قيم تربوية روحية هدفها الترقي في درجات الاحسان لأنه منجاة للنفس ومرتبة يستحضر فيها العبد ربه فأنفاسه ذكر وشكر وهو ما

جاء على لسان المبحوث كونه سنام الأمر في الدين فرأس الحكمة مخافة الله واستحضاره ظاهرا وباطنا.

16. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: الكتاب والسنة وبلوغ درجات الترقي والكمال الروحي.

التعليق: ان التصوف كتراث ديني عالمي له علاقة بوحدة الانسان في البحث عن الكمال وبلوغ المثل العليا الا انه في الفهم الإسلامي هو طريق الاحسان أي عبادة الله مع مراقبة النفس وعدم الغفلة وهو ما جاء في سياق ظاهر جواب المبحوث حيث يرى أن الطريقة التيجانية تعزز جوهر الاحسان في جوانب عملية من خلال الاحسان للخلق حتى للمسيء وعدم تفويض النفس امرها لأنها أمارة بالسوء والتوكل على الله وحسن الظن به واستحضار الخشوع في العبادات لأنها من تقوى القلوب وحفظ الجوارح لأنها طريق للقلب والابتعاد عن مفاسده كالغل والحسد لأنها مظاهرة لله في ملكه والطهارة القلبية المعنوية بتصفية القلب من الرياء والكبر.

17. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: ان للذكر أهمية أساسية وجوهر الصوفية التيجانية وهو ما بينته النصوص القرآنية الكثيرة الدالة على فضل الذكر.

التعليق: للذكر أهمية بالغة في فقه الطريقة التيجانية فهو حمد وشكر لله وصلاة على نبيه وقد أمرنا به الله في محكم تنزيله "والذاكرين الله كثيرا والذاكرات" وفي آية أخرى "يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" وفي آية أخرى أيضا "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، وهو ما استساغه المبحوث

في عظمة الذكر لأنه حمد لله واجلال لصفاته وتوحيد لربوبيته وثناء وصلاة على نبيه فالله وملائته يصلون على النبي في الملأ الأعلى وعليه خصّ الفقه الطرقي التيجاني الذكر بمكانة خاصة وأحكام فقهية تحاكي فقه العبادات من طهارة الجسد والثياب والمكان.

18. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: نعم تعتبر محاكاة الشيخ في آدابه من أولويات الطريقة لترسيخ القيم الدينية واولها تحري طريق مخافة الله فهو راس الحكمة.

التعليق: ان التربية بالقدوة من صميم النهج التربوي الرباني قال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة"، والطريقة التيجانية ممثلة في شيخها المؤسس سيدي احمد التيجاني يمثل أثر النبي في سند طريقته ووارثة لسر القطبانية ملجم لاتباع اخلاقه ومثله الموافق للدين كما جاء في أثر الشيخ ان يوزن كلامه بميزان الشرع لتحديد ما يؤخذ به وما لا يؤخذ وبالتالي فميزان القدوة يترتب عليه موافقة موازين الشرع لا غير.

19. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: نعم تجسدت في الواقع فالتزام المريد بالفرائض من صلوات إضافة الى تحريه الصدق في أمور الدين والدنيا ومخافة الله والتزام أوامره.

التعليق: ان اهل العرفان يلتمسون حكمتهم من مخافة الله فيكون سمعهم وبصرهم فهم يرون مكامن الحقائق من منظور اعمق تبصرا وعليه جاء في فصل الرد على سؤال المبحوث جوابا مفادها انها

مجسدة لمن يبحث عنها بعين المتبصر وبعين الحقيقة الربانية فالتنافس الذي أمرنا به الله هو التنافس على البر والخيرات والمسارعة اليها قال تعالى: "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون" وعدا ذلك من أمور الدنيا فهو تدافع الا ما كان بعين الرضى وترفعا عنما في يد الخلائق فالأخذ بأمور الدنيا وأسبابها دون حسد ولا تناحر وعليه فالمريد الصادق هو عالم عامل ينهل من فيض الحضرة الربانية ويجاهد في أمور دنياه دون تقشف ولا انعزال ولكن وفق ضوابط قيمية تراعي حقوق الخلق وحدود الله الضابطة لهذه العلاقات قال تعالى: "والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم" فحتى مالك الخاص هو أمانة تؤدي حقوقها شكرا لله زكاة وصدقات تقربك لله زلفى.

المحور الرابع:

20. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: هي طريقة تربية فلا بدّ من إيلاء القيم الاجتماعية درجة عالية من الاهتمام فهي الوجه الآخر للإحسان مجسد في المعاش اليومي للمريد ايزاء أسرته ومجتمعه وواجب الاختلاط بالناس والصبر عليهم ومساندتهم واجب ديني اجتماعي يتحقق تحته طريق الوصل والترقي لأن هناك فضل كبير للعالم على العابد.

التعليق: ان للزاوية التيجانية قيما اجتماعية تتمحور حول هدفها الأول الذي أنشأت لأجله وهو تلقين العلم وتقديم العون للناس في الظروف العادية ناهيك عن وقت الأزمات وهذا ما جاء على لسان المبحوث حيث صرح أن أصل الطريقة هو تربوي فلا بد من تمثل هذه الأخلاق في السلم القيمي الاجتماعي وايلائه درجة واعية ومقصودة من الاهتمام فهي وجه حي وملموس للإحسان فمحبة الله تتجلى في محبة خلقه والأخذ بأسباب سعادتهم من بذل للصدقات والايثار تجاههم ولنا

في هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء في كتب التاريخ الإسلامي للمآثر الإنسانية بين الأنصار والمهاجرين فالقيم الاجتماعية انما تتأتى تباعا من فن الاختلاط بالناس في معاشهم اليومي فالرسول الكريم هاجر وتاجر ورعى الغنم وجاهد في الله حق جهاده وانما الجهاد الحق فهو جهاد النفس فالإيثار وبذل الخير ايزاء الخلق من اسمى القيم الاجتماعية وإصلاح ذات البين ورد الحقوق لأهلها ونصرة المظلوم وإقام العدل وإشاعة سبل السلم والتعايش من أسمى درجات السلم القيمي وكل هذا من مآثر الشيخ المربي ومن بعده خلفاؤه في التربية ممن تواتروا في الطريقة وهي مضامين أخلاقية تلقن للمريدين على الدوام بالدروس والقدوة تشبعا من سير الأعلام المتقدمين في نهج الطريقة التيجانية.

21. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: نعم فأوجه هذا التضامن عديدة ومتزامنة في جل المناسبات الدينية الاجتماعية كالأعياد الدينية واحياء رأس السنة الهجرية (محرم) وعاشوراء وذكرى مولد الشيخ المؤسس اذ تقدم محاضرات ودروس من مشايخ وعلماء الطريقة للحث على قيم التصوف الاجتماعية حيث يقوم الاشياع من اتباع الزاوية مريدين ومحبين بالمساهمة التضامنية في مثل هذه المناسبات من كرم وحسن ضيافة والمشاركة في الاطعام والايواء للوافدين للزاوية التيجانية التي تعتبر محج لاتباعه من كل اصقاع الوطن فهذه المناسبات تعمل على التجديد الآلي لقيم التضامن واقعا معاشا.

التعليق: انّ التضامن الاجتماعي عمود الانتظام الاجتماعي الذي يحقق الوظيفة الأساسية في استمرار واستقرار المجتمع اذ يعبر عن توجه الرؤى الجماعية وفق أهداف الجماعة والطريقة التيجانية المبنية على أساس العلم والنشاط الاجتماعي الخيري يعتبر التضامن الاجتماعي هدف وغاية وآلية في نفس الوقت للمحافظة على استمرارية الرسالة الاجتماعية للطريقة وهذا ما يؤكده

المبحوث على أن الطريقة تعمد على ترسيخ مبدأ التضامن الاجتماعي من خلال المناسبات الأعياد الدينية والاجتماعية حيث يلتمس الملاحظ ذلك التأطير النظري لترسيخ التضامن الاجتماعي من خلال ما يقدمه المشايخ والعلماء من دروس دينية وسير لأعلام الطريقة في هذا الصدد إضافة الى ترسخه واقعا معاشا خلال هذه المناسبات وعلى طوال السنة في الهبات التضامنية داخل الجماعة الطرقية وخارجها لعموم المجتمع مثل تنظيم الختان الجماعي ومساعدة المرضى ماديا ومعنويا من خلال الزيارات والتفقد ومساعدة المحتاجين من اتباع الزاوية وغيرهم.

22. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: ان الاندماج الاجتماعي منظور في الطريقة التيجانية اذ الكل يعمل وفق مبادئها على أساس الجسد الواحد فهناك تعاون وثيق وملموس بين القائمين والمريدين وبالتالي فالالتزام بأهداف الطريقة يحقق الاندماج الاجتماعي داخل الطريقة وفق الهرم التنظيمي وخارجها لبلوغ رسالة الطريقة الدينية والاجتماعية التي تستوجب أمر الاختلاط والاندماج بالناس تحقيقا لأهمية خاصية فيها وهي الشعبوية والابتعاد على النخبوية.

التعليق: الطريقة التيجانية كغيرها من الطرق جاءت وفق قالب اجتماعي يأتي من خلال توافق الأنساق الاجتماعية الأخرى التي تعمل على تحقيق الاندماج الاجتماعي وفق الضرورات الاجتماعية وهذا ما يتجسد في تاريخ الطرق والتيجانية وفقا لما سلف ذكره فإنها تحقق مبدأ الاندماج الاجتماعي وفق الدائرة الأولية الممثلة في المريدين التي تربطهم رابطة أخوية تشتمل على تلك الرعاية الأبوية الممثلة رمزيا في سلطة الشيخ المربي هذا إضافة إلى تحريها الاختلاط بالناس اجتماعيا الذي يستلزم ذلك الاندماج الاجتماعي وبالتالي فالتيجانية تساعد بطريقة غير مباشرة في الاندماج الاجتماعي وهو ما لاحظناه في بحثنا هذا من خلال الحقل الميداني اذ يحضر مشايخ

الطرق الأخرى في مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية والعلمية إضافة إلى ذلك التنوع في أصناف المريدين اذ يمثلون فسيفساء اجتماعية لا تظهر فيها الخصومات والفروقات وان كان هناك اختلافات.

23. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: نعم تجسدت هذه القيم في المجتمع من خلال التضامن والتعاون والنصح والمحبة والايثار.

التعليق: ان المجتمع الطرقي مجتمع يؤسس للبعد القيمي الاجتماعي في واقعه المعاش وهذا عبر تاريخ الطرقية اذ ساهمت في خدمة المجتمعات عبر مسار تاريخها فالطريقة التيجانية مؤسسة على مبدأ خدمة المجتمع وهو ما أكده المبحوث من خلال اجابته عن التضامن والمساندة الاجتماعية وهو ما لمسناه واقعا بين المريدين وكافة المجتمع الماضوي اذ يتمازج الديني والثقافي في توليفة تتموقع تحت ظل العادات والتقاليد فهناك مناسبات دينية تتخللها جملة أفعال تضامنية تؤصل للقيم الاجتماعية وهي ما سبق ذكرها، وأيضا المحبة والايثار بين المريدين وكافة الناس حتى الذين لا ينتمون للطريقة فهم داخل دائرة العادات والتقاليد والأعراف الاجتماعية.

24. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: تنمي الروابط الاجتماعية من خلال حثها على الروابط الدموية والقرابية فصلة الرحم واهتمامها بعموم المجتمع حيث تتجاوزهم فقهيا إلى تلك الروابط الإنسانية العميقة لان الانسان مستخلف في الأرض وعليه ان يجسد قيم الشريعة السمحاء التي تنمي الروابط الاجتماعية العميقة كالرحمة وافشاء سبل التعايش والتسامح فكل هذه القيم تنمي الروابط الاجتماعية في العلاقات البينية المبنية على أسس الاخوة في الخلق فلا عداوة للإنسان الا من الشيطان والصبر على زلات الخلائق

والتجاوز عنهم فيه اجر عظيم وتمتين للروابط الاجتماعية قال تعالى في محكم تنزيله "ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم".

التعليق: ان الرابط الاجتماعي يكتسي أهمية كبيرة في تقوية الانساق الاجتماعية وخاصة في النهج التربوي الطرقي الذي يؤكد مبدأ الاخوة في الله والخلق فهو يتجاوز الروابط الاجتماعية ذات البعد القرابي والدموي الى تلك العلاقة التي تستند إلى المجاهدة في سبيل تحقيق محبة الله والتي تستلزم تجاوز كل الاعتبارات الذاتية والمنفعية الى تلك الحقيقة التي تؤشر لمفهوم الاستخلاف وعمارة الأرض بسبل نشر الخير والدعوة اليه وهو ما يؤكده نص الآية: "**إن** من أزواجكم وأولادكم **عدوا لكم**" وعليه فواجب تقوية الرابط الاجتماعي يكون وفق مرضات الله تعالى فيما استخلفنا فيه من زينة الحياة الدنيا من أموال وأولاد إضافة إلى استشعار روح الأخوة في الدين فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله وصولا إلى اخوة الخلق أجمعين كل هذا يؤسس لمفهوم الرابط الاجتماعي القوي الذي يتمحور حول تقوى الله قال تعالى: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا".

25. فيما تمثل انعكاس دور شيوخ الزاوية التيجانية على المجتمع؟

الإجابة: نعم وهذا ما نلاحظه في المجتمع المحلي فدورهم أساسي في قيادة المجتمع وتأثيرهم بالغ في مناحي الحياة الدينية والاجتماعية بالأخص فهم يلعبون دور المرشد الديني والاجتماعي ويلعبون دور ثقافي مهم في الحفاظ على الموروث الثقافي لكل مجتمع حاضن للزاوية التيجانية وهذا ما يعتبر إضافة للطريقة التيجانية ميزتها عن كثير من الطرق في رواجها في مختلف القارات.

التعليق: ان لدور المشيخة بالغ التأثير على المجتمع في تلك العلاقة التي تتعدى علاقة الشيخ بالمريد الى اسرته وعموم المجتمع فالمشايخ ينالون تلك الهالة من الاحترام كمرجعية مجتمعية في

مجتمعات الحاضنة للطريقة فلهم وافر الاحترام فكثير ما يلجأ اليهم في حل كثير النزاعات الاسرية والعشائرية لما لهم من كلمة مسموعة ومحترمة بين اطراف النزاع كحكم عدل وهو ما تم توارثه أبا عن جد وصولا للشيخ المؤسس ودوره في تقريب المجتمعات وراب نزاعات كانت معروفة في حينه وهو ما نلاحظه في تأثيرهم في التعبئة المجتمعية لمواجهة المد العثماني في المنطقة وخلقهم لذلك التمازج الثقافي المغاربي الافريقي والمساهمة في الحفاظ على العادات والتقاليد وتأكيدها وترسيخها وفق نمطية الطقس وآلية تكراره عبر الزمان والمكان.

تقييم الحالة الرابعة:

من خلال عرض إجابات المبحوث من خلال المقابلة الميدانية يتضح لنا من خلالها جملة من التقييمات حولها حيث تضمنت الإجابات في المحور الأول المتعلق بالفرضية الأولى التي تشير إلى أنه **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم.**

فالشيخ يمثل البعد التربوي والخلقي وفق مبدأ العلم والعمل به، وهذا ما يفسر سر انتشار الطريقة التيجانية لتأكيدها على ذلك المبدأ والجمع بين العلم والعمل، أي تحقيق ذلك له دلالات وممارسات فعلية ترسي القول الحق في التربية والدين وتجسيدها واقعاً معاشاً، والدين معاملة وفق الدعوة بالعمل له بالغ التأثير في تقوية الخلق، وخاصة في الجانب الروحي الخلقي وهو ما ترتكز عليه الطريقة التيجانية وما يسر قبولها قلوب الناس، ومحورية الشيخ في هذا الجانب الروحي الخلقي الذي وُفق في الجمع بين القول والعمل، يرتب أولويات الطريقة في ضرورة اتباعه ومحبته لالتزام مبادئ طريقه لبلوغ مرامي المحبة الربانية.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية التي تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين**، حيث أن أسس طريق الشيخ هي التربية الدينية وتهذيب الأنفس وهو البعد الذي يناط بمشايخ التربية الدينية في الطريقة والزاوية التيجانية لمكانتها وما تحمله من رمزية كونها من أكبر الزوايا ومقراً للخلافة إنما مرد ذلك ببعدها الاجتماعي ودور مشايخها الفاعل من أهم نقطة في مركزيتها كمقر للخلافة العامة ولعل ما يؤشر لها هو عدد المنتمين اليها الذي تعززه الزاوية بطريقة فاعلة من خلال تأكيدها على مبدأ المساواة بين المريدين وحيادها عن النخبوية والتزام شرط الجماعة، وتحري محبة الشيخ يقوي أسباب الولاء للشيخ وطريقته دون غيرها فاحترام غيره من الأولياء واجب لكن اذعان الولاء للشيخ وطريقته دون غيره من مرتكزات الطريقة.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثالث المتعلق بالفرضية الثالثة التي تشير إلى أن **للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها**، وهو ما ساهم إلى حد كبير في تجسيد قيم اجتماعية في مختلف مناحي الحياة من خلال تحري واجب الاحترام والتواضع وحسن المعشر مع إضافة رمزية الشيخ وسيرته الاجتماعية وتقفي أثره الاجتماعي ومحاكاته واقعاً معاشاً في حياة المريد داخل دائرته بكل أنساقها الأمر الذي يحيل إلى تنمية الرابط الاجتماعي وفق الأطر الاجتماعية والدينية من تزاور وصلة رحم وزيارة المجاملات واحياء المناسبات الدينية وفق تمظهرات اجتماعية يتداخل فيه المقدس الديني والعرف الاجتماعي والتقاليد والمدلول الثقافي كما أنّ تحقق الاندماج الاجتماعي وتحقق الرابط الاجتماعي إنما يعزى في مجمل الأمر إلى التأثير البالغ لمشايخ الطريقة كموجه اجتماعي للجماعة الطرقية نحو أهدافها لما له من رمزية في المخيال الصوفي والاجتماعي والهالة القدسية ودورهم كفاعل اجتماعي.

الحالة الخامسة:

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس:** ذكر
2. **السن: 39.**
3. **المستوى التعليمي: جامعي**
4. **الحالة العائلية: متزوج.**
5. **مدة الالتحاق بالطريقة: منذ 22 سنة.**

المحور الثاني:

6. **كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟**

الإجابة: شخصية زاهدة عالمة وعالم رباني أخذ الزهد دون تقشف ونهل منبعه الأصيل من الشريعة فهو زاهد بدون تبذل في ذلك لأن الزهد الحقيقي عنده هو مخافة الله في الخلائق وأن صلاح الباطن مقرون بصلاح الظاهر.

التعليق: ان سيدي احمد التيجاني شخصية علم وتقوى وهذا ما جاء في مجمل سير الشيخ اذ يعتبر عالم بعلوم الشريعة والحقيقة وهذا ما وافق قول المبحوث في اجابته عن شخصية الشيخ المؤسس أنه عالم زاهد أخذ بنهجه الطرقي في التربية من منبع الشريعة وما ميز طريقته في التربية هي الدعوة للأخذ بها دون عزلة وهذا ما جاء في التراث الطرقي التيجاني حول شخصية الشيخ اذ

يعتبر المربي الأول للطريقة والشيوخ من بعده هم مجرد خلفاء فهو الأصل الظاهر على المشيخة دون غيره.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الإجابة: يسرها واعتمادها اذكارا وأورادا بسيطة المبنى عظيمة المعنى كاعتمادها على الكلمة المشرفة لا إله الا الله التي هي مناط التوحيد وسر الوجود.

التعليق: ان للطريقة التيجانية أشياءً واتباعا ومريدين من كل اقطاب العالم وهذا ما فسر انتشارها الواسع مقارنة بغيرها من الطرق وعلى ضوء ما جاء في تصريح المبحوث حول سر انتشارها فانه يوعز ذلك الى يسرها وبساطة اذكارها مبنى لغوي وعمقها معنى روحي تربوي وهذا ما يتحقق بلغة الباحث على مسافة من الموضوعية في طبيعة اذكارها من هيللة واذكار لازمة فهي استغفار وصلاة على النبي (بأي صيغة) مع الكلمة المشرفة فهذا اليسر الذي يحمل معاني اليسر في الدين واللين في الدعوة لنيل سبل التربية الروحية سهل انتشارها وخاصة اذا ما اشرنا إلى لزوم الجماعة في ادائها مما يسهل دوامها وانتشارها.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: الكتاب والسنة لأنها تنشد الاحسان ولا يتأتى ذلك الا بمحبة الله وتعظيم شعائره ومحبة مجتباه وحبيبه المصطفى الأمين

التعليق: ان الشيخ المؤسس سيدي احمد التيجاني أسس طريقته على مبدأ التقوى وهي تستند على الكتاب والسنة وقد أكد ذلك من خلال قوله: "زنوا كلامي بميزان الشرع" وقد جاء تباعا في اهم نقاط المشار اليها من طرف المبحوث في استنادها على الكتاب والسنة لأن مرماه الأول والأخير

هو بلوغ درجة الاحسان التي لا تتحقق الا بوجود ارتكاز على الشريعة من موجبات الإسلام والايمان وتعظيم شعائر الله والتزام أوامره ونواهيه والتي هي من صميم شروط وآداب الطريقة.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: كلها أولويات اذ تكمل الواحدة الأخرى فاتباع الشيخ هو التزام بأذكار الطريقة وانفراد بها دون غيرها لان السالك لا بدّ له من شيخ مربي حتى تتحقق له طاعته والولاء له والتزام عهده والا فلا حظ له في الطريق.

التعليق: ان للطريقة التيجانية مبادئ تنظم اطرها حيث تعتبر جامعة لأهم هدف لها وتحقق رسالتها كطريقة تربية روحية ولعل اهم نقطة محورية هي مكانة الشيخ المؤسس الذي يعتبر اب روحي لها فالتزام شروط الطريقة وآدابها يتأتى من خلال الاعتقاد في مكانة الشيخ وهذا ما اسهب المبحوث في الإشارة اليه إجابة فالتزام الاذكار والانفراد بها والتزام الشيخ المربي هو أصل مرده الأول اتباع الشيخ المؤسس والاعتقاد في دوام بركته حالا في المريد وخلفائه المربيين من بعده فلا حق له في منازعة الشيخ المؤسس مكانته الروحية والعلمية الذي اصطفاه الله بحظ وافر من علوم الباطن.

10. على أي أساس بنى الشيخ زاويته؟

الإجابة: بنى الشيخ زاويته على أسس تربوية تنشد الاحسان الامر الذي يتجلى تحت لوائه كل الأهداف الأخرى.

التعليق: ان الاحسان درجة عالية لا ينشدها الا من سبق اسلامه وايمانه صحة وسلامة قلبه وصدق نيته وهو درجة عالية لا بدّ لمن أراد الضفر بها ان يتحرى طريق لذلك والطريقة التيجانية واحدة

من كثير هذه الطرق التي تنشد هذا الطريق الذي على أساسه تنقل الشيخ سيدي احمد التيجاني قبل نيله بين اعلام زمانه في حله وترحاله الى ان اتاه الله الفتح العظيم.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: لدورها الاجتماعي الذي أثر في مراحل تفاعلها عبر التاريخ فهي التي ساعدت الناس في الازمات والمجاعات واهتمامها بالضعيف ونصرتها إضافة الى حثها على الخلق الحسن.

التعليق: ان للطريقة التيجانية نهج تربوي روحي حيث تعمد الى الجلوة دون الخلوة وهذا الاتجاه جعل من حركتها الاجتماعية والثقافية ضمن اطارها الفيزيقي الممثل في زاوياها وعلى رأسها زاوية عين ماضي فقداسة الشيخ المؤسس وهالته الروحية إضافة الى تمكين نهجه التربوي في الجانب الاجتماعي جعل من زاويته في عين ماضي من اكبر الزوايا لما تمثله من بركة تمتد للشيخ المؤسس من جهة ودورها كمركز اشعاع حضاري لأشياع الطريقة في افريقيا اذ تعتبر محجا مهما في عديد المناسبات ناهيك عن التظاهرات العلمية فالمؤتمر الدولي السنوي الذي يعقد على مستوى مقر الخلافة في مسجد سيدي عبد الجبار الذي يجمع المريدين من كل أنحاء العالم وبكل اطيافهم من رجال دين وطلبة علم واكاديميين باحثين واسلاك ديبلوماسية من شتى القارات.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

الإجابة: هي لا تعزز ذلك بطريقة مباشرة اذ ان الانتماء الأول لها هو اخذ العهد وكونوا طوعا وبالتالي فالتعزيز يتأتى آليا وفق فقه الطريقة الديني والاجتماعي فحثها على الصلوات الخمس جماعة والتزام الذكر وفقهه واكتما للشريعة السمحاء اذ ان الانتماء الحقيقي يتأتى من خلال دائرتها الفضلية لسلوك الترقي نحو الفيضة الربانية وهو انتماء ينطوي تحته الفعل الديني والاجتماعي.

التعليق: ان قيمة الانتماء في الطرق الصوفية تأتي من خلال التزام شروطها وآدابها الا ان تعزيز هذا الانتماء يتمحور من سياق تقليد الطريقة التيجانية في معطى لمفهوم الدائرة الفضلية بمعنى ادق ان الانتماء لها هو فضل من الله وتوفيق منه وواجب الحمد والشكر للمحافظة على هذا الفضل فالطريقة التيجانية لا تعمد على أسلوب الاشهار والدعوة الى الانتماء لها بقدر ما تركز على نشر قيمها فعلا أخلاقيا فالانتماء لها في عرفها فضل ومنّة من الله وقد جاءت إجابة المبحوث تأكيدا لهذا السياق كونها لا تعزز الانتماء بطريقة مباشرة وذلك آليا من خلال التزام شروطها وآدابها والعمل وفق اطر الجماعة الطرقية التيجانية.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: نعم وذلك من خلال التزام محبة الشيخ وخلفائه المربيين من بعده وهو مشترك بين جميع طرق التربية الروحية ولعل ما يعزز كلامي هذا ما جاء في تراث سادتي الصوفية في قولهم انّ من لا شيخ له فان شيخه هو الشيطان فواجب المترقي الالتزام بمصاحبة الشيخ الواصل الموصل وهو ما يعزز أواصر الولاء.

التعليق: ان المرجعية الأولى للطريقة التيجانية وغيرها من الطرق هي النبي صلى الله عليه وسلم وان ما يميز الطريقة التيجانية هي مكانة شيخها عند أهل العرفان وامتداده نسبا للنبي صلى الله عليه وسلم من الحسن عليه السلام من ولد فاطمة بنت الرسول وامتداد طريقته تواترا في سندها الى النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة وبالتالي فالشيخ المؤسس هو المربي والقطب المكتوم فخاصية الكتمانية والقطبانية تعني في الوجدان الصوفي تلك الدرجة العالية التي بلغها الشيخ في علم الباطن وهو ميراث الأنبياء يمن الله به على من يختص من أوليائه وبالتالي فهذه الأسباب تؤكد ان محور الانتماء وتمكينه في نفوس المريدين في الطريقة مرده هذه الاعتبارات فحتى الشيخ

المربي في فقه الطريقة ما هو الا خليفة للشيخ الأصل فلا شيخ في الطريقة التيجانية دون مؤسسها سيدي احمد التيجاني وهذا ما جاء تأكيدا في إجابة المبحوث.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: نعم تحقيقا روحيا وعمليا فهي طريق تهذيب للأنفس بناء على قيم أساسية كالإخلاص في القول والفعل واستحضار النية السليمة وجوب مراقبة الله في السر والعلانية والاعتناء بالقرآن وتدبر آياته وملازمة الذكر والابتعاد عن المحرمات والشبهات

التعليق: ان التربية الطرقية هي نهج يستند إلى الكتاب والسنة فالمرور إلى درجة الاحسان تقتضي فقه علوم الشرع وأوله معرفة الله معرفة حقا وإخلاص النية في مجمل العبادات لله وحده دون غيره وبالتالي فان مجمل القيم الدينية تتحقق وفق تراتبية الترقي الروحي عمليا وواقعا في تهذيب النفس والعمل على إصلاحه ظاهرا وباطنا وهنا تكمن أولوية المحافظة على شرع الله والوقوف على تأديته وإخلاص النية كموجبة لقبوله كما ان من آداب المريد الصادق الابتعاد عن المحرمات ومراعاة حدود الله وحدود الخلق وهي من مقاصد الشريعة وهذا ما ورد في جواب المبحوث ضمنيا إضافة إلى الإشارة لملازمة الذكر لما له في فقه الطريقة من أهمية فهو ترسيخ لوحدانية الله ووجوب شكره وصلاة على نبيه الذي يعبر عن الالتزام بأوامر الله قال تعالى: "يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما".

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: كل القيم الدينية وخاصة الروحية منها كالإيمان وترسيخ الواقع كالإيمان بالقدر خيره وشره وحسن التوكل على الله وحده في كل أمر وافشاء سبل السلام والمحبة ومجاهدة النفس لأن النفس أمارة بالسوء الا من رحم ربي واعلاء كلمة التوحيد وإخلاص النية.

التعليق: بما أن الطريقة التيجانية طريقة تربية فهي تؤسس لمنظومة أخلاقية تستند على أسس دينية مستمدة من الكتاب والسنة فهي تصبوا لتهذيب النفس وصقل الإرادة في بلوغ اسمى القيم وأولها تثبيت الايمان واقعا من خلال الرؤية الخاصة للأنوار الربانية بعين الرضا واليقين في أن أمر الله خير مطلق والتوكل على الله في كل أمر وحين واقتفاء اثر النبي في الرحمة والمحبة ومجاهدة النفس وتطويعها بالذكر قرآنا وأذكارا فمفهوم السلكة هو ختم للقرآن الكريم وحثها على الطهارة الحسية والمعنوية تأكيدا لقيم اصيلة في الشرع الإسلامي فالطهارة للصلاة ملبسا ومكانا وبدنا يجب أن يستحضر الطهارة القلبية من صدق النية وهو ما يشتمل عليه فقه الذكر والتزامه جماعة هو من صميم الدين لأن فيه صد لأبواب الشر وعصمة من شرور النفس وعون على أمور الدين والدنيا فيد الله مع الجماعة اذ ذاك ما نستلهمه من خلال إجابة المبحوث اذ جاء جوابه وفق شمولية كل القيم وبالأخص الروحية التي هدفها التزكية القلبية الذي يعبر عن مكمن الايمان وصدق وحفظه من خلال التزام الأوامر والابتعاد عن النواهي وحفظ الجوارح لأنها طريق الى القلب.

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

الإجابة: على ما اعتقد تحققها روحيا وعمليا فهي طريقة تهذيب للأنفس بناء على قيم أساسية كالإخلاص في القول والعمل واستحضار النية السليمة ووجوب مراقبة الله في السر والعلن والاعتناء بالقرآن وتدبر آياته وملازمة الذكر والابتعاد قدر المستطاع عن المحرمات والشبهات.

التعليق: ان المنهج التيجاني هو نهج عرفاني هدفه الوصول الى درجة الاحسان ونيل الفتوحات الربانية وهو ما ترسخه سيرة مؤسسها الغارق في الفيوضات الربانية واشتغاله عمرا مديدا لنيل هذا المقصد إلى ان بلغ مراده بفضل من الله وهذا ما أشار اليه المبحوث كأحد المريدين الذي صرح في اجابته انها طريق عرفاني صوفي غايته الترقي في درجة الاحسان.

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: أهم المرتكزات هي قواعد الإسلام وأركان الايمان كشرط أساسي لبلوغ مراتب الاحسان.

التعليق: على ذكر ما جاء في تصريح المبحوث فان مرتكزاتها هي الالتزام بأركان الإسلام والايمان والتي أولها إقرار الوحدانية لله وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان، وايمانية كالإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر خيره وشره وكلها من عموم الدين وان كان التصوف خاصية اهل العرفان الا ان هذا الطريق هو تحصيل حاصل لهذه الأركان والترقي في تذوقها طمأنينة وأمانا قيمي ومجتمعي.

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: للذكر قيمة دينية مهمة لأن بواسطته يملأ المسلم ما فاض من وقته تبهلا ومناجاة وحمد وشكر وتوحيد للربوبية وابعاد للنفس عمّا يشغلها من عوارض الحياة فهو حياة للقلوب وصفاء للسرائر وطمأنينة لا يعرف فضلها الا من واضب عليها.

التعليق: للذكر قيمة دينية متأصلة في الشرع الحنيف بدليل ما جاء في الذكر الحكيم والسنة المطهرة وهو ما أشار اليه المبحوث في أهميته من منظور صوفي اذ يشغل حيز هام في سبيل الترقي اذ

يعبر عن اشغال الذات باستحضار معبودها على الدوام وإقرار الوحدانية وتنبيه للنفس عن الغفلة وطمأنينة ومأمن من غضب الله وسخطه وستر للمؤمن في الدنيا والآخرة وفرج ويسر بعد عسر وبالتالي فان للذكر قيمة مهمة في المنظومة التربوية الروحية لدى الطريقة اذ خصّ بأولوية في الطريقة لأنه عبادة تتعدى الذكر باللسان الى الذكر بالقلب.

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: نعم وقدوتنا هو النبي صلى الله عليه وسلم في حاله واحواله ومن بعده الصحابة والأولياء لأنهم ورثة الأنبياء في علم الباطن والتربية فمثلا في حضور جلسات الذكر لا بدّ من استحضار صورة النبي صلى الله عليه وسلم تمثلا في شخصية الشيخ الذي يجب طاعته وعدم الكلام في حضرته الا بإذن منه والاعتدال في الجلوس امامه كلها قيم تربوية تعلم بالقدوة والمجالسة ومصاحبة الشيخ المربي.

التعليق: ان الإشارة الإلهية لمحورية النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة والقدوة الحسنة قال تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة" إشارة لمفهوم القدوة والتي تستمد منها الطريقة التيجانية المدد النوراني فهو واسطة للحضرة الربانية في عموم المنظور الصوفي والطريقة التيجانية خاصة اذا ما سلمنا على ضوء ما جاء في امتداد سندها للنبي صلى الله عليه وسلم واقتصار مرتبة المشيخة على سيدي احمد التيجاني فهو القدوة في الطريق الصوفي التيجاني وبالتالي فإذعان الطاعة والخنوع لخلفائه في التربية من بعده هو التزام بالقدوة الأصل في الطريقة الممتدة سندا ونسبا للنبي صلى الله عليه وسلم فشرط محبة الشيخ المربي والصدق معه حالا

واحوالا والرجوع اليه نصحا ومشورة هو محور التربية بالقدوة التي تستلزم آداب عامة مع المريدين وأخرى خاصة مع الشيخ المربي الذي يلقن المريد قيما دينية وفيوضات روحية.

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: على اصعدة كثيرة فجانب الروحي غني بها والايمان بالقضاء والقدر يؤسس لشكر النعماء حال السعة والشكر حال الضراء يولد الحمد والرضى لأن مفاهيم الصوفية لأقدار الله تنسب لحكمته البالغة على تدبر الأمور وعليه فمن أسس الطريق كما جاء في اثر السادة الصوفية هي ان تعبد الله من حيث يرضى لا من حيث ترضى إضافة الى الجوانب الاجتماعية الأخرى كإنشاء روح البذل والعون لوجه الله الكريم وتقديم المشورة على الانفراد بالرأي كقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تجتمع امتي على ضلالة"، وكذا نشر قيم حسن العشرة والصدق في كل المعاملات الدنيوية وتجاوز الخلافات وتبادل الزيارات القرابية وزيارات المجاملات.

التعليق: ان الهدف من ظهور الطرق الصوفية على العموم هو تجسيد القيم الدينية والحفاظ عليها واستمراريتها من جيل الى جيل وفق منهج تربوي وتعليمي موجه لمرتاديها واشياعها ممن اخذوا العهد والذي يعتبر اعتماد اولي لتلقي هذه القيم إضافة الى مرتاديها على خلاف المريدين وفق منظور الزاوية والفعل الاجتماعي الذي تقوم به وبالتالي يتم تناقل وتجسيد هذه القيم الدينية داخل فقه الطريقة وما يلقن من اذكار ودروس وفقه معاملات للمريد ويتجاوزه في نقل هذه القيم لمرتادي الزاوية عبر مختلف نشاطاتها فتتحقق هذه القيم الدينية واقعا في المجتمع وتفاعلاته النسقية فكثير من القيم الدينية كالصدق والمحبة والاحترام ووحدانية الله يتم تناقلها من المريد الى اسرته ومجتمعه فتتجسد في واقعهم الاجتماعي وهذا ما أشار اليه المبحوث في تجسدها في اكثر من صعيد مشيرا

إلى تجسدها فعلا معنويا من خلال مفاهيم المحبة والايثار والصدق وفعلا اجتماعيا ملموسا من خلال التعاون والتناصح.

المحور الرابع:

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: ان المتبصر في ادبيات الطريقة وسير ومناقب اعلامها يتحرى تلك القيم في اهم مبادئها وقيمه الحث على قيم اجتماعية هدفها صيانة المجتمع المسلم والحفاظ عليه وهو أساس النهج الإسلامي الأول في الحفاظ على المجتمع واعمار الأرض.

التعليق: ان القيم الاجتماعية هي جملة المبادئ التي يتعارف عليها افراد المجتمع والتي تلعب دورا كموجهات سلوكية داخل المجتمعات وبالتالي نستحضر أهميتها في الحفاظ على المجتمع واستمراريته والزاوية كمؤسسة اجتماعية ثقافية من أهم أهدافها المحافظة على المجتمع بدءً من حاضنتها الأولى الممثلة في المريدين وجموع الاشياع في مكان نشاطها والذي يتمحور أساسا في المحافظة على القيم الاجتماعية وكونها من أولوياتها وهذا ما أشار اليه المبحوث في جوابه كنهج اجتماعي مستمد من أصول الدين والتي هدفها الحفاظ على المجتمع وتماسكه.

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: كثيرة هي أوجه التضامن الاجتماعي منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي كتقديم المعونة العينية طعام او مال وكذا اسداء الاهتمام والعناية النفسية بالنصح وتفقد حال الاخوان وزيارتهم.

التعليق: ان التضامن الاجتماعي خاصية من خصائص المجتمع الإسلامي لتحقيق فن التعايش وذوبان التراتبية الاجتماعية المبنية على التفاضل في الأموال والأنساب وهو عامل مهم في تأطير عملية التساند والتبادل بين أنساق المجتمع المختلفة ومؤسسة الزاوية على العموم في المغرب العربي والزاوية التيجانية على وجه أخص تعتمد على مبدأ التضامن الاجتماعي بأشكاله المختلفة وفي هذا إشارة لما أدلى به المبحوث حيث تقدم نوع من التضامن الآلي بين مريديها وأقطاب المجتمع مع إشارة لافتة الى ذلك التضامن المعنوي المستمد من صميم شرعنا الحنيف اذ الاخذ بيد الأخ مشورة ونصحا وبسطا للسريرة ولو بالابتسامة هو معالجة أسباب نزوغ الافراد نحو العزلة والانطواء ومحاولة ادماجهم تضامنيا وفق اطر الجماعة عن طريق أفعال تضامنية معنوية ومادية.

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: نعم تساعد على ذلك فمثلا عند اخذ العهد وفق طقوس مخصوصة تبدأ بالتوبة فهو عهد مع الشيخ على ترك المعاصي وقيم الطاعات ما استطاع لأن الله طيب لا يقبل الا طيب وهو ما يشير اليه التراث الصوفي في قولهم: "حتى لا يراك حيث نهاك والا يفتقدك حيث امرك" فهذا اندماج اجتماعي وفق الجماعة الطرقية.

التعليق: ان الاندماج الاجتماعي ظاهرة جديدة متجددة في الدراسات الاجتماعية اذ تعدّ من مشاكل العصر وهذا لأهمية الاندماج الاجتماعي في دينامية المجتمعات والإسلام كدين وشريعة للعالمين

تحقق هذا المفهوم الذي يتجاوز أدبيات العرق والجنس إلى الذوبان في حقيقة الانسان الواحد وهو ما يتماشى مع الطرح الانثروبولوجي في مفهومه للإنسان، ويشير المبحوث إلى آليات الاندماج داخل جماعة المريدين موضحا ذلك في أخذ العهد كشعيرة اندماج أولية يتم تنميتها مع دوام ملازمة الجماعة والتزام فقه الطريقة الذي يؤصل مبدئيا على مفهوم الجلوة بمعنى الاختلاط ومعاشرة الناس وهو ما امرنا به النبي في ضرورة الاختلاط بالناس والصبر على اذاهم لان في ذلك اجر عظيم لمن أراد الدعوة لله بالموعظة والكلمة الطيبة فالمريد يحمل هذه الرسالة النبوية ويحاول ترجمتها فعلا واقعا من خلال اندماجه الاجتماعي.

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: تجسدت في مستويات مختلفة في آداب وسلوك المريد مع مشايخه واقرانه من مريدين ومع اسرته وجماعة الاقران والمجتمع عامة حتى مع من ليس على نهجهم الطرقي وعلى طريقة أخرى وواجب التحفظ وحسن الادب معهم من أصول التصوف الطرقي التيجاني لأنهم كلهم من نفس المشرب ينهلون فهدفهم واحد هو بلوغ درجات الاحسان.

التعليق: من خلال دراستنا الحقلية المبنية أصلا على الملاحظة والمستندة على الدراسات السابقة يتبين أن تجسد القيم الاجتماعية واقعا في حياة المريد الاجتماعية يتجلى في معاملاته المختلفة ضمن دائرة المريدين وخارجها في مؤسسات المجتمع الأخرى وهذا ما أكدته إجابة المبحوث في تجلي هذه القيم واقعا من حيث المعاملة وحسن الادب والتلفظ وتوقير الصغير قبل الكبير وفن التعايش المبني على أسس قبول الاخر وهو ما لاحظناه في دراستنا الحقلية في استيعاب الطريقة التيجانية للرأي الاخر الممثل في جل الطرق الأخرى فمثلا حضور مشايخ ومريدي الطرق الأخرى في زيارات مجاملة للخليفة العام وحضور ملتقيات علمية.

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: تنمي روابط اجتماعية قوية لأن أصل هذه الروابط هو تعبدي فهي تنمي الروابط الاسرية من خلال الحث على طاعة الوالدين واعتبار كل من دخل الدائرة الطرقية التيجانية ملزم بواجب الاخوة فيها حتى ظهر ذلك في علاقات النسب متجاوزة الأعراف من داخل العائلة التيجانية نفسها فالأخوة في التيجانية تقوي مفاهيم اجتماعية.

التعليق: ان الرابط الاجتماعي هو ذلك الحس المشترك الذي يربط الفرد بجماعته الاجتماعية مهما كان نوعها وتقوية روابطها كما جاء على لسان المبحوث يكمن أساس في رضا الوالدين حيث تتعدى المتعارف عليه وفق نمط القرابة الدموية والنسب إلى مفاهيم أقرها الإسلام كمفهوم الاخوة في الرضاعة مرسخ في تراث الطريقة فكثير من مشايخ الزاوية المعروفين تربوا في أحضان عرش غير أهلهم والذي يعتبر بالنسبة لهم محل بركة وتمتين لتلك الروابط الاجتماعية بين الزاوية وحاضنتها الاجتماعية من العروش الأخرى مثل سيدي عبد الجبار التيجاني الذي تربى في أحضان عرش ولاد زيان فهذا فهذه الفسيفساء الاجتماعية تؤسس لتقوية الرابط الاجتماعي.

26. فيما تمثل انعكاس دور شيوخ الزاوية التيجانية على المجتمع؟

الإجابة: نعم انعكس دورهم كمرجعية دينية شعبوية واجتماعية وثقافية وهذه الأدوار لها تاريخ عميق في الذاكرة الجمعية كتاريخ مشترك بين الشيخ المؤسس والاجداد والاحفاد ومثلا في ثقافة تقمص الأسماء بركة وتيمنا انتشار أسماء دون غيرها مثل الطاهر والحبيب محمد والتجاني والبودالي وعلال فهي أسماء لمشايخ سابقين كان لهم سبق التأثير في تاريخ الطريقة وبالتالي

فلشيوخ الزاوية تأثير عميق في الفعل الاجتماعي والديني في المجتمع فهم مرجعية دينية ذات طابع تربوي اجتماعي.

التعليق: ان التربية بالقدوة أسلوب تربوي متجذر في تاريخ الفكر التربوي الإنساني عبر الحضارات الإنسانية ابتداءً من الحضارات القديمة والحضارة الإسلامية اعتمدت هذا الأسلوب في قصص الأنبياء والطريقة التيجانية كتراث إسلامي يمتد إلى النهج الصوفي تستند إلى هذه المنهجية في التربية اذ يعتبر الشيخ المؤسس القدوة الأصل في التربية وتنتقل إلى احفاده من بعده وخلفائه وخير دليل على انعكاس دور شيوخ الطريقة في المجتمع كما جاء على لسان المبحوث هو تقمص الأسماء تيمنا وبركة بهم وبمآثرهم على اختلاف مراحل خلافتهم فمثلا سيدي بن عمر التيجاني تذكره المناقب التراثية للطريقة وعموم ساكنة المنطقة بتلك النزعة الدينية ونشر الإسلام في أعماق افريقيا الوثنية بالموازات مع ذلك الصراع الثقافي الديني الممثل في فرنسا الاستعمارية وحركة التبشير.

تقييم الحالة الخامسة:

من خلال عرض إجابات المبحوث من خلال المقابلة الميدانية يتضح لنا من خلالها جملة من التقييمات حولها حيث تضمنت الإجابات في المحور الأول المتعلق بالفرضية الأولى التي تشير إلى أنه **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم.**

يعتبر الشيخ المؤسس رجل زاهد صوفي فهو علم من أعلام التصوف والزهد ومنهله في ذلك أصالة الشرع الذي يستجد ملامح الباطن كما الظاهر، كما أن للطريقة التيجانية مبلغ مهم في انتشارها ومرد ذلك ليسرها واعتمادها ذكراً ووروداً على البسيط منها العميق الدلالة كاعتمادها على

الكلمة المشرفة التي تعد مناط التوحيد وسر الوجود وبالتالي فإنها ترتكز على الكتاب والسنّة وهو ما جاء في المأثور عن الشيخ المؤسس هذا الأخير الذي يعد من أولويات الطريقة فمحبته واجبة وتتراءى في التزام أذكار الطريقة والانفراد بها، فالمريد في الطريقة أساس نهجه تربوي ينشد الإحسان كمحب لعلوم الظاهر والباطن وهو ما أهل الزاوية لتصدر الريادة لأسباب أهمها دورها الاجتماعي إضافة إلى دعوتها إلى تلقين محاسن الأخلاق فالخلق الحسن دعوة فاعلة في تعزيز الانتماء لها وان كان أول الأمر يكون طوعا وآليا ويتعزز وفق نمطية المسلك الديني الاجتماعي للطريقة فأصل الانتماء فضلي يتعزز وفق الديني والاجتماعي داخل النسق الطرقي التيجاني، وهذا الانتماء يفضي إلى الالتزام بمرجعيات الطريقة مما يؤدي إلى تعزيز قيم الولاء للمريد من خلال براء الولاء للشيخ المؤسس وخلفاءه من بعده فالمريد الحقيقي لا ينال حظ الوصل إلاّ بالتزام ولاء الطريق ومحبة الشيخ، والمنافحة عنه بأخلاقه ومثله العليا.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية التي تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين**، يعتبر الطريق التربوي الصوفي تحقيقا لقيم دينية وتأصيلها في نفوس المريدين عملياً وروحياً فواجب الاعتناء بالقرآن تلاوة وتدبراً ووجوب استحضار النية واخلاصها لوجه الله واستحضار حرمة الله من أبجديات السلم القيمي الديني، ونظرا لمكانة الشيخ في الطريقة في غرس هذه القيم يشيد بدور الطريقة التيجانية في غرس قيم دينية روحية تؤسس لقاعدة الدين الأولى الايمان وترسيخه واقعاً في مجابهة صوارف المعاش من أقدار بخيرها وشرها وتحري التوكل على الله في كل أمر وافشاء سبل السلام واعلاء كلمة التوحيد واذعان العبودية لله وحده، وبالتالي فالطريقة التيجانية في سبر طريق مريدها نحو الكمالات الدينية وبلوغ مراتب الاحسان إنّما تعززه وفق أطر تربوية روحية

وفكرية (عقلية)، فهي تزكية للنفس من الرذائل وتحلية بالتزام الأذكار والاعتناء بالقرآن ودراية بمخصوص تشذيب الأنفس ورسم لحدود الله واستحضارها حالاً ومآلاً وبالتالي فأهم المرتكزات الدينية التي يعمد شيوخ الطريقة إلى تعميمها على كل طالب مريد هي غرس القيم الايمانية والتعريف بالإسلام كدين فطرة وتمكين النفس من حلاوة الايمان كطريق أولي لدرجات الاحسان فمعرفة الله حق قدره ومقداره العظيم تحيل النفس لحمده وذكره ولا يأتي ذلك إلا من صفات العبد الشكور ومنه يستند الذكر أهمية في فقه الطريق الصوفي التيجاني فهي سكينة واطمئنان وتجاوز ذكر اللسان إلى ذكر القلب ومرجع ترسيخ هذه القيم الأخذ بأمرها حقلا دينيا واجتماعيا يعود إلى امتثال القدوة الأصل فيها سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ومحبة أولياء الله فهم ورثة علم الباطن وهويتهم الرمزية في حلقات الذكر وتلقي العهد ومصاحبتهم إنما هي تربية للقدوة في الحركات والسكنات والأحوال والأفعال، وما يفسر تجسيد كثير القيم واقعا في أهم شق وهو عبادة الله حق عبادته والابتعاد عن أوجه الرياء وإخلاص العبادة له والرضا عن أقداره نعماء وضراء وتجسيدها من فلسفة صوفية خالصة من معاني ايمانية عميقة كالحث على صلة الرحم وفضلها بدءً ببر الوالدين وإشاعة التراحم وبذل الخيرات لوجه الله والنظر لأمور الظاهر بفلسفة عميقة يحقق أهداف السلم القيمي الديني في بناء الانسان.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثالث المتعلق بالفرضية الثالثة التي تشير إلى أن **للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها**، إنّ القيم الاجتماعية تكتسي أولوية بالغة في الزاوية التيجانية فأدبيات سيرها وأعلامها في تحري هذه الأخيرة والحث عليها فعلا وقدوة إنّما أساسه الأول من صميم الدين للحفاظ على استقرار واستمرار المجتمع وتسانده واعمار الأرض الأمر الذي تعمد اليه الزاوية التيجانية وتحقيقه وفق مبدأ التضامن الاجتماعي

الذي يتجاوز المادي منه كالعطايا والهبات إلى ما هو نفسي معنوي، فالنصح وتفقد حال الاخوان، والاشارة لهم لما يعضد لحمتهم الاجتماعية ويحقق التوازن الاجتماعي كإشاعة الكلمة الطيبة، والتجاوز عن زلات الآخرين وعدم الانتصار للنفس إلا فيما يرضي الله، ويبقى هذا التضامن الاجتماعي محل فاعلية توازن الجماعة الطرقية التيجانية من خلال تحقيق الاندماج الاجتماعي وفق الجماعة الأولية للمريدين من خلال تقمص العهد كطقس مروري من جماعة اجتماعية عامة إلى جماعة لها خصوصياتها وهو عقد اجتماعي مع الشيخ وجماعة المريدين، إذ يعمد على تمكين الاندماج الاجتماعي الأشمل داخل المجتمع من خلال العمل على تحقيق رسالة الطريقة التيجانية الدينية والاجتماعية عبر جميع أنساق المجتمع الأمر الذي يحيل إلى تجسد هذه القيم من خلال قنوات اجتماعية وفق أنساق المجتمع في عملية تبادلية تعكس رسالة الزاوية وأهدافها وفق سلمها القيمي في تفاعلها الأولي داخل الجماعة ومن خلالها لأسر المريدين وجماعتهم الأولية ممثلة في جماعة الرفاق والعمل مع التزام فقه الطريقة الذي يتضمن شروط وآداب مخصوصة جلّها يجسد مفهوم التصوف العملي بعيدا عن التصوف الفلسفي التنظيري وفي ضوء هذا الطرح فهي تنمي روابط اجتماعية أصيلة في البناء النسقي للمجتمع من خلال الحث على المحافظة والعناية البالغة بروابط الدم والرحم ورابطة الأخوة التيجانية وتجاوز هذه الروابط الاجتماعية إلى حد بناء علاقات مصاهرة بين أسر المريدين وامتداد علاقات الأخوة إلى الأخوة في الرضاعة، ومن الملاحظ أنّ للمشيخة في الطريقة التيجانية انعكاس ودور فاضل في المجتمع كمرجعية دينية شعبوية اجتماعية وثقافية وتأثيرها البالغ في الذاكرة الجمعية واستطرادا للطرح الأنثروبولوجي في اتجاهه الانتشاري كامتداد من المركز الأول للشيخ المؤسس وعبره من خلال خلفاءه في مسلك التربية، وما يمثلونه من رمزية للشيخ في المخيال المجتمعي الطرقي.

الحالة رقم (06):

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس: ذكر.**
2. **السن: 38.**
3. **المستوى التعليمي: جامعي.**
4. **الحالة العائلية: متزوج.**
5. **مدة الالتحاق بالطريقة: منذ 26 سنة.**

المحور الثاني:

6. **كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟**

الإجابة: سيدي احمد التيجاني شخصية متصوفة غارقة في الفيوضات الربانية حظيت بمرتبة القطبانية فهو قطب مكتوم.

التعليق: ان للشيخ سيدي احمد التيجاني مقام مرموق في النهج الصوفي الطرقي لما خصه الله به من فيوضات ربانية حتى أصاب مرتبة القطبانية والكتمانية ولعل ما جاء في إجابة المبحوث يؤكد ذلك وهو ما جاء في تراجم وسير الشيخ رضي الله عنه فهو طالب للعلم وباحث عن اهل الصلاح والتزامه هذا الخط التربوي في رحلته ومجاهدة النفس إلى أن نال الأنوار الربانية في الفتح العظيم في خلوته في بوسمغون وشرفه الله برؤية النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ الاوراد عنه.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الإجابة: سر انتشارها هو اقتران العلم والعمل معا تحت لوائها.

التعليق: ان للطريقة التيجانية امتداد واسع في انحاء العالم وهو ما يؤكده اعداد الاشياع والاتباع التي تربوا من ثلاثمئة وخمسون مليون مريد حسب احصائيات سنة 2015 ولعل هذا القبول والانتشار وأن يعزى لأسباب تتصل بنهجها وهو ما أقره المبحوث قولا في اجابته التي جاء في مفادها أن سر انتشارها هو اقتران العلم والعمل تحت لوائها التربوي والديني فمؤسسها الشيخ أبو العباس احمد التيجاني جمع بين العلم والعمل في حله وترحاله طالبا للعلم الشرعي والعلم اللادني متنقلا بين صنوف الامصار من تلمسان إلى المغرب إلى مصر وملاقاته علماء العرفان وتعرفه على أحوال ساكنة الامصار والأقطار أهله بعد أن من الله عليه بالفتح أن ييسر لطريقته سبل القبول والانتشار من خلال فن الدعوة المبني على اقتران العلم والعمل.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: الكتاب والسنة وجميع اذكارها مستمدة من الشريعة السمحاء.

التعليق: أهم مرتكزات الطريقة التيجانية هي الكتاب والسنة فهي طريقة محمدية وعبادتها خالصة لله وحده هدفها تربية الانسان وهذا ما جاء في جواب المبحوث أن أهم أسسها كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم واقتصار أذكارها في الاستغفار والصلاة على النبي والكلمة المشرفة التي تدل على وحدانية الله فهي من صميم الأوامر الإلهية.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أولوياتها الانفراد بالطريقة وذلك تعظيما لسندها المتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة.

التعليق: ان شمول الطرق التربوية على أسماء أعلام مشايخها لدليل على مكانة الشيخ المركزية في الطريقة فهي تلحق به نسبا وانّ ما يؤخذ بصفة الاشتراط في الطريقة هو الأخذ بها دون غيرها والانفراد بها فيحق لمريدي غيرها من الطرق الالتحاق بها شرط التحلل من عهده السابق الا أنه لا يحق الانتماء لغيرها لمن أخذ فيها العهد وهذا ما جاء في قول المبحوث وتعليله في ذلك هو انتسابها مددا ونسبا للرسول صلى الله عليه وسلم ومرد ذلك مما جاء في أدبيات وتراجم الطريقة التي تحيل إلى ذلك التفرد في خصوصية الطريقة رغم اخذ شيخها من شيوخ الطرق الأخرى إلا أن لطريقته خاصية تفردها سندا دون غيرها وهو ما يلزم المنتمي اليها لزوم التفرد بها دون غيرها.

10. على أي أساس بنى الشيخ زاويته؟

الإجابة: بنى الشيخ المؤسس زاويته على التربية والعلم لأن العلم اللادني لا يأتي الا بالتربية الروحية والمجاهدة فيها.

التعليق: ان الطريقة التيجانية هي طريقة ذكر وشكر دون تكلف ولا تجرد من الدنيا وهو ما جاء في مرامي جواب المبحوث حين أشار لمفهوم التزكية التي يقصد بها التزكية والعلم بمعنى علوم الشرع فهي موافقة لذلك الخيط الرفيع بين الحقيقة والشريعة فمن تفقه ولم يتصوف فقد تزندق ومن تصوف وتفقه فقد تحقق بمعنى وصل صبر النفس على علم التزكية ولعل ما جاء في إجابة المبحوث تقديرا لمعنى المجاهدة هي صبر النفس على العبادة والجد فيها إضافة لتضمينها واجب العمل بها في فقه المعاملات ذلك الجانب الاجتماعي الذي أكدّته الطريقة بما ينسب لها كطريق جلوة لا خلوة بمعنى الخوض في المعاش ونفع الخلق ومخالطتهم.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: لمكانتها وأهمية شيوخها فهي تنفرد عن غيرها من الطرق اذ يتواتر سند غيرها شيخا عن شيخ فهي على الرغم من أخذ شيخها في بدايته في طريق العرفان عن مشايخ طرق مثل الخلوتية الا انه لمّا وقع له الفتح الأكبر في بوسمغون أخذ وردها مشافهة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو سنده ومدده.

التعليق: ان الطريقة التيجانية من أكبر الطرق انتشارا في العالم إذ لها زوايا تمتد لأقاصي آسيا وافريقيا وهو ما يحيلنا إلى جواب المبحوث الذي وضح في ثناياها اعاز أسباب ذلك إلى مكانتها وأهمية شيوخها كعلماء دين ونشاطهم الاجتماعي كل وفق منظور حاضنته الاجتماعية ومآل حال عصره وزمانه إضافة الى ما تكتسيه خصوصية سندها وتفردها عن غيرها في السند.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

الإجابة: نعم تعزز ذلك من مبدأ المساواة بينهم إلا في أمر الترقي الروحي الذي يبقى محل تنافس ومثابرة وقبول رباني يصطفي الله منه من يشاء من خلقه ومما يعزز الانتماء هو خصوصيتها الت تحذر من التقشف والبعد عن الناس بل العكس من ذلك تماما اذ يجب الاختلاط بالناس في المعاش اليومي واخذ سبل الأعذار للمخطئ منهم والعفو عن المسيء منهم.

التعليق: ان خصائص الطريقة التيجانية التي ترتكز على شيوع أنماط قيمتها والمتمثل في مركزية الشيخ كمربي ودور الخليفة لما يمثلونه من رمزية للشيخ المؤسس وصولا إلى المريد الذي يطلب سبل الترقية بدءً من أخذه العهد من شيخه المربي ونيابة عنه من الخليفة بعد تحقق شروط انتمائه داخل جماعة المريدين مما يسهل الانتماء وفق ضوابط الأخوة الروحية في الشيخ ورابطة الأخوة التيجانية التي تلزمه الأخذ بأسباب الانتماء لها مشورة واهتماما ونصح واعانة على أمور الدين والدنيا وهو ما أشار اليه المبحوث، فكل ذلك اليسر يسهل عملية الانتماء والاندماج داخل الجماعة الطرقية من محبة وأخوة بين المريد والمريد والعلاقة الأبوية والروحية للشيخ اذ تستقى منه المشورة حالا وأحوالا في أمور الطريقة والمعاش قصد المساعدة والاشارة بالنصح والدعاء فكل هذه الأطر تؤسس لقيم الانتماء.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: هو لا يعززها بالمعنى المباشر لكن يتأتى ذلك من خلال التراث المناقبي للمشايخ وخاصة دورهم الاجتماعي والتربوي في المجتمع.

التعليق: ان الطرق الصوفية عبر تاريخها ترتبط ارتباطا وثيقا بمرجعيات تعتبر ذات صلة وثيقة بمراحل تأسيسها والتي تحصر أصلا في الشيخ صاحب الطريق ومن بعده خلفاؤه في التربية الذين

يستمدون أسرارها التربوية وفق تناقلها تواترا خليفة عن خليفة فهم من يحافظون على سلمها القيمي وأسباب استمرارها بغرس قيم الولاء لدى المريدين وعموم الأشياع والأتباع ولعل أول طريق الولاء هو اخلاص المحبة للشيخ وهذا ما نلاحظه في فقه الطريقة التيجانية التي تقتصر فيها مرتبة الشيخ على الأصل المؤسس وحده وكل ما دونه هم خلفاء في التربية لا توفيق لهم إلا ببركته وبالتالي فتعزيز هذا الولاء يتأتى محبة الشيخ ويعمل خلفاؤه من بعد وعموم المريدين والأشياع والمحبين على تعزيزه من خلال احياء أسباب وصل البركة ومحبة الشيخ ضمن الفعل الاجتماعي وهو ما سبق الإشارة اليه ضمن تصريح المبحوث.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: تحقق الكثير من القيم الدينية لدى المريدين فهي طريقة تربوية تستند إلى الكتاب والسنة وأقوال الشيخ المؤسس والطريق الصوفي عامة ومن أهم هذه القيم قيم التعاون على البر والسلم وكل فضائل الاخلاق الدينية من صدق وطلب علم وكرم نفس وحفظ مقاصد الشريعة من نفس ودم وعرض.

التعليق: إنّ الطرقية منهج تربوي يتحرى تحقيق قيم دينية واجتماعية وينهج في ذلك سبلا مختلفة على اختلاف الطرق وفلسفة مؤسسيها والطريقة التيجانية واحدة من هذه الطرق التي تسعى إلى مأسسة سلم قيمي اجتماعي وديني وفق فلسفة تربوية روحية إذ تعمد إلى الموازاة بين الديني والاجتماعي الذي يتجلى في آداب وشروط المريد لأنها تنطلق في أساسها من الكتاب والسنة وما

يشير اليه المبحوث في جوابه يعتبر دليلا على أن الطريقة التيجانية تحقق القيم الدينية لدى المريدين وذلك من خلال الحث على قيم التعاون وفضائل الأخلاق والصدق وحفظ مقاصد الشرع.

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: كل القيم الدينية كالصدق والأمانة والإخلاص والتعاون والأخلاق لأن الطريق الصوفي أوله معرفة بالشريعة وصولا بالحقيقة والتي لا بدّ وأن تمثل ذلك التشابك في الأبعاد العلمية والعملية للشرع الحنيف وتقديس الانسان كونه مستخلفا في الأرض.

التعليق: إن الطريقة التيجانية تسعى إلى غرس مختلف القيم الدينية لدى المريدين والتي يسعى شيوخها بدءً من مؤسسها إلى نقلها كاملة بين المريدين وخارج دائرة المريدين فهي تمثلات قيمية تعكس مبادئ التيجانيين ولعل هذا إشارة واضحة لما أدلى به من المبحوث حيث يرى أنّ أنواع القيّم التي يسعى شيوخ الطريقة إلى تكريسها الصدق الذي يعتبر حجر أساس كل عمل ومدخل كل عبادة كذلك الأمانة والإخلاص اللذان هما يعكسان قيمة الصدق والتعاون والإخاء فهذا يجسد حملة القيم الدينية للطريقة التيجانية.

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

الإجابة: هو هدفها الأصيل وهي تعززه من خلال شروط الانتماء ومن خلال الممارسات والطقوس وصولا إلى اعتنائها بالجانب العملي في التصوف الذي يدعوا إلى دماثة الخلق ومعاملة الخلق بالحسنى.

التعليق: إن التصوف في تاريخ الإسلام جاء كرد فعل لابتعاد الناس عن مقاصد الدين والنهج النبوي ونزوغهم إلى حياة الترف فجاء كرد فعل في المشرق العربي لهذا الطارئ أما في المغرب العربي جاء بنهج عملي يتمثل في الطرقية ممثلة في مؤسساتها (الزاوية) والتي طابعها التربوي الاجتماعي هدفه بلوغ درجات الاحسان وفق نهج جديد مختلف عنه في المشرق الإسلامي من خلال الأخذ بالتصوف في التربية الروحية دون تقشف وهو ما تؤشر له مبادئها وممارساتها الطقوسية ذلك الطابع الجماعي دون خصوصية وهو ما أكدته إجابة المبحوث في أن التصوف هو جوهرها الأصيل واعتنائها بالجانب العملي دون النظر وحده كفلسفة روحية كما جاء في غيره في المشرق العربي.

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: أهم المرتكزات هي الكتاب والسنة كما ثبت من الشيخ من فقه للطريقة وآداب وشروط في الانتماء اليها مع تأكيدهم على جانب الخلق لأن الدين عند الله الخلق.

التعليق: إن للطريقة التيجانية مرتكزات أصيلة تستند إلى الكتاب والسنة فواجب وشرط الانتماء اليها يصح بصحة اسلام الفرد وصلاحه وتوبته مع الالتزام بشروطها ومبادئها وتحقق أسباب الانتماء لها والولاء لمرجعياتها ممثلة في الشيخ سيدي أحمد التيجاني وهو ما جاء في سياق ما أدلى به المبحوث في مضمون اجابته بإشارته لاعتمادها الكتاب والسنة وما ثبت عن الشيخ من فقه للطريقة مما يوافق ميزان الشرع الحنيف كمحدد أساسي في الاخذ به أو الرد عليه.

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: يأخذ الذكر أهمية بالغة لدى الطريقة ويتمظهر في أبعاد متعددة وهو ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالتدبر في خلق الله كائنات وجمادات فبه تحيا القلوب وتلين النفس لتخامر حلاوة الايمان وتستميل النفس لبلوغ الحقيقة.

التعليق: ان للذكر أهمية بالغة في الشرع الإسلامي عامة وفق النص الديني ممثل في القرآن والحديث النبوي والطريق الصوفي مبني على سبيل الوصول لرضا الله الذي يستدعي ذكره دواما وحالا في النفس والقلب واللسان والطريقة التيجانية تولي بما كان أهمية بالغة في الذكر فهو سهل بسيط في متناول عموم الناس فهي استغفار وهيللة وصلاة على النبي وهذا ما أكده جواب المبحوث في فضل الذكر وأبعاده والتدبر به وتليين القلب واحياء القلب.

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: أعتقد أنها ذات أهمية بالغة وخاصة لدى الطريقة التيجانية لما لها من صفة العمومية في استقطاب مريديها فهي بعيدة عن الانتقاء والخصوصية وهذا ما يفتح المجال واسعا للتربية بالقدوة من جهة تأثيرها على الشخص كفاعل يؤثر ويتأثر وتأثير المريدين بعضهم ببعض رغم اختلاف أدوارهم الوظيفية داخل الطريقة إذا ما سلمنا جدلا أن الخليفة المربي هو مريد للشيخ الأصل فمنه يستقي القدوة الأصل التي تمتد إلى سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم الذي قال في حقه سبحانه وتعالى "وإنك لعلى خلق عظيم".

التعليق: ان التربية بالقدوة لها أصل متجذر في تاريخ الثقافة الإنسانية عبر محطاتها الحضارية وهو ما نلمسه في الإرث الأنثروبولوجي العميق في مفهوم المرافقة عند اليونان القدامى لتأهيل

الناشئة فنون العلم والقيادة ولزوم الشيخ والاقتداء به في أبجديات السادة الصوفية يحاكي هذا الطرح لكن وفق مرجعية تستند إلى الوحي ومفهوم الرسالة فكل طريق هدفه الوصول إلى الحضرة الإلهية التي مفتاحها حب النبي والمنافحة في تقمص أخلاقه والاقتداء به وطريق ذلك هو الشيخ الواصل المربي وهذا ما جاء في صميم إجابة المبحوث حين أكدّ على أهمية التربية بالقدوة في طريق التربوي التيجاني ومدى تأثيرها على المريد وكافة المجتمع.

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: أعتقد أن هذه القيم مجسدة لدى المريدين والتي انعكست تأثيراتها خارج المجتمع الطرقي التيجاني وهو ما تلعبه الزاوية التيجانية من أدوار يتقمصها مريديها وفاعليها داخل الزاوية وخارجها كسفراء لنقل وترجمة هذه الأخلاق والقيم في حل عديد المشاكل الاجتماعية والخلافات المحلية والإقليمية مثل إشاعة سبل السلم والمحبة ونبذ الفرقة وهذا ما يحسب للطريقة في مساهمتها في حل الخلافات والوساطة.

التعليق: ان هدف الطريقة التيجانية هو تجسيد القيم الدينية واقعا في حياة الناس وهو ما تسعى إليه حين تربوا إلى تبسيط هذه القيم وجعلها في متناول كل الخلق وهوما يوسع دائرة تموضعها في كل مناحي الحياة هذا اذا ما سلمنا جدلا أن الدين المعاملة وتأكيدا على العلاقات البينية بين الخلق التي لا بدّ وأن تبنى على قيم دينية ذات بعد أخلاقي في هندسة التوازن الاجتماعي وضمان استمرارية المجتمع الإسلامي بأبعاده الثقافية المتباينة جغرافية وعرقا وهو أصل البعثة الأولى للنبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعث للناس كافة وبالتالي فالطريقة التيجانية دعوة لهذا النهج وفق مبدأ الاختلاط والتعايش وحل النزاعات والخلافات بالوساطة والنصح والكلمة الطيبة وهذا ما سبق ذكره في إجابة المبحوث.

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: نعم لأنها نهج تربوي أساسها الخلق السوي وسندها الرسول صلى الله عليه وسلم الذي قال الله سبحانه وتعالى في حقه: "وإنك لعلى خلق عظيم" ولعل خلقه سبق مراحل حظوته بالرسالة فهو المشهود له بالصدق والأمانة وحسن الخلق في دائرته الاجتماعية داخل مكة التي تمثل خط التمدن في عصره إذ تعتبر جامعة لعديد القبائل ومركز تفاعل اجتماعي ذو بعد ديني مركزي ممثل في حج الكعبة وتبادلات تجارية بمعنى أن أخلاق النبي السابقة لبعثته ذات طابع اجتماعي محظ والطريقة التيجانية كطريق تربية تستند إلى أخلاق النبي والسير على نهجها وخاصة في الجانب الاجتماعي الذي يدخل ضمن دائرة المعاملات لأن علاقة الانسان بربه علاقة خاصة غير الاجتماعية التي تعتبر علاقات تعدي.

التعليق: ان الزوايا في عموم المغرب العربي كأرض للزوايا في أدبيات التراث الصوفي إنما جاءت لتحقيق أهداف اجتماعية للحفاظ على المجتمعات وضمان استمراريتها وفق خصوصيتها ولعل القيم الاجتماعية تأخذ حيزا مهما في سلمها القيمي الذي تسعى لتحقيقه لحفظ تماسك المجتمع وتحقيق روح التضامن والتعاون والألفة وهو ما جاء موافق لإجابة المبحوث في تأكيده على أن القيم الاجتماعية أولوية في السلم القيمي للطريقة اذ أنها تربوا إلى تحقيق الدعوة بالكلمة الطيبة والأخذ بأيدي الناس بكل معاني الأخوة والألفة والتعاون وهو مجال نشاط الزوايا وأسباب تأسيسها كل وفق فلسفته الطرقية وخصوصية حاضنتها الاجتماعية.

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: نعم فالمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص والجماعة الصوفية الطرقية في طابعها الاجتماعي المغاربي هي تمثلات للعائلة الواحدة التي يجمعها البعد الأبوي الروحي الممثل في سيدي أحمد التيجاني الشيخ المؤسس فواجب تقوية أواصر الجماعة الطرقية إنما يكون بسبل تعاضدها وتساندها امتثال لأوامر الله أولا بالتزام الجماعة والالتفاف حول حبل الله.

التعليق: ان التضامن الاجتماعي على الرغم من كونه مفهوم متعدد الأبعاد إلا أن عموم المفهوم يشير إلى درجة الارتباط والتشاركية بين أفراد المجتمع نحو هدف موحد وله من الأهمية بما كان في تشكيل البنى التاريخية والحضارية الثقافية لمجتمع ما لأنه تعبير وتجسيد لكيفيات التفاعل البيني والتساند الجمعي في سبيل تحقيق هدف مشترك وكذلك كبدائل وظيفية في غياب المؤسسات الرسمية في تحقيق أسباب استمرارية المجتمع لظروف وصوارف تاريخية أو ثقافية والطريقة التيجانية ممثلة بزواياها تشغل حيزا مهم في إشاعة سبل التضامن وفق فلسفتها الاجتماعية التي تحاكي الرؤية والنهج الاجتماعي للدين الحنيف مع مراعاة خصوصيات الثقافة للمجتمعات الحاضنة للطريقة وهو ما يفسر دورها التاريخي في الحفاظ على آليات استمرار المجتمع سواء في الظروف العادية أو الاستثنائية (الانتداب العثماني والاستعمار الفرنسي) والطريقة التيجانية وبناءً على خصوصيتها السوسيوثقافية واعتمادها على التربية الروحية التي هدفها خدمة الانسان تؤصل لمفاهيم التضامن الاجتماعي فعلا اجتماعيا من خلال مريديها إلى كافة الخلق حتى لمن يخالفها الرأي والطريق وهو ما جاء في سياق إجابة المبحوث فالتضامن الآلي داخل الجماعة التيجانية ويمتد إلى عموم جماعة المسلمين فالمسلم للمسلم كالبنيان المرصوص وهو ما يوافق التربية النبوية.

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: نعم فهي لا تقصي أحدا في الانتماء إليها من المسلمين شرط الصلاح والتوبة والتزام العهد الذي هو عهد مع الشيخ المؤسس يشهد عليه الله والاخوة التيجانيين وهي جامعة لجميع أطياف المجتمع دون تمييز في العرق والمكانة والجنس.

التعليق: ان الاندماج الاجتماعي مرتبط بالتنشئة الاجتماعية التي تمثل العملية التربوية المتواصلة وهو بشكل عام يساعد الفرد في التكيف مع المجتمع فهو التزام الأفراد بقيم ومعايير الجماعة الاجتماعية وبناءً علاقات تبادلية والطريقة التيجانية من خلال مريديها ووظيفتها التربوية تعتبر فاعل مهم في عملية التنشئة الاجتماعية المساعدة على هذا الاندماج الاجتماعي من خلال علاقات التعاون والتبادل استنادا لمفهوم الشبكة الاجتماعية ومفهوم السند والدعامة الاجتماعية اذا ما اعتبرنا جماعة المريدين تحكمها مقاييس نمطية في إطار السلم القيمي المعياري لأعضاء الجماعة فهي تحقق نوعا من الاندماج الاجتماعي الذي ينم على انسجام ثقافي والاندماج المعياري ما يعزى إلى تطابق السلوكيات مع معايير المجتمع والاندماج التواصلي الذي يرتبط بكثافة تبادل المعاني والرموز اذا ما سلمنا جدلا بكثافة الرموز التواصلية في اللغة الصوفية معنا ومبنى إضافة إلى الاندماج الوظيفي المتعلق بتبادل الخدمات في اطار شبكة الفاعلين داخل النظام الهرمي للطريقة وخارجه وهذا يفسر ما جاء على لسان المبحوث حين أكدّ أن الطريقة تساعد على الاندماج الاجتماعي من مفهوم اخوة الدين تحت مظلة الصلاح كشرط والمبادرة والتوبة والتزام العهد كشريعة تعاقدية ضمن معايير الجماعة أمام الله وأن تقاليد الانتماء للطريقة وسهولة أذكارها يساعد على تحقيق الاندماج وفق الأطر المعيارية والوظيفية والاتصالية فهي تجسيد للمفهوم العام للشرع الحنيف في تحقيق الاندماج الاجتماعي فالرسول الكريم انمّا بعث للناس كافة والطريقة التيجانية

كنهج نبوي تستلهم هذا المبدأ ومن خلال فلسفتها التربوية إلى تحقيقه وفق الدائرة الطرقية وارسائه كرسالة خاصة بها إلى عموم المجتمع من خلال مريديها ومحبيها وأشياعها.

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: تجسدت من خلال تلاحم المجتمع الطرقي ومحافظتها على الضروري من الدين وتركيزهم على المحمود من الأخلاق والقيم الاجتماعية والأعراف المجتمعية المتأصلة في تاريخ المنطقة.

التعليق: اهتم علم الانسان (الأنثروبولوجيا) بمفهوم القيم من خلال علماء مثل (كلود) (كلاكهون) (ولوديلا وسكار) وقد عرف الأنثروبولوجيون القيمة بأنها معيار ضمني أو صريح جماعي وفردي يتخذ على ضوئه القرار فرادى وجماعات بالحكم على السلوك رفضا أو قبولا ومما لا شك فيه أن دراسة الحقل الديني الطرقي وتحليلها وفق آليات الضبط الحقلي الأنثروبولوجي هام في جانبه القيمي الاجتماعي وهو ما يتوافق مع النهج العملي للتصوف كواقع اجتماعي وديني اذا ما سلمنا جدلا بكون الدين جزء من ثقافة مجتمع ما فالطريقة التيجانية كبعد تنظيري لمبادئ النهج التربوي الصوفي التيجاني وامتدادها واقعا وحقلا تطبيقيا من خلال الزاوية فتجسد هذه القيم الاجتماعية لا بد وأن يتمثل في ممارسات من خلال آليات التضامن والاحترام والتقدير والمحبة فإن الآخر قفزا على كل المعايير الذاتية فالحث على الايثار وبذل روح الاهتمام بالفرد والجماعة تجسد تمظهرات السلم القيمي الاجتماعي واقعا وهو ما أكده المبحوث في سياق جوابه من خلال تلاحم المجتمع وتركيزهم على فن المعاملات الذي ينظم العلاقات البينية بين الناس فرادى وجماعات مع الأخذ بالعرف كقانون اجتماعي يؤصل لخصوصية المجتمعات الثقافية كآداب الحشمة والتعاون وفق كيفيات متناقلة كموروث مادي مثل **التويزة** بما تمثله من أشكال التعاون الآلي الإنساني الذي

يتجاوز مفهوم الجندر **فالتويزة** هي فعل اجتماعي تعاوني تضامني بين أفراد المجتمع (النساء والرجال) وفي مختلف المناسبات.

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: ان تنمية الروابط الاجتماعية يتم من خلال تقوية روابط الأخوة بين التيجانيين تضامنا ورحمة وطاعة واحترام ووحدة في الهدف بغية الوصول إلى سبيل الصفاء وبلوغ الحضرة الإلهية إضافة إلى تقوية الروابط بين المحبين من خلال اشراكهم بالمناسبات الدينية وانفتاح الطريقة فكريا على الطرق الأخرى اذ تشاركهم في مختلف مناسباتها الفكرية من محاضرات وندوات وملتقيات يشارك فيها عموم المريدين والاحباب من اقطاب المجتمع إضافة على الأكاديميين والباحثين في الحقل الطرقي والديني ومختلف التخصصات العابرة إضافة إلى انفتاحها على التظاهرات الاجتماعية المختلفة الأمر الذي ينمي الروابط الاجتماعية.

التعليق: ان الرابط الاجتماعي هو مجمل العلاقات الاجتماعية ذات الصلة بالعائلة والأصدقاء ومنظومة الجيرة انتهاء إلى ميكانيزمات التضامن الاجتماعي استنادا إلى قواعد ومعايير ترشدنا إلى مفهوم الجماعة بالحد الأدنى وتحت هذا المفهوم فلابدّ من وجود محددات تتمظهر أساسا في تلك العلاقات القوية بين جماعة تتكون من فردين أو أكثر في علاقة تفاعل مباشر تتأسس على إجراءات وقيم مشتركة تساعد على الاندماج الاجتماعي والتي تتم وفق آليات سابقة ووفق حمولات ثقافية واجتماعية ضمنية والطريقة التيجانية تمثل دورا مهما في تحقيق استمرارية هذه الروابط وفق سلمه القيمي الديني والاجتماعي لضبط العلاقات البينية والجماعية بين المريدين وكافة أطياف المجتمع وفق ثقافة المجتمع المسلم وقيمه مع اعتمادها على التربية الروحية والتماس المقاربة الأنثروبولوجية للدين (التدين الشعبي) باعتباره جزأ من ثقافة مجتمع ما وما جاء في سياق إجابة

المبحوث بصيغة العموم فالزاوية التيجانية تؤصل لعلاقات أخوية وروابط اجتماعية وتعززها فعلا واقعا من خلال احترام الكبير والصغير والاعتناء بالمرأة في كل أدوارها الاجتماعية زوجة، أم، أخت، بنت، وتنمية أواصر التراحم والتآزر وهذا ما لاحظناه واقعا في ممارسات الطريقة اذ يتحقق الاندماج الاجتماعي وفق أطر محلية وقطرية متجاوزة حدود الجغرافيا العرقية والمذهبية فقداسة الانسان شرط صلاحه ينمي طرق احتوائه وتقوية الرابط الاجتماعي.

26. فيما تمثل انعكاس دور شيوخ الزاوية التيجانية على المجتمع؟

الإجابة: انعكس دورهم في الدعوة والإرشاد من خلال غرس تعاليم الدين الحنيف وتكثيف الدروس الدعوية كما ان لهم دور اجتماعي من خلال الحفاظ على الهوية والمقومات الإسلامية وفق خصوصية كل مجتمع مع المحافظة على الخصوصية الثقافية في شقها المادي والمعنوي باعتمادها على لغة شعبوية بسيطة للخطاب الديني واعتمادهم على رمزيات تلامس الوجدان.

التعليق: إن لدور الشيخ في الطريقة اجمالا أهمية محورية والزاوية التيجانية تؤكد هذا الاتجاه وفق منظور خاص بها فلا شيخ إلا الشيخ المؤسس وكل من خلفه تواترا هم خلفاء له في التربية التي يستقى مدد بركتها من الأصل المؤسس سيدي أحمد التيجاني وبالتالي فتأثير الشيخ المؤسس بالغ أمره عن طريق الخلفاء من بعده فهو امتداد لنور المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو ما يفسر امتداد هذا التأثير في الخلفاء ومن بعدهم المريدين وكافة المجتمع فهي طريق شكر وأول الشكر ذكر الله والصلاة على نبيه وخدمة خلقه وهو ما ترجم في فقه الطريقة وتأثير القائمين عليها وعلى رأس سلمها التنظيمي الخلفاء الذين كان لهم بالغ التأثير في حفظ رسالة الشيخ المؤسس في الدعوة ونشر علوم الدين إضافة إلى الحفاظ على خصوصية المجتمعات الحاضنة وهو ما جاء ذكرا في إجابة المبحوث الذي أشار إلى دورهم في الدعوة إلى الدين والحفاظ على علومه ولغته

الأصل اللغة العربية من خلال حرصهم على نشر الكتاتيب والوقوف عليها وتلقين صروف الأدب والتربية والحفاظ على الموروث الثقافي الشفهي والمادي للمجتمع من خلال احياء المناسبات الدينية العام منها والخاص واعتمادها على بساطة المبنى في الدعوة دون اغفال عن المعنى العميق لروح الإسلام المتمثلة في الرحمة والمحبة وإصلاح المجتمع وبالتالي فدورهم بالغ الأثر في أمور الدين والدنيا.

تقييم الحالة السادسة:

من خلال عرض إجابات المبحوث من خلال المقابلة الميدانية يتضح لنا من خلالها جملة من التقييمات حولها حيث تضمنت الإجابات في المحور الأول المتعلق بالفرضية الأولى التي تشير إلى أنه **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم.**

توجد إشارات قدسية محملة بدلالات صوفية عميقة كالقطبانية وفي اشارته إلى أنّ سر انتشارها هو اقتران نهجها بين العلم والعمل وكذا ارتكازها على الكتاب والسنة فكل أذكارها لها أصل من الشريعة السمحاء كما أنّ من أولوياتها الالتزام بها تعظيما لسندها المتصل بالرسول صلى الله عليه وسلم عن طريق الشيخ المؤسس والذي يعتبر مقدماً في الطريقة الذي أسس زاويته على قيم التربية والعلم وبلوغ اللادني في العلوم أساسه تربوي روحي، فالزاوية التيجانية تعد من أكبر الزوايا لسببين أولهما مكانة وأهمية مشايخها وانفرادها عن غيرها سندا وهذا ما يحيل إلى تعزيز الانتماء لدى مريديها والذي مرده تحري المساواة بينهم ويبقى التفاضل بينهم وفق مقياس المثابرة والمجاهدة في سبيل الترقي الروحي هذا إضافة إلى خاصية الطريقة التيجانية في عموم نهجها فهي تنأى عن التقشف وتدعوا إلى كل ما هو اجتماعي فتعزيز الانتماء يتأتى نتيجة تقوية الولاء الذي يتمحور أساساً في التزام العهد محبة في الشيخ وتقمصا لمناقبه الدينية والاجتماعية.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية التي تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين**، تعتبر التربية الطرقية مبدأ لتحقيق عديد القيم الدينية لاستنادها على الكتاب والسنة وأقوال الشيخ المؤسس ومن أهمها افشاء السلم وفضائل الاخلاق من صدق وكرم نفس وحفظ لمقاصد الشرع فيسعى شيوخ التربية إلى غرس قيم التعاون والأمانة والأخلاق لأنّ أول الطريق الصوفي هو معرفة الشريعة وصولا إلى الحقيقة في تشابك بين العلم والعمل وتقديس مكانة الانسان كمستخلف في الأرض، فالتربية الروحية هي ابتغاء درجات الاحسان تعزز بدءً من شرط الانتماء والممارسات والطقوس وصولاً إلى تمظهرات الجانب العملي في منهج الاحسان وهو دماثة الخلق وصفاء السريرة ولعل أهم المرتكزات الدينية في ذلك كتاب الله وسنته إضافة إلى فقه الطريقة وشروطها وآدابها وبخاصة ايلاءها أهمية كبيرة للذكر قلباً ولساناً وحال تدبر دائم في ملكوت الخالق، وتعمل التربية بالقدوة كأساس فاعل في ترسيخ هذه القيم وبخاصة في الطريق التيجاني لاستقطاب مريديها وأشياعها من عموم الناس على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية والعلمية والمعرفية فهم بذلك يؤثرون ويتأثرون ومنهلهم الأول القدوة الأصل والشيخ المربي سيدي أحمد التيجاني وهو ما يشير إلى تجسيد كثير القيم الدينية واقعاً داخل دائرتها الطرقية وتجاوزها لعموم لمجتمع وترجمتها فعلاً اجتماعياً من خلال مناشدة السلم والمحبة بالخصوص.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثالث المتعلق بالفرضية الثالثة التي تشير إلى أن **للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها**، من منطلق النهج التربوي لسندها الأول ممثلا في خلق النبي وتحري الجانب الاجتماعي صدقاً وأمانة وكل ما ينطوي تحت لواء معاملات وأول الأمر الاستناد لحبل الله وتعاضد الجماعة وفق أطر التضامن الاجتماعي وبالأخص

في ضوء الخصوصية السوسيوثقافية لساكنة المغرب العربي عامة، فالجماعة واحدة تستند إلى سلطة روحية ممثلة في موالاة الشيخ والتزام عهده الذي يشد أواصر الأخوة فتتحقق أسباب الاندماج الاجتماعي فسهولة الانتماء لها واستشعارها روابط الأخوة وتوطيدها فهي تتجاوز كل الفوارق الاجتماعية والعرقية والجنسية فهي جامعة لكل طبقات المجتمع فتلاحم المجتمع وتماسكه واستمراريته إنّما يعكس تجسد هذه القيم الاجتماعية والتي مرد منبعها الأصيل من مبادئ الشريعة السمحاء والرصيد القيمي المجتمعي المتأصل عادات وتقاليد وأعرافاً اجتماعية فكل هذا ينمي الروابط المجتمعية فأخوة الدين جامعة وأخوة الطريقة متمكنة من نفوس المريدين ومؤشر توجيه أطرهم الاجتماعية حيث تستمد هذه الروابط قوتها من استشعار التشاركية الجمعية في عموم المناسبات الدينية والاجتماعية على غرار التظاهرات العلمية والفكرية ذات الصلة بالطريقة فهي تسعى لبناء روابط اجتماعية وفق أطر متعددة ومما يبرز في الساحة الدينية والاجتماعية هو دور المشايخ كسلطة دينية واجتماعية ومرجعية روحية لها تأثير عميق على المجتمع وجماعة الطرقية على الخصوص في الحفاظ على الثواب الدينية والهوية الاجتماعية والخصوصيات الثقافية وفق أطر لغة شعبوية بسيطة ورمزيات تلامس الوجدان والذوق الاجتماعي العام.

الحالة رقم (07):

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس: ذكر.**
2. **السن: 41.**
3. **المستوى التعليمي: ثانوي.**
4. **الحالة العائلية: متزوج.**

5. مدة الالتحاق بالطريقة: منذ 20 سنة.

المحور الثاني:

6. كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟

الإجابة: ولي من أولياء الله الصالحين خصه الله بأسرار وهو رمز للصلاح وطلب العلم فهو قطب رحى الأصفياء يرفع نسبه إلى الامام مولانا محمد النفس الزكية رضي الله عنهم وأرضاهم.

التعليق: بعد مرور ما يناهز القرنين من وفاة الشيخ المؤسس ورصيد طريقته بالملايين من الاتباع ناهيك عن المنافحين عنها من علماء وصلحاء دون اشهار لطريقته أو تأليف منه فيها ولا استجلاب يتهيب السفر والترحال في طلب ملاقاة العلماء إلى أن بلغ مرماه في بوسمغون ورؤية النبي صلى الله عليه وسلم وهي أعظم كرامات الصوفية فتحقق له ختامه فأصر صلى الله عليه وسلم من ترك المشايخ وحرره من كل العلائق وهذا ما جاء في فحوى إجابة المبحوث حين الاستشارة لمقام الولاية والقطبانية ونسبة التشريف.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الإجابة: لأمور كثيرة نذكر منها دور الشيوخ في تعليم الدين أصول وأركان وفرائض وعقد مجالس تعليم كتاب الله وحفظه كما أنها بنيت على مبدأ التضامن والتكافل والتآخي فانتشرت في عموم افريقيا وإلى أقطاب عديدة.

التعليق: مما يستشرف في تاريخ الطريقة التيجانية وعموم زواياها هو انتشارها الواسع بين الخلق دون دعاية واشهارها ولعل البحث في مثل هكذا موضوع يحيلنا إلى الإشارة على مفاهيم عميقة باعتبار الطريقة دعوة للإسلام رفقة منهج تربوي خالص يعتمد على السهولة مع خاصيتها

السوسيوثقافية وروح الجماعة والتواصل والمشاركة الاجتماعية والثقافية الأمر الذي سهل انتشارها وامتداد رقعتها الجغرافية وهذا دور علمائها وشيوخها وهذا ما أشار إليه المبحوث في اجابته لأن الدور الاجتماعي الذي لعبته كان له السبق والتميز في انتشارها وامتدادها على مختلف مناطق العالم.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: كتاب الله وسنة نبيه فالشيخ المؤسس قدس الله سره حفظ القرآن في سن السابعة من عمره وظفر بعلوم الدين فقها وحديثا وتفسيرا وسافر متنقلا في طلب ذلك فدرس وحرص وارتقى أعلى المراتب في ذلك.

التعليق: ان من وصايا الشيخ رضي الله عنه: تقوى الله، وعدم مقارنة الذنوب، وعدم إهمال حقوق الاخوان واعانتهم في كربهم، وعدم الانهماك في طلب الدنيا، والصبر على أمر الله والمحافظة على ذكره والصلاة على نبيه، والمحافظة على الصدقات، وصلة الأرحام وتفقد الأحوال وإلقاء السلام، وشكر المنعم بالطاعات وأقله شكر اللسان وأقله قراءة الفاتحة، وإصلاح النفس بالعمر قصير والسفر الطويل، والحذر من مخالفة أمر الله ومبادرة التوجه، الحفاظ على الصلوات، وتجنب معادات الأرحام، وتجنب عورات المسلمين والتزاور في الله.

إنّ وصايا الشيخ المؤسس هي مرتكزات الطريقة التيجانية في التربية وهي التزام بأوامر الله تعالى وسنّة نبيه، فالحفاظ على حقوق الناس والصلوات والزكاة والصدقات وشكر الله على نعمه من صميم الأوامر الإلهية التي توجب المحبة والمحافظة على العمران البشري الذي أصله الأول في الشرع هو إعمار الأرض واصلاحها وسطية واعتدال.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أولوياتها الذكر لأنه دعاء وواجب لزومه في أوقات مخصوصة وأماكن محددة وفق ضوابط فقهية حددتها الطريقة كطهارة الجسد والمكان باللباس، أمر يؤكد على أهميته ولزوم دوامها. فهي طريقة شكر والذكر سبيل ذلك.

التعليق: إنَّ الطرق الصوفية هي طرق تزكية روحية هدفها واحد في بلوغ الاحسان وعليه فالهدف واحد وان تعددت السبل والطرق فمعرفة الله بعدد أنفاس الخلائق .....، ولكل طريقة فقهها الخاص الذي يعبر عن نهج الشيخ في التربية، والطريقة التيجانية واحدة من هذه الطرق تسعى لبلوغ درجات العرفان والترقي وفق فلسفة خاصة تجمع بين العلم والعمل مع تركيزها على أذكار وأوراد، إذا تعتبر طريقة شكر وحمد فهي طريقة أحمدية، وبالتالي فمن أولوياتها التزام الأذكار والمواظبة عليها وفق ضوابط فقهية مخصوصة حالها حال العبادات الأخرى قبل الطهارة القلبية والمكانية ووجوب تقديم النية والإخلاص.

10. على أي أساس بنى الشيخ المؤسس زاويته؟

الإجابة: على أساس التربية والعلم والأدب وتهذيب الأنفس الذي يتأتى تباعا بعد الإسلام والايمان وهي درجة سابقة لا تتأتى إلا من خلال المثابرة ومجاهدة النفس والصبر على نزوات الحياة.

التعليق: ان سبيل الطرق الصوفية هو التربية الروحية وتهذيب النفس والطريقة التيجانية واحدة من أهم الطرق الصوفية التي ارتكز أساسها على هذا النهج التربوي العميق، فهي طريقة ذكر

وشكر، ومنه إجابة المبحوث حول الأساس الذي اعتمده الشيخ المؤسس فالتربية سبيل الشيخ لتحقيق مبادئ الطريقة فلا علم دون تربية، وعلم التزكية علم خاص بأهل العرفان لا يتأتى إلا بأدب مع الله ونيل درجات الاحسان بالشكر والحمد والذكر ومثابرة النفس على الصبر.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: إذا تكلمنا في هذا الموضوع بطريقة أكثر وضوحا فالجواب على قسمين مهمين يكمل أحدها الآخر فالأول مكانة شيخها المؤسس والثاني هو دورها الاجتماعي والثقافي والذي يمكن حصره أساسا في انفتاحها على الناس واعتمادها الشعبوية.

التعليق: تعتبر زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا في افريقيا ومقرا للخلافة ويرجع ذلك لكون عين ماضي مسقط رأس الشيخ المؤسس وامتداد لنسله وحاضنة طريقته، وما يميز الطريقة التيجانية انفتاحها على الناس ويسر تعاليمها وأسس مرتكزاتها وسبل مبادئها التي تستند إلى مرجعية الكتاب والسنة مما أهّلها إلى أن تصبح من أكبر الزوايا في المنطقة وما بعدها، واجابة المبحوث دليل على ما سبق ذكره حيث ذكر أن زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا وذلك يرجع إلى قسمين مهمين أولها مكانة الشيخ وقدسيته وكثرة محبيه ومريديه، وثانيا الدور الاجتماعي والثقافي الذي ساهمت به في عين ماضي، وهذا ما يؤكد على أن الطريقة التيجانية يبرز دورها أساسا في الوحدة الاجتماعية ونشر تعاليم القرآن والحديث الشريف، مما جعلها رمز المنطقة وحاضنة للطريقة وواحدة من أكبر الزوايا.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

الإجابة: تعزز ذلك بطريقة غير مباشرة من خلال النشاطات الدينية والاجتماعية والاهتمام بالمريدين في أحوالهم الاجتماعية ومراعاتها.

التعليق: تتجلى رمزية الطريقة التيجانية في دلالاتها الاجتماعية التي تحث على تحقيق مبدأ تنمية وتعزيز الروابط الاجتماعية وذلك من خلال الانتماء للطريقة، فالطريقة التيجانية لا تعمد إلى الدعوة بالانتماء للطريقة وانما يتأتى ذلك طوعا من المريد وذلك بعد رضى الوالدين وصفاء السريرة، واجابة المبحوث لها بعد قيمي يكمن في تعزيز هذا الانتماء لدى المريدين من خلال النشاطات الدينية الممثلة في الذكر الجماعي والالتزام بصلاة الجماعة والجمعة، وأيضا من خلال النشاطات الاجتماعية الممثلة في روح التضامن والتعاون المادي والمعنوي، فهي تتعدى الروابط القرابية والاجتماعية مع تجاوزها لمفاهيم المكانة الاجتماعية فالكل سواسية في طريق الترقي وهذا يؤكد قيمة الانتماء لدى المريدين.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: يستوي في ذلك المتعلم وغيره فالمرجعية الأولى هي محبة الشيخ فهو واسطة لمحبة الله ورسوله فالهدف واحد وان تعددت السبل وهو ما يعزز الولاء للمريدين.

التعليق: يعتبر الولاء أحد أهم الركائز التي تدل على روح الانتماء والامتثال بمبادئ الطريقة التيجانية ولعل ذلك راجع إلى رمزية ومكانة الشيخ المؤسس، كما يدل الولاء على الرضى التام بالطريقة وهذا ما يؤكده المبحوث من خلال اجابته التي اشارت إلى محبة الشيخ واصطفاف جميع المريدين المتعلم منهم وغير المتعلم فالكل سواسية، مما جعل روح الولاء للشيخ الذي اختصه الله

بالفضل والكرامات ونال حظ وافرا من العلم والأدب والزهد والورع، فهو رمزية دالة على انتماء المريدين للطريقة والولاء للشيخ ومحبته كأصل للطريقة.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: نعم تحقق ذلك وهو ما نراه في قيم المريدين فالطريقة أصلا هي تربية وتزكية ومعاملة لذلك الطريقة التيجانية تحقق قيمها الدينية لمريديها.

التعليق: تعتبر الطريقة التيجانية من أهم الطرق تأثيرا في المنطقة، ومرجوع ذلك إلى الأسس التي تنضوي عليها الطريقة من تعبد وتقرب إلى الله ومعاملة خلقه بالتواضع ودأب الصراع الاجتماعي، ونرى إجابة المبحوث في دلالتها القيمية كون الطريقة محور لتلقين المبادئ الدينية المبنية على ما جاء في كتاب الله وسنته، فالقيم الدينية دالة على الأسلوب الذي تنتهجه الطريقة لتحقيق التربية الخلقية التي هي أصل المعاملة بين العبد وربه وبين العبد والعبد، وهذا ما أرسى قواعد الطريقة التيجانية وجعلها مدد روحي وتربوي ممثل فيما جاء به شيخ الطريقة والشيخ المربي، والقيم الدينية رأسها التربية وعمودها المعاملة، وهذا الذي تؤكده الطريقة التيجانية لتحقيق القيم الدينية لدى المريدين.

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: قبل أن نتحدث عن القيم الدينية نشير إلى جوهر القيم لي هو الايمان فالإيمان مدخل لكل القيم الدينية كالصدق والأمانة والأخلاق والآداب.

التعليق: تسعى الطريقة التيجانية ممثلة بشيوخها المربيين إلى صقل جملة القيم الدينية المختلفة والالتزام بها كونها مرجعية دينية ذات بعد قيمي يرتبط بالامتداد الديني إلى رسول الله، واشارة المبحوث إلى أن الايمان جوهر القيم فمعناه أن الايمان يجمع كل القيم الدينية، فمثلا الصدق والأمانة اللذان يعتبران شرط أساسي لمريدي الطريقة التيجانية، وعلى ذكر ما جاء في شروط الانتماء للطريقة رد الحقوق لأهلها وهذا تأكيد لصدق النية والأمانة مع النفس ومع الله ومع الخلق، وهذه الدلالة التربوية تشير إلى جوهر القيم الدينية، وأما قوله الأخلاق والآداب فمعناه أن التزام المريدين بحسن الأدب والتحلي بأخلاق وصفات المسلم المؤمن لنيل مرضات الله ورضى والديه وشيخه المربي، فهذه القيم الدينية يسعى شيوخ الطريقة لغرسها وصقلها لمريديها.

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

الإجابة: ايه باينة هاذي في ادبيات الطريقة لأن التربية الروحية هي تزكية النفس وتنقيتها من الرذائل فالشيخ سيدي حمد التيجاني ركز على التربية الروحية.

التعليق: ان التصوف هو علم التزكية والتربية وهو مسلك ونهج الطرق الصوفية المختلفة باختلاف أنماط تربيتها، والطريقة التيجانية ممثلة في رمزها الشيخ المؤسس تسعى إلى التربية الروحية والوصول إلى درجة الاحسان بالمجاهدة والرياضة الروحية، إضافة إلى خاصيتها كونها تعمد إلى ذلك التصوف العملي الذي يتجلى في المعاملة والأدب، ويشير المبحوث إلى أن الطريقة تعمد على تعزيز التربية الروحية باعتبارها تنقية للنفس من الرذائل ويعتبر أن الشيخ المؤسس بنى طريقته على جوهر التصوف الممثل في الاحسان، وهو درجة سابقة بعد الإسلام والايمان.

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: يسعى الشيوخ إلى تعليم القرآن وعلومه والحديث الشريف وبعض متون الفقه والسيرة النبوية.

التعليق: يتضح أن من مهام المنوطة بمشايخ الطريقة التيجانية هي ذلك الجانب العلمي القاعدي والمتمثل في تلقين علوم الدين وعلى رأسها علوم القرآن من خلال الكتاتيب إضافة إلى تلقين الناشئة الحديث النبوي الشريف والسيرة النبوية العطرة كملحق مكمل لعلوم الدين، وهو ما دأبت عليه الزاوية كامتداد لسير مؤسسيها الذين نبغوا في علوم الدين، وسيدي احمد التيجاني بذل في سبيل ذلك العمر كله ترحالا في طلبه من مسقط رأسه إلى تلمسان إلى المغرب، حيث أسس زاويته التي كانت رباطا للعلم إضافة لالتحاقه بعلماء أجلاء في علوم الدين والتصوف ابان رحلاته لبيت الله الحرام عبورا بتونس ومصر حيث أخذ عنهم صروف العلوم المختلفة، وهذا ما يوافق ما أدلى به المبحوث اذ يسعى شيوخ الزاوية إلى تكريس الجهود في تلقين العلوم الدينية سابقة الذكر وخاصة لدى الناشئة.

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: للذكر موقع محوري هام وأساسي في تجسيد القيم الدينية المختلفة.

التعليق: للذكر أهمية في أدبيات السادة الصوفية التيجانية وقد جاء في أثرهم اختصار نهجهم التربوي الصوفي في مفهوم (السُبْحَة واللُوَيْحَة) وهو ما يؤشر إلى ترسيخ أساس الطريقة الممثل في الذكر، فرمزية في الموروث الثقافي الطرقي تحدد عدد الأذكار وكثيرا ما تشير إلى النهج الطرقي الذي يتبعه حاملها، أما رمزية اللويحة في العرف التقليدي لساكنة المنطقة فيوحي إلى ذلك البعد الديني المتجذر لا شعوريا لدى المريدين والمحبين والناشئة من مرتادي الكتاتيب فالقرآن ذكر

حكيم في لوح محفوظ فاللويحة تشير إلى ذلك الركن المادي في تعلم القرآن وتكراره كتابة ومشافهة وانسجامه مع المعطى البيئي في أدوات كتابته كالوذحة (صوف الغنم في صنع حبر الكتابة على اللوح) والصلصال (نوع من التربة يستخرج من الأرض لمحو الكتابة على اللوحة)، وهو ما يوحي إلى تمثل البركة والطهارة في الغنم اذ تجوز شرعا الصلاة في مرابطها، وهذا يؤكد إجابة المبحوث على أهمية الذكر وموقعه في فقه الطريقة التيجانية لتجسيد القيم الدينية.

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: ان للشيخ مكانة مهمة في تأسيس الطرقية إذ تنسب الطريقة التيجانية امتداد لمؤسسها الشيخ أحمد التيجاني ولما كان نهجها تربوي فلا بدَّ وأن يؤخذ هذا النهج من سير مشايخها وملازمة خلفائه من بعده اذ لا بدّ من تحقق شرط ملازمة المريد لشيخه العارف لبلوغ مرامي الاحسان والتزامه يعني أخذ العلم عنه تلقينا وقدوة وبخاصة إذا تمت الإشارة إلى ذلك البعد السوسيوثقافي لخاصية الطريقة التيجانية التي تعمد إلى روح الجماعة، ذكرا وطقوسا وخاصيتها الشعبوية، اذ يتم تلقين الضروري من علم الترقي بالتعلم بالقدوة فالشيخ في أدبيات الطريقة التيجانية هو شيخ تعب ونال بمعنى أنه بحث عن المنهج التربوي الصوفي متنقلا بين مشايخ طرق أخرى وهو ما صقل فكره الصوفي وتأثره بمن احتك منهم من المشايخ قدوة في بلوغ درجة الاحسان إلا أنه وبالفتح العظيم في بوسمغون أسس اركان طريقته كنهج سهل ممتنع بمعنى أن لا منّة لأحد في الأخذ منه فقدوته وولي نعمته النبي صلى الله عليه وسلم وصورة الشيخ المؤسس في المخيال الطرقي التيجاني هي محاكاة لامتثال القدوة في النبي صلى الله عليه وسلم أخلاقا وعملا.

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: نعم تجسدت.

التعليق: إن الطرقية جزء لا يتجزأ من التراث الإسلامي الصوفي عامة، وخاصية الطريقة التيجانية في بلوغ درجات العرفان هي غرس الضروري من الدين في نفوس مرامي الواصلين فمن شروط الدخول للطريقة رد الحقوق لأهلها وهي قيمة دينية تمثل مقصد مهم من مقاصد الشريعة لحفظ المال ورفع الظلم، وأيضا من ضمن شروطها رضى الولادين وهو يجسد قيمة دينية ممثلا في طاعة وبر الوالدين، فهذه القيم الدينية تتجسد واقعا لدى المريدين وهو ما يؤكده المبحوث في جوابه.

المحور الرابع:

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: نعم هي من صميم نشاط الزاوية في الظروف الاعتيادية وبخاصة خلال المواسم الدينية والاجتماعية، إذ يتم الاحتفال بها وفق نمطية تجسد قيم اجتماعية اصيلة في الدين عامة والطريقة خاصة كالتعاون والتشاور والتزاور.

التعليق: على ضوء ما صرح به المبحوث فالزاوية أُسست كركن مادي فيزيقي لإيواء عابر السبيل والمحتاج فهي مؤسسة اجتماعية تؤطرها مجموع قيم مستمدة من الشريعة الغراء والعرف

المجتمعي وباقي المتغيرات الاجتماعية، فمثلا وعبر تاريخها عملت على اطعام الساكنة أيام القحط والمجاعات والأزمات، وكذا دورها في تنظيم نسقية المجتمع كآلية للتضامن الضمني داخل المجتمع وهو تأكيد لما سبق من إجابة المبحوث، وكذلك قيم التعاون على الخير المختلفة، والتزاور بين الاحباب والمريدين ونسج تلك العلاقات المجتمعية في وجهها العام الممثل في تدعيم وتقوية الروابط المجتمعية وهو ما يعتبر أولوية من أولويات الطريقة التيجانية.

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: هي تعمد إلى ذلك من خلال مبادئ التصوف فحب الخلق واجتناب العداوة والتماس سبل الألفة طريق إلى تحقيق كل أشكال التضامن الاجتماعي.

التعليق: ان تحقيق الألفة والتجانس بين أنساق ووحدات المجتمع الطرقي تتأتى من خلال التزام المريدين والمحبين بآداب الطريقة فتحقيق الألفة هو سبيل لتحقيق التضامن الاجتماعي، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا، وما تمثله الجماعة الطرقية ورأسها الروحي الممثل في الشيخ إلا شكلا من أشكال التضامن الاجتماعي، فكثيرا ما يتم معالجة قضايا اجتماعية بين المريدين بالمشورة وأخذ الرأي والاعانة المادية في حالات المرض وأمور الحياة الأخرى ولزوم الجماعة هو مساندة اجتماعية وتفقد أحوال بعضهم البعض وهذا مؤشر على أن الطريقة التيجانية تعمد على تحقيق التضامن الاجتماعي.

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: نعم تساعد في عملية الاندماج الاجتماعي بصورة آلية فالمريد يندمج في جماعته الطرقية اندماجا وجدانيا واجتماعيا من خلال العلاقات البينية بينه وبين المريدين من جهة والشيخ من جهة أخرى ومشاركته في الطقوس الدينية المختلفة.

التعليق: لعل ذلك الوسم الذي يشار به إلى الطرقية كمفهوم حداثي للتدين الشعبي يحيلنا إلى الإشارة إلى ذلك الاندماج الاجتماعي الطوعي، حيث ترسم الطريقة التيجانية خطوط الانتماء اليها في تشابكية بين مختلف أطياف المجتمع حيث يتكيف الكل مع هذا المعطى تحت راية الانصياع لطاعة الله والتذلل له والتقرب زلفى بالتواضع للخلق، فتذوب التراتبية الاجتماعية ويذوب معها التمايز الاجتماعي مما يحقق الاندماج البسيط بين المريدين داخل الحقل الديني الاجتماعي.

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: نعم تجسدت ذلك في الواقع.

التعليق: تجسد جزء مهم منها في الواقع المعاش فسبيل الترقي يتأتى من صلب أهمية المعاملة في الدين إذ تلعب آليات الضبط الذاتي القيمي للشخص المريد على المفاضلة بينها وما يواءم العرف الاجتماعي، فالدين لا يعاكس الفطرة السليمة فبذل العون والنصح من صميم الدين وهو من آليات استمرارية المجتمع وصحته، وعلى هذا نرى أن الطريقة التيجانية تبرز ذلك الدور الضمني داخل انساق المجتمع للحفاظ عليه وتعزيز مبادئه وقيمه الشتى ومضمون ما تحمله من قيم اجتماعية أخرى وهذا ما نراه من خلال إجابة المبحوث في تجسد تلك القيم في الواقع.

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: لعل أهم أهداف الطريقة التيجانية هي ربط اللحمة المجتمعية والرابط الاجتماعي ضروري وهام في صقل البنية المجتمعية والطريقة التيجانية كجماعة دينية تحمل في ثناياها قيم تؤسس لتقوية الرابط الاجتماعي فمثلا تقوية رابط القرابة من خلال الحث على صلة الرحم وقيم الأخوة في الله.

التعليق: من خلال ما جاء على ضوء إجابة المبحوث حول آليات تنمية الرابط الاجتماعي فإننا نستشف ذلك الدور الممنهج والأصيل في ادبيات الطريقة التيجانية في الحفاظ على الرابط الاجتماعي بدءً من علاقات القرابة الدموية من خلال ما يصطلح عليه مفهوم الأبوة وتكريسها بالقداسة وربطها برضى الله إلى امتداده في ذلك النمط الأفقي إلى مفهوم العائلة الممتدة، إضافة إلى ذلك الرابط الخاص بواجب الأخوة في الطريقة وتمثل الدور الأبوي للشيخ المربي وواجب الطاعة وإشاعة سبل احترام وتوقير الكبير والصغير.

تقييم الحالة السابعة:

من خلال عرض إجابات المبحوث من خلال المقابلة الميدانية يتضح لنا من خلالها جملة من التقييمات حولها حيث تضمنت الإجابات في المحور الأول المتعلق بالفرضية الأولى التي تشير إلى أنه **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم.**

الشيخ سيدي أحمد التيجاني رمز للصلاح وولي حظه الله بأسرار وقطب رحى الأصفياء وذو نسب شريف أرسى طريقته على أصول الدين وتعاليمه كما أسس زاويته على مبادئ تضامنية واجتماعية وأبعاد إنسانية فانتشرت في عموم افريقيا وعديد أقطاب العالم وهي طريق يرتكز على الكتاب والسنة وقد بذل مؤسسها في طلب العلم متنقلا بين أقطابها ونهل علوم الترقي وارتقى فيها وأسس

طريقته التي تولي الذكر أهمية بالغة بوجوب لزومه وفق ضوابط وآداب مشروطة فالذكر تربية للأنفس يعد أساسا من الدين بعد حسن اسلام الفرد وتحقق ايمانه ومن المسلمات في الطرق عامة والتيجانية واحدة منها تنتمي للشيخ أحمد التيجاني الذي يمتد مسقط رأسه إلى عين ماضي مكمن الخلافة العامة للطريقة ويعزى مكانة الزاوية بالمنطقة إلى أمرين هامين أحدهما لصيق بذات الصلة بمسقط رأس الشيخ والثاني دورها الاجتماعي والثقافي من خلال الانفتاح على الناس واعتمادها فلسفة تربوية بسيطة تستغني عن كل ما هو نخبوي وهو ما عزز قيم الانتماء لدى مريديها من خلال امتثال القيام على أمورهم ورعاية جميع أحوالهم فتحقق لهم أسباب الولاء حيث الكل سواسية في محبة الشيخ حيث تلغى صنوف التراتبية الاجتماعية فهي حقل اجتماعي ديني يؤسس لمبدأ المساواة بين الجميع فهوامش الحدود الاجتماعية تتشكل ولاء للطريقة ومؤسسها.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية التي تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين**، تحقق التربية الطرقية قيما دينية للمريدين فهي طريق تربوي ينشد التزكية وفنون المعاملة واللباقة الحسية والمعنوية فقيمها الدينية متأصلة في ذات النفس البشرية فهي قيم باطنة تستثار واقعاً في حياة المريد وفي حيزها الاجتماعي وأولها الايمان ما وقر في القلب وصدقه القلب فهو يحمل مضامين الصدق والأمانة وحسن الخلق والتأدب في حضرة الله حالا وأحوالا وهو ما يتطلب بناء روحياً مقصده بلوغ الكمالات والفيوضات الربانية وهو ما يكنى بالإحسان وهو ما سعى اليه الشيخ المؤسس وفق نهج خاص متفرد في صياغاته مشترك في مرماه مع كل الطرق فمعرفة الله تتعدد بعدد أنفاس الخلق ولا بدّ للمترقي من صنوف العلوم القاعدية كعلوم القرآن والحديث والسيرة النبوية بأنّ محبة النبي واسطة واصلة لمحبة الله فجميع أذكار الطريقة هيللة وحمد وشكر وصلاة على النبي وهي

متعددة الصيغ أشهرها في الطريقة صلاة الفاتح، وهي مستمدة من الكتاب والسنة ولا زيغ فيها وبالتالي فللذكر أهمية بالغة في تجسيد هذه القيم لأنه تحلية للقلوب من الضغائن وتحلية للسان واعمار للقلب لمحبة الله ورسوله وتركز الطريقة التيجانية على مبدأ القدوة في ترسيخ هاته القيم لما أخذ عن مؤسسها الأول في تنقله بين أقطاب التصوف إلى أن أسس طريقه الخاص المتفردة فهو قدوة في مجاهدة النفس وطلب الدرجات العلا في الاحسان إلى أن فتح الله عليه بطريقته المتفردة فلا بدّ من الاقتداء به ومن تواتر من بعده في الخلافة إلى جانب المحاكاة بتقمص هذه القيم وفق سِيّر الشيخ وخلفاءه يساهم في تجسيد هذه القيم واقعاً معاشاً.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثالث المتعلق بالفرضية الثالثة التي تشير إلى أن **للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها**، القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الطريقة التيجانية فهي كامنة في جميع المناسبات الدينية والاجتماعية وفي سياق الخط الاجتماعي المعاش فالتزاور والتعاون من أهم أسس الزاوية وهو ما يحقق التضامن الآلي وفق ما تمليه مبادئ التصوف فحب الخالق يوجب التماس أسباب القرب والألفة والتساند وهو ما يحيل إلى الاندماج الاجتماعي الوجداني للمريد فأداء الطقوس الدينية بطريقة جمعية يسهل اندماج المريد اجتماعيا وفق متطلبات الجماعة الطرقية والاجتماعية الأوسع بمعنى تشابك الأنساق الاجتماعية الأخرى حيث تتجسد مجمل القيم الاجتماعية واقعاً من خلال تمثلات المريد لها في نواحي الحياة مما يؤسس لروابط اجتماعية عميقة فالتجربة الدينية تترسخ في العقل الجمعي للمريدين مع تكرارها وفق نمطية الزمان والمكان المقدس حال ممارسة الطقوس هو استحضار لتلك الروابط الاجتماعية وإعادة احياءها وبعثها فعلاً اجتماعيا من خلال جماعة الاخوان من المريدين وفي عموم المجتمع

مع تأصل الدور الفاعل لشيوخ التربية في تلقين هذه القيم وترسيخها مع ما يمثلونه من حمولات رمزية مثقلة بمفاهيم القداسة والبركة ونور الاستمداد من الشيخ الأصل سيدي أحمد التيجاني.

الحالة رقم (08):

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس: ذكر**
2. **السن: 29.**
3. **المستوى التعليمي: ثانوي.**
4. **الحالة العائلية: متزوج.**
5. **مدة الالتحاق بالطريقة: منذ 12 سنة.**

المحور الثاني:

6. **كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟**

الإجابة: رجل زهد ومربي عظيم.

التعليق: إنَّ مشايخ التصوف قاطبة هم رجال تربية في علوم الترقي والتصوف والطريقة التيجانية واحدة من هذه الطرق التي تسلك نهج التربية الروحية والتي تستند إلى شيخ فاضل مؤسس ويكون له باع في مجال التصوف والتربية وللشيخ التيجاني حظ وافر عظيم نال منه شرف الزهد وزمام التربية وهو ما جاء على لسان المبحوث حيث أكدَّ دوره الراسخ في الزهد الذي هو مدخل التصوف

وباب من ابوابه الشتى وفضله في غرس القيم التربوية وفق منهجه الطرقي وهو ما اشتهر باسم المربي والمعلم والمؤدب.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الاجابة: سر انتشارها من سر قطبانية سيدي أحمد التيجاني وأسراره الروحية المكتومة.

التعليق: ان من مؤشرات تأثير أي طريقة صوفية في حاضنتها الاجتماعية وعموم المجتمع الإنساني هو قبولها وانتشارها بين عموم الناس من أشياع ومحبين ناهيك عن المريدين والأتباع والطريقة التيجانية تعرف انتشارا واسعا مختلفا عن باقي الطرق الأخرى وهذا ما تؤكده خارطة انتشارها في أصقاع العالم وما تصدقه الاحصائيات الرسمية وتمثله اللقاءات العلمية والفعاليات الدولية والخرجات الميدانية التي تقوم على تنظيمها مؤسسة الخلافة بالطريقة التيجانية في مختلف أصقاع القارة الافريقية على غرار آسيا وأوروبا وأمريكا وهذا راجع لمكانة شيخها المؤسس الذي يشار إليه في أدبيات الطريقة التيجانية بالقطب المكتوم والذي يعتبر مكانة عالية في التصوف لا ينالها إلا ذو حظ عظيم وهو ما أشار اليه المبحوث في أنّ مرد سر انتشارها هو هذه القطبانية التي تحتوي اسرار مكتومة اقلها بركة الشيخ وتأثيره في قبول طريقته ويسر انتشارها.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أهم مرتكزات الطريقة التيجانية محبة الشيخ فمحبته واجبة على كل تيجاني.

التعليق: لعل مرد أي طريقة في أسسها ونسبها تؤخذ من أصلها الممثل في الشيخ المؤسس والطريقة التيجانية تلحق نسباً إلى مؤسسها سيدي أحمد التيجاني وتأخذ مكانتها فقها في التصوف وشروط في الانتساب إليها من منظور ما خصه الشيخ المؤسس لطريقته وكان أوله وأهمه في

الالتحاق بها أولاً والأخذ بسبيل الترقي وفق نهجها محبة الشيخ واذعان الولاء له ومحبة سالكة الطريق التيجاني من أشياع ومحبين وهذا ما جاء في إجابة المبحوث حيث أنَّ محبة الشيخ واجبة على كل تيجاني فهي نقطة البداية في الطريق وغاية كل محب ومريد.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: من أولوياتها محبة الشيخ والحفاظ على الورد.

التعليق: ان من اهم الأولويات التي تحظى بعناية كبيرة في فقه الطريقة التيجانية هو محبة الشيخ والحفاظ على ما أكده من أوراد فبها تستمر الطريقة انتشارا من حيث التفاف الناس حول مرجعيتها الروحية الأولى الممثلة في الشيخ سيدي أحمد التيجاني والثانية في الحفاظ على ما سنّه من أوراد معلومة فهي تنظم نشاطها الديني والتربوي والاجتماعي وفق أبعاد الزمان والمكان وهذا ما جاء في إجابة المبحوث في أنّ محبة الشيخ والحفاظ على ما سنه من اوراد من أولويات الطريقة التيجانية وهو ما يؤكده الواقع المعاش سواء للمريد القائم بشروط الطريقة أو الباحث الذي تتراء له هذه الأولويات ملاحظات منظورة في الواقع المعاش في دائرة مريدي الطريقة التيجانية.

10. على أي أساس بنى الشيخ زاويته؟

الإجابة: بنى الشيخ زاويته على المحبة والتراحم ونشر الخير.

التعليق: ان الاحسان يتأتى بعد سابق الايمان والإسلام وبالتالي فالإحسان هو دائرة فضلية يختص الله بها من أراد الغور في حقائق الكون والوصول للحضرة الإلهية والتي لا تتأتى إلا في امتثال السير وفق المثل الأخلاقية الدينية والاجتماعية العليا والتي اختصرها الإسلام في عموم دعوته إلى نشر المحبة والتراحم ونشر الخير وهو ما أكدته إجابة المبحوث التي جاءت وفق خبرة في

هذا المجال الذي يسعى إلى نشر سبل المحبة والخير والتراحم فالطرق الصوفية في المغرب العربي على العموم جاءت وفق هذه الأطر ومحاولة تأكيدها فعلا اجتماعيا واقعاً.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: لأنها مسقط رأس الشيخ سيدي أحمد التيجاني ودوام بركته وقد أوصى الشيخ سيدي أحمد التيجاني أولاده بالإقامة في عين ماضي فجاء في معنى قوله ووصيته "ان لا يليق بهم إلا الصحراء".

التعليق: إنَّ المشهود للزاوية التيجانية بعين ماضي هو مكانتها في عموم الوطن وخارجه وكذا مكانتها لدى عامة الناس واهتمام الجهات الرسمية بها اذ تمثل بعدً ديبلوماسيا روحيا حيث تعد وجهة الكثير من الوفود الرسمية الافريقية ولعل مرد ذلك هو مكانتها الروحية والدينية فهي تمثل مسقط رأس الشيخ وامتداد بركته في حيز الزمان والمكان وامتدادا لنسله من بعد وكذا بعدها الحضاري والاجتماعي وهذا ما أكده المبحوث في نقطتين أساسيتين كونها مسقط رأس الشيخ ودوام بركته إضافة إلى التزام أولاده من بعده بوصيته وبقائهم في عين ماضي.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

الإجابة: عن طريق احتضان عابر السبيل والبركة الكبيرة التي نجدها في اورادها أذكارها وتواضع مشايخها واهتمامهم بقضاء حوائج الناس واحياء عادات الأجداد وربط الناس بعضهم بعض بالمحبة فكل واحد منّا هو حبيب للشيخ سيدي أحمد التيجاني.

التعليق: إنّ سر دوام الطريقة التيجانية هو تعزيزها لمبدا الانتماء لها فهي تشترط وفق صحة الانتماء لها الأخذ بها دون غيرها وان سبق لمن أراد الالتحاق بها انتماؤه لغيرها وجب عليه التحلل منها هذا كأساس أولي أمّا عن تكريس هذا الانتماء وتحقيقه وفق الممارسات والطقوس

الدينية والاجتماعية إنما يتأتى وفق آلية الفعل الاجتماعي فهي ترسخ احتضان عابر السبيل وطالب البركة ويسر أذكارها وما تحمله من قيمة دينية من صلاة على النبي وهيللة تحمل طابع البساطة الأمر الذي يحقق انتماء الناس لها على سبيل الخاص والعام منه، إضافة إلى تواضع مشايخها والتفاتهم عناية بقضاء حوائج الناس وإحيائهم لعادات الأجداد وما تعارف عليه المجتمع وربط الناس بعضهم بعض بالمحبة ونشرها وهذا ما جاء في سياق إجابة المبحوث إذ يتحقق تعزيز الانتماء لها وفق آلية الجماعة الاجتماعية المتعاضدة في سبيل تحقيق أهداف الطريق.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: نعم يعزز ذلك وأول الطريق اتباع نهج القطب المكتوم سيدي احمد التيجاني لما له من أسرار ظاهرة وباطنة وبركة ونحن نتبع في ذلك محبة آبائنا وأجدادنا لهذا الولي الطاهر الشريف.

التعليق: إن كل الطرق تسلك مسلكاً تربويا روحيا يستند أصلا إلى الشيخ المؤسس والأخذ بهذا المسلك التربوي الروحي هو التزام بالمرجعية الصوفية وهو ما يعزز الانتماء لها فكثيرا ما يعرف انتماء المريد لطريقة ما من أذكاره وأوراده وحتى من عدد شواهد سبحته والطريقة التيجانية لها خصائص سوسيوأنثروبولوجية تؤسس لهالة الشيخ المؤسس وأتباعه من بعده في طريق التربية والتزام محبة الشيخ ومن أذن لهم من بعده في تلقين طريقته هو أمر يحقق ويعزز الانتماء الذي تعضده الأعراف الاجتماعية إذ يتشكل ذلك التدين الشعبوي المتوارث أباً عن جد والذي يحمل في ثناياه أبعاداً مشبعة بمفاهيم المقدس والعرف الاجتماعي وتمظهرات البركة والأسرار الظاهرة والباطنة وهو ما جاء على حال لسان المبحوث الذي اكدّ أن أول التزام هو محبة الشيخ التي تمثل مدًّ توارثي لذلك العلم النوراني الرباني وتلك المحبة المتوارثة تلقينا أبا عن جد.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: نعم كثيرة أهمها حب الله ورسوله وطاعة الله ومحبة الخلق وصلة الرحم.

التعليق: إنّ الطرق الصوفية في بلاد المغرب خاصة والتي وان وسمت بذلك الطابع الاجتماعي إذ تعهد إلى ترسيخ القيم الدينية واقعاً اجتماعيا فهي لا تظهر بذلك المنظور النظري بقدر ما تترجم فعلا اجتماعيا ولعل أهمها مواظبة وترسيخاً هي محبة الله ورسوله وذلك استنطاقاً لمحتوى أذكارها واورادها والحث على طاعة الله بعداً معنوياً يلامس الروح من خلال عبادة الله من حيث يراك لا من حيث تراه بمعنى استحضار الله في كل امر وذكره مخافة ورهبة وطمعاً في كل الأحوال وسبيل الوصول إليه ورضوانه هو وصل الرحمة والمحبة بجميع خلقه وأولهم ما أوصى الله به عباده من صلة رحم ومكانتها فلا يحق للمنتمي للطريقة التيجانية ولا يصح له ذلك إلا بعد رضا الوالدين وهو ما جاء في سياق إجابة المبحوث في أطر عريضة قد تستدعي من الباحث في الحقل الديني الصوفي التمحيص أكثر من خلال الملاحظات التي تكشف التمثلات والتمظهرات القيمية الدينية في ثنايا كل ما هو طقوسي ديني واجتماعي بكل أنساقه العرفية والمعاشية.

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: أهمها الحفاظ على الصلوات المكتوبة والبذل قدر المستطاع في النوافل والصدقات وطاعة الوالدين والتسليم لأولياء الله الصالحين وملازمة الذكر.

التعليق: لعل الصلاة عبادة معروفة في تاريخ أنثروبولوجيا الأديان عبر كرونولوجيا تطورها من الديانات الطبيعية وصولاً إلى الديانات السماوية فلها بعد مقدس يسترعي أوقات وحركات وشروط

معينة وظروف وازمنة ترتبط بواقع عصي عن معالجتها فكثير ما يعرف في الأدبيات الدينية صلاة الاستسقاء او ما يسمى في الديانات البدائية استجلاب المطر، وقد أكدّ الدين الإسلامي على محورية الصلاة فهي ركن من أركان الإسلام فرضت في السماء وارتباطها بهذا البعد الفيزيقي له هالة قدسية لارتباطها بكل ما هو إلهي وقد اوصانا الله بالحفاظ عليها، وعليه فالطريقة التيجانية تؤكد على أهمية الصلاة والحفاظ عليها جماعة لما لها من فضل مع الحث على النوافل واستجداء مرضات الله ببذل الصدقات وطاعة الوالدين والتسليم لأولياء الله الصالحين وقد جاء في سياق الحديث القدسي "أن من عاد لي وليا فقد أذنته بحرب" وهذا ما أكدّه جواب المبحوث.

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

الإجابة: نعم وذلك عن طريق الذكر والتزامه فرادى وجماعات واطعام الطعام لوجهه في جميع المناسبات الدينية والاجتماعية وعلى حبه يتيما وعابرا للسبيل.

التعليق: إنَّ الطريقة التيجانية هي طريقة تأخذ على نفسها مبدأ الوصول إلى الحضرة الربانية وللوصول لا بدَّ من رياضة روحية سنامها ومحورها هو الذكر والتزامه وفق أطر الجماعة والفرد إضافة إلى الاحسان إلى خلقه في أوجه البر التي أمر بها الله في محكم تنزيله واولها اطعام الطعام وهذا ما عرفت به الطريقة التيجانية في جانبها الاجتماعي إذ تعتبر حاضنة اجتماعية للفقراء والمساكين وقيام مريديها بالمشاركة في هذه الاعمال التطوعية على مختلف الأزمنة والمناسبات الاجتماعية والدينية، وهذا ما جاء في إجابة المبحوث.

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: أهمها اقام الصلاة والحفاظ عليها وإشاعة محبة النبي صلى الله عليه وسلم وجميع الاولياء والصلحاء من بعده والتزام الذكر واحترام العهد ومحبة الشيخ خاصة فهو عهد المريد أمام الله.

التعليق: ان مشايخ الزاوية يعتمدون مرتكزات دينية يسعون إلى ترسيخها للمريد الذي صح اسلامه ولعلّ أهمها هي الحث على مواظبة الصلاة ومحبة النبي والتأسي بأخلاقه ومحبة الأولياء والصلحاء باعتبارهم ورثة للأنبياء في الصلاح والعلم ولا يتأتى ذلك إلا بالتزام أذكارهم واحترام عهد الولاء لهم فالأخذ بالعهد في الطريق الصوفي التيجاني هو التزام أمام الله ورسوله والشيخ الأصل في الطريقة سيدي أحمد التيجاني وجماعة المريدين على الحفاظ عليه، وهذا ما أكده المبحوث في اجابته.

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: هو أساس الطريقة لأنه عطية من خير البرية للشيخ القطب المكتوم رضي الله عنه خصه به دون غيره.

التعليق: إنّ للذكر أهمية كبيرة وأولوية نافذة في أدبيات منهج التربية الصوفية للطريقة التيجانية لاعتبارات أولها صيغه التي لا تشذ عما أمرنا به الله ورسوله واستمسك به خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم من صحابته وتابعيه إلى يوم يبعثون هذا إضافة إلى اعتبارها جوهر في الطريقة التيجانية اذ أخذت ولقنت للشيخ رضي الله عنه مشافهة من النبي صلى الله عليه وسلم وهذا ما جاء في سياق إجابة المبحوث وما تؤكده الملاحظات في حلق ذكر الطريقة.

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: نعم فهي أساس تربوي ساهم في تناقل ذلك التدين الشعبوي البسيط مرتكز على الضروري من الدين مع تركيزه على جانب الخلق الفاضل فالأخلاق تنقل قدوة أكثر منها علماً.

التعليق: لقد جاء في سياق الحديث النبوي الشريف "إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" فالأخلاق قيمة إنسانية عليا تسطو على مفاهيم كل ما هو ديني واجتماعي فهي علم معروف عبر تعاقب الحضارات وهي فلسفة مستقلة بذاتها فهي تحتوي الديني والاجتماعي وفلسفة التربية الروحية الطرقية للتيجانية تتأتى من هذا المنظور فمجمل القيم انما تزان بالأخلاق وقد جاء في الأثر أنّ من لا خلاق له لا دين له ومبدأ المشيخة وتعاقبها في سير الطريقة التيجانية انما هو تناقل للقدوة الأولى للمثل الأخلاقية والتربوية للنبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً من الشيخ المؤسس الذي يعتبر في ابجديات الطريقة التيجانية مقدماً حيث جاء في الأثر عن الشيخ رضي الله عنه قوله ما أنا إلا مقدم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ما جاء في سياق إجابة المبحوث الذي يؤكد على أهمية وموقع القدوة في الامتثال للموروث الديني في ترسيخ القيم الدينية.

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: نعم مجسدة من خلال التزام الصلوات المفروضة جماعات واستسباق النوافل والتزام الذكر وحسن المعاملة والمعشر ودماثة الخلق لأن الأخلاق أساس البيت الصوفي ومحور قيمه الدينية فمن لا خلاق له لا دين له.

التعليق: إنَّ الإسلام مفهومه العريض وخطوطه الأصيلة إنما يبنى على أصول أهمها أركانه والتي تتأتى وفق تراتبية الوحدانية وإقامة الصلاة وايتاء الزكاة ... الخ من اركان الإسلام، والتصوف هو اجتهاد ودخول لدائرة فضلية تنطلق من وجوب حسن اسلام المريد إلى توخيه الزيادة في

الفضل والقرب إلى الله بالنوافل والذكر وسلامة القلب واللسان فهو تهذيب خلقي يعتبر اصالة البيت الصوفي فالأخلاق من الدين وخاصة إذا فرضنا جدلا أن الدين لله وحده وكل مسلم هو سفير لهذا الدين وأول الدعوة له بالكلمة الطيبة وحسن الخلق، وهذا ما جاء على لسان المبحوث.

المحور الرابع:

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: نعم تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الطريقة التيجانية فهي سر بقائها وانتشارها فقيم التعاون والمساعدة بين الناس متأصلة في تاريخ الزاوية التيجانية إلى يومنا هذا في المعاش اليومي وفي محطات المناسبات الدينية والاجتماعية وكل طارئ اجتماعي.

التعليق: إنّ الزاوية في أبجديات التنظيم الاجتماعي المتعارف عليه وفق مسار تاريخها هي مؤسسة اجتماعية تعمل جاهدة على ترسيخ قيم اجتماعية اصيلة في الدين والأعراف الاجتماعية من أجل تحقيق أهدافها إذ عملت في محطات تاريخية كثيرة كبديل للسلطة الرسمية في تحقيق التوازن والتوافق الاجتماعي والحفاظ على ثوابت الأمة عن طريق التعليم والتضامن الاجتماعي حال الازمات وهذا ما جاء في إجابة المبحوث حيث اكد على ان القيم الاجتماعية من خلال المساعدة والتعاون بين الناس كان ولا يزال نهج الطريقة التيجانية منذ تأسيسها لغاية يومنا هذا.

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: نعم فهي تدعوا للتعاون والتسامح وحل المشاكل واطعام الطعام لعابر السبيل والمسكين على طول السنة مع انتقائها لأيام معدودة في مناسبات مخصوصة كأول محرم والمولد النبوي

الشريف وعاشوراء وشهر رمضان حيث تظهر أفعال تضامنية بين الناس وخاصة الفئات الهشة اجتماعيا.

التعليق: ان التضامن الاجتماعي آلية ناجعة اكدتها الدراسات الاجتماعية في الحفاظ على نسقية المجتمع وتوازنه واستمراره والطريقة التيجانية ومن خلال زاويتها كنسق اجتماعي داخل المجتمع ككل إنما تعمل لتحقيق التضامن الاجتماعي والتعاضد بين أنساق المجتمع وفق نشاطاتها التي تتقاطع مع مناسبات دينية لها دلالة عميقة في نفوس المسلمين وخصه الله بفضل لمن أراد التقرب بها اليه في بذل الخيرات فالزاوية التيجانية تعمد على تنظيم هبات تضامنية وتكافل اجتماعي في مختلف هذه المناسبات وهو ما أكدته إجابة المبحوث.

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: هي كذلك لأنها لكل الناس دون استثناء فزيادة على المريدين الذين يندمجون تحت راية العهد ويشكلون عائلة واحدة هناك المحبين الأحباب الذين يندمجون في جماعة التيجانيين ومن نتائج ذلك علاقات المصاهرة والأخوة في الرضاعة بين أعضاء الطريقة فالقرابة الدموية تشترك بين مجاميع المريدين والأحباب عروشا وعائلات واضافة إلى الرابطة الروحية تتعدى إلى تلك الروابط الدموية عن طريق المصاهرة.

التعليق: إن عملية الاندماج الاجتماعي لا تأتي إلا وفق نسج روابط أخوية تقفز على مفاهيم الدم والعرق وهو ما أكده ديننا الحنيف والطريقة التيجانية كنهج إسلامي تربوي وفق حاضنة اجتماعية

دينية اصيلة ممثلة في المريدين إضافة إلى الأحباب والأشياع إنما تؤسس لهذا الاندماج الذي يأتي وفق انصهار الاجتماعي مصاهرة بين المريدين ومختلف مكونات المجتمع من عروش إضافة إلى تفشي ظاهرة الأخوة في الرضاعة خاصة بين أحفاد الشيخ وحاضنتهم الاجتماعية (العروش) فهذا الاندماج الاجتماعي يؤسس للروابط الرصينة بين مختلف المريدين والأحباب، إضافة الى التشاركية المجتمعية في مختلف المناسبات.

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: تجسدت من خلال الألفة بين التيجانيين والمريدين رابط اجتماعي قوي فأمرهم دينا ودينيا محل استشارة ونصح بينهم وحال معاشهم في السراء والضراء تعاون وتآزر ومآل معشرهم احترام للكبير والصغير واحاطة للمعاش بأصول الآداب العامة وتحري الحشمة والتأدب أمام الشيخ المربي والتجاوز عن المسيء ودرء السيئة بالحسنة.

التعليق: ان استمرار المجتمع وتجانسه إنماّ يتأتى وفق منظومة اجتماعية تتأسس وفق أصول الدين ومتطلبات المجتمع والطريقة التيجانية وفق زواياها المنتشرة في أصقاع الأرض إنما تميز واقعها الاجتماعي وفق أصول وقيم اجتماعية أولها الاحترام والمشورة والنصح وحسن المعشر والتأدب والتآزر ودرء السيئة بالحسنة والحفاظ على الآداب العامة والحشمة مما يراعي خصوصيات المجتمعات المحافظة وهو ما لمسناه في الحقل الميداني الانثروبولوجي من خلال البناء الاجتماعي من الجماعة الطرقية تجاوزا إلى الجيرة وحسن المعشر وآداب الطريق وقيم النظافة إضافة إلى استنطاق النسيج العمراني وخاصة في القصر القديم اين يفصح عن كثير من قيم اجتماعية متأصلة في تاريخ المنطقة.

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: تنميها من خلال الرابطة الأخوية للتيجانيين فهي تجمع الناس على مكارم الاخلاق وعلى تحري ما يجمع الشمل ويسد الفرقة.

التعليق: إن الطريقة التيجانية هي رابطة اجتماعية ذات بعد ديني واجتماعي فهي تؤسس لروابط قيمية اجتماعية تتأتى من خلال تبادل الفعل الاجتماعي داخل الحقل الديني والاجتماعي فروابط الجماعة الطرقية تنمى في حلقات الذكر الذي يستدعي ذكر الله مع استحضار أحوال الاخوة التيجانيين وتفقد احوالهم والمبادرة في كل ما يوحد الصف ويؤلف القلوب فهي ترتكز على الشيخ المربي ومحوريته في توجيه الجماعة نحو أهدافها واولها التزام الترابط والتآزر وهذا ما أشار اليه المبحوث ضمنيا في جوابه.

26. فيما تمثل انعكاس دور شيوخ الزاوية التيجانية على المجتمع؟

الإجابة: انعكس من خلال ايمان المريد والمحب في الطريقة بأن الدين الحقيقي بعد معرفة الله ورسوله هو حسن الخلق والتحصن بالجماعة لما لها من عصمة والابتعاد عن الرذائل وفعل الخير لأجل الخير فكل هذه الدعوات التي يؤطرها شيوخ الزاوية انما تؤثر في فلسفة المجتمع فتؤسس لروح تقبل الآخر ومحبته والقيام برسالة الإسلام الاصيلة والمتمثلة في بناء الانسان.

التعليق: إنّ الإسلام جاء برسالة خاصة وهي بناء الانسان فهي خاصة في مضمونها عامة في شمول حاضنتها فنبي الله بعث للناس كافة وهو ما تؤشر اليه فلسفة الطريقة التيجانية ضمنيا من

خلال سهولة أذكارها وشروط الانتماء اليها وقبولها كل من صلح اسلامه فهي امتداد لرسالة الأنبياء في الدعوة الى الله بالكلمة الطيبة ومشايخ الطريقة سبلوا هذا المنهج لتقريب الناس بعضهم من بعض وإشاعة سبل المحبة والخير وهو ما أشار اليه المبحوث في انعكاس دور الشيوخ.

تقييم الحالة الثامنة:

من خلال عرض إجابات المبحوث من خلال المقابلة الميدانية يتضح لنا من خلالها جملة من التقييمات حولها حيث تضمنت الإجابات في المحور الأول المتعلق بالفرضية الأولى التي تشير إلى أنه **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم.**

يعتبر الشيخ سيدي أحمد التيجاني رجل زهد ومربي عظيم نال درجة القطبانية وله أسرار مكتوبة وهو ما أسبل في انتشار طريقته فواجب محبة الشيخ أمر مطلق الاعتقاد في كرامته، وهي من مرتكزات الطريق التيجاني وأولوية من أولوياته المقرونة بالحفاظ ورد الطريقة والتزام مفاهيم المحبة والتراحم وسبل الخير في أسس الزاوية التيجانية التي أشاعها مؤسسها الأول سيدي أحمد التيجاني كما تعتبر زاوية عين ماضي مسقط رأس الشيخ المؤسس وامتداد لمفاهيم البركة الممتدة حال نشأة الشيخ ووصيته من بعده لذريته أفضى تلك الأهمية الروحية التي أصلتها لكي تتبوأ مركز الخلافة العامة للطريقة التيجانية قاطبة فهي قيمة مطلقة للطريقة التيجانية في تعزيز أسباب الانتماء اليها إضافة إلى دورها الاجتماعي كحاضنة لكل ذي حاجة خدمة وعناية مع سهولة أذكارها وأورادها فهي قطب جاذب يعزز أسباب الانتماء اليها لما لها من خصوصية سوسيوثقافية تجمع بين التراث والعادات المجتمعية المحلية الأمر الذي عزز قيم الولاء للمريدين باعتبارهم حلقة تراتبية في مفهوم تقديم واجب المحبة للشيخ وما تمليه وفق فقه الطريقة كشرط جازم في صحة الانتماء من جهة وما يمليه العرف الاجتماعي في التراث الشعبي الذي يتناقل جيل عن جيل.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية التي تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين**، تتحقق كثير القيم الدينية والتي تعبر عن الخطوط العريضة في الشرع ومقاصده العامة وأهمها محبة الله ورسوله وجميع خلقه وترجمتها واقعا فصفة الرحمة والتي يختصها الله اسماً من أسمائه مقرونة بصلة الاسم فهي صفة لها أبعاد عميقة وهذا إضافة إلى تركيز الطريقة التيجانية على تعميم قيم لذاتها والحث على مداراتها والحفاظ عليها لما لها من فضل وما تمثله من صلة بين العبد وربه كالصلاة المكتوبة وأدائها جماعة مع الحفاظ على النوافل والبذل في الصدقات وبر الوالدين والتسليم لأولياء الله وملازمة الذكر الذي يعتبر استقرار لعظمة الخالق ونأي بالنفس عن مشاغلها مع خدمة الانسان لبلوغ درجات الترقي الروحي ففقه الطريقة يرتكز على عموميات تستوجب صلاح اسلام المريد عبادة ومحبة لله وتسليما لجميع أولياءه من خلقه مع مخصوص التزام عهد الطريقة، الأمر الذي يستدعي اقتران ذلك بمواظبة الذكر دوام الترقي في النهج التيجاني لما له من سند مشرف بعظمة خير البرية امتدادا للشيخ المؤسس، ومن بعده دوام ذكره وتكراره عبر الخلفاء في التربية الدينية، ومن أذن لهم في تلقين علوم الدين والتزكية، فأخلاق النبوءة تتمظهر واقعاً في حركات وسكنات المقاديم للطريقة وسلسلة الخلافة وهي سبيل فاعل في تناقل هذه القيم وترسيخها لعموم الخلق، وهو ما أكدّ تجسدها واقعاً في لزوم المفروضات من الدين واستبال النوافل قدر المستطاع والتزام الذكر وحسن المعشر ودماثة الخلق كأساس محوري في السلم القيمي الصوفي التيجاني على الوجه المخصوص.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثالث المتعلق بالفرضية الثالثة التي تشير إلى أن **للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها**، نعم تأصل ذلك كونه أولوية من

أولويات الطريقة التيجانية من خلال مؤسس الزاوية عبر تاريخها الاجتماعي ودورها الريادي الذي لعبته في محطات اجتماعية تاريخية كبديل للسلطة وإلى يومنا هذا في ظل مقومات الدولة الوطنية، وعبر مختلف المناسبات الدينية والاجتماعية والوطنية وفق ما يفرضه الواقع المعاش ونوازل المحدثات في الواقع الاجتماعي من هبّات تضامنية فهي تحمل في أبجديات فقهها ومنظومتها الأخلاقية المجتمعية ما يعكس التفاضل والمسارعة في بذل الخيرات في أيام مخصوصات ببعدها القيمي الديني كشهر رمضان وأول محرم والاعياد الدينية امتدادا إلى خارج دائرتها بعموم المجتمع فهي تتضامن بالرأي والمشورة وصبر كل أسباب اللحمة المجتمعية والوطنية فهي من خلال هذه التوجهات تؤكد على اندماج مريديها داخل دائرتها الفضيلة المنوطة بشروط وآداب معينة، والتي يوجهها أعلى مستويات التراتبية السلطوية الممثلة في شيوخ الطريقة التيجانية لما لهم من حظوة وقبول في الأطر الاجتماعية المحلية والوطنية وما يساهمون به من تنظير واستشراف للواقع المعاش والمنظور في المستقبل.

الحالة رقم (09):

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس: ذكر**
2. **السن: 29.**
3. **المستوى التعليمي: ثانوي.**

4. الحالة العائلية: متزوج.

5. مدة الالتحاق بالطريقة: منذ 12 سنة.

المحور الثاني:

6. كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟

الإجابة: راجل مولا برهان سلطان الاولياء مولا فاس رايتو مبنية.

التعليق: إنّ أهم ما يميز العلماء وأولياء الله هو كرامتهم الباطنة والظاهرة وهو ما يؤسس لتلك الهالة القدسية والتي تستمر في الزمان والمكان المقدس من خلال زيارة أضرحتهم واحاطة أماكن خلوتهم ومكان مسقط الرأس بهالة تبركية عظيمة، وهو ما نلاحظه في إجابة المبحوث والتي وان تتراءى وفق بساطة اللغة إلا أنها تحمل دلالات عميقة فالبرهان يقصد به تلك الكرامات التي اشتهر بها الشيخ في حاله وأحواله وإشارته إلى كونه سلطان الأولياء هو خاصيته بالقطبانية وتفرده بها في الموروث الصوفي التيجاني، ومولا فاس مرده تأثيره العميق في المغرب العربي حين هجرته لهاته الأخيرة وحظوته عند خاصة الناس منها ونصرته من طرف حاكمها وتبوئه مراكز مرموقة في العلم، مع العلم أنه دفن بفاس وبه ضريحه وقبل ذلك مقر زاويته هناك، كما أنّ فاس وقتها حاضرة علم وعلماء واشارته لكلمة رايتو مبنية يقصد بها استمرار مدده من خلال طريقته التي تواصل انتشارها دون دعوة لها وإنما هي بفضل من الله وحده.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الإجابة: سر انتشارها هو صدق مولاها خدم ونال.

التعليق: إنَّ سر انتشار الطريقة يوعز في كثير من أدبيات البحث الصوفي إلى بركة وصدق مؤسسها ولعل هذا ما أشار إليه المبحوث في قوله خدم ونال بمعنى عمل بصدق على مرضات الله فحظاه الله بمحبة خلقه والاستمداد من طريقه وهو ما سهل انتشار الطريقة وذيوعها في مختلف بقاع الأرض ولعل أبرز سرها قابليتها لدى الناس وتوافقها مع معايير المجتمعات وسمو هدفها ومكارم شيوخها.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: هي طريقة ذكر ومحبة للرسول وقراءة القرآن.

التعليق: إنّ الطريقة التيجانية يشار اليها في مضامين فحول من كتبوا عنها أنها طريقة سنية أساسها الكتاب والسنة والذكر، كما أنها تكنى إضافة للتيجانية نسبة لصاحبها بالأحمدية والمحمدية والابراهيمية وفي ذلك إشارة إلى أنها طريق يرتكز في سياقه التربوي الروحي على ذكر الله وشكره وحمده وهو ما جاء في سياق إجابة المبحوث من تعلم القرآن وتدارسه علوماً وهو ما يؤكده البحث الاجتماعي التاريخي في المنطقة خارج أسوار القصر القديم لعين ماضي أين كان يعنى بتربية الناشئة على خلق القرآن وتعليمه بانتداب معلم للقرآن في البادية وتكون كفالة اطعامه وأجرته قسمة بين أهل العرش.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: محبة ربي والنبي ومحبة الوالدين والشيخ وجميع الاولياء الصالحين.

التعليق: إن الطريق الموصل إلى محبة الله محبة نبيه والصلاة عليه وبر الوالدين ومحبة الأولياء فقد أنذرنا الله بمعادات من عاد أوليائه لأنهم في كنف عنايته قال تعالى: "ألا إنّ أولياء الله لا خوف

عليهم ولا هم يحزنون"، ولعل ما جاء في سياق إجابة المبحوث يوافق ما سبق من طرح الذي يرتكز سندا على كتاب الله وسنته ويتوافق مع أسس الطريقة التيجانية في اعتمادها على مفهوم الدائرة الفضلية التي حظاها الله بمحبته ومحبة نبيه وجميع أوليائه.

10. على أي أساس بنى الشيخ زاويته؟

الإجابة: بناها عل فعل الخير والخبزة ولمحبة ونصرة لمقبون ولي ضايق بيه الحال ولي جناحو مكسور يتيم ومحقور وكل من قصد نال.

التعليق: إنّ الكثير من الباحثين في الجانب الاجتماعي للطرق الصوفي في الجزائر إنما يؤكدون على دورها الاجتماعي اذ كانت تمثل سلطة موازية وبديل عن السلطة المغيبة قصرا في الحقبة العثمانية والاستعمار الفرنسي وهو ما يدلل عليه من كثير كتابات المؤرخين في دورها أيام المجاعات والأزمات ودورها في تحقيق التوازن المجتمعي، فمخازن الزاوية ومجمل العطايا والهبات التي تحصل عليها من الساكنة والحاضنة الاجتماعية إنما يعاد تدويرها وفق الاحتياجات للساكنة فرادى وجماعات وربما هذا ما أشار اليه المبحوث في مفهوم فعل الخير ومفهوم الخبزة بمعنى اطعام الطعام ونصرة المغبون اليتيم والمهمش اجتماعيا وفي معنى لي ضايق بيه الحال دلالة على طالب البركة والشفاء من الأسقام النفسية والعلل العصية عن علوم الطب الأخرى وتأكيده على دورها الفاعل من خلال قوله لي قصد نال بمعنى أنها تعنى بتحقيق هذه الأهداف الاجتماعية التي تعد من صميم أسس الطريقة التيجانية التي رسخها الشيخ.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: هاذي من براكة الشيخ لي نزلت وفاضت على البر وصلاح البلاد العامرة بالبراكة عين ماضي بزاويتها فيها نفحات والطالب صادق النية ينال فيها صبيان القرآن، فيها زاد الشيخ وفيها أصل والديه والزاوية ليها تاريخ ولقصر لقديم جاب علماء طلبة قرآن ومحط السلطان وكوردان والدربوز ومنها خصلات سيدي بن عمر في بلاد السيليقان ردهم من الجهل للنور.

التعليق: إنّ الزاوية التيجانية في عين ماضي من أكبر الزوايا وهاذا راجع لرمزيتها التاريخية المتصلة بمسقط رأس الشيخ المؤسس إضافة إلى حيز المقدس بها من مسجدها العتيق والقصر وقصر كوردان وما يحوز عليه من ارث تاريخي ثقافي إضافة إلى حيز المقدس الديني من أضرحة نسل الشيخ وما تمثله في تاريخ المنطقة في تقاطعات تاريخية مهمة ابان العثمانيين والاستعمار الفرنسي وهو ما أشار اليه المبحوث بصفة العمومية وبإشارة واضحة إلى هالة رمزية المقدس في كونها مسقط رأس الشيخ وامتداد نسله أفقيا لأبويه وأحفاده وعموديا إلى أخواله التجاجنة من ساكنة القصر القديم وموقع المسجد العتيق ضمن دائرة النسيج العمراني للقصر إضافة إلى التأثير البالغ لسيدي بن عمر التيجاني الذي نشر الإسلام في غرب افريقيا والسنغال وهو ما أشار اليه المبحوث في كلمة السيليقان وهي كلمة شعبوية عند عموم البسطاء من المريدين، وفي خط موازي لحركة التبشير الاستعماري كخط دعوي متأصل من فهم الانسان بأبعاده الحضارية والثقافية والرمزية المتجذرة في المخيال الشعبي المحلي والافريقي للزاوية التيجانية.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

الإجابة: هذاك لمقصد من الزاوية هي الخيمة الكبيرة لي تلمنا محبة الشيخ وتلمنا على فعل الخير وتخاوينا رانا كي صباع اليد لوحدة وذي وصية الشيخ ولعهد صعيب لازم تحظيه وتحافظ عليه وأمانة في رقبة كل حبيب الشيخ رانا حباب نتلمو من كل مكان همنا واحد وفرحنا واحد.

التعليق: إنَّ من مسببا تعزيز الانتماء في الطريقة التيجانية هو فلسفتها الدينية والاجتماعية المؤسسة على البساطة والعمق فهي لا تحذو طريقة تقشف والتجرد من الدنيا ولا الانتقائية في استقطاب أتباعها ومريديها فهي دائرة فضلية يمن بها الله على من اصطفاه على خلقه دون دعاية منها ولا ترغيب وهو ما يعزز آلية تنمية روح الانتماء لها التي تستقر قناعة في نفوس أشياعها وحبيها نظيرا انفتاحها على جميع الخلق وهو ما أشار اليه المبحوث في فحوى اجابته فهو انتماء يتجاوز حدود الهوامش الاجتماعية والتراتبية الطبقية فالكل في الطريق طالب لمراده الذي يبقى محل تمحيص وقبول من الخالق وحده.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: ايه بيت القصيد محبة الشيخ كيما قلنا تخلينا صافيين وافيين النية لطريق التيجاني وهذا هو عهد ربي والنبي والملايكة، ولازم تكون موالي للوالي سيدي حمد رضي الله عنه.

التعليق: إنّ الولاء درجة متقدمة تأتي بعد تحقق الانتماء اذ ينافح المريد عن خطه الطرقي ومشيخته بالتزام الولاء لمنهجهم وتتبع خطاهم في الترقية والتقويم الروحي الذي يستند أساسا إلى منبعه الأول الشيخ المؤسس وهذا ما جاء في سياق جواب المبحوث الذي أشار إلى اخلاص الولاء للشيخ دون غيره واتباعه يحقق سمة الولاء العام للمريد لأن من لم يلتزم باتباع الشيخ دون غيره وان سبقه ذلك فعليه التحلل منه والا فلا حظ له في الطريقة فهو شرط نافذ في فلاح المريد وسبيل لنيل

مبتغاه من الأنوار الربانية وهذا سبيل الإخلاص لنية الولاء للشيخ في مضمون أخذ العهد أمام عموم المريدين وأمام المؤدب المأذون له بتلقين العهد وفق ضوابط معينة.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: هذا لي تعلمناه الصلاة والطهارة وتودي حق ربي زكاة وصدقة على نفسك واولادك ووالديك والصدق والحق لوكان على رقبتك وخوف ربي وما عرفنا المقبول وين راه وربي يحفظنا من السارقة والدارقة.

التعليق: إنّ التربية الطرقية في نهج التيجاني تنطلق من مبدأ حسن اسلام الفرد والمامه بالضروري من الدين عبادات مفروضة مع حسن النية واخلاصها للخالق ومن ثم يتدرج السالك في رياضته الروحية التي لا تتحرى زهدا فارطا في الدنيا بقدر ما توغل في النفس حثا عن غناها عمن سواها، والتعفف عما في ايدي الخلائق وعبادة الله والرضا بقدره خيره وشره ورجاء اللطف فيه وتبقى مرامي القبول من الله وحده عالم السرائر وهو ما جاء في فحوى إجابة المبحوث بلغة بسيطة ذات دلالات رمزية إلى أنّ الوصول للكمالات ومناط القبول من عند الله وعلى المؤمن التسليم بقضاء الله وما تملكه يداه هو الدعاء وحسن اللطف في الأقدار وما تخفيه سماء الغيب في معنى قوله السارقة (المخفية) والدارقة (الظاهرة)، وهي لفظة بسيطة شعبية متداولة عند الكبار من ساكنة المنطقة على العموم.

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: حسب ما نعرف والله أعلم هي معرفة الله حق قدره ومقداره العظيم وأول هذه المعرفة هو خوف ربي في نفسك وأولادك ومولات بيتك وحق الناس (فخار ربي) وكل حاجة تحت يدك بوكان بهيمة والمعروف والخبزة والواحد يرقع دمو ويتهلا في والديه وما يهينش لولية بنتو ولا مرتو ولا ختو يتفقدها وما يقفلش عليها وما تديهش الدنيا قالو لولين الناس تجري والحفر قدامها وما يقصبش على رزقو قالو لولين ما يجيب يطيب الثريد حتى ما تعرف ربي ما يريد والصبر مفتاح الجنة.

التعليق: إنّ الخاصية السوسيوأنثروبولوجية للطريقة التيجانية تؤسس لتداخل قيمي بين ما هو ديني واجتماعي فهي منوطة بالضروري من الدين ومأسسة سلم قيمي يتماهى مع فلسفتها الروحية وحقلها الاجتماعي فهي تعمل وفق محاذير النفس الأمارة بالسوء وارهاصات تهذيبها وفق مبادئ أخلاقية ذات بعد يتمثل بناء الانسان وعمارة الأرض وهو ما أشار اليه المبحوث وفق سردية شعبية يتداخل فيها البعد القيمي الديني والاجتماعي فالصبر ومعرفة الله حق المعرفة ورعاية حقوق الخلق وأولهم من لهم حق عليه وتأسيس لفلسفة حقوق المرأة والعناية بها زوجة وأمّا وأخت هو من صميم السنة النبوية الشريفة حيث أوصانا الله بالقوارير فكسر خواطرهن وحسن تربيتهن وجزاء ذلك الجنة بصريح الحديث النبوي الشريف، أما في اشارته لفظا شعبيا بفخار ربي يقصد به عموم الناس فقد جاء في الذكر الحكيم أنّ خلق الانسان من صلصال لا يستقيم الا باللين والخشونة أحيانا، فلإنسان ينتصر للحق دون نفسه كما ان وجب التريث في أمور الدنيا والاخذ بأسبابه دون جزع ولا طمع والحث على اطعام الطعام لوجه الله تعالى بمعنى الكلمة الشعبية الخبزة وواجب التبصر باليقين في أمر الله فهو الفعال لما يريد وهو ما جاء في سردية المثل الشعبي المتداول لساكنة المنطقة ما يجي يطيب الثريد (اللحم) حتى ما تعرف ربي ما يريد، وهي أمثال

شعبية تستند على حكايات ضمن التراث الشفهي تحاكي التربية بالحكاية والمثل في عدم الاستعجال في أمور الدنيا فلا تدبير الا تدبيره تعالى والتذكير بأن الدنيا دار فناء لا بقاء في قوله المأخوذ من المثل الناس تجري والحفر قدامها بمعنى كثرة مغريات الدنيا والنهاية محتومة واحدة وهو ما يؤشر لمعنى الآية الكريمة: "ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر"، فلا بدّ على المريد المستقيم أن يأخذ أمور الدنيا مأخذ الزاهد في ما آتاه الله من فضل بغيره.

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

الإجابة: نعم خوف ربي هو قنطاس البيت ووالدينا وصاونا على خوف ربي لي ما تخفى عليه خافية.

التعليق: إنّ أساس النهج الطرقي هو التربية الروحية التي تستند لدرجة الاحسان المناط به الروح وتطهير القلب وصفاء السريرة وهو ما أشار اليه المبحوث مستمدة من سيرورة معاشهم الاجتماعي من خلال مقولة هي قنطاس البيت والمقصود به العمود الرئيسي الذي يتوسط الخيمة الذي يوزع ثقل الخيمة على أطرافها من الأعمدة وهو ما يحاكي مقولة رأس الحكمة مخافة الله فالحث على مخافة الله واستحضاره يقينا دليل على التزكية النفسية لذات المريد بينه وبين ربه.

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: القرآن وطاعة الوالدين والمعاونة بين الخلق.

التعليق: إنّ المتتبع والمتفحص في الشأن الطرقي يشتغل على مرتكزات محورية في الحقل الطرقي وهي الاعتناء بالقرآن وحلقات الذكر التي يعظم فيها الله ومحبة نبيه إضافة إلى خاصية الطريق التيجاني في تبجيل طاعة الوالدين كما حث عليها القرآن الكريم وربط شرط الانتماء رهنا برضاهما

إضافة إلى طابعها الاجتماعي المقتصر على بذل روح التعاون بين الخلق في أوجه البر وهو ما أشار اليه المبحوث في صورة عامة جامعة لأسس الدين وروح المساندة الاجتماعية فالمعونة من اعان يعين بمعنى ساعد وساند وهذا أصل في الدين فالمؤمن للمؤمن كالبيان المرصوص، وقد نهى الله عن منع الماعون.

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: الزاوية مبنية على الذكر والسبحة وتدريب اللسان على قول استغفر الله ولا إله الا الله ولحمد لله.

التعليق: إنّ للذكر أهمية بالغة في الشرع الإسلامي عموما وله قيمة رمزية دينية على العموم فطبيعة الذكر تحدد الطريقة ذاتها فلكل طريقة ذكر مخصوص لفظا وعددا يميزها عن غيرها والطريقة التيجانية بصريح ما جاء فيها على لسان حال مؤسسها الأول تستند على اللويحة والسبيحة بمعنى القرآن والذكر وعلى حظه فقه الطريقة بضوابط وشروط وهو ما جاء بحال السبر في جواب المبحوث.

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: كاينة قالو والدينا الاولين تربية خير من أصل وحنا حلينا عينينا على التربية

التعليق: إنّ مفهوم التربية في عمومه إنّما يستند جذرا لغويا إلى معنى المرافقة والتعلم بالقدوة عند الاغريق وهو ما يحاكي النص القرآني في حوار سيدنا الخضر مع كليم الله موسى واشارة الذكر الحكيم إلى قدوتنا رسول الله واشارته في ما ثبت عنه من حديث أنّ قدوتنا من بعده صحبه وأتباعه

فالتربية بالقدوة أصل من أصول التربية والنهج الطرقي الذي يستند على المشيخة وخلفاء التربية إنّما يعمد إلى هذا المنطق فمعرفة الله ولا بدّ أن تنطلق من ملازمة شيخ عارف يوصلك لمبتغاك وهو ما أشار اليه المبحوث بلغة بسيطة تنطلق من فهوم شعبية بسيطة المبنى عميقة المعنى تؤشر لتوارث قيم تربوية قدوة أبا عن جد تحاكي نمطية المعاش والمركب الاجتماعي البسيط للأسرة والعائلة وفق نمطية تقاسم الأدوار الاجتماعية التي ترسخها طبيعة النشاط، فالتربية عامة وتتفرق حسب الجندر وفق أصوول الحشمة والكرم والحياء وانكار الذات وتأصيل الانتماء للأسرة والقبيلة، فإشارته إلى مفهوم عامي أصل ومفصل يؤشر الى امتداد التربية بين الأصول الأب والابن والأم والبنت لتي تمتد أصلها من الأب وامتداد تفصيل النسب إلى الأم من جهة الأخوال كمفهوم للأبوة في كثير من مجتمعات الإنسانية البسيطة ففي تراثنا خولو لأولادكم فان العرق دساس.

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: نعم الانسان يقوم بفرض رب العالمين صلاة وزكاة مع صفاوة النية ويحرص على امانة وليداتو يربيهم ويحظيهم ويقنع بواش كتبلو ربي ويشد سبحتو ويتفقد دمو راه ربي موصينا عليه باش تصفى القلوب ويطيب الخاطر ويتفقد حق والديه الموتى والحيين بالصدقة والرحمة.

التعليق: إنّ القيم الدينية تتمثل في جملة العبادات التي تعتبر ركائز الدين القيم، والتي تحمل في جملتها تلك الممارسات التعبدية الفعلية والمعنوية فالصلاة شعيرة تمارس وفق طقوس معينة تسبقها النية فهي مدخل كل عبادة وأمر وهي جانب معنوي يؤكد معنى الإخلاص لله والدخول في حيز المقدس في العلاقة مع الله عز وجل، كذلك الزكاة والتي هي ركن من اركان الإسلام وهي عينية ذات بعد معنوي قيمي يتأصل في التضامن والتكافل الاجتماعي وارجاع النعم لأصل المنعم، وهذا ما يشير اليه المبحوث في جوابه، كذلك تتجسد القيم المختلفة كالحرص على تربية الأبناء ورعايتهم

والرضا بما قسم الله والتمسك به وكثرة الذكر وصلة الرحم التي هي أمر الله لعباده لما لها من فضل عظيم في تآلف القلوب وصفائها والدعاء الذي هو مخ العبادة.

المحور الرابع:

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: نعم هذا واش تربينا حق الجار وحق الضيف والخبزة ونتولو بعضانا ونسمعو لبعضانا وما نكسروش لخاطر قالو الاولين لي طلبك ساسك.

التعليق: تتجلى مظاهر القيم الاجتماعية جملة في تمثلات المريدين في تفاعلاتهم اليومية مع كل أنساق المجتمع ومنها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي كحق الجيرة التي أوصانا عليها النبي صلى الله عليه لما لها من بعد اجتماعي يقوي العلاقات الاجتماعية والروابط وحقوق الضيف وتوقيره فهو بركة في المخيال الإسلامي العربي إضافة إلى اتصاله بتلك القدسية ففي العرف الاجتماعي التقليدي يطلق عليه (ضيف الله)، واطعام الطعام له رمزية اجتماعية تنمي العلاقات الاجتماعية وتعكس روح التكافل والتساند الاجتماعيين والبذل للخير والسعي إليه، إضافة إلى إشاعة سبل الاعتناء والاستشارة والاخذ بالنصيحة وجبر الخواطر وهذا ما أشار اليه المبحوث في إجابته.

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: رانا في الحزة راجل واحد نتعاونو على الزمان ما يبقا بينا حاير ولا مقبون كبيرنا نشاوروه قالو والدينا لي كبيرو لهم تدبيرو والزاوية قايمة برجالها وحرايرها يقولو الاولين لفقر دواه الرجال نتعاونو بالموجود ذراع ومال وراي.

التعليق: تعرف الطريقة التيجانية بأنها طريقة فضليه تسعى قبل ترسيخ القيم الدينية إلى ترسيخ القيم الاجتماعية وذلك لفكر مؤسسها الأول الشيخ أحمد التيجاني، ولعل ما تصبوا إليه الطريقة من خلال هذه القيم هو تفعيل مبدأ التضامن الاجتماعي الذي يعد عمودا في نسج العلاقات الاجتماعية وتوطيد مكامن القوة في أنساق المجتمع عامة، وهو جذر متأصل في الشريعة الإسلامية على العموم فهي ترجو قيام جماعة المسلمين عصبة كرجل واحد أو ما تسمى بتماسك الجماعة الاجتماعية (الإثنية)، وهو ما يفسر قول المبحوث رانا في الحزة رجل واحد، فالاستعانة بالجماعة والاعانة تضمن ذلك المفهوم العميق للتضامن الاجتماعي، والأخذ بالرأي والاستعانة بمشورة الآخرين له تلك الدلالات العميقة بتوقير الكبير احتراما له وتبجيلا، والطريقة التيجانية قائمة برجالها بمعنى تماسكهم وتعاونهم وتضامنهم مع بعضهم ومع كافة الناس وهذا ما يشير اليه المبحوث في فحوى اجابته، ومنه يتأكد لنا أن الطريقة التيجانية تعمد إلى تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي.

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: سيدنا الشيخ وصى جدودنا بالتوحد ولم الشمل والفرقة مكانش لاخاطر من الشيطان وهاذي لوصية في رقابنا ليوم الدين.

التعليق: ان الاندماج الاجتماعي هو ذلك التوافق بين أنساق المجتمع ولعل من أسباب تأصيل هذا الاندماج داخل المجتمع وخاصة الجماعة الطرقية هو وحدة الهدف والولاء للشيخ فهو مظلة

ومرجعية دينية واجتماعية تحقق توافق في الرؤى لما هو ديني واجتماعي متجاوزة مفهوم الطبقات الاجتماعية والأعراف الاجتماعية والدوائر الجغرافية والمناطقية وأن عملية التبادل الاجتماعي التي تحصل ضمن المجتمع الطرقي من مصاهرات وتشابك الروابط الدموية والقرابية امتدادا للرابطة الأصل وهي المحبة والتلاقي روحيا في محبة الشيخ الأصل سيدي أحمد التيجاني فسرت الانتماء لهذه الدائرة الفضيلة يحقق اندماج اجتماعي يتجاوز ابجديات المكانة الثقافية والاجتماعية وحتى الدينية ذات البعد المعرفي فالقبول مشروط بصفاء السرائر وهي من خبايا الغيب لا يملكها الا الله.

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: ايه هي واقع شايفينو في أخلاق المريدين في التويزة والمعروف ومعاونة المريض.

التعليق: إنّ التربية الطرقية وخاصة مؤسسة الزوايا تشتغل على مفهوم الفعل الاجتماعي أي تحقيق الأخلاق والقيم ذات طبيعة ملموسة في المعاش اليومي وهو ما أشار اليه المبحوث في صياغة بسيطة ضمن دائرة سوسيوثقافية ضمن أوجه التعاون التي يعد فيها رهان للواقع الاقتصادي والاجتماعي ضمن فقه المعاملات واشارة إلى مفهوم الضبط الاجتماعي الذي تفرضه الجماعة الاجتماعية المؤطر وفق نهج تربوي طرقي ابتداءً من الكلمة الطيبة وعدم من الصدقات فالمعاملات هي مؤشر تجسد هذه القيم الاجتماعية واقعاً.

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: الرابط نتاعنا هو لا إله الا الله تجمعنا وتشملنا واخوة الدم والملح والجيرة والبزولة.

التعليق: إنَّ الرابط الاجتماعي هو ذلك الأساس الذي يوحد المجتمع على مقصد واحد ومعايير ثابتة تحددها الجماعة الاجتماعية متجاوزة الأطر التنظيرية للروابط القرابية الدموية، فالطريقة التيجانية تنمي الروابط الاجتماعية عن طريق تنمية الالفة والتواصل الفعال ووحدة المصير وفي إشارة للمبحوث لا الة الا الله تجمعنا فيقصد بها مظلة الإسلام والاخوة في الدين كرابط رئيسي إضافة إلى ما تقتضيه الطبيعة البشرية من روابط دموية قرابية تبدأ من مكانة الجيرة في الإسلام والعرف الاجتماعي امتدادا لتلك العلاقات التي تحددها الأخوة في الرضاعة وهو ما يشاع بين عموم المريدين بأخ البزولة معنى أخ الرضاعة، فكثير من العروش يتوسمون بركة وشرفا من آل الشيخ بالرضاعة وهو ما ينمي أواصر وروابط متينة تتعدى رابطة الدم.

26. فيما تمثل انعكاس دور شيوخ الزاوية التيجانية على المجتمع؟

الإجابة: ايه عدهم فضل كبير في اصلاح المجتمع والناس ويحلو مشاكل العروش وينصحوا ويدلو للخير.

التعليق: إنَّ من سر استمرار الزاوية التيجانية هو دور مشايخها وتأثيرهم البالغ في المجتمع فهم رمزية اجتماعية ودينية وخلفاء في التربية ولهم مكانة مرموقة في الأوساط الاجتماعية وهو ما أكدته إجابة المبحوث والتي وان كانت مثقلة بمفاهيم شعبوية إلا أنها تؤشر بطريقة غير مباشرة بثقله المعنوي والمادي ورمزيتهم في المثل الشعبي ودورهم الذي تؤكده الوقائع التاريخية والتاريخ الاجتماعي في حيز نشاط مشايخ الزوايا انعكاس على الساكنة المحلية لمسقط رأس الشيخ وكل محطات ترحاله طالبا للعلم ومؤسس لأقطاب ودوائر حضارية، فلهم تأثير كمرجعية فاعلة

للاستشارة وأخذ الرأي وطلب المساعدة والتوسط وفك النزاعات وتسوية الخلافات ويعتبرون جهة وصية موثوقة كضامن عرفي للأطراف، إضافة إلى دورهم الريادي في التعليم وتحفيظ القرآن والنصح والإرشاد والتوجيه.

تقييم الحالة التاسعة:

من خلال عرض إجابات المبحوث من خلال المقابلة الميدانية يتضح لنا من خلالها جملة من التقييمات حولها حيث تضمنت الإجابات في المحور الأول المتعلق بالفرضية الأولى التي تشير إلى أنه **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم.**

يتراءى لنا الشيخ أحمد التيجاني رجل صاحب برهان وهو ما يوحي إلى تجلي هالة البركة والولاية في شخصه مع الاشارة إليه بسلطان الأولياء وهي صفة متداولة في التراث الشفهي والتي تحيل إلى مفهوم القطبانية فهو قطب مكتوم محفوف بأسرار ظاهرة وباطنة مع الاشارة إلى تزامن المكان بين الماضي والحاضر كونه أسس زاوية له بفاس حيث ضريحه وامتداد طريقته عبر الزمان والمكان وانتشارها في أصقاع المعمورة، وهي سر من أسرار الشيخ المكتومة المقرونة حالاً بمكانته المرموقة وصدق مآله مع الخالق محبة وتعلقاً بسجايا نبيه والتي تعد من أولويات الراسخين في الطريق التيجاني مع برّ الوالدين وايفاء وصل الولاء والبراء للشيخ سيدي أحمد التيجاني دون غيره مع تقديم واجب التسليم والعرفان بجميع الأولياء ونيل المقاصد في الطريق إنّما يتأتى على وصف ما ذكر على سبيل الحال إضافة إلى تمكين النفس من مشارب الخير فعالاً كإطعام الطعام ونصرة المظلوم والاشارة بالنصح واحتواء عابر السبيل والمهمش اجتماعياً وهي أسس متأصلة في الطريق التيجاني من خلال مؤسسة الزاوية، ففي حيزها الجغرافي بعين ماضي تعد من أكبر الزوايا لما لها من أهمية تاريخية، وامتداد لبرمة الشيخ عبر الزمان والمكان وحيزا للمقدس الديني

وفق العمران المتمثل في مكان مسقط رأس الشيخ وسردية بدايته وامتداد نسبه من جهة أبيه وأمه بإشارة إلى التجاجنة ومفهوم التمدين الحضاري المتمثل في القصر العتيق امتداد إلى لمقدس الديني للمسجد العتيق وأضرحة نسل الشيخ في إشارة لمفهوم العامي المتداول (الدربوز)، وامتدادها في المخيال الشعبي كمركز اشعاع حضاري في رحلة سيدي بن عمر في دعوته نحو افريقيا وهو ما يؤسس لمفاهيم الانتماء العميقة لدى مريديها والذي يعتبر من مقاصد الزاوية كشرط الانتماء على بساطته يسترعي الالتزام بشروط وآداب تعزز هذا الانتماء وفق التزامات نحو الشيخ وجماعة المريدين كالتزام والعهد الذي يلقن وفق طقوس معينة كبيعة يشهد عليها الله والشيخ وجماعة المريدين من هذا المنطلق يتعزز الولاء المطلق لمرجعيات الطريقة لدى المريدين وإلاّ فلا حظ لمن سبل هذا الطريق دون ولاء.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية الت تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين.** للطريقة التيجانية نهج تربوي خاص يتأتى وفق ضوابط تربوية روحية تؤسس لسلم قيمي ديني وفق الخطوط العريضة للدين القويم وأوله اقام عماد الدين الصلاة والحث على مواظبتها والتزام الطهارة الجسدية والمعنوية وحفظ حقوق الله من صدقات وزكاة ووصل بر الوالدين قدر المستطاع وحسن التوكل على الله وصبر أغوار النفس صلاحا وفلاحا والابتعاد عن مشاغل الناس وترك أمور الخلق للخالق وهو ما يتدرج تراتبيا وفق أهم هذه القيم التي ترجو الزاوية تأصيلها عمليا في حياة المريد بعيدا عن الأطر التنظيرية وأولها معرفة الله حق المعرفة واستحضاره في رعاية حدوده والابتعاد عن نواهيه وما استخلفنا فيه من ولد وزوج ورعية فمحورية الانسان وثقل أمانة الاستخلاف يندرج في النفس مخافة لله وتهذيب النفس وفق صفات الخالق من رحمة ورأفة ولطف

مع تشذيب النفس من مطامع الدنيا والأخذ بأسبابها دوج شجع ولا طمع وصبر النفس على الجلل ومقارعة صوارف الأحوال نعماء وضراء ببصيرة وحكمة واستحضار مآل الصابرين وكل هذا تعزيزا لقيم تربوية روحية مراميها بلوغ درجات الاحسان دون تقشف ولا زهد لدى المريدين كمخافة الله رأس الحكمة مع الاستكانة والارتكاز على تعلم وتدبر القرآن وبر الوالدين وبذل الماعون كأمر إلهي فخيركم أنفعكم للناس دونما غفلة عن عوارض النفس استكانة إلى الأعمال دون رجاء في الخالق وهذا لا يتأتى إلا بالتزكية والتحلية ذكرا لما له من أهمية بالغة في المنظومة القيمية للطريقة التيجانية فهو دوام لاستحضار عظمة الخالق وتنبيه للنفس عن غفلتها وكسر لجبروتها والتزام الأذكار فرادى وجماعات إنما يؤسس لمبدأ الجماعة وفضلها التربوي في التأصيل الإسلامي، إضافة إلى دورها الاجتماعي في تقوية روابط الأخوة فهي تربية غير مباشرة لتبادل الخبرات الاجتماعية وعليه يبقى للشيخ أو المقدم في الطريق دور محوري فيستشار في أمور الدين والدنيا مع تحري واجب الصدق معه والأخذ عنه دون رد فهو قدوة في التربية تمتد أفقيا إلى الشيخ المؤسس الذي تأسى بأخلاق النبوءة، وتعتبر التربية بالقدوة آلية ناجعة وفق الخصوصية السوسيوأنثروبولوجية للجماعة التيجانية إذ تستدعي جانب المحاكاة والتقليد أكثر منها تلقين تنظيري قد لا يستساغ فهماً لعموم الناس وهو ما سهّل تحقق هذه القيم واقعاً معاشاً ملاحظا في حياة المريدين.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثالث المتعلق بالفرضية الثالثة التي تشير إلى أن **للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها**، إنّ تمظهرات القيم الاجتماعية كأولوية من أولويات الزاوية التيجانية إذ تركز على أصول مجتمعية تربوية تحاطي العرف الاجتماعي مستمدة من صميم آداب الشرع الحنيف كتاباً وسنة كاحترام الجار وإكرام الضيف

وإشاعة سبل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجبر الخواطر ولو بالكلمة الطيبة كل هذه المفاهيم التي تتداخل فيما بينها بين ما هو ديني واجتماعي مما ترسخ لمبدأ التضامن الاجتماعي الذي يأخذ حيزا واسعا في المعاش اليومي ماديا ومعنويا فبذل المال والرأي والنصح كلها أساليب تضامنية تساعد على اندماج المريدين ضمن عصبة وجماعة واحدة موحدة الهدف فهي سبيل من سبل الاعتصام بحبل الله فالمؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص وهو يستنطق من منظور الحقل الاجتماعي والحركات التفاعلية وفق المتغير الزماني والمكاني فالزاوية طريقة قائمة على الفعل الاجتماعي أين تترجم القيم وآليات التضامن والاندماج الاجتماعي واقعا تحت مسمى الفاعل الاجتماعي، من منطلق ديني أصيل وهو الأخوة في الدين تحت لواء التوحيد مرورا بتمفصلات الحياة الاجتماعية الجمعية وفق أخوة الدم وحظوة الرحم والمعشر والجيرة امتداد لتلك الأخوة الممتدة إلى الأخوة في الرضاعة وهي ظاهرة متأصلة في المجتمع المحلي التي تؤصل لروابط اجتماعية وتداخل وتشابك في نسقية القرابة وتأصيل لرابطة الأخوة التي تتعدى هوامش المفاهيم البيولوجية الطبيعية والإثنية وحتى مفاهيم النسب كنظام اجتماعي فكثيرا من مشايخ الطريقة ونسل الشيخ المؤسس يتشاركون أخوة في الرضاعة مع عديد من ساكني المنطقة على مختلف العروش مما يسهل نمطية التوافق والتآخي وتجاوز التمثلات الاجتماعية التقليدية الجامدة الممثلة في تلك الصراعات المتوارثة وقد لعب شيوخ الزاوية إلى حد كبير في حلحلتها وتقريب وجهات النظر وفك طابو التمثلات الاجتماعية التقليدية لمفاهيم النسب والشرف فكانوا ملاذا لحل عديد المشاكل الاجتماعية على مستوى الفرد والعرش إضافة إلى حفاظهم على تناسق تلك البنى الاجتماعية المتباينة والتي تتأصل في مسميات العروش اذ لعب المشايخ دورا سلطوي في لم شمل هذه العروش وادماجهم في نسق الزاوية الاجتماعي فهم يتنافسون في البذل وابداء الولاء لمشايخ الطريقة.

الحالة رقم (10):

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. **الجنس.**
2. **السن.**
3. **المستوى التعليمي.**
4. **الحالة العائلية.**
5. **مدة الالتحاق بالطريقة.**

المحور الثاني:

6. **كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟**

الإجابة: سيدي أحمد التيجاني ولي راجل صالح وشريف طلب العلم في كل اقطار واسس زاوية معروفة.

التعليق: إنّ لمفهوم المشيخة في الفلسفة الصوفية هي في عموم المجتمعات والنهج الطرقي بصفة الخصوص في المغرب العربي مكانة مرموقة محاطة بهالة من التبجيل والاحترام يقترن ذكرها بطريقتها في التربية الروحية وهوامش تجليات البركة والكرامات وسيدي احمد التيجاني قطب من أقطاب هذه الطرق وشيخ التيجانية ومؤسسها رجل علم وتصوف بذل في سبيل ذلك عمرا حتى أصاب ضالته وهذا ما جاء في سياق جواب المبحوث الذي أشار إلى صلاح الشيخ وبذله في سبيل العلم وتركته الممثلة في طريقته مع إضافة منه لفظ شريف وهي كلمة متداولة في أوساط السابقين من أتباع الطريقة في المنطقة وهي مكانة يكنى بها ذرية الشيخ ولها أبعاد تاريخية أنثروبولوجية

ربما تؤول تداول هذا الوسم في بلاد المغرب عموما وارتباط الشرف بالاتصال نسبا لآل البيت اذ يؤشر إلى تلك السلطة الروحية والدينية الموازية للسلطة السياسية في عهد السلاطين.

7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟

الإجابة: هو سر رباني لأنو الشيخ خدم ونال وصدق مع ربي وخدم بلا رياء لوجه ربي.

التعليق: إنما يميز الطريقة التيجانية هو تفردها عن غيرها في سرعة انتشارها واشتغالها على دوائر إقليمية وجغرافية وحضارية تمتد إلى أصقاع العالم لها زوايا في بلاد افريقيا واسيا واروبا وأمريكا ولعل ما يسر انتشارها هو سهولتها وابتعادها عن العرفان الفلسفي واعتمادها على مبدأ الدعوة بالعمل والفعل الاجتماعي والاعتناء بالإنسان كمفهوم سابق في عصرها فهي التي ساعدت أقاليم جغرافية افريقية في أوجه المجاعات والأوبئة عن غير صلة بالإسلام وهذا لا يتأتى الا من فلسفة الشيخ المؤسس في تكريسه لمبدأ صدق العمل لوجه الله واعتماده على اخلاق نبوية شريفة اذ يعتبر نفسه مقدما في الطريقة لا شيخ لأن شيخه وولي نعمته وأسوته سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم وهذا ما أشار اليه المبحوث في الحديث عن صدق الرجل ربه فصدقه أن مكن لطريقته دونما ترغيب ولا ترهيب وأصبحت زاويته الأم محج لثقافات عالمية وعلى مختلف المستويات الشعبية والرسمية في زيارة مجاملات وإقرار دور هذه الطريقة البالغ الأهمية في إفريقيا.

8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: حفظ القرآن والذكر وفعل الخير ونشر السلم والعافية والصلح بين الناس.

التعليق: إنّ من المفاهيم والأصول المتعارف عليها في المد الطرقي الصوفي في بلاد المغرب هو إقام الصلاة وافشاء السلام واطعام الطعام وهي بنود عريضة تعمل تحت طائلتها الزوايا في الجزائر والطريقة التيجانية وعلى غرار نهجها الطرقي الذي يتأتى وفق ضوابط وشروط للترقي والرياضة الروحية يتعدى الزوايا كمؤسسة اجتماعية تستند على هذه الأسس سابقة الذكر فهي مؤسسة تعمل على إفشاء سبل الخير من اطعام للطعام وبذل جهدها في رأب الخلافات وإشاعة السلم النفسي للفرد والسلم المجتمعي وهذا ما جاء في مختصر إجابة المبحوث.

9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟

الإجابة: الحفاظ على العهد والذكر وملازمة الجماعة والصلاة المفروضة لفايدة الجماعة.

التعليق: إنّ من أولويات الطريقة التيجانية هو الحفاظ على نهجها المتأصل وفق شروط كشريعة بين المريد والجماعة الطرقية أولوها الحفاظ على العهد واذعان الولاء والبيعة للشيخ سيدي أحمد باتباع طريقته وحفظ أورادها وأذكارها دون غيرها والحفاظ على أهم أركان الإسلام الصلوات المفروضة وتأديتها جماعات وضرورة التزام جماعة المريدين وتأدية الأذكار والأوراد فرادى وجماعات لأن روح الجماعة في الصلاة والذكر انما هي تقوية لعصبة المؤمنين وتذاكر لأحوالهم فالزاوية كحيز ديني مقدس مع متطلبات الفعل الطقوسي الجمعي في أذكار مخصوصة إنما هو تذاكر لأحوال المريدين كرابطة أخوية واحدة موحدة تحافظ على استمراريتها وفق نمطية أطر الزمان والمكان والوجدان.

10. على أي أساس بنى الشيخ زاويته؟

الإجابة: بنى الشيخ زاويته على النية والمعروف وتعليم الصبية وطاعة ربي.

التعليق: إنّ الطريق التربوي الصوفي إنما يعنى بصدق النفس حالا ومآلا مع بارئها ومعرفة الله تتعدد بتعدد أنفاس الخلائق بمعنى من صدق النية وصل فالطريقة التيجانية واحدة من هذه الطرق لها أسسها التي أرصاها مؤسسها التيجاني وهي تنشد كغيرها مرضات الله وطاعته وقرب حضرته النورانية وإنما استنفذت عن الكثيرين من غيرها من الطرق فهي تعنى بالذكر والقيام بالفرائض والحرص على تعليم القرآن والتخلق بأخلاقه واطعام الطعام وكل هذا مقرون بصلاح النية وهو ما جاء في سياق إجابة المبحوث حيث أشار إلى مفهوم سبق النية والمعروف يقصد به اطعام الطعام لوجه الله.

11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟

الإجابة: زاوية عين ماضي هي دار الشيخ ومقر الخلافة وهي مقصد كل حبيب.

التعليق: من المعروف أن الزاوية التيجانية بعين ماضي من أكبر الزوايا فهي مقر للخلافة العامة للطريقة التيجانية وحاضنة نسل الشيخ حيث أوصى أولاده إبّان إقامته بفاس بألا تليق بهم إلا الصحراء ويقصد بها عين ماضي وتعتبر محجا للمريدين والاشياع من مختلف العالم فهي المرجعية الأولى للطريقة التيجانية وهذا ما جاء إجابة على لسان المبحوث في مفهوم دار الشيخ وهي لفظة متجذرة عند عموم المريدين من ساكنة المنطقة ويقصد بها مسقط رأس الشيخ ومقر خلافته.

12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟

الإجابة: أنعم الزاوية جملتنا ورانا منها وفيها لعياد مع بعض وصلاتنا مع بعض وذكرنا كذاليك وذريتنا ذريتهم.

التعليق: إن الانتماء لا يتحقق جزافا إنما له مؤشرات تدلل على تحققه وتعزيزه والطريقة إنّما تعمد لتعزيز هذا الانتماء فهي لا تميز بين مريديها فكلهم سواسية كأسنان المشط وهم يتشاركون هذا الانتماء في الفعاليات الدينية والاجتماعية والهبات التضامنية والعناية المعنوية بالنصح والإرشاد فالانتماء داخل الزاوية هو فعل اجتماعي نفسي معنوي مادي ينمي روح التشاركية التي تقفز على هوامش التباينات والاختلافات القبلية والاجتماعية تكاد تكون فعل توارثي نرصده أباً عن جد، فقدرة الجذب وتعزيز هذا الانتماء إنما تأتي من طبيعة الزاوية ونشاطاتها التي ترسخ لهذا الانتماء وهو ما أدلى به المبحوث في اجابته مستطرد في ذلك أسبابه من زيارة المريض ونصح إلى غير ذلك.

13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

الإجابة: لازم توالي الشيخ وتطيعوا وتشاور وتصدق معاه راه يشوف بضو ربي ولازم تطيع المقاديم.

التعليق: إنّ الاعتناء بملازمة الشيخ العارف الموصل أمر لا مناط منه لمن أراد الوصول ودرجات الترقي وهذا الولاء إنما يتجلى في استشارته أمور الدين والدنيا والصدق معه والتأدب في حضرته والأخذ باستشارته دونما محاجاة ولا ردا عليه ففي أدبيات السادة الصوفي أهمية بالغة للشيخ ووجوب البحث عنه وملازمته (من لا شيخ له شيخه الشيطان) وهذا ما أشار اليه المبحوث في لزوم الولاء للشيخ لما يحوزه من بركة وخير وسبل توصل المريد لضالته.

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟

الإجابة: نعم واولها عبادة ربي وحده لا شريك له وتقوية الايمان لانو المومن القوي خير من الضعيف والرضا بالقسمة والمكتوب وحمد ربي في كل حال.

التعليق: إنّ للطريقة التيجانية في تسعى من خلال جلسات ذكرها في تأدية الوظيفة التي تنمي قيم دينية لدى المريدين بطريقة آلية ضمن دائرة الفعل الطقوسي وما يدور في فلكه من شروط وآداب وهذا تأكيد لما لاحظناه في دراستنا من خلال الملاحظات والمشاركة الحقلية ومن خلال الوظيفة التي تؤدى مساء كل يوم جمعة من العصر حتى المغرب حيث تؤدى الكلمة المشرفة (لا اله الا الله) وهي مناط التوحيد وإقرار العبودية لله وحده لا شريك له مع تقوية الايمان واليقين في قدرة الله والرضا عنه حال الشدة والرخاء فلا مأمول سواه ولا رجاء إلا رجائه ولا جود إلا جوده وهذا ما نستحضره واقعا حقليا في أدعية المريدين وخاصة البسطاء منهم ومحدودي المستوى العلمي بحمولات وابتهالات بسيطة المبنى عميقة المعنى مثل قولهم (يا عالي الجود يالموجود بلا وجود) بمعنى أنّ خزائن الله لا حدود لها ومفتاحها الدعاء والالحاح والصدق فيه وإقرار وحدانية الله وحق عبادته بما يلامس الفطرة السليمة في قولهم الشعبوي الموجود بلا وجود فهذا اللفظ يحاكي فلسفة الوجود فهو يقر بوجود الله والتسليم له فهو البداية والنهاية والأول والآخر وهذا ما ينم على قيم دينية في ثنايا اللغة البسيطة التي تؤشر لذلك التدين الشعبي البسيط وتفسر أطر ايمانية محلها القلب.

15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

الإجابة: الدين مبني على الإخلاص والصدق مع الله هو علام السراير.

التعليق: إنّ الطريقة التيجانية في مراميها الروحية التربوية تنطلق من مبدأ هام في صلب كل العبادات ألا وهي اخلاص النية والصدق مع النفس والله وصفاء الطاهر يتوجب صفاء الباطن

فالنية شرط من شروط صحة العبادات ولعل أول الطريق النهج التيجاني هو الانتماء الذي يبقى محل اخلاص ونية صادقة دونما دعاية منه ولا تمييز فالكل سواسية حيث تذوب التراتبية والمكانة إلا لمن أتى الله بقلب سليم وهذا ما لاحظناه من خلال معاينة الحقل الطرقي التيجاني واستنادا على المقابلات فمفهوم المشيخة لا يستحضر كثيرا في أدبيات الطريقة فهم مجرد مقاديم مأذونين من صاحب الطريقة الأول في تأصيل التربية ومرد ذلك اعتبار سيدي احمد التيجاني نفسه مقدما في الطريقة أما القبول ودرجات القرب من الله تبقى محل تمحيص في صدق النية وهذا ما جاء في ثنايا إجابة المبحوث.

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

الإجابة: نعم هي تربي المريد على الاحسان وهو خوف ربي في الكبيرة والصغيرة.

التعليق: إنّ الطريق النوراني الأحمدي للطريقة التيجانية هدفه وصول الكمالات وأول الأمر يستوجب استحضار الله في ذات المريد سرا وعلنا وعدم الركون لمغريات النفس والاستكانة للعمل وحده فخير الأعمال ما قل ودام وأنّ رجاء القبول والالحاح في ذلك بالدعاء عصب الأمر كما أنّ الرضا بالقضاء والقدر وطلب عفو الله وعدم ائتمان غضبه وأن يعبد الله من حيث يرضى لا من حيث ترضى قال تعالى: "واعبد ربك حتى يأتيك اليقين" وأن يكون الانسان ربانيا عليه أن يتمكن فيه القين عبادة دون ظلف ولا كلل وأن يجاهد نفسه ويحسن الظن بخالقه وأن يعبد الله لذاته تعظيما لجلاله وكماله وهو ما يستساغ من إجابة المبحوث الذي أشار إلى ذلك في كلماته المقتضبة.

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

الإجابة: أولها تعليم القرآن والتربية والأخلاق والأدب.

التعليق: إنّ أهم المرتكزات الدينية التي يباشر مشايخ الزوايا والفاعلين عليها إلى تلقينها هي القرآن وعلومه لأنه كلام الله عز وجل وترجمته في سلوكيات وأخلاق وكل الجوانب التربوية وشمائل الأدب وعلم التزكية إنما يقوم على آداب وشروط وهي علم أخلاقي يتأصل في منظومة أخلاقية تحقق لطالبها مراسا في أدب التعامل مع شيخه وأقرانه المريدين وتهذيب النفس وترويضها عمّا جبلت عليه من شهوات وملذات وكل هذا إنما هدفه وبغيته هو الوصول للتصوف المتحررة عن ذات المحسوس فهي تجربة متفردة لا يشعر بها إلا صاحبها ولا يمكن وصفها وتحويرها لغة محكية ولا رمزية فهي تجربة ذوقية متأتية من خارج الزمان والمكان وعليه لا بدّ لطالب هذا المبتغى أن يعنى بتدبر القرآن والحذق في فنون التربية والأخلاق وتمثل الأدب مع الخلق والخالق وهو ما أشار اليه المبحوث في جوابه.

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

الإجابة: السبحة عادة والدينا رجال وحرائر نذكرو بيها ربي صباحا وعشية هي الزاد

التعليق: إنّ الذكر يعنى بأهمية بالغة في الطريق التربوي التيجاني واستطرادا لخصائصه ومصادره المستندة وجوباً من القرآن والسنة وطبيعة بساطته ودائرة الفعل الطقوسي ضمن محورية الانسان إذ يؤدى جماعات وفرادى حسب أنواع الأذكار والأوراد وهي في مجملها ألفاظ تحيل إلى الحمد والشكر والصلاة والثناء على النبي وتأخذ مكانتها من آلية تأثيرها التي تؤخذ كنوع من التطبع الاجتماعي الديني مما يحيل إلى ترطيب اللسان بالذكر وما أخذ العهد إلا لتأكيد موقع الذكر ولزومه

مدى الحياة وهذا ما جاء في جواب المبحوث، وهو ما يؤكد لنا موقع الذكر من القيم الدينية وأولويته في الطريقة التيجانية التي في الأصل تختص بأذكارها.

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

الإجابة: هذاهو لواجب في الدين والمصطفى سيدنا هو قدوتنا ومعلمنا ثاني الشيخ سيدي أحمد على خاطر راه طريق وسلسلة وحدة.

التعليق: إنّ القدوة هي تلك المثل العليا التي يتحلى بها السابقين عنّا في الخلق والدين ومكارم الأخلاق وهي محمود الأفعال والصفات وهي موجهات اجتماعية نتأسى بها في معاشنا اليومي وقد أسس الدين لمفهوم القدوة في شخص النبي صلى الله عليه وسلم حال صدقه وخلقه وأمانته وصبره ومرحمته وعفوه عند المقدرة كلها صفات حميدة يتعطر بها الانسان المسلم وهي سنن حميدة يؤجر من تقمصها وحث عليها والدعوة بالفعال أسلوب تربوي يؤصل هذه القيم ليسهل تناقلها من جيل لأخر وهذا ما جاء في جواب المبحوث حين تأكيدها على وجوب القدوة في الدين ومرجعيتها النبي وشيخ الطريقة التيجاني، ولعل لهاذا الطرح مشرب مناقبي في التراث الصوفي على عمومه إذ يقال: "على أثر كل نبي ولي".

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

الإجابة: راها كاينة ورانا محافظين عليها ونتواصاو عليها قايمين بصلاة الجماعة نتواصاو على الصبر وعلى الحق والمرحمة بيناتنا وحق الوالدين لأنو رضا ربي من رضاه.

التعليق: ان القيم الدينية هي امتثال لأوامر الله وأهمها القيام بأوامره من عبادات تتصل بالخالق ومعاملات تؤشر في حق الله علينا وفي حق الناس علينا والزاوية التيجانية بفقه طريقتها تتمفصل بينما هو اجتماعي وديني وهي مؤسسة دعوية بامتياز تعمد إلى ذلك الخط الذي يلامس كل ما هو شعبوي وهو ما يسهل تجسيد هذه القيم وإمكانية ملامستها واقعاً حيث تتأصل في الذات الإنسانية للمريد وغيره فبذل الصدقات والزكاة واطعام الطعام وطاعة الوالدين وبرهما ومحاكاة ذلك عرفاً تقليديا توقيرا للكبير واحترام للصغير وتناصح الناس وقيامهم على حدود الله أمر بالمعروف ونهي عن المنكر والتزام قوة الضبط الديني من خلال الجماعة إنّما تؤسس لتموقع قيم ذات ثقل في السلم القيمي الديني مع الاشارة بتأكيدها لأهم رسالة قيمية لمجمل الرسالات وبالأخص الرسالة المحمدية وهي بناء الانسان وعمارة الأرض وهذا ما جاء على لسان المبحوث في اجابته حول تجسد هذه القيم الدينية واقعا معاشا بين المريدين.

المحور الرابع:

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

الإجابة: هي كاينة خطراكش ملي نشفا وهي تخدم في الناس، وهي للناس لانو كبرت بفضل الناس.

التعليق: تعتبر الزاوية التيجانية زاوية اجتماعية تكافلية منذ تأسيسها وهي تدعوا إلى روح الجماعة بالدرجة الأولى والتي تضفي إلى تلك القيم الاجتماعية بتمثل المريد لها داخل جماعته وما تفرضه قيمها وأسسها فمن واجب المريد الالتفاف حول الجماعة والاعتزاز بها وبذل كل ما يؤشر إلى تقويتها داخليا وخارجيا من خلال نقل تلك القيم الاجتماعية إلى الواقع الاجتماعي المعاش ضمن دوائر الاحتكاك والتفاعل في المجتمع (وحدات المجتمع)، ولعل إجابة المبحوث تشير إلى المعنى

الحقيقي في انتشار الطريقة باعتبار أنها تستند إلى معايير المجتمع والتكفل والتساند وكل مظاهر الألفة والتماسك الاجتماعي.

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

الإجابة: ايه والدليل لعياد واللمات لي تديرهم الزاوية في موسم.

التعليق: أشرنا سابقاً إلى الممارسات التي تعمد إليها الطريقة وهي تجمع في ثناياها الأصل الديني والبعد الاجتماعي، فالأعياد شعيرة من شعائر الله ولها بعد اجتماعي تستند إليه الطريقة مستغلة الأصل الديني في اجتماع الناس إلى ترجمته فعل تضامني تقدم من خلاله المساعدات وتجمع الناس على البر وفعل الخير وهو ما يتجلى في مواسم الأعياد الدينية العامة كعيد الأضحى وعيد الفطر، والمناسبات الدينية كرمضان وعاشورا ومحرم ومولد النبي الشريف، والاعياد الخاصة كالأربعاء الخضراء، حيث يظهر الفعل التضامني في الهبات والأعطيات للمساكين واليتامى، كالختان الجماعي، وغيرها من المساعدات التي تعكس الفعل التضامني وهذا ما يشير اليه المبحوث.

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

الإجابة: ايه خطراكش الجماعة عندها فايدة والدين يقلك الذيب ياكل الشاة الطايشة لبعيدة على القطيع، والتيجانية جماعة وحدة في كل أمر وهذا لي يخلي الجماعة متماسكة ومتعاونة.

التعليق: إنّ الاندماج الاجتماعي هو ذلك التوافق الآلي بين أعضاء ومريدي الطريقة التيجاني فهو يعكس ذلك التأثير المتبادل بينهم، وتمثل قيم الجماعة وانعكاسها تجاه عموم المجتمع ومن أهم مسببات الاندماج الاجتماعي وحدة الهدف والرسالة لاعتبار الزاوية التيجانية ببعدها العملي

والتنظيري (الطريقة) مؤسسة فاعلة اجتماعيا ودينيا ونسق من أنساق المجتمع الكلي حيث تدخل في عملية التبادل والتفاعل الاجتماعي مع كافة الأنساق الأخرى وعليه فعملية الاندماج الأولية تحدث داخل الجماعة الطرقية في تمثلات مبادئ الطريقة وتقمصها ونقلها وتعميمها إلى كافة المجتمع وهو ما تصبوا إليه الطريقة التيجانية من خلال مفهوم الجلوة دون خلوة، وهذا ما أشار اليه المبحوث في جوابه الذي يؤكد على روح الجماعة التيجانية في تعزيز الاندماج الاجتماعي.

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

الإجابة: نعم متجسدة في اخلاق ومعاملات المريدين بينهم وبين الناس لأخرى في كل شي.

التعليق: تنعكس القيم الاجتماعية في ممارسات متنوعة الدلالات في مختلف المجالات الاجتماعية وهي التي تبرز أساساً في جملة المعاملات البينية بين المريدين وهو ما يرسي قاعدة أصيلة لدى التيجانيين وهي خطاب الناس أفعالاً لا أقوالاً وهو ما يعزز الانتماء للجماعة التيجانية ويؤكد على تمثل القيم الاجتماعية التي تدعوا إليها واقعاً، وهذا يعكس القيم الاجتماعية المتنوعة كالتعاون والتزاور والتساند في الواقع، ويعزز روح الجماعة وروح التكافل بينهم وهو ما جاء في إجابة المبحوث.

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

الإجابة: التيجانية عائلة وحدة بيناتهم الاحترام والتزاور والتشاور.

التعليق: إنَّ الرابط الاجتماعي هي تلك القوة الكامنة في وجود الجماعة وتوجيهها نحو أهدافها المشتركة والطريقة التيجانية تحمل الكثير من الأسس الدينية والاجتماعية التي تنمي رابط الجماعة التيجانية وتحافظ على بقائها واستمرارها كجماعة أولية لها شروطها الخاصة وضوابطها فالمنتمي

للطريقة التيجانية إنّما يحصل ذلك وفق طقوس مرور تتمثل في تلقي العهد الذي يلزمه باحترام أطر الجماعة وأولها الالتزام بها والحفاظ عليها، حيث تؤسس تلك الشروط لوحدة الجماعة والانتماء لها وإبراز الاحترام والتقدير والرجوع اليها وإلى مرجعياتها في أمور الدين والدنيا وهو ما يؤكده المبحوث في إجابته.

26. فيما تمثل انعكاس دور شيوخ الزاوية التيجانية على المجتمع؟

الإجابة: ليهم شان كبير في المجتمع ويزوروهم الناس من كل حدب وأهل علم وراي ومشورة وكلامهم ذهب.

التعليق: إنّ الطرقية على صيغة العموم تتأصل في دور مشايخها المؤسسين تباعاً إلى من أذن لهم في طريق التزكية والتربية من خلفاء للحفاظ على قواعد الطريقة وضمان نقلها كما هي بشكلها الحقيقي واستمرارها عبر الزمان والمكان، لذلك نرى أنّ شيوخ التيجانية ساهموا بإسهاب في نشر تعاليم وقيم الطريقة التيجانية وتمثلها واقعاً معاشاً إذ يعتبرون مرجعية دينية تعكس قيم اجتماعية عميقة في ممارسات المريدين خاصة والمجتمع عامة فكثيرا ما لعبوا دورا محوريا خلال الازمات الاجتماعية والوقوف بالرأي والاشارة بالنصح والإرشاد في عموم الازمات الإقليمية والوطنية وهو ما يؤكده المبحوث في جوابه وما نراه واقعا في التاريخ الاجتماعي للطريقة التيجانية.

تقييم الحالة العاشرة:

من خلال عرض إجابات المبحوث من خلال المقابلة الميدانية يتضح لنا من خلالها جملة من التقييمات حولها حيث تضمنت الإجابات في المحور الأول المتعلق بالفرضية الأولى التي تشير إلى أنه **كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم.**

مما يستشف أنّ الشيخ سيدي أحمد التيجاني رجل صلاح وشرف نهل العلم متوخيا في ذلك ضروب الأقطار والأمصار أسس زاويته المعروفة ومكّن لها بعون الله تعالى وبسر رباني انتشرت وذاع صيتها وهو مفاز محسوس لصدق الشيخ وعمله الخالص لوجه الله تعالى فأول طريقه الصدق مع الله ومن مرتكزاته عناية بالقرآن وافشاء السلام وتحسس فضل رأب الخصومات والنأي عنها بإصلاح ذات البين والطريق التيجاني يولي أيما العناية بلزوم العهد والذكر والجماعة وإقامة الصلاة الجامعة فهي من ضروريات الحفاظ على جماعة المسلمين، وتدارك أمور دينهم فهي صلاح وفلاح والزاوية التيجانية أسست على مبادئ أهمها اخلاص النية في خدمة الخلق وتعليم القرآن وبذل المعونة وكل أوجه البر، والزاوية التيجانية بعين ماضي تعد من أكبر الزوايا باعتبارات معنوية رمزية جعلتها محجاً لكثير المريدين والأحباب من داخل الوطن وخارجه ولعل أهمها كون المنطقة مسقط رأس الشيخ وبها مقر الخلافة العامة للطريقة التيجانية والزاوية التيجانية من منطلق دورها الاجتماعي تعزز مسببات الانتماء وفق المنظومة الدينية المؤسسة على مبدأ العهد والتقيد بشروطها فهي ميثاق جمعي بين المريدين إضافة إلى مسببات وفق نمطية الفعل الديني والاجتماعي واستطرادها للفعل الجمعي سواء في طقوس العبادات التي تؤدى جماعة كالصلاة المفروضة والاذكار مع استقلاليتها الفكرية التي تنأى عن كل ما هو نخبوي وفرداني فتذوب التراتبية الاجتماعية مع ضرورة الالتزام بالولاء للشيخ للانتظام في سبيل الطريق فظاهر الولاء هو الامتثال للشيخ وملازمته والأخذ بأسباب الوصول إنّما يتأتى من باب الإذعان للشيخ المربي المأذون له في ذلك.

أما ما تضمنته إجابات المبحوث في المحور الثاني المتعلق بالفرضية الثانية الت تشير إلى **مساهمة الطريقة التيجانية بعين ماضي بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى**

المريدين. إن من المضامين التي تؤصل لأهم القيم الدينية هو مبدأ التوحيد فكل أذكارها مشمولة بأسماء الله مع تركيزها على كلمة التوحيد وفضلها وشمول النفس بالحمد وتأصيلها من مثبطات الايمان فالرضا عن مقادير الله من مسالك الايمان ومن أهم الأدوار التربوية التي يستقيم عليها مشايخ الطريقة هو استحضار الجانب الأخلاقي في العمل لأنه مناط القبول والإحسان طريق وهجرة إلى الله ورسوله يؤكدها الطريق التيجاني وفق أهم أولوية وهي مخافة الله واستحضاره في مكنون النفس ورعايته أدباً مع الخالق والمخلوق ولا يأتي ذلك إلا وفق مرتكزات أصيلة وهي التأدب بآداب القرآن والتخلق بأخلاق النبي وتأصيل التربية على مكارم النفس وشحذ أسباب تطويعها بطريق الحق ويأخذ الذكر في الطريقة التيجانية أهمية بالغة وتأثير راسخ فهو مشمول بضوابط وآداب وشروط مادية ومعنوية مع بساطته التي تسهل على كل مريد مواضبته واقترانه شرطا موصولا بالعهد فيجب مداومته مدى الحياة فهو زاد المريد ومرشده لتطييب النفس واستحضارا لعظمة الخالق وصلاة على نبيه ومصطفاه وصيغة الذكر في الطريق تستمد من الشيخ أحمد التيجاني الذي أخذه عن سيد الخلق فهو قدوة عن قدوة وهو ما يلقب إلا لمن أذن لهم في ذلك من المشايخ فيأخذ مقرونا مع العهد الملقن شهادة أمام الله ورسوله والشيخ سيدي أحمد التيجاني وجماعة المريدين، وهو بذلك التزام ديني اجتماعي مثقل ومشمول على رمزيات النبوة والولاية وتقفي أثر النبوة فهذا الطرح المتأتي من مفاهيم المقدس، تشيع تشبع المريد بهذه القيم وتجسيدها واقعا في ذات المريد والجماعة الطرقية وفق تمظهرات الفعل الطقوسي الديني صلاة وذكرا وبرا ومرحمة.

مناقشة فرضيات الدراسة:

يتأسس البحث العلمي على الخطوات البحثية والإجراءات العملية بأسلوب يعتمد على الدقة والموضوعية، وانطلاقا من الفرضيات العلمية للدراسة التي تعد إجابات مؤقته، نحدد الأداة المناسبة التي من خلالها يتم جمع المعلومات بغرض الوصول إلى إجابات دقيقة تؤكد أو تنفي صحة الفرضيات، لهاذا تمَّ التوصل إلى نتائج الدراسة من خلال تحليل مقابلات المبحوثين وتقييمها، وبعد هذه الخطوات التراتبية وفق مراحل منهجية بحثية مقننة، وذلك بغية التوصل إلى مناقشة فرضيات الدراسة بناء على ما سبقها من عرض النتائج، لذلك سيتم مناقشة الفرضيات علمياً والتأكد من صحتها وهذا من خلال ما يلي:

مناقشة الفرضية الأولى:

تشير الفرضية الأولى بأنَّه كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم، يتشكل الانتماء والولاء للمريدين من خلال المرجعية الأساسية للطريقة التيجانية، وما أثبتته نتائج المقابلات تؤَّكدُ على أنَّ شخصية الشيخ المؤسس أحمد التيجاني محورية ذات دلالات دينية عميقة تتجلى في مفهوم المقدس، وبالرغم من بعض تباين إجابات المبحوثين إلاَّ أنّها تؤكد على فاعلية الشيخ المؤسس واعتباره مرجعية دينية أصيلة للطريقة وهو شيخ ذو حظ وافر من العلم واليقين والزهد والعرفان، وهذا عامل يؤكد على روح الانتماء للمريدين الذي بدوره يتجسد في قيم الولاء لديهم، وتأكيداً على ما يفسر الانتماء والولاء هو سر انتشار الطريقة في أكثر من قطر حيث يشير غالبية المبحوثين على أنّ انتشارها مقترن بسهولتها ويسرها وتفردها بخصوصية الأوراد والأذكار، حيث تعد من ركائزها إضافة إلى الكتاب والسنة وهذا ما أكدته إجابات المبحوثين عموماً، وتتضمن في أولوياتها وركائزها التي يعمد شيوخ الطريقة عليها، وهي ترسخ الانتماء الديني الذي يتوافق مع مبادئ وقيم وتوجهات المريدين مما يعزز الولاء لديهم،

وهذا الأساس الذي سعى الشيخ التيجاني إليه في بناء زاويته، ومع اختلاف إجابات المبحوثين حوله إلاَّ أنَّ السياق العام لإجابات المريدين تتضمن المعايير التي أسس التيجاني زاويته عليها، من حيث طلب العلم والسعي لتعليم علوم القرآن والفقه والسيرة، إلى إيواء المسكين وعابر السبيل، بذلك تنمي الطريقة التيجانية قيم الولاء والانتماء، كذلك يشير غالبية المريدين حسب نتائج الدراسة إلى أنَّ الزاوية بعين ماضي تعد من أكبر الزوايا ومرد ذلك إلى مكانة الشيخ المؤسس ودوره في نشر تعاليم الدين وفق ضوابط دينية مؤصلة في الكتاب والسنة، إضافة إلى فقه الطريقة في الزهد والورع وهو ما يسمى بمبدأ الاحسان، مما يؤكد لنا روح الانتماء لدى المريدين ولعل دليلنا على ذلك هو الانتشار الواسع للطريقة في أكثر من رقعة جغرافية، حيث تعمد الطريقة التيجانية إلى تعزيز قيمة الانتماء لدى مريديها من خلال الالتزام بقواعد الطريقة وشروطها والتزام بالعهد الذي أُخذ من الشيخ والتزام الأوراد والوظيفة جماعة، وتأكيد الرابط الاجتماعي الذي ينم عن الانتماء لجماعة المريدين وهو ذو رمزية ودلالة دينية للطريقة وهذا ما يؤكده غالبية المبحوثين بأنَّ الطريقة التيجانية تعزز قيمة الانتماء لدى مريديها، والالتزام بذلك يعد مرجعية حقيقية تجسد قيم الولاء للمريدين من خلال المحافظة على الجماعة وملازمتها وهذا ما أشار إليه غالبية المبحوثين.

وهو ما يتوافق مع نتائج دراسة (بوغديري كمال) في ..... الذي توصل إلى أنَّ الالتزام الجماعي بشروط الطريقة التيجانية يساهم في تكوين الرابطة النفسية، وهذه الرابطة تشكل لحمة الانتماء في بنيان موحد ومتراص، كما أنَّ شعائر الذكر تشكل سياق فاعلاً لقدرتها التوليدية من خلال تحويل الذات الفردية إلى سياق الرابطة الاجتماعية[2].

[2] بوغديري كمال، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجا (دراسة انثروبولوجية بمنطقة بسكرة)، مرجع سبق ذكره، ص 324.

إذن من خلال مناقشة نتائج الفرضية الأولى التي تشير إلى أنّه كلما زاد التزام المريدين لمرجعيات الطريقة التيجانية زادت قيم الولاء والانتماء لديهم يتضح لنا أنَّ الالتزام بالمرجعيات الدينية للطريقة التيجانية تساهم في تعزيز قيم الولاء والانتماء لدى المريدين، ومنه نقول إن الفرضية محققة بناء على نتائج الدراسة.

مناقشة الفرضية الثانية:

تشير الفرضية الثانية إلى أنَّ الطريقة التيجانية بعين ماضي تساهم بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين، حيث تعد القيم الدينية واحدة من أهم الأسس التي بنيت عليها الطريقة التيجانية، فالتربية الطرقية هي تربية تتأسس على الانتقال من أركان الإسلام وركائزه مروراً إلى الايمان وشعبه وصولاً إلى الاحسان بعد تحقيقهما، وهو جوهر الطريقة وهذا ما أشار إليه غالبية المبحوثين من المريدين بأن التربية الطرقية تساهم في غرس وتعزيز القيم الدينية، ولعل أهم هذه القيم الدينية التي تضمنتها إجابات المبحوثين قيم الطاعة والخنوع وقيم العبادات والالتزام بها وقيم الأخلاق والتربية والمعاملات والإخلاص في القول والعمل وهذا يدل على أنَّ التربية الطرقية بمنهجها التربوي ومكانة شيوخها تسعى لتكريسها ضمن جماعة المريدين، فالانتقال إلى درجات الترقي وهو مبدأ الاحسان يستوجب كما أثبتته نتائج الدراسة تحقيق الإسلام بشروطه والايمان بقواعده حتى يتسنى للمريد تحقيق مبدأ الاحسان، وتتجلى مرتكزات هذه القيم التي يسعى الشيوخ لتعليمها مصدر التشريع الممثل في القرآن الكريم وسنة النبي الأمين، وتعليم الفقه وعلوم الدين والسيرة والآداب العامة وبعض متون العلم حتى يتحقق للمريد القيم المختلفة التي تتضمنها القيم الدينية وهذا ما يؤكده غالبية المبحوثين من المريدين، إضافة إلى ذلك فان الذكر يعتبر من بين الأسس التي تتميز بها الطريقة التيجانية فحلقات الذكر هي التزام المريد لمن أخذ العهد عن

شيخه بالوظيفة وتلقين الأوراد اللازمة والمخصوصة في اليوم والليلة وهي الهيللة والحمد والثناء والشكر وصلاة الفاتح والجوهرة المكنونة وغيرها من أذكار الطريقة بكل صيغها وأوقاتها، وهذا ما أثبتته نتائج الدراسة من خلال إجابات المبحوثين الذين يؤكدون على موقع الذكر من القيم الدينية فهو واجب وجوب الصلاة للعبد، ويأخذ نفس شروط صحتها من استحضار للنية وطهارة المكان والجسد، وعدم الكلام والالتفات إلا للضرورة الملحة، وهي ممثلة في شيوخها المواظبين عليها الذين يعتبرون قدوة للتأسي بهم، وهذا ما أشار اليه المبحوثين الذين يرون أن القدوة تمثل أسلوب تربوي فعّال لما يحققه من امتزاج القول مع الفعل فهي تربية بالمرافقة مع شروط الطريقة في التزام الشيخ، كما تمثل القدوة دعوة حقيقية لغير المريدين بطرق غير مباشرة، لذلك تعتبر آلية ناجعة في تحقيق القيم الدينية، وهو ما عزز ذلك البعد الديني القيمي في شيوخ ومريدي الطريقة التيجانية وتمثلات هاته القيم الدينية واقعاً معاشاً يجسد صفة المريد السالك.

إذن من خلال ما سبق من مناقشة الفرضية الثانية التي تشير إلى أنَّ الطريقة التيجانية بعين ماضي تساهم بدور تربوي وأخلاقي في تعزيز القيم الدينية لدى المريدين، وعليه يمكن القول بأنَّ الفرضية تحققت بناء على ما جاء في إجابات المبحوثين.

مناقشة الفرضية الثالثة:

تشير الفرضية الثالثة إلى أنَّ "للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها"، حيث تعتبر القيم الاجتماعية المصدر الأهم للطريقة التيجانية التي تؤكد على الجماعة الطرقية وتمثلاتها للقيم الاجتماعية واقعاً ممارساً، هذا وتعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الطريقة التيجانية، وذلك كونها تعمل على الانسجام في المجتمع عن طريق إرساء التعاون والتضامن والتكافل الاجتماعي وكل مظاهرها ضمن المجتمع، باعتبار أنّ القيم الاجتماعية تنمي

وحدة المجتمع وتقوي تماسكه، وتعمد الطريقة التيجانية عن قصد في إثارة مختلف جوانب التضامن الاجتماعي أكان تضامناً آليا الذي يتجسد في ممارسات المريدين بينهم وبين الناس من خلال العلاقات التبادلية التي تفرض نوعاً من هذا التضامن الاجتماعي "كالتويزة" مثلا هو نوع من التضامن الآلي الذي يعتبر فرض عين على المريدين دون طلب منهم كعرف اجتماعي لساكنة المنطقة، وكذلك التضامن العضوي الذي يؤدي إلى تكامل الأدوار مما يحقق ذلك البعد القيمي الجمعي للتضامن بمختلف أشكاله داخل دائرة المريدين وخارجها، فهذا التضامن بشكليه (الآلي والعضوي)، يؤدي إلى تقوية جماعة المريدين والانسياق لمبادئ الطريقة، كما تساعد المريدين في عملية الاندماج الاجتماعي وتحقيق التوافق الاجتماعي بين ما يحملونه من قيم فردانية، وقيم الطريقة التيجانية، لذلك فالاندماج الاجتماعي يعدّ سبيل مهم في ترسيخ القيم الاجتماعية، وقد تجسدت هذه القيم واقعاً معاشاً يتمظهر في جل الممارسات التبادلية بين جماعة المريدين وأنساق المجتمع على العموم، فالأعياد والمناسبات هي ممارسة دينية لها أبعاد ومقاصد اجتماعية تجسد جملة تمثلات القيم الاجتماعية تعكس فقه الطريقة التيجانية، وتتجلى في مظاهر الألفة والمحبة والتعاون والتزاور والهبات والأعطيات لذوي الحاجة والمسكين، فتلك التمثلات الشعائرية (الدينية) للأعياد تحاكي البعد الاجتماعي للمريدين فيما بينهم، وتقوي الروابط الاجتماعية عن طريقها وتعمل على تعزيز هذه الروابط من خلال المريدين كأدوات فاعلة لتأكيد الروابط الاجتماعية التي لا تتأتى من خلال روابط الدم والقرابة بل تتعدى ذلك لتشمل روابط الأخوة في الله وفي الجماعة الطرقية، وتجذر الكثير من العادات الاجتماعية التي تقوي أواصر القيم الاجتماعية في الحقل الطرقي التيجاني، ولعل الدور البارز في تقوية الروابط الاجتماعية من خلال القيم الاجتماعية هو دور مشايخ الطريقة التيجانية الذين أسهموا في تقوية جماعة المريدين وحثهم على التعاون والتآخي

والتزاور وهو ما يعكس تعدد الأدوار وتكامل الوظائف الاجتماعية، فالشيخ المربي في الطريقة موجه اجتماعي وديني يساهم في المحافظة على الأعراف الاجتماعية ونقلها للمريدين بما يتوافق مع مبادئ الطريقة والمجتمع سواء، فهذه الأدوار انعكست إيجابيا على المجتمع.

إذن من خلال ما سبق من مناقشة الفرضية الثالثة التي تشير إلى أنَّ للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها، وبعد تحليل نتائج المقابلات مع المبحوثين ومناقشة فرضية الدراسة يتضح لنا أنَّ الفرضية القائلة: للطريقة التيجانية دور في إرساء القيم الاجتماعية لدى مريديها محققة بناء على ما جاءت به نتائج الدراسة.

النتائج العامة للدراسة:

من خلال ما تطرقنا اليه في تحليل مقابلات المبحوثين ومناقشة فرضيات الدراسة يتضح لنّا جملة من النتائج العامة المتوصل إليها والتي يمكن طرحها في النقاط التالية:

- أنّ للشيخ أحمد التيجاني شخصية علمية عاملة وله دور بارز في تأسيس الطريقة التيجانية.
- يعتبر الشيخ أحمد التيجاني من أعلام التصوف الحديث في بلاد المغرب العربي.
- للشيخ التيجاني مكانة عميقة في نفوس المريدين وهو بمثابة الأب الروحي لديهم.
- يوجد قبول وتجاوب بين المريدين وبين عامة الناس وهذا سر من أسرار انتشار الطريقة التيجانية في أصقاع العالم.
- يسر تعالم الطريقة التيجانية وسهولة أذكارها جعلها مقصد المريدين وساعد في انتشارها.
- تعتمد الطريقة التيجانية على الكتاب والسنة وهما المرجعية الأصيلة لها.
- يعتبر الذكر من أهم مرتكزات الطريقة التيجانية التي تسعى لتكريسها بين المريدين.
- تعتبر محبة الشيخ ومطلق الولاء له من أولويات الطريقة التيجانية.
- يعد الأساس الذي بنى الشيخ التيجاني زاويته هو طلب العلم وايواء المسكين وعابر السبيل.
- تعتبر زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا وهذا لمكانة شيخها المؤسس التيجاني فهي مسقط رأسه ومقام خلفاءه من بعده، وكذلك مكان خلوته وتعبده.

- دور الزاوية الاجتماعي والديني في المنطقة جعلها من أكبر زوايا المنطقة ومنارة علم.
- تحقق الطريقة التيجانية قيمة الانتماء لدى مريديها من خلال سهولتها ويسرها وتقصي سبل المساواة.
- تساهم الطريقة التيجانية في تعزيز قيم الولاء عن طريق أخذ العهد والحفاظ عليه الذي يعتبر شرط صحة في الطريقة التيجانية.
- تعمل الطريقة على تحقيق مختلف القيم الدينية خصوصا الضروري من الدين.
- تساهم الطريقة في تحقيق القيم الأخلاقية وواجب الاحترام والمحبة للمريدين وعموم الناس.
- تكرس الطريقة التيجانية القيم الايمانية لدى المريدين.
- تغرس الطريقة التيجانية من خلال شيوخها القيم العقائدية كقيم دينية عميقة في نفوس المريدين.
- تعزز الطريقة التيجانية مبدأ الاحسان وهو جوهر التصوف وبلوغ درجات العرفان.
- تحقق التربية الروحية جوهر التصوف للمريدين من خلال الانتقال من تحقيق الإسلام بقواعده والايمان بأركانه.
- تساهم الطريقة التيجانية في تعليم القرآن والسنة والفقه والسيرة وبعض المتون العلمية للمريدين.
- تعمل الطريقة على تلقين الأوراد اللازمة للمريدين.

- يعتبر الذكر من الخصوصيات التي تتفرد بها الطريقة عن غيرها، وهي أساسية في فقه الطريقة التيجانية.
- للذكر قيمة دينية عظيمة في نفوس المريدين من خلال الوظيفة والورد المعلوم والهيللة فرادى وجماعة.
- تساهم التربية بالقدوة في ترسيخ القيم الدينية للمريدين، وذلك من خلال التأسي بالشيخ المربي في كل فعل وقول.
- تنعكس مختلف القيم الدينية في سلوكيات المريدين واقعاً.
- تعتبر القيم الاجتماعية قيم محورية هامة في مراتب الطريقة التيجانية.
- تساهم القيم الاجتماعية في ترسيخ مبدأ التضامن والتكافل بين المريدين.
- تحقق قيم التضامن روح التعايش والمساندة الاجتماعية للمريدين.
- تعتبر القيم الاجتماعية في الطريقة التيجانية من أهم أولوياتها وركائزها.
- يتحقق التضامن الاجتماعي بين جماعة المريدين وكافة المجتمع خلال المناسبات الدينية.
- تساهم الطريقة التيجانية في تحقيق الانتماء لدى مريديها.
- تعمل الطريقة التيجانية على تعزيز التجانس الاجتماعي من خلال عملية الاندماج الاجتماعي.
- تتجسد مختلف القيم الاجتماعية في تمثلات المريدين من خلال تفاعلاتهم اليومية.

- تتجسد القيم الاجتماعية كالتعاون والمساندة بين المريدين، الذي بدوره يحقق التضامن الاجتماعي.
- تساهم الطريقة التيجانية في توطيد العلاقات الاجتماعية بين المريدين من خلال رابطة الاخوة في الله والطريقة.
- تعمل الطريقة التيجانية على وأد أسباب الفتنة والاختلاف لتقوية الروابط الاجتماعية بين المريدين.
- للشيوخ التيجانيين دور في انتقال مختلف القيم الاجتماعية لدى المريدين.
- يعتبر شيوخ الطريقة مرجعيات اجتماعية لكافة الناس، لما لهم رمزية قدسية في المخيال المجتمعي.

الخاتمة

الخاتمة:

نستخلص مما سبق في دراستنا أنّ للدين دور محوري في الحياة النفسية والاجتماعية والثقافية للإنسان فهو لصيق بتطور فكره عبر العصور، وقد عرف تطورا يحاكي تطور الانسان الفكري منذ مرحلة الطفولة الفكرية لحياة الانسان إلى أن ظهرت الديانات السماوية وما توحي به من مضامين قدسية ممثلة في الوحي ومفهوم الرسالة، والإسلام كختام لهذه الرسالات السماوية عرف انتشارا واسعا ومدارس فقهية حسب جغرافيتها الدينية وعرف نزوغ نحو التربية الروحية منذ القرن الثاني الهجري ممثلا في حركات التصوف والزهد والتي عرفت بدورها تنوعا حسب المستويات الفكرية لأنصارها وحاضنتها الاجتماعية، والمغرب العربي قطر إسلامي عرف هذه الظاهرة الدينية وشهد تحولا كبيرا على الساحة الدينية والاجتماعية بفضل انتشار الزوايا ودورها الفاعل.

والجزائر واحدة من هذه الأقطار التي عرفت انتشارا لظاهرة الطرقية ممثلة في مجموع الزوايا على غرار الطريقة التيجانية التي تعد من أكبر الطرق الصوفية في الجزائر وعموم إفريقيا، وهذا راجع لخصوصيتها سندا، وانقطاعها عن الاتصال امتداد للطرق الأخرى فهي أصيلة المصدر لمؤسسها الشيخ سيدي أحمد التيجاني إضافة إلى خاصيها السوسيوأنثروبولوجية التي تتسم بالبساطة واعتماد روح الجماعة في الجانب الديني والاجتماعي وهو ما أهلها لذيوعها وقبولها وسط المجتمع الماضوي وقد عملت كغيرها من الطرق والزوايا على المحافظة على الجانب الديني من خلال تعليم القرآن ومختلف العلوم الشرعية وحفاظها على المجتمع وكيانه إلا أنّ ما اتضح لنا من خلال دراستنا هو دورها الفاعل في الحفاظ على الجانب الروحي من خلال الوظيفة والأذكار والأوراد

المخصوصة في اليوم والليلة، وهذا الجانب الروحي الذي يستند في مطلقه على علم الأخلاق وهو ما يفسر الجانب العملي في التصوف عموما والطريقة التيجانية خصوصا.

والقيّم الدينية والاجتماعية أحد أهم الركائز التي ساهمت الطريقة التيجانية في تعزيزها لدى المريدين من خلال طبيعة النشاط الديني والاجتماعي ذو العلاقة بالجماعة الطرقية وعموم المجتمع، حيث يعتبر المريد كرأسمال ديني اجتماعي لدى الطريقة وعملية غرس القيم الدينية والاجتماعية مرآة عاكسة للمحافظة على هذه القيم ونشرها في الأسرة والمجتمع وتعزيز استمراريتها عبر الزمان والمكان، فالقيم الدينية يمكن استخلاصها في دراستنا الحقلية الأنثروبولوجية للطريقة التيجانية ممثلة في زاويتها الأم بعين ماضي ومركز الخلافة العام نستشف ذلك التشابك وحلقات التفاعل بين ما هو اجتماعي وديني حيث شملت القيم الدينية والاجتماعية مجمل نشاطات الطريقة على مختلف المناسبات وما حمله مضمون الطقوس والممارسات من تمثلات قيمية أنّ الطريقة التيجانية سعت إلى تعزيزها من خلال شروط الانتماء لها كرضا الوالدين والمحافظة على صلاة الجماعة والتزام العهد وأخذ الورد والتزام الوظيفة، ورد المظالم إلى أهلها، وطاعة الكبير وتوقير الصغير، والإحسان بالمعروف، وإشاعة الأخوة، ونبذ العداوة، وجبر الخواطر، وتهذيب النفس عن الكبر، وصلة الرحم وزيارة المريض، وإصلاح ذات البين وفك الخصومات، وتجلت مظاهر القيم الاجتماعية في التعاون والمساندة، والتضامن الآلي الاجتماعي في المناسبات الدينية والاجتماعية، وحسن الجيرة، والاشارة بالنصح والمشورة، والحفاظ على روح الجماعة كمرجعية اجتماعية فاعلة، واحترام الكبير ومكانته الاجتماعية وتبديد الطبقات الاجتماعية والتفاوت بينهم، فهذه الأسس القيمية الدينية والاجتماعية إنّما متضمنة في قواعدها العامة وشروطها الأساسية التي تلزم مريديها وأتباعها من المحبين بالتزامها وتناقلها، كما أنها

تعمد في مختلف نشاطاتها على مدار الحول بتعزيز هذه القيّم الدينية والاجتماعية، وإشاعتها بين المريدين وعموم المجتمع، وضرورة الالتزام بها كمرجعية أصيلة تعزز مكانة الطريقة التيجانية على الصعيدين الإقليمي والقاري.

قائمة المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

1. **القرآن الكريم.**

<u>قائمة الموسوعات والمعاجم:</u>

2. ابن منظور، لسان العرب، العدد العاشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.
3. جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ج 8، د.س.
4. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، مج 2، ط 8، دار الجيل بيروت، دار الصابوني، القاهرة، 1415ه، 1995م.
5. المنجد في اللغة والإعلام، دار المشرق، بيروت، ط21،1986 .

قائمة الكتب:

6. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 – 1954)، ج 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998.
7. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500– 1830، ج 1، دار البصائر، الجزائر، د ط.
8. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي من ق 10 إلى ق 14 ه الجزء الثاني، الشركة، الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
9. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 9، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.
10. أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1981.
11. أحمد مجدي حجازي، علم الاجتماع الأزمة، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1977.
12. ارفنج زايتلن، ت: إبراهيم عثمان ومحمد عودة، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع دراسة نقدية، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1992.
13. بودون و ف. بوديكو، ت: سليم حداد، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1986.

14. تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط 2، الجزائر، 1981.
15. الجيلالي عبد الرحمن، تاريخ الجزائر العام، ط 2، مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1965.
16. حسن الساعاتي سامية، الثقافة والشخصية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1983.
17. حملاوى على، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2006.
18. ذوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي: مفهومو، أدواته، أساليبه، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.
19. رشيد زرواتي، تدريبات على منهجية البحث العلمي في العلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، ديوان المطبوعات الجامعية قسنطينة، الجزائر , 2008.
20. رشيد زرواتي، مناهج وأدوات البحث العلمي في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار الكتاب الحديث للنشر، 2007.
21. رضوان شافو، الجنوب الشرقي الجزائري خلال العهد الاستعماري ورقلة نموذجا، دار المحابر للنشر، قسنطينة، الجزائر، د.ط.
22. الزاوية الولائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، محمد حجي، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الثانية، 1988.
23. زكي مصطفى عليان، عثمان محمد غنيم مناهج وأساليب البحث العلمي، بدون طبعة، دار الصفاء للنشر والتوزيع، الأردن , 2000.
24. الطاهر بونابي، التصوف في الجزائر خلال القرنيين 6 – 7 الهجريين 12 و13 الميلاديين، دار الهدى، عين مليلة، 2004.
25. الطاهر بوناني، التصوف في الجزائر خلال القرنين السادس والسابع الهجريين، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، طبعة 2000.
26. الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرعاية، الجزائر، 1994.
27. عبد العزيز شهبي، الزوايا الصوفية والعزابة والاحتلال الفرنسي في الجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

28. عبد القادر الشطي، السلفية الوفية، مذهب أهل الحق الصوفية، دار هومة، الجزائر، 2002.

29. عبد الكريم بن الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح. وتع. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1987.

30. عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2007 م.

31. علي الحوات، النظرية الاجتماعية اتجاهات أساسية، شركة ألجا للطباعة والنشر العلمي، فاليتا – مالطا، 1998.

32. علي حرازم، جواهر المعاني وبلوغ الأماني في فيض ابي العباس أحمد التيجاني، ج1، مطبعة الحلبي، مصر، 1927.

33. غورفيتش جورج، تر: خليل أحمد خليل، الأطر الاجتماعية للمعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

34. فضيل دليو، مدخل إلى منهجية البحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

35. كمال عبد الحميد الزيات وطلعت إبراهيم لطفي، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999.

36. لمياء مرتاض نفوسي، ديناميكية البحث في العلوم الإنسانية، دار هومه للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015.

37. محمد بن عبد القادر الجزائري، تقديم: محمود حقي، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية، بيروت، لبنان، ج1، ط2، 1964.

38. محمد عاطف غيث وآخرون، مجالات علم الاجتماع المعاصر (أسس نظرية ودراسات واقعية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1982.

39. محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن الكريم بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، ب ط.

40. محمد نسيب، زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، مطبعة النخلة، الجزائر، 1989.

41. مختار الطاهر فيلالي، نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني، دار الفكر القرافيكي للطباعة والنشر، باتنة الطبعة الأولى، 1976.

42. موريس أنجرس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية تدريبات عملية، دار القصبة للنشر، ط2، الجزائر، 2006.
43. مياسي إبراهيم، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، دار هومه، الجزائر، ط1، 2005.

قائمة المذكرات:

44. بن لباد الغالي، "الزوايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية" (دراسة أنثروبولوجية)، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2009/2008.
45. بوغديري كمال، الطرق الصوفية في الجزائر الطريقة التيجانية نموذجا (دراسة انثروبولوجية بمنطقة بسكرة)، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الدكتور محمد لمين دباغين 2، سطيف، الجزائر، 2015.
46. الطيب جاب الله، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الدور الاجتماعي والتربوي للزوايا في المجتمع الريفي الجزائري"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الريفي، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2014/2013.
47. عز الدين مشري، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الممارسة الدينية والرابطة الاجتماعية الطقوس والرهانات"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع العام، جامعة وهران 2، الجزائر، 2019/2018.
48. عطية الشطة، البعد التربوي والروحي للزوايا زاوية سيدي بولرباح كنموذج للزوايا العلمية للطريقة الرحمانية"، أطروحة دكتوراه علوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الديني، جامعة الجزائر، 2008/2007.
49. الهادي عبد العزيز، "الخطاب الصوفي في الجزائر وبلاد المغرب خلال العهد العثماني (الطريقة التيجانية نموذجا)"، أطروحة دكتوراه منشورة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، شعبة تاريخ، تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة لجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017/2016.

50. يخلف الحاج، دراسة أكاديمية منشورة بعنوان: "الأسس الأنثروبولوجية للزاوية الجازولية بولهاصية (دراسة ميدانية أنثروبولوجية)"، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، تخصص أنثروبولوجيا، جامعة وهران 2، الجزائر، 2018/2017.

قائمة المجلات:

51. إبراهيم بلبالي، وقف زاوية تينلان بمنطقة توات رؤية فقهية وقانونية انطلاقا من الوقفية المنشئة له، مجلة دراسات، جامعة بشار، المجلد 7، العدد الأول، 2018.

52. إسماعيل سيبوكر ونجلاء نجاحي، أهمية المنهج الوصفي للبحث في العلوم الإنسانية، مجلة مقاليد، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، العدد 16، جوان، 2019.

53. طلحة الياس، نظام المعاينة في البحوث الاجتماعية والإعلامية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر، العدد 10، جوان، 2017.

54. طيب جاب الله، دور الطرق الصوفية والمجتمع الجزائري، مجلة المعارف، العدد 14، جامعة البويرة، الجزائر، أكتوبر 2013.

55. مجلة الدراسات الإسلامية الصادرة عن المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ع 02، ديسمبر، 2002.

قائمة المراجع الأجنبية:

56. Ann Marie Sullivan, Cultural Heritage & New Media: A Future for the Past, 15 J. MARSHALL REV. INTELL. PROP. L. 604 (2016)

57. Daumas(E), Moeurs et Coutumes de l'Algérie, Intrd. Abd-delkader djeghloul, Ed. ENEP, Alger, 2006.

58. Dr SHAW, Voyage dans la régence d'Alger, trad de l'Anglais par J.Mac.Carthy 2ème ed. Bouslama, Tunis.

59. Emerit Marcel, l'Algérie l'époque d'Abdelkader, collection document inédits et étude sur l'histoire modern, éditions Larose, paris, 1951.

60. Emérite Daumas, le Sahara algérien étude sur la région au sud en Algérie, Larousse, paris, 1845.

61. Gsel S. Marçais. G et G. Yver, Histoire d'Algérie, Bovin, Paris, 1927.

62. Rinn Louis, Marabouts et Khouans, 2tude sur l'islam en Algérie, Adolphe Jourdan, Alger, 1884.

63. Y vonne Turin : Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, école médecine religon,1830/ 1870, année 1978.

الملاحق

المحور الأول: (البيانات الشخصية)

1. الجنس.
2. السن.
3. المستوى التعليمي.
4. الحالة العائلية.
5. مدة الالتحاق بالطريقة.

المحور الثاني:

6. كيف ترى شخصية الشيخ سيدي أحمد التيجاني؟
7. ما هو سر انتشار الطريقة التيجانية؟
8. ما هي مرتكزات الطريقة التيجانية؟
9. ما هي أولويات الطريقة التيجانية؟
10. على أي أساس بنى الشيخ زاويته؟
11. حسب رأيك لماذا أصبحت زاوية عين ماضي من أكبر الزوايا؟
12. هل تعزز الزاوية قيمة الانتماء لدى مريديها؟
13. هل الالتزام بمرجعيات الطريقة تعزز قيم الولاء للمريدين؟

المحور الثالث:

14. هل تحقق التربية الطرقية القيم الدينية لدى المريدين؟
15. ماهي أنواع القيم الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية التيجانية إلى غرسها؟

16. هل تعزز الطريقة التيجانية التربية الروحية (الاحسان) لدى المريدين؟

17. ماهي أهم المرتكزات الدينية التي يسعى شيوخ الزاوية إلى تعليمها؟

18. ما هو موقع الذكر من هذه القيم الدينية؟

19. هل تعتبر التربية بالقدوة والامتثال للموروث الديني آلية ناجعة في ترسيخ القيم الدينية؟

20. حسب رأيك هل تجسدت هذه القيم (القيم الدينية) في الواقع؟

المحور الرابع:

21. هل تعتبر القيم الاجتماعية أولوية من أولويات الزاوية التيجانية؟

22. هل تعمد الطريقة التيجانية على تحقيق مبدأ التضامن الاجتماعي؟

23. هل تساعد الطريقة التيجانية أتباعها في عملية الاندماج الاجتماعي؟

24. هل تجسدت هذه القيم الاجتماعية في الواقع؟

25. كيف تنمي الطريقة التيجانية الروابط الاجتماعية؟

26. فيما تمثل انعكاس دور شيوخ الزاوية التيجانية على المجتمع؟